دَليل الى قِراءَة الكِتاب المقدّس





بقلم
الأب اسطفان شرپنتييه

نقله الى العربيّة
الأب صُبحي حموي اليسوعي



دار المشرق بيروت

دليل الى قراءة
الكتاب المقدس

من منشورات «دار المشرق» في الكتاب المقدّس

أ) نصوص الكتاب المقدّس

- **الكتاب المقدّس** في مجلّد واحد (ترجمة جديدة)
- **العهد العتيق والعهد الجديد** في مجلّد واحد (ترجمة قديمة)
- **العهد الجديد** في مجلّد واحد (ترجمة جديدة)

ترجمة الأبوين صبحي حموي اليسوعي ويوسف قوشاقجي والاستاذ بطرس البستاني

- **الإنجيل وأعمال الرسل** (ترجمة جديدة)
- **الإنجيل واعمال الرسل** (للجيب - ترجمة جديدة)
- **كتب الشريعة الخمسة** (ترجمة جديدة)
- **كتب التاريخ** (ترجمة جديدة)
- **كتاب المزامير** (ترجمة جديدة)
- **مزامير للصلاة والترنيم** (ترجمة جديدة)

(ب) دراسات في الكتاب المقدّس

- **دليل الى قراءة الكتاب المقدّس**
- **أضواء على أناجيل الطفولة**
- **مَن أنت أيّها الإنسان؟**
- **المعجزات في الإنجيل**
- **المسيح قام!**
- **رسالة التطويبات**
- **رؤيا القدّيس يوحنّا**
- **قراءات في إنجيل يوحنا**
- **أعمال الرسل**
- **تعرّف إلى الكتاب المقدّس**
- **الموت والحياة في الكتاب المقدّس**
- **دراسة في الرسالة إلى العبرانيّين**
- **دراسة في الإنجيل كما رواه متّى**
- **التراث الإنسانيّ في التراث الكتابيّ**
- **دليل إلى قراءة الإنجيل كما رواه مرقس**
- **دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا**
- **أيّوب، الكتاب ورسالته**
- **مدخل إلى رسائل القدّيس بولس**



دليل الى قراءة الكتاب المقدس



بقلم

الأب اسطفان شربنتييه

نقله الى العربية

الأب صبحي حموي اليسوعي

الطبعة الثالثة



دار المشرق ش م م

بيروت



سلسلة
«دراسات في الكتاب المقدّس»
بإشراف
الأب انطوان أودو اليسوعي

لا مانع من طبعه
بولس باسيم
النائب الرسولي للاّتين
بيروت في ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢

دار المشرق ش.م.م
ص.ب. ٩٤٦، بيروت - لبنان

ISBN 2-7214-4602-9

التوزيع : المكتبة الشرقية
ص.ب. ١٩٨٦ - بيروت، لبنان

صدر هذا الكتاب بالفرنسية في جزءين تحت عنوان :

— Pour lire L'ANCIEN TESTAMENT
— Pour lire LE NOUVEAU TESTAMENT

Par Etienne CHARPENTIER

Les Editions du Cerf, Paris, 1982

صورة الغلاف :
المسيح القدير.
فسيفساء في قبة كاتدرائية أرتا (إيبرس - اليونان)
حوالى السنة ١٣٠٠.

تقديم

«فلتواصل كلمة الرب جريها وتُكرَّم» (٢ تس ٣/١) بقراءة الكتب المقدسة ودرسها، ولتمتلئ قلوب البشر يومًا بعد يوم من كنوز الوحي الموكولة إلى الكنيسة.

هذا ما اعلنه المجمع الڤاتيكاني الثاني في خاتمة «الدستور العقائدي في الوحي»، مستحثًا جميع المؤمنين على قراءة الكتب المقدسة ودرسها. وليس ذلك أمرًا جديدًا في حياة الكنيسة، فكل منعطف تاريخي وكل تجديد لاهوتي وكل تطوّر اجتماعي ترافقه عودة جذرية إلى التعمّق في الكتب المقدسة لسماع صوت الله في قلب الأحداث التاريخية. إلاّ أن العلوم الكتابية قد قطعت شوطًا كبيرًا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فان الدراسات الادبية والتاريخية، بما فيها عامة من دراسة الفنون الأدبية وفقه اللغة والألسنيات وعلم التاريخ والآثار، قد اكتسبت وسائل نقد وتحليل جديدة ودقيقة. ولا شكّ أن الدراسات التفسيرية تشكّل حاليًا جزءًا هامًا مما يُنشر في حقل العلوم اللاهوتية، وان عدد الطلاب والبحّاثة في هذا المجال في ازدياد دائم في مختلف أنحاء العالم، ولا سيّما في الهند وافريقيا واميريكا اللاتينية. هناك تعطّش إلى الأصالة أمام تحديات الحداثة، وتعطّش الى ابداع ثقافات خاصة، وأي معين أفضل من الكتاب المقدّس؟ إنه يرجع بالانسان الى علاقة شخصية مع الله خالقه، ومع المسيح مخلّصه، تقوده إلى شق طرق حريّة جديدة في عالم اليوم.

وهذا الكتاب «دليل الى قراءة الكتاب المقدس» قد صدر منذ سنتين بالفرنسية وترجم الى لغات أخرى، واشتهر بالجديد الذي أتى به، وهو من وضع الأب اسطفان شربنتييه. وقد عرّبه لنا الأب صبحي حموي اليسوعي، الذي ساهم في ترجمة العهد الجديد الى العربية. ويأتي هذا الدليل في رأس هذه السلسلة الجديدة «دراسات في الكتاب المقدس» نضعها في متناول القارئ العربي. وغاية هذه السلسلة:

– التعرّف الى تلك الأساليب النقدية التفسيرية في درس الكتب المقدّسة ليتمكّن من استعمال أداة للبحث باللغة العربية.

– مساعدة المسيحيين لفهم الكتاب المقدّس في سبيل تعميق حياتهم الروحية والكنسية، ودعوة الدارسين للوصول إلى مستوى علمي يليق بالكتاب المقدّس، فيوضح معانيه ويخوّلهم للانتاج في مجال التفسير الكتابي بطريقة رصينة ومبسّطة في آنٍ واحد.

– تغذية ايماننا المسيحي في جذوره وتنمية القدرات في التعبير عنه في الثقافة وفي العالم اللذين ننتمي اليهما، وهما ثقافة وعالم غير غريبين عن عالم الكتاب المقدّس.

بيروت في ١ نيسان ١٩٨٣

انطوان اودو اليسوعي
استاذ الكتاب المقدّس
في جامعة القديس يوسف – بيروت

جدول اسفار الكتاب المقدس مع حروفها الأولى

اح	سفر الاخبار
١ اخ ٢ اخ	سفرا الاخبار
ار	نبوءة إرميا
اس	سفر استير
اش	نبوءة اشعيا
اف	رسالة بولس الى أهل أفسس
اي	سفر ايوب
با	نبوءة باروك
١ بط ٢ بط	رسالتا بطرس
تث	سفر تثنية الاشتراع
١ تس ٢ تس	رسالتا بولس الى اهل تسالونيقي
تك	سفر التكوين
جا	سفر الجامعة
حب	نبوءة حبقوق
حج	نبوءة حجاي
حز	نبوءة حزقيال
حك	سفر الحكمة
خر	سفر الخروج
دا	نبوءة دانيال
را	سفر راعوت
رسل	اعمال الرسل
روم	رسالة بولس الى اهل رومة
رؤ	رؤيا يوحنا
زك	نبوءة زكريا
سي	سفر يشوع بن سيراخ
صف	نبوءة صفنيا
١ صم ٢ صم	سفرا صموئيل (او ١ و ٢ ملوك)
طو	سفر طوبيا
طي	رسالة بولس الى طيطس
١ طيم ٢ طيم	رسالتا بولس الى طيموتاوس
عا	نبوءة عاموس
عب	الرسالة الى العبرانيين
عد	سفر العدد
عز	سفر عزرا
عو	نبوءة عوبديا
غل	رسالة بولس الى اهل غلاطية
ف	رسالة بولس الى فيلمون
فل	رسالة بولس الى اهل فيلبي
قض	سفر القضاة
١ قور ٢ قور	رسالتا بولس الى اهل قورنتس
قول	رسالة بولس الى اهل قولسي
لو	انجيل لوقا
متى	انجيل متى
مثل	سفر الامثال
مر	انجيل مرقس
مرا	مراثي إرميا
مز	سفر المزامير
١ مك ٢ مك	سفرا المكابيين
١ مل ٢ مل	سفرا الملوك (او ٣ و ٤ ملوك)
ملا	نبوءة ملاخي
مي	نبوءة ميخا
نح	نبوءة نحميا
نحو	نبوءة نحوم
نش	سفر نشيد الاناشيد
هو	نبوءة هوشع
يش	سفر يشوع بن نون
يع	رسالة يعقوب
يو	انجيل يوحنا
١ يو ٢ يو ٣ يو	رسائل يوحنا
يوء	نبوءة يوئيل
يون	نبوءة يونان
يه	سفر يهوديت
يهو	رسالة يهوذا

الجزء الأوّل

العهد القديم

دليل الى العهد القديم

انك ترغب في قراءة العهد القديم، ولكنك لا تعرف السبيل الى ذلك... الغاية من هذا الكتاب المتواضع والطموح ان يكون بين يديك دليلاً الى قراءة العهد القديم.

دليل سياحي

حين تريد ان تسافر، تشتري لك دليلاً يرافقك طوال سفرك، ويقترح عليك عدّة برامج سفر ويدلك على أشياء تعجبك رؤيتها ويلخّص لك تاريخ البلد الذي ترغب في زيارته. والغاية من هذا «الدليل» ان يسهّل عليك هو أيضًا اكتشاف العهد القديم.

فهو متواضع، وفيه من البساطة ما يُساعد الذي لم يفتح العهد القديم الى اليوم، او الذي حاول وبردت همّته، على الاهتداء الى الطريق دون عناء (لا دون جهد). قبل ان يُدوَّن هذا الدليل، فقد اختُبر زمنًا طويلاً في مجموعات كثيرة. وهو قصير، فإن كل فصل ينقسم الى فقرات من صفحتين او ثلاث صفحات يمكن مطالعتها مستقلّة عن غيرها.

ومع ذلك فهو طموح، بما أنه يضع في متناولك جميع المفاتيح الأساسية التي تمكّنك من مطالعة العهد القديم دون الاعتماد على غيرك. واليك ما يعرض عليك: بعد مدخل عام، هناك ثمانية فصول مبنيّة على طراز واحد، تجد فيها:

• **موجزًا عن تاريخ اسرائيل**: هاتان الصفحتان تفتتحان الفصل. ولكنهما تشكّلان كُلاًّ متكاملاً. ولا بأس من مطالعتهما على التوالي للاطّلاع على تاريخ اسرائيل بوجه عام.

• **عرضًا لمؤلّفات العهد القديم**، وُضعت في تلك الحقبة الزمنية. وبذلك ترى كيف نشأت شيئًا فشيئًا تلك التقاليد المختلفة التي ستصبح يومًا الشريعة (او التوراة)، وتسمع الأنبياء يعظون في تلك الحقبة، وتكتشف تفكير الحكماء في الوضع البشري والحياة والحب والموت، ذلك التفكير الذي يؤدّي يومًا الى كبار المؤلّفات الحِكَميَّة.

• **أدِلاّء للقراءة** (أشير اليها بالعلامة ◄) تمكّنك، وحدك او مع فريق من الأشخاص، من درس هذا النص الهامّ او ذاك.

• **وثائق** متنوّعة محاطة بإطار. وهي عبارة عن شرح الفاظ هامّة او صعبة، ومفاتيح قراءة، ونصوص قديمة يمكن المقارنة بينها وبين العهد القديم، وأفكار لاهوتية او روحية...

رحلات اختبارية

في أثناء سفر الى الخارج ، كثيرًا ما يترك لك المسؤولون يوم حرّيّة او يومين للقيام برحلات اختبارية تتمكّن بها من التدقيق في مشاهدة آثار سبق لك ان شاهدتها او لزيارة مكان آخر.

كيفية استعمال هذا الدليل

يمكنك ان تستعمله وحدك ، ويمكن استعماله في عمل جَماعي. وهذا هو السبب الذي حملنا على تقسيمه الى ثمانية فصول : ففي امكان مجموعة اصدقاء ، ان اجتمعوا مرَّة في الشهر. ان يطالعوا العهد القديم ثم العهد الجديد في بحر سنة واحدة.

ان مطالعة الدليل الخطّي الذي يُقدِّم لك قبل السفر تساعد على القاء نظرة اجمالية وعلى اثارة الشهية ، ولكن لا يخفى عليك ان بعض الشروح لا تكون بليغة إلاّ حين تزور الأماكن وأنك لا تستطيع زيارة جميع الآثار الوارد ذكرها في الدليل. وذلك شأن هذا الكتاب.

نشير عليك بأن تبتدئ بمطالعة اجمالية لكل فصل ، فيكون لك نظرة اجمالية وتعرف ما هي النصوص التي يجب «زيارتها»... علمًا بأن الوقت لن يسمح لك برؤيتها جميعًا ، ولكنك تستطيع على الأقل ان تكتشف النصوص التي تحب ان تدرسها. ويمكنك بعد ذلك استئناف مطالعة الفصل. والكتاب المقدس في يدك. وان قمتَ بهذا العمل مع فريق. تستطيعون ان تتقاسموه. وعندما تلتقون. يكون كل واحد منكم قد تعمَّق في قسم من اقسام الفصل فيستطيع ان يُساعد الآخرين على فهم هذه النصوص.

لماذا نقرأ العهد القديم...

... بعد ان أصبح عندنا عهد جديد؟ ان مجرّد حصولك على هذا الدليل للعهدَين يعني أنك مقتنع بفائدته. ولكن ، ان كنت بحاجة الى الاقتناع ، فطالع الصفحات ١٠٩ - ١١١.

اسطفان شربنتييه



هذا رسم قبر في بني حسن بمصر (حوالى ١٨٩٠ ق.م.). يساعدنا على التذكّر بالآباء. قافلة من ٣٧ بدويًا تمثل لدى حاكم البلاد. يبدو الرجال والنساء والاولاد مشرقين صحةً. يرتدون معاطف صوفية متنوّعة الألوان. الرجال يحملون اسلحة جيدة. والرئيس (وهو لا يظهر في هذه الصورة، راجع الصفحة ١٧) يُهدي وعلاً صادوه في البرية (راجع تك ١٢/١٠).

استعـــدادًا لـــرحلتنـــا

قرَّرتَ ان تقضي عطلتك في فرنسا مثلاً. فلديك إمكانيات كثيرة. في امكانك ان تقضي شهرًا في احدى المدن. فتستطيع في هذه الحال ان تتعرّف الى هذه المدينة معرفة جيّدة، ولكنك تجهل بقية ما في البلد. وفي امكانك أيضًا ان تتّكل على نفسك وتسير على غير هُدى. وفي امكانك أيضًا أن تتّصل بمكتب سفريات يعرض عليك جولة سياحية، فتستطيع ان تركب باصًا وتطوف، في شهر واحد، جميع انحاء فرنسا.

وفي امكانك هنا أيضًا أن تتصوَّر نوعين من التنظيم: في الحال الأولى يكون خطّ السير إجباريًا. فالباص يقف بك أمام احد الآثار والدليل يُساعدك على زيارته. ثم تعود الى الباص فينزل بك أمام أحد المتاحف... وأمّا في الحال الأخرى، فالدورة تكون أبسط. فالباص يتوقّف يومين في احدى المدن، وثلاثة أيام في أُخرى. وفي كلّ مرحلة، يضع مكتب السفريات بين يديك نشرة مطوية تدلّك على ما يحسن زيارته، وعليك انت أن تختار ما تشتهيه نفسك. وان شئت، فبإمكانك ان تستعين بخدمات الدليل الذي يعرضه مكتب السفريات عليك لزيارة هذه الكنيسة او ذلك المتحف. فخطّ السير مزروع بالأسهم، اي ان امامك امكانيات مختلفة وعليك انت ان تختار.

وما يُعرض عليك في هذا الكتاب هو هذا النوع الأخير من «العطلة». فكلّ فصل من الفصول يشكّل احدى مراحل الرحلة الثماني في أنحاء العهد القديم. وفي كلّ مرحلة، يُشار عليك بما يجب زيارته وتُعرض عليك زيارة موجَّهة لبعض النصوص الهامَّة. وعليك انت ان تختار. لأنه لا يمكنك، على وجه العموم، ان ترى كلّ شيء.

لا شكّ ان في ذلك شيئًا من الحرمان. لأنه يُسال لُعابنا ونرغب ان نرى كل شيء وأن نبحث في كل شيء. ولكنّ الوقت محدود. فالباص او الفصل التالي هو في انتظارنا، فلا بدّ من الذهاب. من الواضح أنه، في ختام مثل هذه المسيرة، لا نستطيع أن ندّعي أننا نعرف فرنسا او الكتاب المقدّس. ولكن قد تمَّ فينا شيء من الألفة. فهناك أشياء كثيرة قد وُضعت في مكانها، فأصبح من الممكن ان نقرأ كتابًا من الكتب وان نعود الى زيارة مدينة من المدن او ان ندرس نبيًّا من الأنبياء. ولن نعود بعد ذلك نشعر بالغربة، لأنه قد أصبح في امكاننا ان نحدّد لكل شيء مكانه في المجموعة.

قبل الرحيل، نحزم حقائبنا ونستعدّ. ونستعلم بعض الشيء عن جغرافية البلد وتاريخه ولغته، وعمّا لا غنى عن معرفته من المفردات. ونهيّئ المُعدّات أيضًا، وهي تختلف ان كانت الرحلة الى الجبل او الى البحر.
في هذا الفصل الأول، سنجمع، قبل الرحيل، بعض المبادئ التي لا غنى عنها لكي لا نضلّ الطريق تمامًا. واليكم ما تجدونه في هذا الفصل الأول:

١. **الكتاب المقدّس: أهو كتاب أم مكتبة؟** بعض المعلومات العملية للتعرّف الى الكتاب نفسه (الصفحتان ٦ – ٧).

٢. **شعب يجدّد قراءة حياته**. تفكير نظري في كنه الكتاب المقدّس: لا «تحقيق صحفي مباشر»، بل تفكير مؤمنين (الصفحتان ٨ – ١٠).

٣. **قراءة ودرس احد النصوص**. طريقتان لتحليل نص و«علبة أدوات عمل» (الصفحتان ١١ – ١٥).

٤. **شعب متأثّر بجغرافية بلاده**. محيط اسرائيل الجغرافي والتاريخي (الصفحتان ١٦ – ١٧).

٥. **شعب متأثّر بعقلية الشرق الأوسط**. لمحة عن فكر الشعوب التي كان اسرائيل على صلة بها (الصفحات ١٨ – ٢١).

٦. **ألف سنة من التاريخ** او ساعات اسرائيل الهامّة (الصفحتان ٢٢ – ٢٣).

١. الكتاب المقدس: كتاب ام مكتبة؟

لنبدأْ ونتعرَّف إلى الكتاب نفسه. ان سبق أن تعرّفت اليه. فما لك إلاّ ان تنتقل الى الصفحة ٨.

الأسماء

الكتاب المقدّس هو اكثر من كتاب، إنه مكتبة. فيها يجد الانسان عددًا من المؤلّفات يختلف بعضها عن بعض. وهي مقسومة الى مجموعتين كبيرتين: العهد القديم والعهد الجديد. فالكتاب المقدس هو اذًا مجموعة الكتب التي تخبرنا عن العهد الذي قطعه الله مع اسرائيل بواسطة موسى (العهد القديم) والذي أتمَّه في يسوع (العهد الجديد).

ويطلَق على الكتاب المقدس اسم «الكتاب» او «الكتب» او «الكتب المقدسة». وهذا يعني أوّلاً أن المقصود هو كلام الله المدوَّن خطيًّا. فقد يكون هناك كلام لله لم يدوَّن خطيًا. وهذا يعني ثانيًا أن ما هو كلام الله في نظرنا هو ما كُتب، لا ما جرى من الحوادث او ما قيل من الأقوال قبل ان تُدوَّن. سنعود الى هذا الموضوع.

الكُتُب

القسم الأول من الكتاب المقدس، اي **العهد القديم**، مشترك بين اليهود والمسيحيين، ولكن مع بعض الفوارق. فاليهود، وبعدهم البروتستانت، لا يعترفون إلاّ بالكتب الموضوعة بالعبرية. وهي اربعون. وأمّا سائر المسيحيين فإنهم يضيفون ستة كتب وُضعت باليونانية. ان البروتستانت يطلقون على هذه الكتب صفة «المنحولة»، وأما الباقون فانهم يلقّبونها بـ«القانونية الثانية»، اي أنها دخلت ثانيًا في القانون، وهو قاعدة الايمان، (راجع النص المحاط بإطار في الصفحة ٨٦).

والقسم الثاني، **العهد الجديد**، وهو واحد عند جميع المسيحيين، يحتوي على ٢٧ كتابًا.

فـ«مكتبة» المسيحي – او الكتاب المقدس – تحتوي اذًا على ٦٧ او ٧٣ كتابًا. يُدلّ عليها عادةً بالمختصرات (تجد جدولها في مطلع الكتاب). فـ«تك» يدل على كتاب التكوين و«رؤ» يدل على كتاب الرؤيا. هناك اتّجاه نحو توحيد كتابة المختصرات، ومع ذلك فقد تجد بعض الفوارق الصغيرة بحسب الطبعات.

انواع الترتيب

إذا اردت ان ترتّب كتبك على رفوف مكتبتك، كان لديك عدّة طرق. فإن قصدتَ الجمال، رتّبتها بحسب الحجم. وهكذا فرسائل القديس بولس مرتّبة في الكتاب المقدّس بحسب طولها. وان قصدت الوجهة العملية، رتّبتها بحسب المواضيع. وهكذا فقد جُمعت في الكتاب المقدس أقوال الأنبياء او رسائل القديس بولس. وان قصدتَ تطوّر الفكر، كان في امكانك ان ترتّبها بحسب تاريخ ظهورها. وهذا هو الترتيب الذي سنحاول اتّباعه في هذا الدليل.

ترتيب كتب **العهد الجديد** هو واحد في جميع طبعات الكتاب المقدس المسيحية. أمّا **العهد القديم**، فهناك طريقتان في الترتيب:

الكتاب المقدس عند اليهود يتضمّن ثلاثة أقسام: الشريعة او التوراة – ثمّ الأنبياء وهي مجموعتان: الأنبياء الأولون (وهي الكتب التي نسمّيها خطأً «التاريخية») والأنبياء الثانون (اشعيا وإرميا وحزقيال والاثنا عشر الآخرون) – وأخيرًا المؤلّفات او الكتابات.

معظم طبعات الكتاب المقدّس اتّبعت ترتيبًا مأخوذًا عن الكتاب المقدّس اليوناني، فقسمت الكتب الى اربعة أقسام: كتب الشريعة – كتب التاريخ – كتب الحكمة – كتب الأنبياء.

اللغات

مُجمل كتب **العهد القديم** وُضع بالعبرية وقليل من مقاطعها بالآرامية. وابتداءً من القرن السابع ب.م. قام بعض العلماء اليهود. وقد أُطلق عليهم

اسم «المسّوريين»، بتثبيت معنى النصوص بتشكيل الحروف، وهذا التشكيل عبارة عن نقاط وُضعت فوق الحروف او تحتها. ولذلك أحيانًا ما يسمّى النص العبري «النصّ المَسّوري».

تُرجم العهد القديم الى اليونانية ابتداءً من القرن الثالث ق.م.، في الإسكندرية. بحسب الاسطورة، قام بالعمل سبعون كاتبًا، كلّ واحد على حدة، فوصلوا الى ترجمة واحدة تمامًا. معنى هذه الاسطورة على جانب من الأهمية: فهي تعني أن مثل هذه الترجمة لا يمكن إلاّ ان تكون من وحي الله. ولذلك سُمّيت هذه الترجمة السبعينية. وهناك ترجمات يونانية قديمة أخرى، كترجمة **أقيلا** وترجمة سِمَّاك وترجمة ثاودوتيوف.

أمّا العهد الجديد فقد وُضع كلّه باليونانية، باللغة «الشائعة» التي كانوا يتكلّمون بها في ذلك الزمان والتي تختلف عن اليونانية الفُصحى.

رجال الاختصاص يعملون ويترجمون انطلاقًا من النصوص الأصلية، اي النصوص العبرية للعهد القديم والنصوص اليونانية للعهد الجديد.

من بين الترجمات القديمة، نذكر الترجمة السريانية والترجمة القبطية والترجمة اللاتينية. وهذه الترجمة اللاتينية، المسمّاة «الشائعة»، هي من عمل القديس ايرونيمس (اواخر القرن الرابع – اوائل القرن الخامس ب.م.).

الفصول والآيات

للاهتداء بسهولة الى فقرات الكتاب المقدس، خطر في بال اسطفانس لانغتون ان يقسّم كلّ كتاب الى فصول مُرَقَّمة، وكان ذلك في السنة ١٢٢٦. وقام صاحب المطبعة روبير استيان، اثناء رحلة في عربة بين ليون وباريس في السنة ١٥٥١، بترقيم كل جملة تقريبًا من هذه الفصول، فنشأ التقسيم الى الآيات.

ان هذا التقطيع الى فصول وآيات لا يطابق دائمًا معنى النص. فليس علينا ان نراعيه لنفهم معنى النص. ولكنه امر عملي، لأن جميع دور النشر قد تبنّته. فلكي تدلّ على فقرة من فقرات الكتاب المقدس، يكفي اذًا ان تذكر مرجعها، اي ان تذكر اسم الكتاب والفصل والآية. نجد في النص المحاط بإطار نظام الاختصار والرجوع المستعمل عادةً في أيامنا.

كيفية الدلالة على المراجع

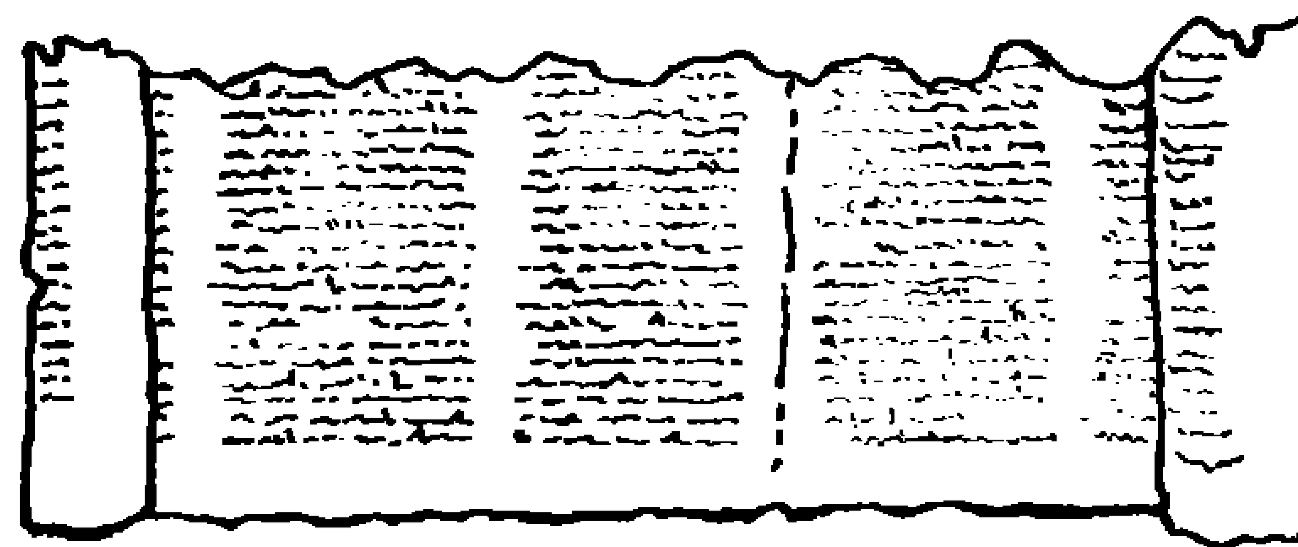
يُذكر الكتاب أوّلاً بالمُختصر (راجع قائمة المختصرات في مطلع الكتاب). يدلّ الرقم الأول على الفصل، ويدل الرقم الثاني، المنفصل عن الأول بخط مائل، على الآية.

فـتك ٢/٤ يعني: كتاب التكوين. الفصل الثاني. الآية ٤. والخط الأفقي يجمع بين عدّة فصول او عدّة آيات. فـتك ٢-٥ يعني: التكوين. الفصول ٢ الى ٥ (بما فيه ٥). و تك ٢/٤-٨ يعني: التكوين. الفصل ٢. الآيات ٤ الى ٨ (بما فيه ٨). حرف العطف «و» يفصل بين مرجعين مختلفين في الفصول او الآيات. وحرف التاء المضاف الى الرقم يعني: والآيات التابعة. فـتك ٢/٤ ت يعني أنه لا بدّ من مراجعة الآية ٤ والآيات التي تتبعها.

هناك اتجاه نحو تعميم هذه الطريقة. وهي التي استعملناها في هذا الدليل. ولكنّ هناك طرقًا أخرى أقلّ استعمالاً.



الوكيل ايبل ايل يسجد. (مرمر. ماري. اواسط الألف الثالث).



مخطوطة من قران. سِفر من الهيكل. قبل السنة ٧٠ من العصر المسيحي.

٢. شعب يجدّد قراءة حياته

ان الكتاب المقدس ، لا سيّما العهد القديم ، كتاب مُحيِّر . نعلم ، قبل ان نفتحه ، أنه الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين . ونتوقّع أن نجد فيه كلام الله غير ممزوج بأي شيء : اي نوعًا من كتاب للتعليم المسيحي او للاهوت الأدبي .

وعندما نفتحه... نجد فيه قِصصًا من ماضي شعب صغير ، قصصًا كثيرًا ما تكون لا فائدة فيها ، وروايات لا نستطيع ان نقرأها بصوت مرتفع دون ان نخجل ، وحروبًا واعتداءات ، وقصائد لا تحملنا على الصلاة ، وإن سمّيناها «مزامير» ، وفضائح من اخلاقية قديمة تخطّاها الزمن وكثيرًا ما هي مبغضة للنساء .

كتاب مُحيِّر... ولكن هل هو كتاب؟

إنه ، قبل كل شيء ، مكتبة : ٧٣ كتابًا يتدرّج تدوينها على اكثر من الف سنة . فالكتاب المقدّس هو اكثر من مكتبة جامدة . إنه عالم لا بدّ من الدخول فيه ، ومغامرة نحن مدعوّون اليها ، مغامرة شعب استحوذ عليه الولع بالله .

إليكم مثلاً يزيدنا وضوحًا .

يشرحان لي ويعلّقان عليها . وكانت هذه الصور تنقلب الى شهود حزن او فرح لكل يوم من أيام حياتها .

وكانت حياتها أيضًا تنبع من اوراق عائلية : فشجرة العائلة ، وهي عبارة عن قائمة رتيبة من الأسماء القديمة ، كانت تصبح هنا فخرًا بالانتماء الى سلالة والتأصّل في أرض . وهناك عقد إيجار لم يعد وثيقة تقليدية ودقيقة ، بل أصبح حلم حياة عمل وادّخار قد تحقّق بالحصول على بيت عائلي . وهناك رسائل تبودلت مدّة الخطبة كانت تجاور صلوات وُضعت لأهم ساعات حياتها . وكانت عظة حفلة الاكليل تجانب قصيدة خرقاء قدّمها احد الأحفاد .

وانقضت الأمسية كالحلم . كنت أظنّ اني اعرف هذين الصديقين القديمين حق المعرفة . واذا بي اكتشف ، معها وفي وقت واحد ، معنى حياتها . تلك الأوراق وتلك الصور كانت مبتذلة لا قيمة لها . ومع ذلك فقد اصبحت لا تُقدَّر . لم تعد أشياء ، بل صارت حياة كاملة مستجمعة ومفسَّرة . وكان كلّ من هذه الأشياء المتواضعة يتّخذ مكانه في تاريخ ينسج معناه . في لحظة واحدة اغتنيا بمئات اللحظات التي عاشاها معًا والتي حفظاها في ذاكرتها لأنها جمعتها .

لنتناول بعض النقاط الهامّة في هذا المثل .

مساء يوبيلها الذهبي

عند وصولي الى دارهما ، كانا وحدهما ، بعد انصراف اولادهما . قضيت الأُمسية معها ، وكانت رائعة .

كنت اعتقد أني اعرف هٰذين الصديقين القديمين حقّ المعرفة : شخصان بسيطان عاشا سوية نصف قرن ، في وسط الأفراح والاحزان . ولكني اكتشفتها في تلك الليلة بعَينين جديدتين ، لأنهما فتحا لي «كنزهما» : مجرّد علبة كرتون كان فيها كل شيء : صُوَرٌ ولا شكّ ، من الصورة العائلية التي يرقى عهدها الى يوم العرس ، الى الصور الخاطفة لابتسامة طفل او لمشهد عطلة ، وبطاقات بريدية ، مبتذلة وتقليدية ، بعضها مكسَّر . وكانا

١. حياة أمست «نصًّا»

كان هذان الزوجان يُرياني صورًا ووثائق خطية ، وكنّا نهتمّ بهذه الأشياء في حدّ ذاتها ، ولا سيّما لأنها كانت شبه خلاصة لحياة هذين الزوجين . فمن خلالها وبواسطتها ، كنت استطيع ان ادخل في عالم هذين الصديقين وان اشاركهما في مغامرة حبهما .

وكذلك فإن اسفار الكتاب المقدس كثيرًا ما تبدو لنا مبتذلة ولا فائدة لها . ولكننا بواسطتها سنكتشف مغامرة شعب من المؤمنين ، وستمكّن من الدخول في عالمهم .

٢. لا نفهم إلاّ بعد انقضاء الأمر

قال لي صديقي القديم مبتسمًا مازحًا : «هذه أول رسالة حب لنا» . قرأتها متعجّبًا ، لأنها كانت مسألة جبرية ! كان هو وهي طالبَين . ومرضت هي ، فوُكل اليه بأن يكتب لها لينقل إليها نصّ وظيفة الرياضيات . رسالة مبتذلة . ولكن هذه الرسالة كانت نقطة انطلاق وكانت هناك رسائل أُخرى... لم يكن لهذه الرسالة في حدّ ذاتها أية فائدة . ولكنّ قراءتها اليوم توحي بأنها كانت اول رسالة حب .

هناك احداث لا معنى لها في حدّ ذاتها ، ولكنها اذا دخلت في قصة حياتنا اكتسبت معنًى . اذا صُوِّرت فور حدوثها ، لا يكون لها فائدة ، ولكنها تصبح هامّة ان نُظر اليها في وقت لاحق .

كلّ حدث يحمل في ذاته معاني كثيرة لا يُنتبه اليه عند حدوثه . ولكنه ، ان كان هامًّا في الواقع ، مال الانسان الى اعادة التفكير فيه . وان اعاد التفكير فيه ، اكتشف ما فيه من غنًى . وكلّما طال الزمن ازداد غنى الحدث .

فرواية الاحداث لا تقوم على الاجتهاد في التحقيق عنها تحقيقًا دقيقًا ولا على تصوير ما جرى ، بل هي احياء هذه الاحداث بإظهار المعنى الذي تتّخذه اليوم بالنسبة الينا . وان رويناها في وقت لاحق ، اكتشفنا أشياء اخرى أيضًا . قد يقول لنا صديق شيئًا فلا ننتبه إليه في حينه ، ثمّ وبعد وقت قد يطول ، نهتف : «نعم ، هذا ما أراد ان يقوله لي...» . وكيف نروي الجملة الأولى : أكما قالها لنا ام كما نفهمها؟ وبعبارة أخرى : أنكرّر كلامه بحرفيته ام نضيف اليه المعنى الذي كان يريد ان يفيدنا به في الحقيقة؟

٣. مطابق للواقع أم صحيح؟

أحيانًا ما نسمع هذا السؤال : «أصحيح ما ورد في الكتاب المقدس؟ هل هذه المعجزة صحيحة؟» قبل الإجابة عن هذا السؤال ، يجب علينا ان نتساءل ماذا يُراد بكلمة صحيح . فقد يكون لها معانٍ كثيرة . نقول على سبيل المثل : «هذه القصة صحيحة ، هذه الرواية صحيحة ، هذه القصيدة صحيحة» . ولا شك أننا نشعر بأننا لا نتكلّم عن أمر واحد . في القصّة مثلاً كلُّ شيء مُختلَق ، ومع ذلك فقد تكون صحيحة إن اطمأننّا إليها وان كانت تناسب الواقع البشري . ليس فيها أيّ شيء مطابق للواقع او تاريخي ، ومع ذلك فكل شيء فيها صحيح .

لنتوسّع قليلاً في هاتين الكلمتين : مطابق للواقع وصحيح .

ان كلمة مطابق للواقع توافق ما حدث من الناحية التاريخية : ما سجّلته آلة التصوير او المسجّلة . فـ«أوّل رسالة حب» لصديقَينا لا تكون سوى ارسال وظيفة في الرياضيات . والجملة التي قالها ذلك الصديق تُكرَّر في حرفيتها .

ولكنه من الصحيح أن تلك الصيغ الجبرية هي «رسالة حبّ» . والطريقة التي اكرّر بها جملة صديقيَّ تكون أشدّ صِحّةً مِمّا لو كانت مطابقة للواقع .

هل الكتاب المقدس صحيح؟ نعم ، ولكن بمعنى الصحيح الذي شرحناه . قد نجد في الكتاب المقدس كثيرًا من الأمور غير المطابقة للواقع . كما نجد ان الطريقة في رواية الاحداث او في رواية الاقوال لا تطابق الواقع . ولكنها صحيحة لأنها تتضمّن المعنى الذي اكتشفناه في هذه الأحداث والاقوال .

٤. آمِنْ لِتفهم

إنَّ حقيقة الحدث الجوهرية لا تظهر للعيون . فعليَّ أن أشعر بها من خلال ما للحدث من وجوه تاريخية ، من خلال ما أراه . أرى مثلاً رجلاً وامرأة يتعانقان . هذا أمر مطابق للواقع . هذا أمر تاريخي . ولكني لا استطيع أن أستخلص منه شيئًا . لأنه قد أُعانق احيانًا أحدًا لا أُحبّه . فإن قيل لي إنّهما يحبّ الواحد الآخر ، عندئذٍ يكون للقبلة معنى فتصبح علامة حبّهما . «إن قيل لي...» : هذا يعني أن أُصدّق ما يُقال لي . فلإني أُصدّق أفهم هذه القبلة على أنها علامة حب . ان اردتُ ان أفهم ، يجب عليّ ان اصدّق ، وكوني قد فهمت يقوّي ايماني . نتقدّم هكذا كأننا في لولب : ندور على شكل حلقة ، ولكننا نتقدّم في كل دورة .

هذا شأن الكتاب المقدّس . وما قلناه يُطبّق على الذين وضعوه : كانوا يروون احداثًا ، ولكنّ هذه الاحداث كان لها معنى لأنهم كانوا يؤمنون . والأمر يُطبَّق علينا عندما نقرأ الكتاب المقدس : في استطاعتنا ان ندرسه ، سواء أكنّا مؤمنين ام غير مؤمنين ، وفي استطاعتنا ان نفهم ما تقوله النصوص لنا . ولكننا نفهمها فهمًا مختلفًا ان شاركنا واضعيها في ايمانهم . وان دخلنا وإيّاهم في بحث واحد .

قد يبدو كل ذلك معقّدًا الى حدٍّ ما . ولكننا سنعود اليه فيتّضح كل شيء ونحن في الطريق . أمّا الآن ، فعلينا ان نستخلص نتيجة هامّة : ما هو معنى نصّ من النصوص؟ او ما معنى القراءة؟

٥. معنى النصّ

حين نكون أمام نص من النصوص، ولا سيّمَا من النصوص القديمة، يكون تفكيرنا العفوي على الوجه التالي: أراد الكاتب ان يقول شيئًا ما وان ينقل معنى ما. وهذا المعنى قد «لَفَّه» في ألفاظه وثقافته هو. فعلينا اليوم أن «نفكّ» هذا المعنى وأن نُعيد «لفّه» في الفاظنا نحن. يبدو لنا أن في النص معنى موضوعيًا و «نواة صلبة» لا بدّ من استخراجها.

من الأكيد أننا بدأنا نفهم أن الأمور ليست بهذه البساطة. حين كنت أُصغي الى هذين الصديقين القديمين يرويان حياتهما، كنت احاول، ولا شك، أن أفهم ما كانا يريدان ان يقولاه لي، ولكني، حين تقبّلت هذا، كنت أحوّله. ابتداءً من تلك الأمسية، كوّنت لنفسي عنهما صورة تختلف عن الصورة التي يكوّنانها عن نفسيهما وتختلف أيضًا عن الصورة التي قد يكوّنها لنفسه شخص آخر عنهما. عندما نقرأ نصًا من النصوص، نُعيد صيغته انطلاقًا ممّا نحن عليه. وهذا أمر طبيعي، فإننا نواصل هكذا حياة الحدث المرويّ مُضيفين اليه المعنى الذي نكتشفه فيه.

القراءة هي أن نتناول نصًا وأن نجعله يقول لنا اليوم شيئًا ما، شيئًا من شأنه ان يُحيينا.

ولكن هل لنا أن نجعل نصًا يقول لنا أيَّ شيء كان؟ هنا يأتي الكلام على درس النص واستخدام مختلف طرق الدرس.

قِصَّة رائعة؟

«بأيّ شيء يمكن للكتاب المقدّس ان يُثير اهتمامي؟ انه يروي قصّة رائعة لا يزال الله يتكلّم فيها (الى ابراهيم، الى موسى، الى الأنبياء...) ويُجري المعجزات لتحرير المظلومين وشفاء المرضى... ايّة علاقة لهذا بحياتي أنا، بحياتي اليومية المبتذلة؟ بحياة العالم؟ بعد ان اكثر الله من الكلام طوال ألفي سنة، ها هوذا صامت! في أيّامنا أيضًا مظلومون وبؤساء: فلماذا لم يعد يعمل...؟».

هذا اعتراض وجيه. ولكن ما سبق لنا ان قلناه يجعلك تكتشف أن في هذا الاعتراض مقارنة بين القصص على صعيدين مختلفين.

ان المؤرّخ الذي يدرس قصة حياة اسرائيل يكتشف قصة حياة تافهة لشعب وضيع من الشرق الأوسط، لا يختلف عن غيره من الشعوب.

والمؤمنون الذين أَلِفوا الكتاب المقدّس يقرأون في هذه الاحداث كلمة الههم وتدخّله، كما يكتشف الزوجان في ارسال وظيفة في الرياضيات رسالة حب.

وقصة حياة اسرائيل تساوي قصة حياتنا نحن اليوم في التفاهة والألم، ولا يكتشف فيها أيضًا غير المؤمن أثرًا لله.

ومن ثمّ فإن من شأن قراءة الكتاب المقدّس ان تحملنا على تجديد قراءة حياتنا بالعين المؤمنة نفسها. فنكتشف عندئذٍ ان الله لا يزال يكلّمنا كما كان يكلّم الأنبياء ولا يزال يعمل. فتبدو لنا حياتنا كلّها كقصّة حياة مليئة بالروائع.

٣. قراءة ودرس لنص من النصوص

ما سبق لنا ان قلناه يدعونا الى التمييز بين قراءة نص من النصوص ودرسه.

ان قراءة نص من النصوص تعني لي أني احمّله معنى يكون لي انا القارئ في هذا اليوم. وهذا ما نفعله عفويًّا، فنقول: «هذا ما يوحي به هذا النص إليّ... إنّ ما يلفت نظري في هذا النصّ...»، والى مثل هذه القراءة يجب علينا ان نصل آخر الأمر. لكننا نشعر هنا بالخطر: فهل للانسان ان يستوحي ايّ شيء كان من النص؟ وهنا يكون دور الدرس.

الغاية من الدرس، اي من النظر في النص بواسطة مختلف طرق التحليل، هي ان نكتشف أنّ بيننا وبين النص مسافة، وأننا لا ندخل فيه بسهولة وأنه من الخطر أن نحمّله بسرعة زائدة مشاعرنا ونفسانيتنا. ومن شأن هذا الدرس أيضًا ان يحملنا على الامعان في قراءة النص. فهناك نصوص نعرفها حق المعرفة (او نظنّ اننا نعرفها)، نصوص الاناجيل مثلاً، ومن ثمّ فإننا لا نعود نقرأها، بل نحلّق فوقها ونكرّر ما سمعناه عنها دائمًا.

طريقتان للتحليل

في الواقع، عندما نتناول نصًا من النصوص، نستخدم عفويًّا نوعين من طريقة الدرس. اليك مثلاً عاديًّا.

تسلّمتَ رسالة من عمّتك وردة. حين تقرأ هذه الرسالة ترى عمّتك بعين الفكر وتفسّر النص انطلاقًا مِمّا تعرفه عنها. لنفترضْ ان عمّتك تتذمّر في سياق الرسالة. ان كنتَ تعلم بأنها لا تزال تنوح، لا تهتمّ لأمرها، بل تكتفي بأن تقول: «هي هي». وان كنت تعلم بالعكس أنها امرأة تقسو على نفسها، يكون تفكيرك كهذا: «ان بلغ بها الأمر الى التذمّر. فذلك أن حالتها قد ساءت». او ان وردت في رسالتها جملة تطعن فيها الشبيبة او احدى المجموعات الاجتماعية، تقول في نفسك: «هي في الحقيقة ابنة زمانها او ابنة بيئتها...». إنّك تخرج هنا من النص وتنظر الى عمّتك بعين المخيلة، ومن خلال ما تعرفه عنها تحاول ان تفهم ما عنته.

ولنفترض الآن أنك، وأنت تقرأ، تقع على جملة غامضة. تتوقّف عندئذٍ قليلاً عن البحث عن المعنى وتلجأ الى قواعد الصرف والنحو. اي أنك تحاول أن تدرس مكان العناصر التي تعطي الجملة معنًى: «أين هو الفاعل؟ والمفعول!...». وبعد ان تكون قد درست مكان هذه العناصر. تقرأ النص لتُعطيه معنى. او إنّك ترى ان الرسالة تبدأ بشكل متشائم وتنتهي بما هو أفضل. فاللهجة قد تحوّلت شيئًا ما. ثمّ تعيد قراءة النص لترى ما الذي ساعد على هذا التحوّل (قد يكون الداعي الى هذا التحوّل مجرّد مفاتحة اولاد اخيها بمشاكلها). انك لا تخرج هنا من النص. بل تحاول ان تفهمه في حدّ ذاته.

١. التحليل التاريخي

حين قرأتَ رسالة عمّتك وردة، تساءلتَ ماذا تريد ان تقول لك. ولكي يمكنك ان تجيب، وضعتَ هذه الرسالة في داخل حياتها الماضية والحاضرة.

وهذا هو السؤال الذي نطرحه على انفسنا أمام نص من نصوص الكتاب المقدّس: «ماذا يريد لوقا ان يقول؟ ماذا يريد مؤلف كتاب التكوين ان يقول؟».

لكن الأمور تبدو هنا أكثر تعقُّدًا. أنت تعرف عمّتك وردة. أمّا انا فلا اعرفها. وان قرأتُ رسالتها، أكوّن فكرة عنها انطلاقًا من خطّها ومن التلميحات التاريخية التي تلجأ اليها ومن العقلية التي تُظهرها. سأنسب اليها عمرًا وبيئة وأفكارًا، وافسّر الرسالة انطلاقًا من هذه الشخصية المفتعلة. وهذا امر لا يخلو من الخطر، ولا بدّ من معرفة ذلك: اني اختلق شخصية انطلاقًا من النص وأفسّر النص في ضوء ما أظنّ اني اعرفه عن هذه الشخصية.

ونحن كذلك لا نعرف لوقا او مؤلف كتاب التكوين إلاّ من خلال نصوصها. فلا بدّ من التقدم بحذر والتأكّد مِمّا نُثبته.

كيف نحدّد وضع المؤلّف؟

الأمر سهل بالنسبة الى العمّة ورده ـ لأنها من زمني . ولكنها ، ان لمَّحت الى الحرب العالمية الأولى ـ اضطُرِرتُ الى الاستناد الى ما قرأته في الكتب . والحال انّ الكتب المقدّسة حُرِّرت قبل أَلفَي سنة او ثلاثة آلاف. فلكي نحدّد وضعها ـ سنستخدم على الأقلّ معلومات مُقتبسة

- من التاريخ كما نعرفه من الكتاب المقدس ومن الوثائق الصادرة عن سائر الشعوب
- من أدب ذلك الزمان : فاليهود المجلوّون الى بابل ارادوا أن يرووا أهم أساطير بلاد ما بين النهرين عن الطوفان ، والمواعظ اليهودية التي ترقى الى زمن يسوع تُظهر لنا كيف كانوا في ذلك الزمان يفهمون نصًّا من نصوص الكتاب المقدّس . . .
- من علم الآثار : كانت اريحا دمارًا حين استولى عليها يشوع . وفي اورشليم عُثر على البِركة ذات الاروقة الخمسة التي يذكرها يوحنا . . .

ان هذا البحث يعود الى الاختصاصيين ولا شك . ولكنهم ، من حسن الحظ ـ يهتمّون بتزويدنا بأوجَه نتائج أبحاثهم .

اين نحدّد وضع الرواية؟

نتصوّر بسهولة زائدة أَنّ الراوي ليس هو إلاَّ مسجِّلةً تنقل الاحداث والأقوال كما هي ـ والحال انّ المؤلّف يكلّمنا عمَّا يعيشه وعن زمنه بقدر ما يكلّمنا عن الحدث الذي يرويه . اليكم هذا المثل :

انّ الزوجَين الطاعنَين يرويان زواجهما عشيّة يوبيلهما الذهبي . ولكي أفهم هذا الزواج ـ عليَّ ان أَضعه في ظروف السنة ١٩٣٠ ، وكذلك في ظروف ١٩٨٠ ، لأنهما يروبانه أيضًا في ضوء نصف القرن هذا الذي قضياه معًا .

هذا شأن المؤلِّف الكتابي ، فهو أيضًا لا يروي على وجه واحد قصة ابراهيم ، وان كان يكتب في أيام داود السعيدة او بعد ذلك بـ ٥٠٠ سنة في مُخيَّم مجلوّين في بابل. وكذلك فأقوال يسوع لا بدَّ أن تُفهم لا في ضوء الثلاثينات فقط ، بل في ضوء حياة الجماعات التي وضعتها حوالى السنة ٨٠ او ٩٠ .

ذلك هو اذًا بالخطوط العريضة مشروع التحليل التاريخي ، والمقصود به ان يُوضع كلّ نصّ في تاريخه ـ في مختلف حقبات التاريخ التي نشأ فيها ـ لكي يُعرف ما أراد المؤلِّف أن يقوله. (وهذا الاسلوب يسمّى أحيانًا الاسلوب «التاريخي النقدي» ، وهذه التسمية تدل على أنه يجمع بين وجهة النقد ووجهة التاريخ) .

التحليل المادّي

«هذا ردّ فعل صادر عن بيئتها» : ذلك كان تفكيرنا ، عندما كنَّا نرى العمّة وردة تؤكّد هذا او ذاك في رسالتها . وهذا يعني أننا ، حين نتكلّم ، نظنّ ان المتكلّم هو نحن ، بينما المتكلّم من خلالنا كثيرًا ما يكون بيئتنا وتربيتنا .

انّ التحليل المادّي ـ اذ يضع النصوص في تاريخها ، ينتبه الى وجهة النظر هذه ، وهي أن النصّ هو أيضًا وليد اوضاع الزمن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . يُسمَّى هذا الاسلوب الاسلوب «المادّي» لأنه يستخدم شبكة التحليل التي اكتشفتها الماركسية . (لا بأس ان نستخدم هذه الشبكة دون ان نتبنَّى جميع نظريات الماركسية) .

٢ . التحليل البنائي

لنعُدْ مرّة أخرى الى رسالة العمّة وردة . امام جملة غامضة ، توقّفنا قليلاً عن البحث عن المعنى ، لكي ندرس مكان عناصر الجملة (من فاعل ومفعول . . .) التي بدونها لا يكون للجملة معنى .

والحال أنه قد نشأ ، منذ مطلع القرن العشرين ، علم جديد يدرس الكلام ، وهو علم الرموز. إنه يبحث في عناصر الكلام او ظروف معنى الكلام ، وهي كلّها رموز.

ان الاختصاصيين في هذا العلم يفيدوننا بأن للنصّ قواعد كما أن للجملة قواعد. فكما أنّنا ، عندما نكتب جملة ، نراعي (دون ان نفكّر في الأمر والحمد لله) بعض القواعد ، كذلك ، عندما نكتب نصًّا (رسالة ، رواية . . .) ، نراعي قواعد أخرى . لا مجال لدرسها هنا ، بل نجد بعضها في شرح الصفحة ١٥ .

اليك ميزة من أهم ميزات هذا الاسلوب. في الاسلوب التاريخي، كنا نخرج من النص لنفسّره في ضوء ما اراد المؤلف ان يقوله. وأمّا هنا. فإننا نحاول ألاّ نخرج من النص، بل ان ندرسه في حدّ ذاته، بغضّ النظر عن نيّات المؤلّف («المؤلّف قد مات»). نجول في النص في جميع الانحاء، فننسى ما نعرفه (او نظنّ أننا نعرفه) عن النص، ونهمل ما نرغب في وجوده، لننظر إليه في حدّ ذاته. ذلك هو أهم مكاسب هذا الاسلوب.

أنظر الى صديقين يتنزّهان في حرش. الأوّل يهوى الازهار، وهو لا يرى إلاّ الازهار. فالحرش في نظره هو ازهار. أمّا صديقه، فهو لا يراها، بل يسحقها تحت قدميه: فالحرش في نظره طيور او حجارة او أشجار... وكذلك، حين نقرأ نصًا، لنا عنه فكرة ولو عن غير وعي. نبحث فيه عن تعليم، او نتوقع منه سندًا، ولا نعود نرى إلاّ هذا. وفي هذا الامر سبب عدم التفاهم بيننا. والآن نتصوّر أن هذين الصديقين يبدآن بزيارة اجمالية، على قدر الامكان، للحرش، شرط ان ينسى كلّ منهما وجهة نظره. عندئذٍ يحاولان ان يريا كلّ شيء: الطيور والاشجار والازهار... بعد ذلك يمكنهما، ان شاءا، ان يتفقّدا الازهار. فلا يخطر ببالهما عندئذٍ ان يقولا إن الحرش ليس إلاّ كذا. بل يعرفان أنهما اختارا نوعًا من الزيارات وأن هناك انواعًا أخرى.

ان فضل التحليل البنائي، وان مارسناه بطريقة حرَفية، هو أنه يُرغمنا على ان نزور النص من اكبر عدد ممكن من الوجوه. فنهمل وجهة نظرنا لننظر الى النص. بعد ذلك، وفي قراءتنا الشخصية. قد لا نحفظ منه إلاّ وجهًا واحدًا. ولكننا نعلم أن هناك وجوهًا أخرى. وتغتني قراءتنا بكل ذلك.

٣. مَثَل

يمكننا ان نلخّص ما قلناه بواسطة مثل. اتصوّر نفسي استمع مع صديق الى اسطوانة، الى سمفونية لموزارت مثلاً. كلٌ مِنّا يستمع اليها بنوع مختلف. فقد تبدو لي سارّة، في حين ان صديقي يجدها حزينة. كلٌّ مِنّا يستمع اليها مع ما هو عليه، مع مشاعره الحاضرة، وهو ينقل هذه المشاعر الى العمل الفنّي.

تفسيرنا يختلف حتى اننا نقرّر درسها لمحاولة الوصول الى الاتّفاق. نستعين بمجموعة اصوات وندرس العمل الفني في حدّ ذاته. مكتشفين العبارات الموسيقية ودور مختلف الآلات الخ. ثمّ نترك العمل الفني فنطالع، في كتاب لحياة موزارت، ما قصد هذا من عمله. وباستخدامنا هذين الاسلوبين، نكتشف أشياء كثيرة. ونعدل عن بعض التفسيرات الشخصية. وهذا أمر مفيد جدًا. لكن السمفونية لم توضع لتُدرَس. بل لِيُستَمع اليها.

ولذلك فإننا نضع الاسطوانة ثانية لنستمع اليها. سيساعدنا درسنا على تحسين استماعنا اليها. ولكننا نُهمل الآن هذا الدرس لكي نطرب بالاستماع الى السمفونية. نعطيها معنى ونجد فيها تذوُّقًا جديدًا للحياة. وهذا هو الامر الجوهري.

لنستبدل القراءة بالاستماع والكتاب بالاسطوانة. فندرك أهمّ ما نريد ان نبيّنه في هذه الفقرة.



ختم لشامع، عبد يارُبعام.
عُثر عليه في مِجدّو (القرن الثامن ق.م.)

«علبة أدوات عمل»

الاتصال الأول اقرأ النص ودوّن ردود فعلك العفويّة: ما يلفت انتباهك، ما يعجبك، ما يُثير تساؤلاتك...

درس النص

النص نفسه عُدْ الى النص وأهمل الفوائد التي تجدها في الكتاب المقدس الذي بين يديك. ان لم يكن طويلاً، يمكنك ان تكتبه. اكتشفْ (مستعملاً اقلامًا ملوّنة، ان اردت)

- الكلمات او العبارات التي تتكرّر أو تأتلف او تختلف.
- الممثّلين (أشخاص او اشياء): دوّن ما يعملون – ما يقولون – ما يجري لهم...
- الأماكن، التنقّلات. هل ترتبط بعض الأماكن بشخص أو بفكرة؟
- الأزمنة: ازمنة الأفعال، او غيرها من الملاحظات...

انطلاقًا من هذه الفوائد، ابحث عمّا يجري في النص: من هو الذي يعمل؟ او عمّا يبحث؟ من (أو ما) هو الذي يُساعد على هذا البحث؟ او يعارضه؟ كيف يتمّ الانتقال من فاتحة النص الى خاتمته: أترى تحوُّلاً. لمن او لماذا؟ كيف تمّ هذا التحوُّل؟ بأيّة مراحل مَرَّ؟ بفضل من (او ماذا) تمّ هذا التحوُّل؟

النصّ بعد وضعه في سياق الكلام هذا النص جزء من مجموعة (كتاب، فصل). كيف يُربط بهذه المجموعة؟ ما هو محلّه فيها؟ بماذا يأتي؟

النص بعد تحديد وضعه في الزمان يمكنك ان تستعين بما في كتابك المقدس من فوائد ومقدّمات فتتساءل:

- في أيّ زمن وُضع هذا النص؟ ما هو وضع الشعب او المؤلّف في ذلك الزمان؟
- هل كان لبعض الكلمات او العبارات معنى خاص في ذلك الزمان؟
- الى ايّ فنّ أدبي ينتمي هذا النصّ (راجع الصفحة ٢٥).؟
- هل هناك نصوص مماثلة في ذلك الزمان، في الكتاب المقدس او خارج الكتاب المقدس؟ هل هذا النص من العهد القديم يتناول مواضيع وردت في الكتاب المقدس؟ ماذا يُضيف اليها؟ هل هو يتناول مواضيع معروفة في الأدب المصري او في ادب بلاد ما بين النهرين؟ ما هي وجوه الائتلاف ووجوه الاختلاف؟ هل هذا النص من العهد الجديد يتناول مواضيع يهودية تعود الى ايام المسيح؟ ام نصوصًا من العهد القديم؟ وفي هذه الحال، كيف يستضيء بها؟ وكيف يلقي ضوءًا عليها؟
- ان كان في الكتاب المقدّس نصوص مماثلة، ولا سيّما للأناجيل (انظر الى المراجع في هوامش كتابك المقدس): قارن بينها ودوّن وجوه الائتلاف والاختلاف. بماذا يساعدك ذلك على زيادتك فهمًا لهذا النص؟
- وُضع هذا النص من قِبَل جماعة ومن اجل جماعة. من يكلّم من؟ للإجابة عن ايّ سؤال؟

تحقيق راجع الاسئلة المدوَّنة في المطلع: هل في إمكانك ان تجيب عنها؟

قراءة النص تدع جانبًا هذا الدرس و «علبة ادوات العمل» هذه، وتقرأ النص: بماذا يوحي اليك؟ بماذا يُساعدك على الحياة؟

عندما نُخرج علبة ادوات عملنا، لا نريد من ذلك ان نستعمل جميع الادوات، بل أن نفكّ محرّكنا. اليك فيما يلي بعض الادوات التي قد تساعدك على فكّ نصّ من النصوص: ليست الغاية ان تستعملها كلّها.

الاتّصال الأول

هذه القراءة الأولى كثيرًا ما تكون القراءة الوحيدة التي نقوم بها. إنها تمكّننا من ان نكتشف النص قليلاً، ولا سيّما من ان نكتشف أنفسنا: ما هي مراكز اهتمامنا ومشاغلنا...

دَرس النص

نستخدم هنا الأساليب الكبرى التي تكلّمنا عليها. والأسئلة الأولى تستوحى خاصةً من التحليل البنائي، والاسئلة التالية من الاسلوب التاريخي. وليس الهدف من ذلك أن نطبّق اسلوبًا تطبيقًا كاملاً، بل ان ندرس نصًّا.

النص نفسه

قد تبدو لك هذه الأسئلة مدرسية او صبيانية. فائدتها ان تحمل الانسان على الامعان في النص وعلى الابتعاد عن الأفكار المبتذلة. لا تتردّد في ان تصرف فيها بعض الوقت، سترى أن في ذلك ربحًا.

كن متنبهًا، ولا سيّما الى جميع التناقضات. فلا يفكّر الانسان إلاّ بالنسبة الى الاختلاف. فإذا قلتَ إن هذا البيت كبير، فلا معنى لقولك إلاّ لأنك تشبّهه، قلّما في داخل فكرك، بمكتب لا ببناية.

تبدأ الرواية حالَ وجود نَقْص، وتنتهي حين يُسَدّ هذا النقص. والغاية من الرواية هي ان نرى بأيّة مراحل تمّ المرور للوصول الى ذلك وما هي العقبات التي وجب تذليلها. إنّ مختلف الممثّلين (أشخاص او أشياء) في النص ينتظمون حول هذا البحث عن الغرض الناقص. ويمكننا أن نجمعهم في ست فئات:

الموجِّه ⟵ الغرض ⟵ الموجَّه إليه
↑
المساعد ⟵ الفاعل ⟶ المعارِض

اليك مثلاً بَسيطًا: أرى أن جاري بولس عطشان. ينقصه الغرض شراب. فأطلب من بطرس ان يأتيه بما يشرب. انا - الموجِّه - أقيم بطرس فاعلاً ليذهب ويأتي بالغرض الذي ينقص بولس. الموجَّه اليه. لكي يستطيع بطرس ان يكون فاعلاً في الحقيقة. لا بدّ ان تكون له الارادة (يستطيع الرفض) والمعرفة (اين نجد الشراب) والقدرة (عنده مال). سيساعده مساعدون بإعطائه المعرفة (اين يوجد البرّاد) او القدرة (المال). ولكنّ هناك معارضين قد يُعرقلون عمله... ومن الممكن ان يكون هناك عدة اشخاص يعارضون او يساعدون او ينقصهم الغرض. ولكنّهم يشكّلون فريقًا واحدًا.

تذكَّرْ أيضًا أننا لا نبحث هنا عن المعنى: نبحث عن مكان العناصر التي تعطي النص معنًى. لا تتردَّدْ في صرف الوقت هذا البحث. سترى ان النص بعد ذلك يصبح أشدّ ايحاءً اليك.

النص في ظروف وضعه

تعوَّدنا كثيرًا، ولا سيّما بالقراءة الطقسية في القداس، ان لا نقرأ إلاّ مقاطع قصيرة من النصوص. ضعها في الظروف التي وُضعت فيها، ترَ عندئذٍ أنها كثيرًا ما تكتسب نكهة جديدة.

النص في زمنه

نستعمل هنا الاسلوب التاريخي خاصةً. هذا هو الوقت الذي يحسن بك ان تقرأ فيه المقدّمات والحواشي التي تجدها في كتابك المقدس: فإنك تجد فيها على وجه العموم ما تحتاج اليه من المعلومات الاساسية. وفي امكانك، ان شئت، ان ترجع الى أطلس او الى شرح.

ولا تنسَ ان تتساءل لماذا اراد المؤلف ان يروي هذا الحدث او تلك الاقوال: لم يفعل هذا بدون مبرّر. لأنه كان يجيب عن سؤال كانوا يطرحونه في ذلك الوقت.

قراءة النص

في آخر الامر. هذا ما لا بدّ ان ينتهي اليه ذلك العمل كله. كرّس له الوقت اللازم. ويمكنك ان تحاول ان تكتب النص ثانيةً، كما يوحي به اليك الآن.

٤. شعب متأثّر بجغرافية بلاده

أنظر الى خريطة الشرق الأوسط في الصفحة التالية. انتبه الى مكان الابحار والبراري. وهذا الأمر يفسّر لنا كيف ان الحضارات ستنشأ وتنمو في ثلاث مناطق رئيسية، في السهول والوديان.

الحضارات الكبرى

في الجنوب، في وادي النيل، ابتداءً من الألف الثالث ق.م.، أصبحت مصر شعبًا ذا شأن، تحكمه سلالات ملوك او فراعنة يقيمون تارةً في الشمال (ممفيس)، وتارةً في الجنوب (تيبس). يُقسم عادةً تاريخ مصر بحسب السلالات الملكية. فالخروج مثلاً قد تمّ على الارجح في عهد السلالة التاسعة عشر (حوالى السنة ١٢٥٠).

في الشمال، في انجاد آسية الصغرى، عاش الحثيون. كان لهم نفوذ واسع مدة ١٥٠٠ سنة، ولم يبقَ لهم أثر في عصر الكتاب المقدس.

في الشرق، تمتدّ بلاد ما بين النهرين. وتُسمّى هذه المنطقة الهلال الخصيب. قد تجانبت او تعاقبت فيها حضارات رائعة، ثم زالت وعادت الى الحكم بعد بضعة قرون. نجد خاصةً في هذه المنطقة، في الجنوب سومر وأكد وبلاد بابل، وفي الشمال بلاد أشّور، وهذه أراضي العراق الحالية. وفي الشرق أيضاً، اي في ايران الحالية، ظهر الميديون ثم الفُرس.

وهناك شعوب أخرى قد أتت من الغرب، من اوروبا الحالية، فاجتاحت الشرق الاوسط: وهم اليونانيون ق.م. بثلاثة قرون، ثم الرومانيون ق.م. بقرن واحد.

ماذا يجري حين تتجاور شعوب كبيرة؟ انها تتحارب. يقول الكتاب المقدس: «عند عودة الربيع، حين يخرج الملوك الى الحرب...»، كما نقول اليوم: «عند عودة الخريف، حين يذهب الناس الى الصيد...». والقتال يعني التلاقي او الزحف على الآخر، ولا بدّ لذلك من المرور بالممرّ الضيّق الذي يفصل البحر المتوسط عن صحراء جزيرة العرب.

والسيّئة الوحيدة ان الشعب الذي نهتم به، اسرائيل، يقيم في هذا الممرّ! ومن هنا نفهم الى أية درجة كانت حياته مرتبطة بقوة سائر الأمم. كان دولة حاجزة بين الدول الكبرى، فاستعملته تارةً هذه وتارةً تلك كحصن متقدّم.

ولكي تتمكّن من ان تكوّن فكرة خاطفة عن تعاقب هذه الدول الكبرى، يمكنك ان تقرأ الآن النصوص المحاطة بإطار والتي تجدها على الخريطة. والارقام تدل على ترتيب تدخّلها في تاريخ اسرائيل. وان اردت ان يكون لك مزيد من التفاصيل، يمكنك ان تأخذ أطلسًا او ان تنظر الى الجدول الزمني الذي قد تجده في بعض طبعات الكتاب المقدس.

كنعان

ان كلمة كنعان تدل، في الكتاب المقدس او في غيره من النصوص، إمّا على أرض وإمّا على سكّان.

تمتدّ أرض كنعان تقريبًا على أرض فلسطين الحالية. وتجد خريطة مبسّطة لها في الصفحة ٤٤. انظر الى هذه الخريطة. فالأرض مقسّمة عموديًا الى عدّة مناطق.

على طول البحر المتوسط ينتشر سهل ساحلي يقطعه جبل الكرمل.

المنطقة الوسطى مكوّنة من انجاد (الجليل) وتلال (السامرة ويهوذا).

أخيرًا، في الغرب، يمتدّ وادٍ غريب هو وادي الاردن. انتبه الى المعلومات عن المستوى: فالنهر ينبع عند سفح جبل حرمون، على مائتي متر فوق مستوى البحر. عند بحيرة الحولة، يبلغ هذا المستوى ٦٨ مترًا. ولكنه، عند بحيرة طبرية، اي على ١٥ كيلومترًا من هناك، يصبح **٢١٢** تحت البحر، ويصبّ الاردن في البحر الميت، اي على ناقص **٣٩٢** مترًا!

في هذه الارض وفي القرن الثاني عشر ق.م.، أقامت الاسباط التي اصبحت، حوالى السنة ١٠٠٠، مملكة داود – سليمان. وعند وفاة سليمان، انقسمت المملكة الى قسمين: في الجنوب، مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم، وفي الشمال، مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة.

ونحو القرن الثاني عشر أيضًا، أقام الفلسطينيون على ساحل البحر المتوسط، في الجنوب. وقبل المسيح ببضعة قرون، اطلق اليونانيون اسمهم على الارض: فلسطين او ارض الفلسطينيين.

وهناك مملكة صغيرة أخرى لعبت دورًا هامًا في تاريخ اسرائيل: مملكة دمشق.

ونرى منذ اللحظة الى اية درجة سيرتبط تاريخ اسرائيل بتاريخ سائر الشعوب. وبقي لنا ان نرى الى ايّ حدّ سيتأثّر تفكيره وعقليته بسائر الحضارات.

مصر ①
تسيطر على كنعان قبل ان يقيم اسرائيل فيها.
بعد بلوغ ذروتها على عهد الرعامسة (السلالة ١٩). تنحطّ تدريجيًا. ولكنها تجلب متاعب لاسرائيل مدّة من الزمن. يحكم فيها اللاجيّون (او البطالسة المتحدّرون من احد قوّاد الاسكندر) حتى السنة ٦٣ ق.م. يسيطرون على فلسطين من ٣٢٠ الى ١٩٨.

أشّور ②
توسّع في القرن التاسع.
تستولي على السامرة في ٧٢١.
هزيمة في مصر في ٦٦٠.
تنحطّ بسرعة.
بابل تستولي على نينوى في ٦١٢.

بابل ③
هيمنة في القرن الثامن عشر مع حمورابي. ثم تخضع لأشور.
واسعة النفوذ بعد ٦٢٥.
تستولي على اورشليم في ٥٩٧ وتدمّرها في ٥٨٧.
الفرس يدمّرون بابل في ٥٣٨.

فارس ④
قوة هائلة مع قورش (٥٥٠ – ٥٢٩).
تستولي على الشرق الأوسط.
يستولي عليها الاسكندر في ٣٣٠.

اليونان ⑤
الاسكندر المقدوني يستولي على فلسطين في ٣٣٣. وبعده يسيطر عليها قوّاده الواحد بعد الآخر:
اللاجيون في مصر: ٣٢٠ – ١٩٨
السلوقيون في انطاكية: ١٩٨ – ٦٣

روما ⑥
بومپيوس ينتصر على السلوقيين في ٦٣ ق.م.
فلسطين تحت سلطة روما.
طيطس يستولي على اورشليم في ٧٠ ب.م.

مقدونية
اليونان
اثينا
افسس
بوغاز كوي (او حتوسه)
الحثّيون
طرسوس
ايسوس
انطاكية
حماة
حرّان
كركميش
بلاد اشور
خورسأباد
نينوى
اشور
ماري
بلاد بابل
اكد
بابل
سومر
اور
اكبتانا
فارس
سوس
صور
السامرة
اورشليم
الاسكندرية
القاهرة
ممفيس
سيناء
مدين
تل العمارنة
نجع حمادي
الكرنك
تيبس
الاقصر
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ كلم



٥. شعب متأثِّر بعقلية الشرق الاوسط

كان اسرائيل، طوال تاريخه، على اتصال بالشعوب المجاورة، وكان مطَّلعًا على روائعها الأدبية. سننتهز الفرص لنقرأ مقتطفات منها. أمَّا الآن، فاننا نحاول ان نحدّد اوضاع هذه الحضارات الكبرى.

ان العقلية المصرية تأثَّرت بالارض المصرية. يعيش المصري في منطقة نيِّرة. وان شعر بشيء من القلق عند رؤيته الشمس تغيب في المساء فقد علّمه الاختبار أنها تعود فتطلع كل صباح، منتصرةً على قوات الليل. أُلِّهت الشمس تحت اسماء مختلفة، فأصبحت الاله الأول الذي يلد سائر الآلهة والبشر. يمكنك ان تقرأ في النص المحاط بإطار بعض مقاطع من النشيد للاله الشمس، الذي ألَّفه، نحو السنة **١٣٥٠**، الفرعون اخناتون. لا شك أن صاحب المزمور **١٠٤ قد استوحى منه**.

النيل معروف بفيضاناته، لكن هذه الفياضانات تتمّ في مواعيد ثابتة وتأتي بالطمْي المُخصب وبالماء المُحيي.

ولذلك فالمصري متفائل المزاج طبعًا. آلهته كلّها حنان ورأفة، وهي تسهر على الناس. وهناك، بعد الموت، حياة جديدة ساطعة تنتظر المؤمن، وان كانت هذه الحياة غير شخصية.

أمَّا عقلية بلاد ما بين النهرين، فهي في أساسها متشائمة إجمالاً. فساكن هذه المناطق يعيش في وادٍ فيضاناته غير متوقّعة وقد تؤدي احيانًا الى «طوفانات» عُثِر على كثير ممّا خلّفته في الحفريات الأثرية. واجتياحات البدو الآتين من صحراء جزيرة العرب او المتدفقين من انجاد ايران كانت كثيرة.

ولذلك فآلهة بلاد ما بين النهرين **متقلّبون** اجمالاً، في صراع دائم بينهم. فيبدو الانسان بشرًا مرعوبًا يحاول ان يحتمي من ردود فعل غضبهم. ان الآلهة قد اورثوه الموت وجبلوه بالكذب. ومملكة ما بعد الموت محزنة، فأشباح الأموات مجتمعة فيها لمصير خالٍ من الفرح. هذه بعض الأساطير الكبرى وسنستشهد ببعض مقتطفاتها.

• نعرف ملحمة أطراحسيس (الذكي جدًا) من نسخة عُثِر عليها في بابل ويرقى عهدها الى السنة ١٦٠٠ ق.م. في هذه القصيدة المؤلفة من **١٦٤٥** سطرًا، **يظهر لنا الآلهة متعبين من كثرة السخرات التي يقومون بها**.

نشيد مصري لآتون الاله الشمس

اليك بعض مقتطفات من هذا النشيد
الذي ألَّفه الفرعون اخناتون:

تظهر كاملاً في افق السماء
ايها القرص الذي صدرت منه الحياة
حين تطلع في الافق الشرقي
تملأ ارضنا كلّها بكمالاتك.
وحين تغيب في الافق الغربي
تظلم الارض كالموت.
ترقد الارض في السكوت
لأن خالقها يستريح في افقها.
ثم تشرق الارض عند طلوعك
وعند سطوعك، ايها القرص الشمسي أثناء النهار.
يستيقظ الناس ويقومون على ارجلهم.
أذرعهم تسجد لظهورك
ثم تنصرف الأرض كلّها الى أعمالها.
جميع البهائم مسرورة في مراعيها.
الاشجار والأعشاب تخضوضب
والطيور تطير خارج اعشاشها
واجنحتها ساجدة لك.
المراكب تنزل او تصعد مجرى النهر.
والاسماك تقفز امام وجهك.
تُنمي البَذر في النساء
وتخلق الزرع عند الرجال.
ما اكثر ابداعاتك!
انها محجوبة عن وجه الناس
ايها الاله الاوحد الذي لا نظير له.
خلقت البشر لأجلك
أنت ربُّهم جميعًا مهما بلغ عددهم
الذي يتعب من أجلهم
ربُّ الارض الذي يسطع من أجلهم.
انت في قلبي...

فيقرّرون أن يخلقوا الانسان ليقوم بهذا العمل. فيصنعونه من الطين الممزوج بدم إله مذبوح. لكن البشرية تتكاثر وتحدث ضجيجًا وتُتعب الآلهة. فيرسلون اليها بلايا مختلفة وفي آخر الأمر الطوفان. لكنّ الإله آيا أعلم رجلاً بالأمر فبنى هذا الرجل سفينة وأركب فيها عائلته وزوجين من جميع الحيوانات...

• والقصيدة انوماإليش (عندما في العلى...) هي أيضًا قديمة جدًا. لا شك أنها وُضعت في شكلها الحالي حوالى السنة ١١٠٠ ق.م. في أصل كل شيء مصدران ذوان جنس: عبسو (المياه الحلوة) وتيامات (مياه البحر المالحة). منهما خرج جميع الآلهة. ارادت تيامات ان تقتلهم لأنهم يزعجونها، لكن مردوك انتصر عليها وشطرها كالمحارة وجعل منها قُبّة السماء. ثم خلق الانسان مع دم إلهٍ متمرّد...

• لا شك ان ملحمة **جلجامش** أشهر تحف بلاد ما بين النهرين القديمة. نشأت في سومر ونمت، مدة اكثر من الف سنة، في بلاد أشور وبابل. عُرفت ونُسخت في فلسطين عند الحثيين. وهي مؤلَّفة، في شكلها الحالي، من اثني عشر نشيدًا.

ورد فيها ان **جلجامش**، وهو من ابطال سومر، ازعج الآلهة بسبب كبريائه. فأقاموا له منافسًا يسمى انكيدو وهو وحش يعيش مع البهائم. وقامت امرأة وجعلت منه انسانًا، فأصبح صديقًا لجلجامش، وأخذ الاثنان يقومان بالمآثر. واتفق ذات يوم ان انكيدو مات. فاكتشف جلجامش فظاعة الموت وشرع يبحث عن الخلود. فأطلعه بطل الطوفان على سرّ شجرة الحياة. ووُفّق جلجامش في الاستيلاء عليها، ولكن حيّة خطفتها منه، فلم يبقَ له إلاّ ان يموت.

زادت معرفة **العقلية الكنعانية**، منذ ان عُثر، ابتداءً من السنة **١٩٢٩**، على مكتبة مدينة اوغاريت، رأس شمرا الحالية والواقعة في سورية. توافق ذروة هذه الحضارة السنة **١٥٠٠** ق.م. تقريبًا، وهو عصر الآباء.

اكبر الآلهة يسمّى ايل، وكثيرًا ما يُظهرونه بشكل ثور. (أحد اسماء الله في الكتاب المقدس هو **ايلوهيم**، جمع ايل). وهذه الديانة تعبد قوات الطبيعة المؤلّهة: البعل، اله العاصفة والمطر، ويسمى احيانًا «راكب الغمام» (كالله في مز٥) وعَنَت شقيقته، وقد سُمّيت فيما بعد عشتر، وهي إلهة الحرب والحب والخِصب.

ان اسرائيل، ولا سيّما مملكة السامرة، سوف تميل الى هذه الديانة الكنعانية والى عباداتها الجنسية المؤدّاة للإلهة العارية، على المشارف. والى شعائرها المقصود منها خصوبة الارض والمواشي.

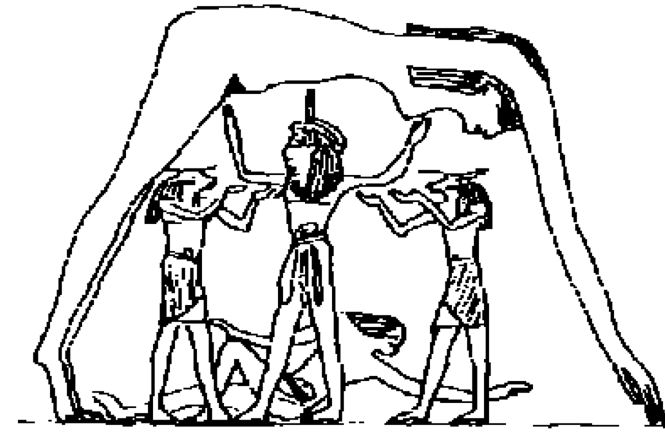
تنظيم الكون في بابل

تروي القصيدة أنوما اليش مولد الآلهة انطلاقًا من عبْسو، العنصر الذكر، وتيامات، العنصر الانثى. ارادت تيامات تدمير الآلهة الفتيان الذين يزعجونها. فقوّضوا سلطتهم لمردوك (إله بابل). فقتل تيامات والآلهة الذين يساعدونها. ثم أخذ جسمها وكوّن العالم:

«ثبّت مردوك قبضته على الآلهة المقيّدة
وعاد الى تيامات التي هزمها.
وبكتلته التي لا ترحم شقّ جمجمتها.
سكن السيد وتأمّل الجثمان
واراد ان يقسّم الوحش
ويجعل منه تحفة.
فشطره كالسمكة المجفّفة
ومن الشطر الأول صنع قبة السموات
ورسم الحدود وأقام حرسًا
وعهد اليهم بمنع المياه من الخروج»

يمكنك ان تقارن بين هذه الاسطورة من جهة، وبين رواية الفصل الاول من التكوين والاسطورة التالية من جهة أخرى، وهي كثيرًا ما تُمثّل في النقش المصري:

تنظيم الكون في مصر



قام شو، إله الجو، بفصل ابنته نوت، القبة السماوية، عن ابنه جيب، الارض (مخطوطة بَرْدية بين ١١٠٠ - ٩٥٠ ق.م.).

وهناك نشيد، وُضع في حوالى السنة ١٤٠٠ ق.م.، يشيد بآمون الإله الشمس، الذي يقضي الليل في السهر على البشرية النائمة. والآلهة الذين هو ابوهم يمدحونه:

«يقولون لك: «أهلاً بك بسلام!
انت ابو الآباء والآلهة
الذي يرفع السماء ويدحر الأرض
صانعًا الموجود ومكوّنًا الكائنات.
انا نمجّدك لأنك تتعب من اجلنا».

نكتشف **العقلية الكتابية** طوال مسيرتنا. ولكن يحسن بنا ان نلاحظ هنا طابعًا اساسيًا يميّزها عن سائر العقليات التي ذكرناها.

«اسمع يا اسرائيل، الرب أحد!» ذلك هو ايمان الشعب الاساسي كما سيعبّر عنه سفر تثنية الاشتراع (٤/٦). يعني اسرائيل ان إلهه هو الذي يناديه. فيجيب الشعب بالمحبة. يمكننا ان نمثّل الفكر الاسطوري بسهم ينطلق من الانسان ويعود اليه: فالانسان يُرسل الى الغيب صورة إلٰه، ثم انه، بالرتبة، يحاول ان يتسلّط عليه ويستخدمه.



أمّا في الكتاب المقدس، فالسهم ينعكس. فإن الله هو الذي ينادي الانسان والانسان يجيبه. فتصبح الرتبة هنا تعبيرًا عن الجواب.



قد تكون الرتبة واحدة، ولكن معناها قد تغيّر. فهناك فرق بين الولد الذي يقدم لأمه باقة زهور لتأذن له في الذهاب الى السينما، والولد نفسه الذي يقدّم الباقة نفسها يوم عيد الأمّهات: في هذه الحال يصبح الأمر بادرة مجّانية تعبّر عن الجواب الى حبّ الأم ورتبة عرفان جميل. وهذا هو الموقف الاساسي من سرّ الافخارستيا الذي سنعود إليه.

وقد حان الوقت، بعد ان وضعنا هذه الأدوات في حقائبنا، ان ننطلق الى اكتشاف الكتاب المقدس.



الإله حَداد (المسمّى بعلاً في نصوص اوغاريت) واقف على ثور كعلى قاعدة. في يده بروق (القرن الثامن ق.م.). في ذلك أحياء لعبادة البعل وللثيران التي أقامها يارُبعام في دان وبيت ايل.

اساطير الطبيعة في كنعان

هناك قصيدة تمدح بعل وموت عُثر عليها في اوغاريت. بعل هو إله العاصفة والمطر، وموت إله الموت. فالمقصود هنا هو مشكلة الخصوبة المقلقة: وضع بعل نفسه في تصرف الناس فأخصب الارض بمطره. فابتلعه موت، إله العالم الاسفل. فهل يبقى الماء رهينة الارض، فيسبّب الجفاف؟

في المقتطف التالي من القصيدة، نرى ايل، الإله الأعلى، يشعر بأن بعل سيولد ثانيةً وبأن المطر سيعود الى النزول.

ويُخبر أحد بالحلم الذي سيحلم به ايل:

«ان كان بعل القدير حيًّا
ان كان هنا الأمير، سيّد الأرض
لرأى في المنام، وهو ايل الرحيم الواسع القلب
وفي الحلم، وهو خالق المخلوقات،
لرأى السموات تمطر دَسَمًا
والأودية تدرّ عَسلاً».

حلم ايل هذا الحلم وسُرَّ:
«في المنام، وهو ايل الرحيم الواسع القلب
وفي الحلم، وهو خالق المخلوقات،
يرى السموات تمطر دَسَمًا
والأودية تدرّ عسلاً.
يصرخ ايل الرحيم مسرورًا:
«انا قادر على الجلوس والسكون
لأن بعل القدير حيّ
لأنه الأمير وسيّد الارض هنا».

نجد في الكتاب المقدس العبادة «ارض تدرّ لبنًا (او دَسَمًا) وعسلاً» (انظر خر ٨/٣ مثلاً). سنبحث في مشكلة الخصوبة هذه (إلى من ننسبها: أإلى البعل؟ أإلى الله؟)، حين ندرس مملكة الشمال (الصفحة ٤٧).

الاسطورة

صادفنا عدّة مرات كلمة «اسطورة». فما هو المقصود بها؟

تظهر لنا الاساطير القديمة بمظهر قصص تعرض أمامنا آلهة او إلاهات او أبطالاً قدماء. قد نرتبك عند القراءة الأولى، ولكننا لا نلبث ان نستسلم للقراءة، لشعورنا بأن المواضيع التي تتناولها هي المسائل الكبرى التي نحملها في انفسنا: من أين أتى العالم؟ لماذا يوجد الانسان؟ لماذا الألم والموت؟ لماذا يتجاذب الجنسان؟ ما هي صلة الانسان بالإله؟

ولكن، بدلاً من ان تُعالج هذه المسائل في كتب علمية عويصة كما نفعله في ايامنا، كانت الاساطير تؤدّي هذه الخدمة «بأشرطة مرسومة».

اليكم مثلاً عصريًا، هو انتخاب ملكة جمال العالم. ففي عصر لم يعد للملكية وجود تقريبًا، ننتخب ملكة تحيط بها وصيفاتها. نقضي حياتنا في اكثر الاحيان في التفاهة والمتاعب اليومية: وهذه الملكة تُتوَّج وتنال هدايا رائعة... كل ذلك يسهم في وضع هذا الانتخاب في عالم آخر، عالم الاحلام، عالم غير حقيقي. ولكن ذلك يعبّر عن رغبة كل امرأة في ان تكون جميلة وغنية وفي ان تُوفَّق، وعن رغبة كل رجل في ان ينظر بإعجاب الى جمال المرأة. ولكنَّ هناك خطرًا: فقد يفقد الانسان حرّيته أمام هذه الاسطورة ولا يعود هو هو. نرى، على سبيل المثل، فتيات يقلّدن تسريحة ملكة جمال العالم او يحاولن ان يكون لهنّ ما لملكة جمال العالم من قياسات، مع أن ذلك لا يناسب نوع جمالهنّ. والروايات المصوَّرة لبعض المجلات، حيث الضاربة على الآلة الكاتبة تتزوج من ابن رئيس ومدير مجلس الادارة، تلعب الدور نفسه، فإنها تحمل الضاربة على الآلة الكاتبة على الاحلام ولربما تمكّنها ان تعيش، ولكن في الاحلام، وقد يبلغ بها ذلك الى اهمال عملها والى صرف وقتها في استمالة ابن رب العمل.

وان اردنا ان نبسّط الأمور الى ابعد حد، نستطيع ان نقول: الغاية من الاسطورة ان تتناول مسألة كبرى من التي نحملها في انفسنا وان نرسل صورتها، في شكل قصة، الى عالم غير حقيقي، في زمن يسبق الزمن، زمن الآلهة، حيث لم يكن للانسان من وجود. هذه القصة عن الآلهة هي قصتنا، ولكن بعد نقلها من وضع الى وضع جديد. فتصبح نموذجًا يجب على الانسان ان يقلّده.

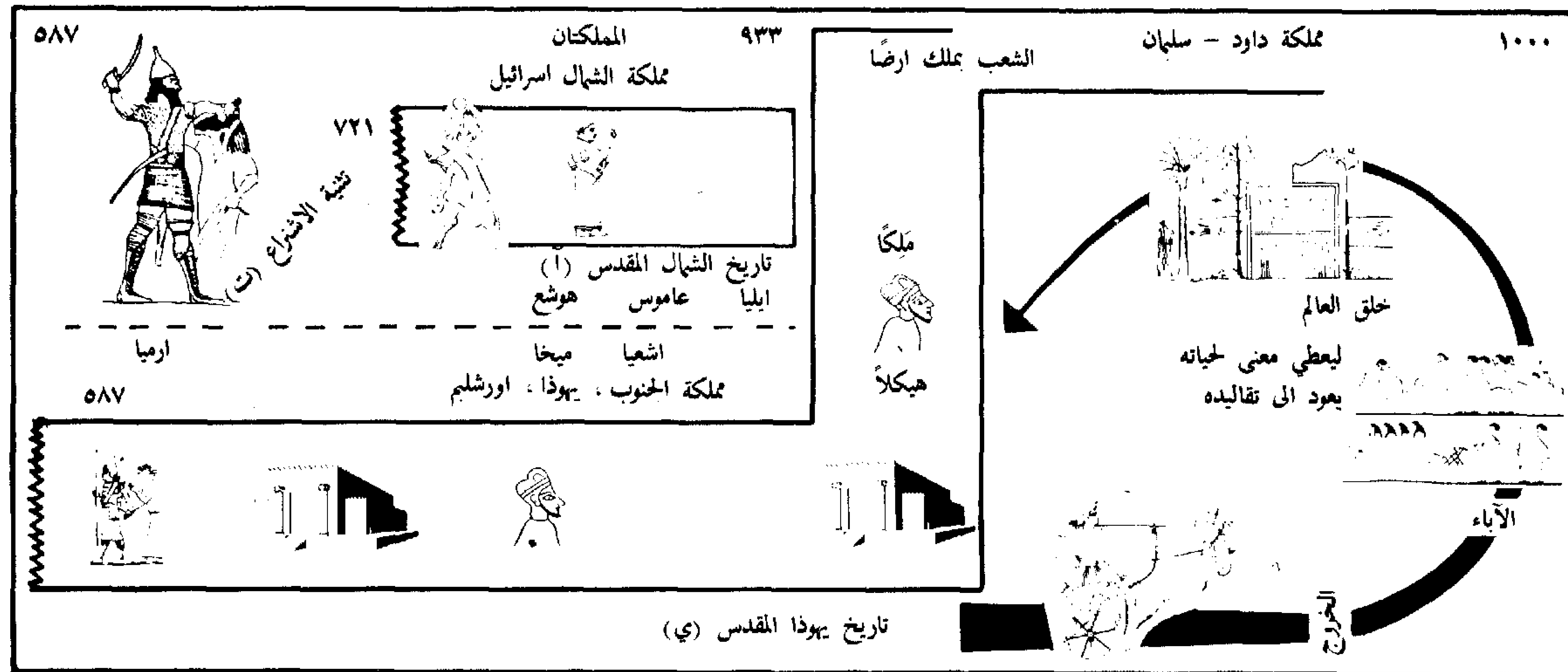
يتساءل الانسان، على سبيل المثل، ما يعني التجاذب بين الجنسين او كيف يحصل على الخصوبة. فيتصور عالمًا، خارجًا عن الزمن، كان الآلهة والإلاهات يحبّون فيه بعضهم بعضًا ويتزاوجون ويولّدون. وان كانوا خَصِبين، تكون ارضنا ومواشينا خصبة أيضًا، بما ان هؤلاء الآلهة ليسوا سوى نقل خيالي لوجودنا. فلا بدّ من اكراههم على الإخصاب. فالرتب تهدف الى إكراههم على التزاوج. والاقتران بالبغايا المقدسة في بابل أو في المشارف الكنعانية لم يكن نوعًا من القصوف، بل كان رتبة دينية تبعث على خصوبة الأرض.

فكل هذه القصص الاسطورية هي في غاية الجدّية، إنها تفكير البشرية الأول. فلا عجب ان يكون الكتاب المقدس قد تبنّى هذا المنهج للتعبير عن تفكيره الخاص، ولكنه قد حوَّله تحويلاً عميقًا. يمكننا ان نقول بسرعة أنه اتّخذ رواية مصوَّرة وجعل منها رواية نفسانية.

لنأخذ رواية نفسانية تعرض لنا حياة زوجين مع افراحهما ومتاعبهما... تبدو لأول وهلة أنها تشبه الرواية المصوَّرة الى حدٍ ما، ولكنها نقيضها في الواقع. فهي لا تحملنا على الهرب الى عالم الاحلام. بل تعيدنا بالعكس الى حياتنا اليومية. لأنها مؤلفة من ألف ملاحظة استقاها الكاتب من ازواج مختلفين. وهي تحملنا على التفكير في حياتنا وعلى تسلّم زمامها.

فالكتاب المقدس، باستلهامه من هذه الاساطير الكبرى، ولا سيّما في روايات خلق العالم، يعيد التفكير فيها وفقًا لايمانه باله واحد يتدخل في تاريخنا ويريد ان يكون الانسان حرًا.

٦. الف سنة من التاريخ



الغاية من هذه اللوحة ان تساعدك على تحديد ظروف اعظم ساعات تاريخ اسرائيل. والرسوم تعرفنا الى رسوم او نقوش ترقى إلى عصور مختلفة. وستجدها ثانية. مع عرض سريع، في مطلع كل فصل وفي الصفحتين ٤ و ٢٠. ولا سيّما ١١٥.

مملكة داود – سليمان

في حوالى السنة ١٠٠٠، استولى داود على اورشليم وجعل منها عاصمة مملكة تضمّ أسباط الجنوب والشمال. ونظّمها بعده سليمان ابنه.

فأصبح لاسرائيل ارض وملك وهيكل يحضر الله فيه من اجل شعبه.

ووافق هذا الزمن نشأة الأدب. فقد ابتدأوا تدوين ذكريات الماضي: فاصبح الخروج، او التحرير من مصر، الاختبار الأساسي الذي يكتشفون فيه أن الله محرّر ومخلّص. واخذوا يكتبون قصة الآباء (ابراهيم واسحق...) مُظهرين كيف ان وعد الله لابراهيم تمّ مع داود. وكانوا يرقون أيضًا الى بدء العالم: ان الله يريد ان يحرّر، لا شعبًا فقط، بل البشرية كلّها.

المملكتان: يهوذا واسرائيل

لمّا مات سليمان في السنة ٩٣٣، انقسمت مملكته الى قسمين: في الجنوب مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم، وفي الشمال مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة.

بقيت مملكة **يهوذا** موالية لسلالة داود. الملك يوحّد الأمّة ويمثلها امام الله، ذلك الإله الذي يسكن في وسط شعبه في الهيكل. والتقاليد التي نشأت في ايام داود وسليمان أصبحت «تاريخًا مقدّسًا يهوديًا». وكان النبيّان اشعيا وميخا يبشّران الشعب.

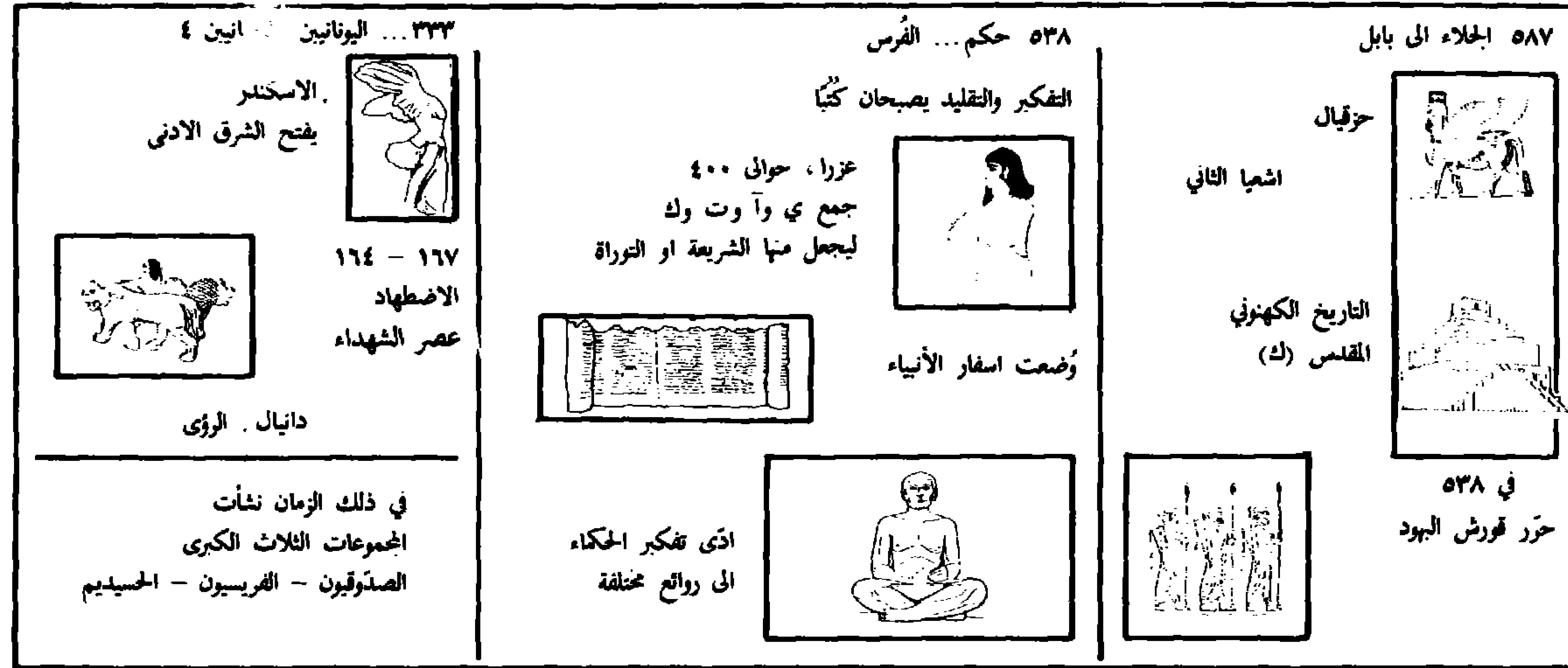
قطعت مملكة **اسرائيل** علاقاتها مع سلالة داود، فلم يكن للملك ذلك الشأن الديني الرفيع. فالنبيّ هو الذي كان يلعب دور مجمّع الشعب وكان يحافظ على ايمانه الذي كان يهدّده الاحتكاك بالديانة الكنعانية التي تكرم الآلهة بعل (في اللوحة أحد منهم راكب ثورًا). والتقاليد التي نشأت في ايام داود وسليمان اصبحت «تاريخًا مقدّسًا للشمال». وكان الأنبياء ايليا وعاموس وهوشع يبشرون الشعب.

في الشمال نشأت مجموعات من القوانين، أُعيد النظر فيها في يهوذا فأصبحت سفر تثنية الاشتراع.

في السنة ٧٢١، دمَّر الاشوريون مملكة اسرائيل

في السنة ٥٨٧ جُليت مملكة يهوذا الى بلاد بابل

او اعظم ساعات تاريخ اسرائيل



الجلاء الى بلاد بابل

مدّة نصف قرن، عاش الشعب في المنفى. فقد كل شيء: ارضه وملكه. أفيفقد أيضًا ايمانه بالله؟ قام انبياء، كحزقيال وتلميذ من تلاميذ اشعيا، وأخذوا ينعشون رجاءه. وكان الكهنة يساعدونه على تجديد قراءة تقاليده لكي يجد فيها معنى لآلامه. ونشأ عن ذلك «تاريخ مقدس كهنوتي».

تحت سيطرة الفرس

في السنة ٥٣٨، قام الملك الفارسي قورش بتحرير اليهود. فعادوا وأقاموا في فلسطين. وكانت الجماعة، وقد طهّرها ألم الجلاء، تعيش فقيرة.

في القرون السابقة الخمسة، اعاد الشعب النظر في تاريخه مرارًا عديدة، ليجد فيه معنى ورجاء لكلٍّ من الظروف التي عاشها. وأمّا «التواريخ المقدسة» الثلاثة التي كانت قد وُضعت وسفر تثنية الاشتراع، فقد جمعها الكاهن الكاتب عزرا وجعل منها كتابًا واحدًا: الشريعة.

ومن جهة أخرى، فإن تفكير **الحكماء**، الذي نشأ في عهد سليمان وقبله، أدّى الى تأليف تُحف كسفر ايوب وسفر الامثال وسفر طوبيا...

تحت سيطرة اليونانيين ثم الرومانيين

في السنة ٣٣٣، استولى الاسكندر على الشرق الاوسط ونشر فيه الثقافة واللغة اليونانية.

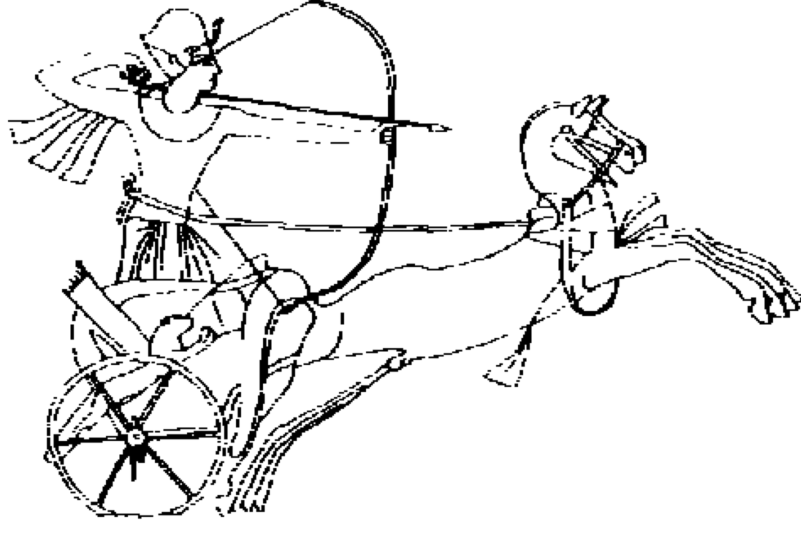
وفي السنة ١٦٧، حاول الملك انطيوخس، خليفة الاسكندر، ان يُكره اليهود، تحت طائلة الموت، على الارتداد عن ايمانهم. وهذا عهد شهداء اسرائيل والذين يُسمَّون المكّابيين. واستعاد الشعب حريته في السنة ١٦٤. سيساعد هذا الأمر على تطوير تفكير أصحاب كتب الرؤيا: فهم كانوا ينتظرون منتهى الأزمنة حيث يتمّ تدخّل الله.

وفي السنة ٦٣ تمركزت روما في الشرق الادنى. وحكم هيرودس الملك من السنة ٤٠ الى السنة ٤ ق.م.

* * *

هذه اللوحة وجيزة، ولكنها مهمة، لأنها تدلّنا على الطريق الذي سنسلكه.

١. الخـــروج
شعـب يعبّــر عـن إيمـانـه



الفرعون رعمسيس الثاني
في معركة قادش
(حوالى ١٢٨٥ ق.م.)

نركب باصًا لرحلة في أنحاء العهد القديم : سنجوب الساعات الحاسمة من تاريخ اسرائيل ونرى كيف انه ، طوال هذا الطريق ، عبّر عن ايمانه. ولكن الانسان ، حين يسافر الى بلد أجنبي ، يحسن به ، قبل ان يركب الباص ، ان يتوقّف ساعة ليرى المسيرة المعروضة عليه والاسباب التي دعت الى اختيار هذه الدورة او تلك ، ليستعلم عن عادات البلد وطرق تعبيره... وكذلك ، فقبل ان نقدم على الرحيل ، سنتوقّف ، في هذا الفصل ، عند فقرة من سفر الخروج. وهذا الأمر يمكّننا من اكتشاف اشياء كثيرة.

سنألف أوّلاً قراءة النصوص ودرسها. قد يبدو الأمر معقّدًا بعض الشيء ، ولكن السبب في ذلك اننا سنحاول ان تكون لنا رؤية إجمالية بتناولنا جميع المواضيع في آنٍ واحد. لا تخفْ ! سيتوضّح كل شيء في المراحل التالية.

ستتعرّف الى ما يسمّونه الفنون الأدبية او مختلف الطرق للتعبير عن الاشياء نفسها : فلا نكتب بطريقة واحدة الى صديق او الى جابيه.

سنشعر بأن النصوص الحالية ، كما نقرأها في كتابنا المقدس ، لها قصة طويلة : فقد أُلِّفت انطلاقًا من وثائق أقدم منها. وهذا ما يشرح لنا لماذا ستتبع مسيرة يبدو أنها متعرّجة.

لكن هذا الدرس لا يقتصر مع ذلك على الوجه العقلي. سنكتشف أن التحرّر من مصر كان لاسرائيل الحَدَث المؤسِّس ، الحدث الذي خَلَقَه بصفته شعبًا. لا يكفّ اسرائيل عن الرجوع إليه والتأمّل فيه ليعطي معنى لحاضره ويجد رجاءً للمستقبل.

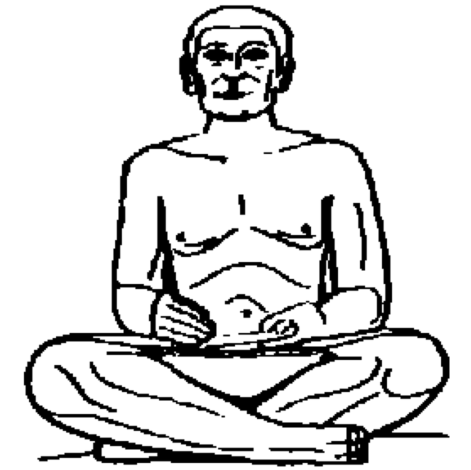
قراءة سفر الخروج ١/١٢ الى ١٦/١٣

القراءة الأولى

ابدأ بقراءة هذا النص دون توقف. لا تهتمّ بعناوين وحواشي كتابك المقدس. وان كانت هناك كلمات او عبارات لا تفهمها جيدًا ، فلا بأس : سنعود اليها في قراءة ثانية. أمّا الآن فيكفيك ان تقرأ هذا النص سائلاً نفسك :

- على أي حَدَثٍ يدور الكلام هنا ؟
- بأية طريقة يدور الكلام على ذلك ؟ هل «يُقَصّ» ذلك (وفي أيّة فقرات) ؟ هل يُستخلص من ذلك قوانين (وفي أيّة فقرات) ؟ هل يُنظَّم احتفال طقسي للاحتفال بذلك (وفي أيّة فقرات) ؟

بعد الانتهاء من قراءة هذا النص ، حاولْ ان تُطلق عنوانًا على مختلف المقاطع التي وجدتها. وهذا يحملك خصوصًا على توضيح « الفن الأدبي » *المستعمل في هذه المقاطع.*



كاتب مصري (السلالة الخامسة ، ٢٥٠٠ — ٢٣٥٠ ق.م.)

القراءة الثانية

يمكنك ، بمساعدة حواشي كتابك المقدس ، ان تعود الآن الى بعض النقاط.

حُرِّرت هذه النصوص في عصور مختلفة. لا تتوقّف على ذلك ، لأنك ستفهمه على وجه افضل في ختام هذا الفصل.

نحن امام نصوص طقسية. وهي تعبّر عن كيفية حفظ ذكرى الحدث بالاحتفال به وعن المعنى الذي يعطيه هذا الحدث لحياة اليوم.

أخذ اسرائيل عيدَين كانا قبله. ولكنه غيّر معناهما اذ ربط بهما حدثًا تاريخيًا. هناك ، فعلاً ، نوعان من الاعياد : بعضها يحتفل بالطبيعة ويتجدّد كلّ سنة : نعيّد رأس السنة في اول كانون الثاني (يناير) . وبعضها يحتفل بحدث جرى مرة واحدة في التاريخ.

الفنون الأدبية

هناك طرق مختلفة لرواية الاشياء نفسها. فلا يروي الانسان، على سبيل المثل، مرض حبيب له بطريقة واحدة لعائلته وللطبيب ولموظّف الضمان الاجتماعي. ويرويه كذلك بطريقة مختلفة حين كان ذلك الصديق بين الحياة والموت او بعد شفائه.

وهذه الطرق المختلفة في التعبير عن الأشياء (او «الفنون الأدبية») توافق، على وجه اعمق، ما لحياة بجموعة من حاجات مختلفة. كلّ مجموعة موجودة تنتج بعض النصوص. لنأخذ مثل شركة صغيرة من الصيادين بخيط الصنّارة: انها تميل الى تأليف كتابات من الطراز الحقوقي (نظام الشركة) وشعارات او جُمل قصيرة للتعريف عن الشركة («رَوِّح عن نفسك واذهب الى الصيد...») وروايات وأحيانًا روايات مزخرفة و«ملاحم» حقيقية يوصَف فيها صيد شبّوط كأنه حوت. ويقومون في هذه الشركة بحفلات: حفلة مقبّلات في احدى الحانات ومأدبة الجمعية...

وهكذا فكل مجتمع يحتاج الى انشاء أدب، لكي يثبّت وجوده. وكل أمّة لها قوانينها وخطبها واحتفالاتها ورواياتها للماضي وملاحمها وقصائدها واغانيها...

وبما أن اسرائيل كان موجودًا كشعب، فقد أنشأ ادبًا كاملاً بمختلف فنونه. اليك بعض هذه الفنون:

الروايات: لا بدّ من التذكير بالماضي لإعطاء عقلية مشتركة للجميع. فالانسان، اذا استمع الى قصص اجداده، يعي أنه ينتمي الى العائلة نفسها.

الملحمة: وهنا أيضًا يُروى الماضي. ولكن المراد بذلك اثارة الحميّة والاشادة بالأبطال، وان أدّى ذلك الى زخرفة التفاصيل.

والقوانين تنظّم الشعب وتساعد على العيش المشترك.

والليترجية والاحتفالات والرُتب (الذبائح مثلاً) تعبّر عن هذا العيش المشترك، كما أن مأدبة العيد تلحم العائلة. وهي، بصفتها افعالاً دينية، تُظهر صلة الانسان بالله.

والقصائد والتراتيل والمزامير هي عبارة عن مشاعر الشعب وايمانه.

واقوال الأنبياء – وهي اقوال رسمية تُلفظ من قِبَل الله – تلفت الانتباه الى الايمان الصحيح.

وتعليم الأنبياء والكهنة قد يتمّ بشكل الارشاد، ويتم ايضًا بشكل روايات وقصص (امثال).

والمؤلفات الحكمية هي تفكير في المسائل الانسانية الكبرى: ما هي الحياة والموت والحب، لماذا الشرّ والألم...

التمييز بين الفنون الأدبية

لكل طريقة في التعبير حقيقتها، ولكل فن حقيقته. لا نأخذ على كتاب صور سندباد كونه اقلّ دقّة من كتاب تاريخ... لا يحسن ان نقرأ رواية خلق العالم (تك ١) كأنها تعليم علمي (انها قصيدة طقسية) او رواية عبور البحر الاحمر كتحقيق صحفي مباشر (خر ١٤) (انها ملحمة).

فلا بدّ لنا، كلّما كان الأمر ممكنًا، ان نتساءل الى اي فن ادبي ينتمي النص الذي نقرأه وبالتالي ما هو نوع حقيقته.

كان البدو يحتفلون في كل ربيع بالفصح، فكانوا يأكلون حَمَلاً ويعلّمون بدمه اوتاد الخيام لطرد الارواح الشريرة. أخذ اسرائيل هذا العيد (٢/١٢ – ١١ و٢١ – ٢٢)، ولكنه جعل منه ذكرى التحرّر (٢٥/١٢ – ٢٧).

وكان القرويون يحتفلون في كل ربيع بعيد الفطير او بأرغفة الخبز بدون خميرة. فكانوا يفرحون بالمحصول الجديد بإزالة ما كان يذكّر بالمحصول القديم. أخذ اسرائيل هذا العيد (١٥/١٢)، ولكنه جعل منه ذكرى التحرّر (٧/١٢ و ٣٩ و ٣/١٣–١٠).

سيأخذ المسيحيون هذين العيدين ويمدّدون معناهما، فيحتفلون بالتحرّر النهائي الذي اتى به المسيح.

وصنع اسرائيل كذلك في امر العادة القديمة بأن يقدّم الانسان الى الله افضل ما عنده، اي أبكار الحيوانات وفي بعض الاحيان أبكار البشر. وهذه العادة أصبحت عنده ذكرى التحرّر (٢/١٣ و ١٤ – ١٥).

◄ درس نص : خر ١٧/١٣ – ٣١/١٤

سيمكّننا درس رواية عبور البحر من اكتشاف ما يُسمّى «تقاليد التوراة».

القراءة الأولى

ابدأ بقراءة هذا النص في كتابك المقدس. يبدو لأول وهلة أن الاحداث في هذه الرواية تتلاحق بانتظام. ولكنك، ان أمعنتَ النظر، وجدتَ اموراً غريبة. علامَ تقوم «المعجزة»؟ في الحالة الأولى، الريح تجفّف البحر والمصريون يغطسون في الرمال المتحركة، وفي الحالة الثانية، الله يفلق البحر لكي يعبر فيه اليهود. وتارةً يقاتل الله بنفسه، وتارةً يأمر موسى وموسى يسعى. والانشاء يختلف هو أيضًا: فالوصف يأتي أحيانًا واقعيًا جدًا، فيظهر الله بمظهر رجل يقاتل ويضع العصيّ في دواليب المراكب (وهذا ما يسمّونه «التشبيه»)... واحيانًا ما تصبح الرواية مجرّدة جدًا، فيلقي الله خطبًا وكلامه هو الذي يسعى...

ومثل هذه الملاحظات في مجمل التوراة حملت رجال الاختصاص الى الافتراض التالي: أُلّفت التوراة انطلاقًا من اربعة تقاليد او وثائق، ضُمت يومًا ما في مجموعة واحدة.

سنحاول ان نتحقّق من هذا الافتراض في روايتنا.

القراءة الثانية

أنظر الى هذه الرواية المطبوعة في الصفحتين ٢٨ – ٢٩ انها مقسومة الى ثلاثة اعمدة: لقد فككنا النص لنُظهر التقاليد الثلاثة (الرابع غير مستعمَل هنا). لا شكّ أن في هذا التقسيم شيئًا من الافتراض، ولا نعرف احيانًا هل يجب علينا ان نضع هذه الآية او تلك في هذا العمود او ذلك. وان وقعت اخطاء في التفصيل، تبقى للمجمل قيمته.

يمكنك، بعد ان رتّبنا هذا النص على هذا الشكل، ان تقرأه بالتتابع، منتقلاً من عمود الى آخر ومتّبعًا ترتيب الآيات، ويمكنك أيضًا ان تقرأ كل تقليد وحده مكتفيًا بعمود واحد.

التقليد «الايلوهي» أقلّ شأنًا في هذه الرواية، ولذلك فقد اقتصرنا، لتبسيط العمل، على التقليدين «اليهوي» و «الكهنوتي».

التقليد اليهوي

اقرأ هذا النص (عمود اليمين). من هم الممثّلون (يمكنك ان تضع تحت اسمائهم خطوطًا مختلفة الالوان)؟ ماذا يريد المصريون؟ هل يعرفون كيف يحصلون على ذلك؟ هل هم قادرون على ذلك؟ وماذا يريد العبرانيون؟ من يُعلمهم بكيفية الحصول على ذلك؟ من يمكّنهم من ذلك؟

علامَ يقوم الحدث؟

ضع خطا تحت الكلمات المتكرّرة. هل لفعل «رأى» معنى واحد دائمًا (رأى بعينيه ورأى بايمانه)؟ هل لكلمة «خوف» معنى واحد في الآيتين ١٠ و١٣ وفي الآية ٣١ (ما هي الكلمة التي توازيها في هذه الآية)؟

. يبدو أن الهدف من هذا النص هو أن يُظهر كيف ان العبرانيين انتقلوا من نوع من الخوف الى خوف آخر. كيف تمّ هذا التحوّل؟ ما معنى ذلك بالنسبة الى ايمان العبرانيين والى ايماننا؟

التقليد الكهنوتي

اقرأ النص (عمود اليسار). لم يبقَ هنا إلاّ ممثّل واحد: من هو؟ ماذا يريد؟ كيف يسعى؟ انتبه الى جميع العبارات المتكرّرة. لعلّ بعضها يثير تساؤلك (الله يقسّي القلب): لا تتوقّف عليها الآن، فإننا سنعود اليها (الصفحة ٦٣).

ما يسعى الله اليه هو ان يمجّده الناس ويعترفوا بأنه الرب. المقصود من ذلك ليس هو «الزهْو». قال القديس ايريناوس: «مجد الله ان يحيا الانسان». ان الله يضع مجده في تخليص شعبه، فيبدو، في نظر سائر الشعوب، إلهًا يخلّص وربًّا يحمي. ولكن لا بدّ ان يذعن الشعب لهذا الخلاص وان يثق بالله: وبذلك يستطيع الانسان ان «يقدّس اسم الله»، اي يدعه يُظهر أنه قدوس ورب. سنرى كل ذلك حين ندرس حزقيال النبي (الصفحة ٦٦).

علامَ يقوم الحدث؟ انتبه الى التكرارات: الله يعطي أمرًا، ثم يُروى كيف نُفّذ هذا الأمر. كثيرًا ما يستعمل التقليد الكهنوتي هذه الطريقة (راجع الرواية الأولى لخلق العالم: تك ١). المهمّ هنا هو كلمة الله التي تخلق ما تقول. قارن بين «المعجزة» وتك ١. فالموضوع واحد وهو ان الله يفلق المياه فيظهر «اليبس» (خر ١٦/١٤ و٢٢ و٢٩ وتك ٩/١ و١٠).

ما هو المعنى الذي يفضيه ذلك على رواية عبور البحر؟ على رواية خلق العالم؟

تقاليد التوراة

لننطلق من مثل بسيط: عندنا اربعة نصوص مختلفة تكلّمنا عن يسوع، وهي الاناجيل الأربعة. ولم تنقص الرغبة، منذ البدء، في جمع هذه الاناجيل لتكوّن «حياة يسوع»، بضمّ جميع التفاصيل فيها في رواية واحدة متتابعة.

لنفترض اني اطلب من اختصاصي في الأدب يجهل وجود الأناجيل ان يدرس «حياة يسوع» هذه. لا شك أنه لن يلبث ان يشعر بأن هذا الكتاب لا ينتمي الى انشاء واحد. انه سيلاحظ - على سبيل المثل - وجوهًا انشائية مختلفة (اوصاف حسّية عند مرقس وخطب محكمة البنية عند يوحنا) ومفردات مختلفة الخ. وسيفترض ان هذا الكتاب أُلف انطلاقًا من وثائق مختلفة. وسيحاول ان يهتدي الى هذه الوثائق، موزّعًا النص في عدّة اعمدة توافق الاناجيل الاربعة.

وان قارنّا الآن بين نتيجة عمله والاناجيل الاربعة، رأينا ولا شك أمرين:

- **ثغرًا**: فعندما يروي مرقس ولوقا الحادثة نفسها، نرى ان «حياة يسوع» لم تحفظ إلاّ واحدة منها: فالأخرى قد فُقدت.

- **اخطاء**: ليس من السهل ان نعرف دائمًا هل فقرة من النص تعود الى متى او الى لوقا. ومن الممكن أن يكون اختصاصيّنا قد ارتكب خطأ.

لنعد الآن الى التوراة. ان الأسفار الخمسة تكوّن كتابًا واحدًا اسمه التوراة. ولكن طالما شعر الاختصاصيون بأنه غير متجانس فافترضوا أن هذه المجموعة ليست سوى تجميع لأربعة تقاليد رئيسية وُضعت في عصور مختلفة. وبناءً على هذا الافتراض، فقد تكون التوراة قد أُلفت على عدة مراحل:

١. في الاصل، هناك شخصية موسى واحداث الخروج.

٢. فيما بعد، أَلّفوا وتناقلوا، شفهيًا وحتى خطيًّا منذ ذلك الحين، قطعًا صغيرة: روايات وقوانين وخطب وتأمّلات في الحدث واحتفالات طقسية...

٣. في عصور مختلفة، قام بعض الكتبة (أنبياء وكهنة وحكماء) بجمع هذه القطع الصغيرة وألّفوا منها روايات متكاملة وهي «الوثائق الأربع».

٤. وفي الختام، جُمعت هذه الوثائق الأربع في كتاب واحد يقع في خمسة اجزاء.

سنعود الى درس هذه الوثائق بالتفصيل. نقتصر الآن على تحديد وضعها بكلمات وجيزة.

١. **التقليد اليهوي** (يشار اليه بالحرف ي) يطلق عليه هذا الاسم، لأنه يسمّي الله «يهوه». نشأ في ايام سليمان، في حوالى السنة ٩٥٠ ق.م.، في الأوساط الملكية في اورشليم. كان للملك منزلة مرموقة، فهو الذي كان يجسّد وحدة الايمان.

٢. **التقليد الايلوهي** (يشار اليه بالحرف آ) يطلق على الله اسم ايلوهيم. نشأ في حوالى السنة ٧٥٠ في مملكة الشمال بعد ان انقسمت مملكة داود-سليمان الى قسمين. تأثّر جدًا برسالة بعض الأنبياء كإيليا او هوشع. وهو يولي الانبياء شأنًا كبيرًا.

اندمج هذان التقليدان في اورشليم في حوالى السنة ٧٠٠. ولم يكن هذا الاندماج مجرّد جمع، بل كان مناسبة لاستكمال بعض التقاليد والتوسّع فيها.

٣. **تقليد تثنية الاشتراع** (يشار اليه بالحرف ت) موجود خاصةً في سفر تثنية الاشتراع، ولكنه أثّر في أسفار أخرى. بدأ وضعه في مملكة الشمال وانتهى في مملكة اورشليم.

٤. **التقليد الكهنوتي** (يشار اليها بالحرف ك). نشأ اثناء الجلاء الى بابل، في السنوات ٥٨٧ - ٥٣٨ وبعدها. كان الكهنة يجدّدون في المنفى قراءة تقاليدهم للمحافظة على ايمان الشعب ورجائه.

هذه التقاليد الاربعة وتوسيعاتها جُمعت بعدئذٍ في كتاب واحد هو التوراة. يبدو ان هذا العمل تمّ في حوالى السنة ٤٠٠ وكثيرًا ما ينسبونه الى عزرا الكاهن.

في هذا الفصل الأول، نريد ان نألف هذه التقاليد. وأما في الفصول التالية، فسنعود الى كلٍّ منها واحدًا واحدًا. وهذا الأمر يحملنا على اعادة قراءة التوراة اربع مرّات، مركّزين في كل مرة على تقليد واحد.

١٣
١٧ولمّا اطلق فرعون الشعب ، لم يسيّرهم الله في طريق ارض الفلسطينيين ، مع أنه قريب ، لأن الله قال :
«لعلّ الشعب يندم ، اذا رأى حربًا ، فيرجع الى مصر » . ١٨فحوّل الله الشعب الى طريق برّيّة بحر القصب ، وصعد بنو
اسرائيل من أرض مصر مسلّحين . ١٩وأخذ موسى عظام يوسف معه ، لأن يوسف كان قد استحلف بني اسرائيل قائلاً :
«ان الله سيفتقدكم ، فتصعدون عظامي من ههنا معكم » .

٢٠ثم رحلوا من سكّوت وخيّموا في أيتام في طرف البرّيّة . ٢١وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود من غمام ليهديهم
الطريق ، وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم ، وذلك لكي يسيروا نهارًا وليلاً . ٢٢ولم يبرح عمود الغمام نهارًا وعمود النار
ليلاً من امام الشعب .

١٤
١وكلّم الرب موسى قائلاً :
٢«مُر بني اسرائيل ان يرجعوا ويخيّموا
٢ب أمام فم الحيروت ، بين مِجدول والبحر ، امام بعل صفون ، تخيّمون تجاهه على البحر .
٣فيقول فرعون عن بني اسرائيل : انهم تائهون في الارض وان البرّيّة قد اطبقت عليهم » .
٤وأقسّي انا قلب فرعون ، فيجدّ في اثرهم ، وأُمجَّد على حسابه وعلى حساب جميع جيشه كلّه ، ويعلم المصريون أنّني
انا الربّ » . ففعلوا كذلك .

٥فلمّا أُخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب ،

٥ب تغيّر قلبه وقلوب حاشيته عليهم وقالوا : «ماذا صنعنا ، فأطلقنا اسرائيل من خدمتنا » ؟
٦فشدّ مركبته

٦ب وأخذ قومه معه

٧وأخذ ستّ مئة مركبة

٧ب وجميع مراكب مصر ، وعلى كل منها ضبّاط .

٨وقسّى الرب قلب فرعون ، ملك مصر ، فجدّ في اثر بني اسرائيل ، وبنو اسرائيل خارجون بيد عالية .

٩وجدّ المصريون في اثرهم فادركوهم وهم مخيّمون على البحر .

– خيل فرعون كلّه ومراكبه وفرسانه وجيشه –

عند فم الحيروت ، امام بعل صفون .
١٠ولمّا قرب فرعون ، رفع بنو اسرائيل عيونهم ، فاذا المصريون ساعون وراءهم ، فخافوا جدًا . وصرخ بنو اسرائيل الى
الرب .

١١وقالوا لموسى : «أَمن عدم القبور بمصر أتيت بنا لنموت في البرّيّة ؟ ماذا صنعت بنا ؟
١٢أليس هذا ما كلّمناك به في مصر قائلين : «دعنا نخدم المصريين ، فانه خير لنا ان نخدمهم من ان نموت في البرّيّة » ؟

[13]فقال موسى للشعب : «لا تخافوا ، أُصمدوا تعاينوا الخلاص الذي يجريه الرب اليوم لكم . فانكم كما ترون المصريين
اليوم ، لن تعودوا ترونهم للأبد .
[14]الرب يحارب عنكم وأنتم هادئون » .

[15]فقال الربّ لموسى : «ما بالك تصرخ إليَّ؟ مُر بني اسرائيل أن يرحلوا .
[16]وأنت ارفعْ عصاك ومدَّ يدك على البحر فشُقَّه . فيدخل بنو اسرائيل في وسطه على اليبس . [17]وها أنا مُقسٍّ قلوب
المصريين . فيدخلون وراءهم . وأُمجَّد على حساب فرعون وكُلّ جيشه ومراكبه وفرسانه . [18]فيعلم المصريون أنني انا
الربّ ، إذا مُجِّدت على حساب فرعون ومراكبه وفرسانه» .

[19]فانتقل ملاك الرب السائر امام عسكر اسرائيل . فسار وراءهم .

[19ب]وانتقل عمود الغمام من امامهم فوقف وراءهم . [20]ودخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل . فكان الغمام
مظلمًا من هنا وكان من هناك يُنير الليل .

[20ب] فلم يقترب احد الفريقين من الآخر طوال الليل .

[21]ومدَّ موسى يده على البحر .

[21ب]فدفع الرب البحر بريح شرقية شديدة طوال الليل ، حتى جعل البحر جافًّا .

[21ت]وقد انشقّت المياه . [22] ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليبس . والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم .
[23]وجدَّ المصريون في إثرهم . ودخل وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرسانه الى وسط البحر .

[24]وكان في هجمة الصبح ان الرب تطلّع الى عسكر المصريين من عمود النار والغمام وبلبل عسكر المصريين. [25]وعطّل
دواليب المراكب فساقوها بمشقَّة . فقال المصريون : «لنهرب من وجه اسرائيل ، لأن الرب يقاتل عنهم المصريين» .

[26]فقال الرب لموسى : «مُدَّ يَدَكَ على البحر . فترتدّ المياه على المصريين ، على مراكبهم وفرسانهم» .
[27]فمدَّ موسى يده على البحر .

[27]فارتدَّ البحر عند انبثاق الصبح الى ما كان عليه . والمصريون هاربون نحوه . فدحر الرب المصريين في وسط البحر .

[28]ورجعت المياه فغطّت مراكب جيش فرعون كلّه وفرسانه الداخلين وراءهم في البحر . ولم يبق منهم احد .
[29]وسار بنو اسرائيل على اليبس في وسط البحر ، والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم .

[30]وفي ذلك اليوم خلّص الرب اسرائيل من ايدي المصريين ، ورأى اسرائيل المصريين امواتًا على شاطئ البحر .
[31]وشاهد اسرائيل المعجزة العظيمة التي صنعها الرب بالمصريين . فخاف الشعب الربّ وآمنوا به وبموسى عبده .

◄ نشيد ظفر الناجين (خر ١/١٥–٢١)

بهذا النص أصبح سفر الخروج قصيدة، ونشيدًا مُعَدًّا للاحتفال بكل تحرّر، في الامس وفي اليوم.

ابدأ بقراءة هذا النشيد (الافضل بصوت عالٍ) فسرعان ما تجد أن فيه جوقتين تتجاوبان:

• الأولى تشيد بقدرة الله بوجه عام (الآيات ٢ – ٣ و٦ – ٧ و١١ و١٨).

• والثانية تشيد بأعمال الله المحسوسة (الآيات ١و ٤ – ٥ و٨ – ١٠ و١٤ – ١٧).

بماذا توحي اليك الصور المستعملة، ولا سيّما للكلام على الله؟ قد تتعجّب من بعضها، كصورة «الرب رجل حرب». نحن هنا في لغة الرموز (راجع الصفحة ١٠٩). والكلام على «الرب رجل حرب» تعبير يعني أن الله ليس بعيدًا، انه ليس غائبًا عن الصراعات البشرية في سبيل العدل والحرية.

ما هي اعمال الله المحسوسة التي يُشاد بها.

• في الآيات ٤ – ٥ و٨ – ١٠؟

• في الآيات ١٢ – ١٧؟ ان اسماء الشعوب المذكورة (ادوم وموآب وكنعان والفلسطينيون) تصف خط سير: ما هو؟ والعبارات «مسكن قدسك» و«في الجبل» و«المكان الذي يسكن الله فيه» تدل صراحةً على بناء: ما هو؟ إلى اي زمن يرقى بنا هذا المقطع الشعري؟

في ذلك الزمن، كانوا يقولون ان الله كان له هدف محدّد، حين حرّر شعبه (الآية ١٧): ما هو؟

ماذا تعلّمنا الآية ١٨ عن ايمان اسرائيل وعن نظامه السياسي؟

الخروج هو اليوم

يحملنا هذا النص على الادلاء ببعض الملاحظات حول ايماننا.

ان الله الذي يشيدون به ليس هو إلهًا مجرَّدًا وليس هو فكرة، مهما كانت سامية. كانوا يعرفون هذا الإله لانهم كانوا يرون عمله في احداث محسوسة.

هذه الاحداث هي احداث اليوم، ولكننا لا نكتشف وجود الله إلاَّ بالتأمّل بأحداث الماضي. عد الى الآيات ١٢ – ١٧: نحن في أيام الملكية، الشعب مقيم في كنعان. تمَّ بناء الهيكل، والله يملك في وسط شعبه. قارِن بين هذا المقطع الشعري في العبور في وسط الشعوب (الآيات ١٢ – ١٦) والمقطع الشعري في غرق المصريين (الآيات ٨ – ١٠): يصف الكاتب احداث الخروج في ضوء ما عاشه، وهذه الاحداث تساعده على اكتشاف ما يعيشه.

وهكذا فهذه القصيدة منفتحة على صلاة قرون المستقبل: كلّ جماعة مدعوّة الى اضافة مقطعها الشعري! وهذا ما سيفعله يوحنا صراحةً في سفر الرؤيا، حين يرينا المختارين في السماء ينشدون نشيد موسى (رؤ ٣/١٥).

الشعر العبري

لِنُلقِ نظرة خاطفة الى بعض ميزات الشعر العبري.

الصُوَر. العبرية لغة واقعية. فالاغراض والاشياء تصبح عندها رموزًا توحي بحقيقة غنيّة ولكن غير منظورة. بدلاً من ان يتوسّع الشاعر في افكار مجرّدة، فإنه يفضل تكديس الصور المحسوسة والمُثقلة بالخبرة. فبدل ان يقول: «الله قدير»، فهو يرينا ايّاه يُجري عملاً باهرًا. إنه محارب. ويمينه القابضة على السيف قوية. انه دليل وبستاني ومهندس...

التوازي. كثيرًا ما يتناول شطرا البيت الفكرة نفسها، ولكن بعبارات تتكامل او تتناقض.

إنه الهي فأسبّحه — وهو إله أبي فأشيد به.

ابحث عن امثال أخرى في هذه القصيدة.

الحدث المؤسِّس

«على كل واحد، من جيل الى جيل، ان يعدّ نفسه قد خرج من مصر، فإنه مكتوب: في ذلك اليوم (يومَ الاحتفال بعيد ذكرى الخروج من مصر)، قل لابنك: «لذلك قام الرب لنصرتي، حين خرجت من مصر...». ان هذا المقتطف من رتبة الفصح اليهودي يدل بوضوح على أهمية الحدث في نظر اسرائيل. فلن يكفّ الشعب طوال تاريخه – والمسيحيون بعده – عن التأمّل في هذا الحدث واكتشاف معانيه.

لا يسعنا إلاّ ان نلمّح هنا الى بعض وجوه هذا الغنى، ولكن هذا الكتاب كلّه يساعدك على اكتشافه.

الحدث المؤسِّس

ما زال اسرائيل يعدّ الخروج من مصر زمنًا فريدًا من تاريخه، وحدثًا يحتلّ مرتبة تختلف عن مرتبة سائر الاحداث. كان للشعب وجود مع ابراهيم، ولكن بالوعد فقط. والخروج هو الزمن الذي خُلق فيه بصفته شعبًا.

فحين كانوا يرغبون في ادراك معنى سائر الاحداث (عبور الاردن، وحدة الاسباط الاثني عشر...) او المؤسسات والطقوس، حين كانوا يرغبون في تعليل وجود الشعب نفسه، كانوا يعودون الى الخروج.

لقاء الله

في هذا الحدث، أخذ اسرائيل يكتشف من هو إلٰهه وما هو اسمه. لقد اكتشف أنّ الله محرّر ومخلّص، قبل ان يعترف به خالقًا. ان أهمية هذا الاكتشاف يحملنا على العودة اليه مرارًا. فالله هو الذي أخرجنا من دار العبودية. هذا هو لقبه الرئيسي، هذا هو شبه اسمه العلَم، يكرّره الكتاب المقدس في جميع صفحاته.

وعند رؤية العلّيقة المتّقدة، عرّف الله موسى باسمه: «يهوه». وقد اوضحه بالعبارة: «انا من اكون». اي انك ستكتشف من انا في ما اكون وافعل معك ومعكم في التاريخ (خر ٣/١٤).

وهكذا، فالله وشعبه مرتبطان برباط دم واحد (راجع الرتبة في خر ٢٤/٣ – ٨) بواسطة العهد.

«من العبودية الى الخدمة». ان هذا العنوان المُطلق على شرح للخروج يلخّص بوجه رائع سيره الأساسي. وعى الشعب ان الله حرّره من عبودية مصر، فأصبح في امكانه ان ينصرف بحرية الى خدمته، الى خدمة تقوم قبل كل شيء على قضاء الحياة اليومية بالعهد مع الله والمعبّر عنها في العبادة.

ماضٍ لا يزال حاضرًا

بحسب ما ورد في رتبة الفصح اليهودي، ليس الخروج حدثًا من الماضي فقط، بل هو حدث يرافق اسرائيل في كل حياته. وحين يُحتفل به في العبادة، يصبح حاضرًا ويمكن الاشتراك فيه. والرجوع الى الماضي يساعد على ادراك الحاضر: فالحياة كلها تبدو خروجًا وسيرًا نحو ملكوت الله. وهذا الرجوع يساعد على المحافظة على الايمان في اهوال الكوارث أو الجلاء. فإن حرّرنا الله فيما سبق، فبإمكانه ان يحرّرنا اليوم أيضًا. وهذا الأمر يحافظ على الرجاء بالتوجيه نحو المستقبل.

سيواصل المسيحيون هذا التأمّل ويفسّرون حياة المسيح كخروج. وستُوضح بعض النصوص، كرسالة بطرس الأولى او الرسالة الى العبرانيين او الرؤيا، أن الحياة المسيحية خروج، في خطى المسيح، نحو الملكوت النهائي.

ونحن، بالاشارة الى كل ذلك، نتجاوز نصوص سفر الخروج. ولكن كلّ ما أثاره فيما بعد هذا التأمل في ذلك الحدث هو أيضًا، كما سنرى، جزء من الحدث ويساعد على ادراك معناه.

ومع ذلك فهل في امكاننا، من خلال وفرة هذه المعاني، ان نرقى الى الحدث نفسه وهل في امكاننا ان نجيب عن هذا السؤال: «ما الذي جرى»؟ هذا ما سنحاول ان نراه الآن.

ما هو الحدث التاريخي ؟

قبل ان نحاول ان نرى ماذا جرى عند الخروج ، لا بدّ من توضيح معنى الحدث التاريخي .

الجواب عن هذا السؤال يبدو واضحًا : هي الوقائع التي يمكن او أمكن مشاهدتها . ومع ذلك فلا بدّ من اضافة بعض اللمسات الى هذا التحديد .

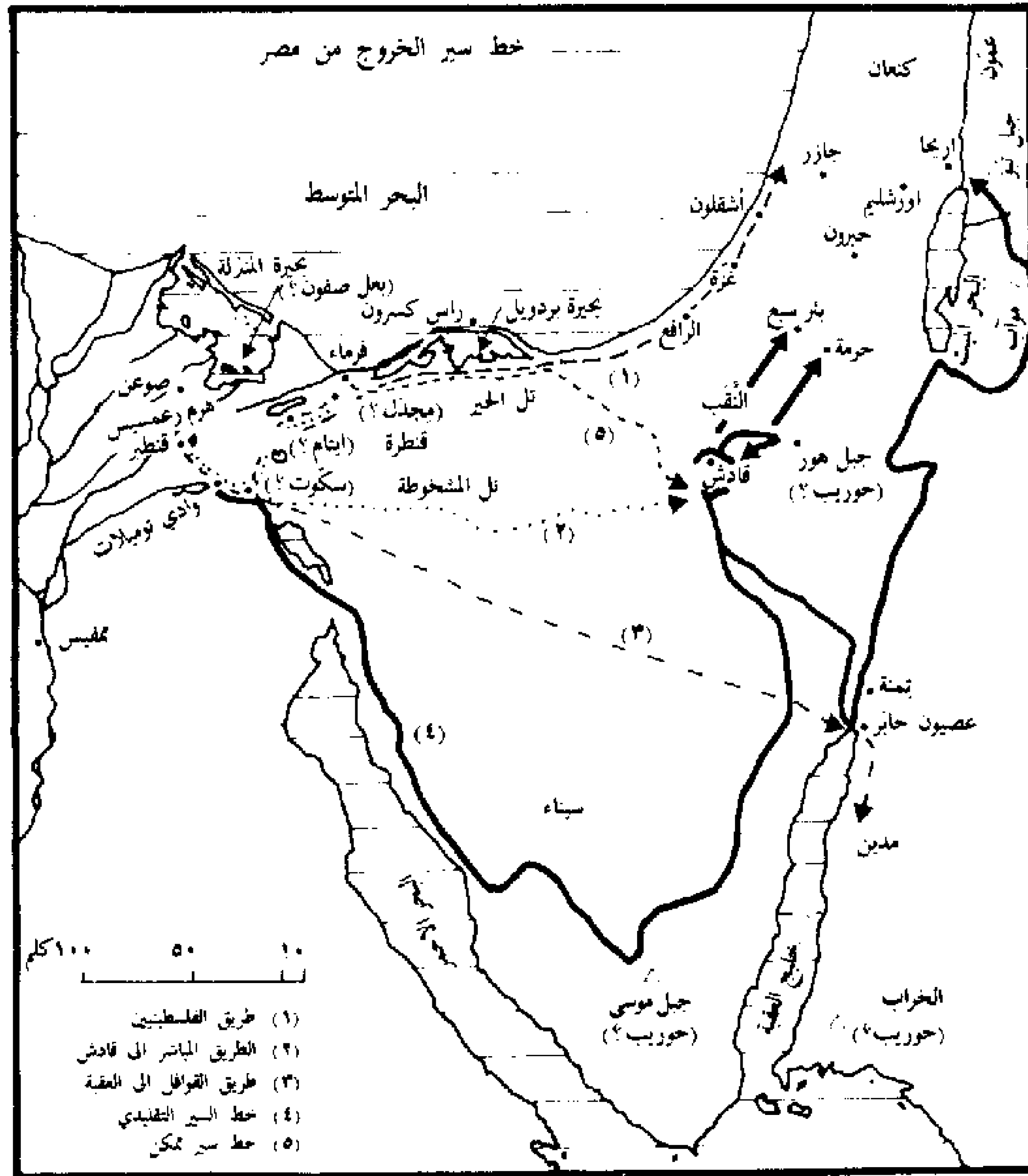
لا توجد وقائع «خام» . وقائع يمكن ايرادها بشكل موضوعي : ليس هناك إلاّ وقائع مُؤَوَّلة . شخصان يرويان حدثًا واحدًا ، وهما يرويانه بطريقتين مختلفتين ، اي انهما لا يرويان الواقعة في حدّ ذاتها ، بل «الواقعة كما شاهداها» . فالحركة الواحدة تبدو للأول سخرية وللآخر تشجيعًا .

والوقائع هي تاريخية لأنها تُؤوَّل وتُعطى معنًى . هناك وقائع جرت ، ولكنها تنسى فورًا لأن ليس لها معنى : فهي «في التاريخ» . ولكنها غير «تاريخية» . أفتح الباب ، اتناول قلمًا... لهذه الوقائع وجود ، لا معنى خاصّ . أما الحدث التاريخي فهو الحدث الذي يترك اثرًا في ذاكرة فرد او جماعة . الحدث الذي لا يزول في التاريخ . لأنه قد اكتُشف فيه معنى .

ولكن هذا المعنى لا يظهر إلاّ بعد فوات الأوان . وأحيانًا بعده بكثير . حين نرى العصر الجديد الذي انفتح للكنيسة الكاثوليكية ، نكتشف اهميّة القرار الذي اتّخذه يوحنا الثالث والعشرون بدعوة المجمع . كما أننا ندرك ابعاد الثورة الفرنسية من مختلف التصريحات عن «حقوق الانسان» التي أثارتها في العالم . حين نرى كلّ ما خلّفته واقعة على ممرّ الاجيال ، نبدأ نفهم هذه الواقعة .

يجب أحيانًا ان نصعد تيار التاريخ ، فهناك احداث قد تكون ثانوية ولكن من شأنها ان تصبح «رمزًا» لِكلٍّ واسع . اليك مثلاً معروفًا : ان دخول بعض الثوّار في قلعة الباستيل لاطلاق سراح سجينين او ثلاثة ، يحرسهم بعض الجنود ، واقعة متواضعة بالنظر الى غيرها من الاحداث المأسوية او المجيدة . فمتى صارت هذه الواقعة امرًا «تاريخيًّا» : هل كان ذلك في ١٤ تموز (يوليو) ١٧٨٩ ؟ ام بعد ان نجحت الثورة فأصبحت الواقعة رمزًا لها ؟ كلاهما معًا . ولو لم تكن هناك واقعة في ذلك اليوم ، لما أصبحت هذه الواقعة رمزًا . ولم تصبح تاريخية إلاّ لأنها اكتسبت قيمة رمزية .

بفضل هذا المثل الأخير ، فقد اقتربنا كثيرًا من «الملحمة» . في الرواية الملحمية ، تختلط الوقائع ، وتتقارب الاحداث المختلفة وتتجمّل وتؤوّل لتكوّن الرواية . من المستحيل ان نؤكّد أنّ جميع التفاصيل المرويّة حقيقية . ومع ذلك ، فإن هذه التفاصيل ، انطلاقًا من وقائع حقيقية وحول شخصية بعض الناس ، تعبّر عن شيء صحيح : ما اكتشفه الشعب بالعمق عن اصله وقِيَمه وعمّا هو عليه . لولا شخصية أخيل وهكتور ، لما كُتب للالياذة ان ترى النور . **ولكنّ حقيقتها هي التعبير عن نفس الشعب عندما حُرِّر وعن شعوره الغامض بكونه ما هو بفضل هؤلاء الابطال .**



الخروج من مصر: ماذا جرى؟

موسى

في اصل هذه الروايات، شخصية موسى. ولد في عهد حورنحيب (١٣٣٤ – ١٣٠٦) او في عهد سيتي الأول (١٣٠٩ – ١٢٩٠) ونشأ في مدرسة كتبة مترجمين كانت مصر بحاجة اليهم في علاقاتها مع اهل آسية.

أثّرت فيه اقامته في البرية في مِديَن. فقد كان على صلة بمجموعة (المجموعة التي كان يترو حموه كاهنها) يبدو أنها كانت متديّنة جدًا وانها كانت تكرم إلهًا «ياهو».

خروجان؟

بعض النصوص تُظهر لنا الخروج من مصر كطرد، وغيرها كهرب. من الارجح أنه كان هناك خروجان اتّحدا فيما بعد في ذاكرة الشعب.

الخروج بالطرد تمَّ في حوالى السنة ١٥٥٠. استولى على الحكم، في حوالى السنة ١٧٢٠، ساميّون هم الهكسُس. وطُردوا في السنة ١٥٥٢. وطُرد عندئذٍ ابناء ليعقوب، وهم ساميّون أيضًا وكانوا قد استفادوا من وجود الهكسُس للاقامة في مصر. وسلكوا طريق الشمال ثم انحدروا الى واحة قادش. وسيدخلون يومًا الى كنعان من الجنوب.

الخروج بالهرب يقع في حوالى السنة ١٢٥٠. بقي مجموع من الساميين في مصر. اثار موسى حميّتهم فاغتنموا عيد الربيع (وربما حلّت كوارث بمصر فسبّبت موت الاطفال) وهربوا. سلكوا طريق الشمال. ادركتهم مُفرزة مصرية قرب بحيرة بردويل، لكنّ مراكبها غاصت في الرمال المتحركة. ونجا الساميون فتركوا هذه الطريق الخطِرة وانحدروا نحو قادش.

«عبور» البحر

في التقليد اليهوي، لا ذكر لـ «عبور في وسط البحر»: الريح جفّفت المياه فغاصت المراكب المصرية في الوحل، الأمر الذي اثار اعجاب العبرانيين. نعرف، بفضل مؤرخين قدماء، أن شواطئ بحيرة بردويل كانت خطِرة جدًا لأنها كانت عبارة عن قطعة مستطيلة من الارض الرملية كانت تحبس مياه البحر المتوسط.

في الرواية الكهنوتية وحدها يشقّ الله المياه ويظهر اليَبس، كما أنه، في اول صباح للعالم، شقّ المياه الأولية ليُخرج اليَبس! فالخروج يصوَّر كعملٍ خَلْقي ورواية خلق العالم (تك ١) كعمل تحرير.

جبل سيناء

يُسمّى الجبل سيناء او حوريب، بحسب التقاليد. اين كان موقعه؟

- في جبل موسى، في جنوب سيناء؟ لم يصبح خطّ السير هذا تقليديًا إلاّ منذ القرن الرابع ب. م. ولا شكّ أن اقامة نسّاكٍ عند سفح جبل موسى قد أثّرت في هذا الاختيار.
- بالقرب من قادش، في جبل هور؟
- في مِديَن، شرقيّ خليج العقبة؟

لاهوت من انشاء ملحمي

قد يخيب أملنا امام قلّة ما هو أكيد في ما يُروى لنا. يعود السبب في ذلك الى نوع هذه الروايات – انها ملحمة – مع العلم بأن أهميتها لاهوتية قبل كل شيء.

ملحمة. كانت هناك عشائر مختلفة تنتمي الى اصل واحد – الذين بقوا في كنعان والذين طُردوا من مصر والذين هربوا من مصر – واتّحدوا في اجتماع شكيم (يشوع ٢٤). وكل عشيرة، في انضمامها الى الأخرى، جاءت بتقاليدها وهذه التقاليد قد اختلطت وكوّنت مِلك المجموعة الجديدة المشترك. وانعكست الذكريات المختلفة بعضها على بعض. فذكرى «عبور» الاردن مثلاً ساعدت على تحويل المناوشة عند شاطئ البحيرة الى «عبور البحر». ان الاقامة في كنعان قد رافقتها احداث كثيرة – عبور الاردن والاستيلاء على الحصن والانتصار في تَعْناك الذي تغنّت به دبورة (قض ٥). وقد برز من هذه الاحداث حدث واحد فأصبح رمز سائر الاحداث كلها ورمز التحرّر. وهو الخروج.

لاهوت. وقد وُضعت هذه الذكريات، لا لإلقاء درس في التاريخ او في الجغرافيا علينا، بل لتحدّثنا عن الله. ومن خلال هذه الروايات، يظهر وجه إله محرّر، يريد شعب اناسٍ أحرار يخدمونه بحرية في عهد معه. ذلك هو جوهر ومحرّك حياة اسرائيل كلها وحياة المسيحيين بعدهم.

وسيساعد هذا الاختبار الأساسي يومًا على اكتشاف امر آخر، وهو أن الله يريد ان يحرّر، لا شعبًا فقط، بل الانسان أيضًا. ومن ثم يصبح من الممكن ان توضع روايات خلق العالم، وهي تعمّم على البشرية كلّها عطية الحياة والحرية.

٢. مملـكـة اورشلـيم



اعادة وضع تصميم هيكل سليمان

في حوالى السنة ١٠٠٠ ق.م. أصبح داود ملكًا واستولى على اورشليم وجعل منها عاصمته. هذا مُنطلق جديد لاسرائيل. كيف وصلت الأمور الى هنا؟

من الخروج الى داود

في حوالى السنة ١٢٠٠ ق.م. كان ان المجموعة التي غادرت مصر بامرة موسى ثم بامرة يشوع أقامت في كنعان – وكان في البلاد عشائر مختلفة تقيم حول مدن حصينة صغيرة في رؤوس التلال – وكانت هذه العشائر تعيش من الزراعة والتجارة وكانت تحارب بعضها بعضًا.

لجأت المجموعة العبرية الى القوة او الى الحيلة، وأحيانًا بالتحالف، وتمركزت في وسط البلاد. وسيروي سفر يشوع فما بعد هذا التمركز كملحمة رائعة. وكان مرامه قبل كل شيء ان يلقي تعليمًا، وهو أن العبرانيين فتحوا البلاد، ولكن الله هو الذي مكّنهم من ذلك. فكان الفتح عطيّة.

وفي اثناء اجتماع كبير أقيم في شكيم، ارتبطت أسباط مختلفة ودخلت في عهد مع الله (يش ٢٤).

وفي أيام القضاة (بين ١٢٠٠ و ١٠٠٠)، انقسمت تلك الاسباط المنضمّة الى الله – وكان عددها اثني عشر – الى ثلاث مجموعات: في الجليل وفي السامرة وفي جنوب اورشليم. كان الرابط بينها رَخوًا جدًا وكان دينيًا على الاخص. ولكن، حين كانت احدى الاسباط تتعرّض للخطر، كان يقوم مخلّص (او قاضٍ) ويجمع الشعب المحارب. وكان كل واحد يعود الى بيته بعد الانتصار (سفر القضاة).

وكان بنو عمّون في وسط البلاد والفلسطينيون. وهم محاربون اقوياء ويدمنون على البيرة. في الجنوب بالقرب من البحر المتوسّط، يضغطون على العبرانيين، فشعرت الاسباط ان لا بدّ لها من سلطة مركزية قوية. وتمّت محاولة فاشلة لاقامة الملكية عن يد أبيملك عند اسباط الوسط وعن يد شاول عند اسباط الجنوب.



ملك كنعاني. تحفة عاجية (مجدّو – ما بين ١٣٥٠ و ١١٥٠)

على الصعيد الديني، كان سكان ارض كنعان يعبدون إلٰهًا يُسمّى ايل، وكانوا على الاخص يمارسون ديانة طبيعية. فكانوا يكرمون البعل، وهم قوات طبيعية مؤلّهة (العاصفة، الارض...)، وزوجاتهم الإلاهات عشتروت، إلاهات الحب والخصوبة. والعبرانيون الذين يعبدون الإلٰه يهوه كثيرًا ما استهوتهم عبادات الكنعانيين الشهوانية في المشارف.

داود

استغلّ داود ضعف دول الشرق الاوسط الكبرى الثلاث في تلك الأيام (الحثيين وكادوا ينقرضون، والمصريين والأشوريين). واعتمد على بسالته الشخصية، فحمل أسباط الجنوب ثم اسباط الشمال على انتخابه ملكًا. واستولى على مدينة اليبوسيين، الواقعة بين مجموعتَي الأسباط، وجعل منها عاصمته: اورشليم. وأدّى هذا الأمر عند اسرائيل الى وضع جديد كليًّا.

على الصعيد السياسي، أصبح لإسرائيل ملك كسائر الأمم. ولكن بعض المؤمنين كانوا يتساءلون: ايمكن ان يكون هناك ملك غير الله؟

وقد لعب ناتان النبي دورًا رئيسيًا. لمّا كان الكاهن يريد ان يتوّج الملك في بابل وفي مصر، كان يعلن عليه قولاً من اقوال الإله القومي، من نوع «انت ابني وأنا والدك». فتكلم الله على لسان ناتان وقال إنه يتبنّى مثل هذه العبارة: فابن داود – اي كل واحد من خلفائه الشرعيين – يصبح، يومَ تتويجه، ابن الله.

فإذا كان الملك يحلّ محلّ الله، فلا عجب ان يلعب دورًا أساسيًا. فكان المسؤول امام الله عن خلاص الأمّة. ومركز الوحدة السياسية والدينية.

على الصعيد الديني، عمل داود عملاً له قيمة سياسية: فقد قرّر ان يضع تابوت العهد في عاصمته. وكان هذا التابوت، منذ الخروج، مكان حضور الله لشعبه. فداود، بوضعه التابوت في اورشليم، قد ربط حضور الله بالملكية. ولا عجب ان يكون بعض المؤمنين قد رفضوا هذه البادرة. اذ هنا تظهر طريقتان في تصوّر الانسان لله: فإمّا ان يكون هناك إله جامد، موجود في مكان معيّن، وفي متناول الانسان، وإمّا ان يبقى الله حُرًّا، وهو الذي قاد شعبه، والذي لا يُتوقّع حضوره وعمله (وهذا ما يُظهره بلغة حسيّة سيرُ التابوت كما ورد ذكره في ١ صم ٥ – ٦). وقد رفض الله، بلسان ناتان أيضًا، ان يَبني داود له بيتًا (٢ صم ٧).

هاتان طريقتان في تصوّر الانسان لِله سنجدهما في صفحات الكتاب المقدس كله (راجع رسل ٤٨/٧) وتبقيان ممكنتين إلى اليوم أيضًا.

على الصعيد الاداري، شرع داود في تنظيم مملكته. فظهرت وظائف مختلفة: قوّاد جيش وكهنة وكتبة ووزير إعلام... (٢ صم ١٦/٨ – ١٨). وقد أجرى احصاءً (٢ صم ٢٤).

لسياسة داود الخارجية نتائج دينية ايضًا. بفضل حروب انتصر فيها داود، ضمّ الى مملكته عددًا من القبائل، وخضعت له ممالك أخرى. وهذه الشعوب، بتحوّلها الى اتباع الملك، اصبح في استطاعتها ان تستفيد أيضًا من العهد مع الله. وسيحاول الكتبة الذين سيدوّنون تاريخ الشعب ان يُظهروا أن هذه الشمولية سبق ان أُعلن عنها في شخص ابراهيم.

سليمان

ورث سليمان مملكة أبيه. وهبه الله الحكمة (١ مل ٣)، اي فن الحكم. فاستغل الأوضاع السلمية لينظّم المملكة. وتطوّرت الادارة (١ مل ٤ – ٥)، فقسم البلد الى اثني عشر قضاء عليها ان تقدّم كل شهر السلّع واليد العاملة للأشغال الكبرى... وبُنيت اصطبلات واسعة في مجدّو وفي اماكن أخرى. وكان هناك اسطول يشقّ عباب البحر. وكانت الأموال الناتجة عن التجارة مع مصر وسورية تتدفّق الى اورشليم حيث شاد سليمان هيكلاً رائعًا لِلّه وبلاطًا واسعًا لنفسه.

ومع ذلك فلم يخلُ كل ذلك من الظلال. فقد أفرط سليمان في التعاظم، متصرّفًا كأحد ملوك ذلك الزمان، لا كالقائم مقام الله. الكتاب المقدس ينسب إليه ٧٠٠ امرأة و٣٠٠ سريّة... لا شك أن في ذلك مبالغة! لكن سليمان قد اتّخذ عدّة نساء (منهن ابنة لفرعون) أتين من أمم أخرى. وكنّ يأتين بآلهتهنّ، ولم يكن خطر عبادة الأوثان خطرًا وهميًا. لقد استغلّ سليمان شعبه. اجل انه نجح في ايقاف التمرّد المدوّي، لكن هذا التمرّد انفجر عند موته. ذلك بأن ابنه كان سبب انقسام المملكة الى قسمين، بانفصال اسباط الشمال. فلم تدم المملكة الموحدة إلاّ سبعين سنة.

المملكتان

ابتداءً من السنة **٩٣٣** كان هناك مملكتان:

- **مملكة الجنوب او يهوذا** وعاصمتها اورشليم. سيكون جميع ملوكها من سلالة داود ويستفيدون اذًا من الوعد الذي تمّ على لسان ناتان سواء اكانوا قديسين ام خاطئين، انهم ابناء الله.
- **مملكة الشمال او اسرائيل** وعاصمتها السامرة. ملوكها لن يكونوا من سلالة داود (٨ من اصل ١٩ سيُقتلون!). فلن يظهر الملك في هذه المملكة بمظهر المسؤول امام الله عن خلاص الشعب.

أدب في نشأته

لأن السلم كان يسود البلاد، ولأن سليمان قد نظّم بلاطه على صورة بلاد الفرعون، بما فيه الكتبة، فقد أخذوا في تحرير التقاليد. فالكتاب المقدس يشير الى كتابين فُقدا: «كتاب البار» و«كتاب حروب يهوه». ولا شك أنهم وضعوا في ذلك الزمان «قصة التابوت» (١ صم ٢ – ٥) وقصة «خلافة داود» (٢ صم ٩ – ٢٠). وجمعوا قصائد: «نشيد السهام» و«مَرثاة أبنير» وهما من تأليف داود (٢ صم ١ و٣). وربّما بعض المزامير واقوالاً مأثورة جُمعت في وقت لاحق في سفر الأمثال.

وأقدموا، بوجه خاص، على تأليف التاريخ المقدس اليهودي الذي نسمّيه «التقليد اليهوي»، وهو الذي سنقرأه الآن.

التاريخ المقدس اليهوي

نظّم سليمان بلاطه على صورة بلاط الفرعون، وكان «للكتبة» فيه منزلة هامة. دُرِّبوا على مهنة الكتّاب. فكانوا «حكماء» أيضًا، اي اناسًا فُطروا على التمييز وتعلّموا فنّ السلوك في الحياة. وكانت حكمتهم تُعَدّ عطيّة من الله.

ان تاريخ مملكة يهوذا المقدس هو، ولا شك، من اعمال الكتبة. يُسمّى «التقليد (او الوثيقة) اليهوي»، لأن الله يُسمّى فيه يَهْوه. ويطلق على صاحب هذا التقليد، على سبيل التبسيط، لقب «اليهوي». وقد تدلّ الكلمة على احد الكتبة او على مجموعة كتبة.

بوشر تأليف هذا التقليد على عهد سليمان وتواصل في ايام خلفائه الأولين في مملكة يهوذا. والملك هو ابن داود وابن الله، وهو يحلّ محلّ الله ويجسّد وحدة الأمة السياسية والدينية. والتقليد اليهوي في خدمة المملكة وهو يُظهر أنه يحقّق ما وعد الله الآباء به. واذًا فالأمر الذي يؤيّد المملكة هو كتابة سياسية، ولكن اليهوي ينتقد المملكة في الوقت نفسه ويُنذرها، فالملك ليس بعاهلٍ مطلق اليد، بل هو في خدمة الله وشعبه وحتى في خدمة سائر الأمم.

سنقرأ بعض النصوص المأخوذة من هذا التقليد، متتبّعين فيها فكرة «البركة». ثم ندرس بالتفصيل رواية خلق العالم.

بعض ملامح اليهوي

انه قصّاص رائع. رواياته شديدة الحيويّة والواقعية وكثيرة الصور. كثيرًا ما يصوّر الله بصورة انسان (التشبيه). فهو، في رواية خلق العالم، بستاني، ثم فخّار، ثم طبيب جراحي، ثم خيّاط... هذه طريقة اليهوي في كلامه الينا عن الله وعن الانسان، فيكشف لنا أنه لاهوتي عميق.

إله انساني جدًا. يتنزّه بصحبة آدم كأنه بصحبة صديق له (تك ٢). ويدعو نفسه الى الطعام عند ابراهيم ويساوم معه (تك ١٨ ...). والانسان يعيش معه بألفة ويلتقي به في حياته اليومية.

إله يختلف عن الانسان كل الاختلاف. ومع ذلك فان هذا الاله هو السيد: يأمر او ينهى (تك ١٦/٣) وينادي فيقول لابراهيم ولموسى: «اذهب... انطلق...». له مقصد في التاريخ: فان «بركته» ستسعد شعبه وتمتدّ، من خلاله، الى جميع الشعوب. (من العجيب ان نجد مثل هذه الشمولية منذ ذلك الزمن). وعلى الانسان ان يلبّي هذا النداء الالهي.

فتمسي الخطيئة رغبة الانسان في عدّ نفسه إلهًا. وهذه الخطيئة تجلب عليه «اللعنة»: قاين والطوفان وبرج بابل...

إله مستعد دائمًا للغفران، لا سيّمَا نزولاً عند طلب بعض الوسطاء كإبراهيم (تك ١٨) او موسى (حز ١١/٣٢ – ١٤)، ومستعد أيضًا لتجديد «بركته».

◄ نصّ اساسي: تك ١/١٢ – ٣

١. وقال الربّ لإبرام: «إنطلِق من أَرضِكَ وعشيرتك وبيت ابيك، الى الارض التي أُريك

٢. وانا اجعلك أُمَّة كبيرة وابارك واعظّم اسمك، وتكون بركة.

٣. وأبارك مباركك، وأَلعن لاعنِيكَ، ويتبارك بك جميع عشائر الارض».

من هم الممثلون؟

ما هي الكلمات التي تبدو لك هامّة والتي تتكرّر (كم مرّة)؟ لاحظ صيغة الافعال: الأمر – المستقبل. تدلّ كلمة «أُمَّة» على شعب منظّم ومقيم في بلد من البلدان.

بماذا يوحي هذا النص اليك؟

اقرأ تك ٦/١٢–٩. ما هو الوعد الجديد الموعود به ابراهيم (الآية ٧)؟

قراءة بعض النصوص

حلقة مبادئ العالم

ان الجدول يدلّك على التقسيم المرجّح لآيات تك ١ – ١١ بين التقليد اليهْوي (ي) والتقليد الكهنوتي (ك). نقتصر هنا على قراءة نصوص ي. وسندرس بالتفصيل رواية خلق العالم (الصفحة ٣٩).

لا تنتمي هذه الفصول الى التاريخ، بل الى اللاهوت المعبَّر عنه بالصور. إنها تفكير «الحكماء». يحاول الكاتب ان يجيب عن الأسئلة الكبرى التي يطرحها الانسان على نفسه في شأن الحياة والموت والحب ومبادئ العالم. وهو يقوم بذلك انطلاقًا من ايمانه بالله ومستخدمًا أساطير قديمة (راجع الصفحة ٢١).

تبدأ الرواية في جو من التفاؤل، ولكن قصة الانسانية لا تلبث ان تظهر كقصة تكاثر الشر. فتحلّ اللعنة خمس مرّات (١٤/٣ و١٧ و١١/٤ و٢٩/٥ و٢٥/٩). وفي كل مرّة نرى الله يغفر او يعد بالخلاص، إلاّ في المرة الأخيرة. وأمّا قصة برج بابل، فهي تعبّر عن الشعور بأننا نعيش في عالم محطّم لم يعد الناس يتفاهمون فيه. **فهل قصّتنا ملعونة؟**

كيف تبدو الرواية في ابراهيم جوابًا؟

لاحِظ الانقلاب الوارد في ٤/١١ الى ٢/١٢، والبركات الخمس.

حلقة ابراهيم

لم نصل هنا الى الفن التاريخي، بل نحن أمام تقاليد اسطورية، مبنيّة على اساس تاريخي، ومؤوَّلة دينيًا للتعليم.

يبدو ابراهيم الرجل المؤتمن على «بركة الله» من اجل الشعوب. ماذا يفعل بها؟

- في تك ١٠/١٢ – ٢٠؟
- في تك ١٦/١٨ – ٣٣؟ لاحِظ الآيتين ١٧ – ١٨.
- في تك ١٥/٢٢ – ١٨؟

يمكنك، ان اردتَ ذلك، ان ترى كيف ان العهد الجديد هو في خط ابراهيم: غل ٨/٣ وعب ٨/١١ت.

حلقة يعقوب

نحن أمام الفن الأدبي الذي وجدناه في حلقة ابراهيم. كانت هناك تقاليد عن عشيرتين مختلفتين، عشيرة يعقوب وعشيرة اسرائيل، فدُمجت هذه التقاليد، ونُسب الاسمان الى شخص واحد أصبح حفيد ابراهيم.

اقرأ تك ١٣/٢٨ – ١٦. لماذا يعد الله يعقوب بمواعد؟ وما هي هذه المواعد؟

تك ٢٣/٣٢ – ٣٣. في ما يتعلّق بالصراع بين يعقوب والله، راجع الحواشي التي قد تجدها في كتابك المقدس.

الفصل	ي	ك
مبادئ العالم		
١		١ – ٣١
٢		١ – ٤أ
	٤ب – ٢٥	
٣	١ – ٢٤	
٤	١ – ٢٦	
٥		١ – ٢٨
	٢٩	٣٠ – ٣٢
الطوفان		
٦	١ – ٨	٩ – ٢٢
٧	١ – ٥	٦
	٧	٨ – ٩
	١٠	١١
	١٢	١٣ – ١٦أ
	١٦ب	١٧أ
	١٧ب	١٨ – ٢١
	٢٢ – ٢٣	٢٤
٨		١ – ٢أ
	٢ب – ٣أ	٣ب – ٥
	٦ – ١٢	١٣أ
	١٣ب	١٤ – ١٩
	٢٠ – ٢٢	
٩		١ – ١٧
من نوح الى ابراهيم		
	١٨ – ٢٧	٢٨ – ٢٩
١٠		١أ
	١ب	٢ – ٧
	٨ – ١٩	٢٠
	٢١	٢٢ – ٢٣
	٢٤ – ٣٠	٣١ – ٣٢
١١	١ – ٩	١٠ – ٢٧أ
	٢٧ب – ٣٠	٣١ – ٣٢

البركة

كلمة «بارَكَ» تعني: أحسن القول. فحين يقول الله قولاً حسنًا لأحد، يتمّ له ذلك. لأنّ كلمة الله قديرة وهي تعمل ما تقول.

وكلمة «لَعن» تعني: أساء القول. وبالتالي انزل البليّة.

والخيرات التي يقولها الله او يعملها تنتمي إمّا الى ما يملك الانسان (الأموال والخصوبة) وإمّا بنوع خاص الى ما يكون عليه الانسان: حياة الله نفسها.

حلقة موسى

يبقى موسى شخصية العهد القديم الاساسية. لكنّ وجهه يختلف باختلاف التقاليد.

في التقليد اليهودي، نراه حاضرًا في كل مكان، من الخروج من مصر حتى الوصول الى كنعان. ولكنّ الله هو رئيس الشعب الحقيقي والمحرّر الاوحد. ان موسى لا يجري المعجزات وليس هو قائدًا حربيًا ولا مؤسّسًا دينيًا. بل انه بالأحرى الراعي الذي يُلهمه الله ليعرّف الناس مشيئته.

◄ **الخروج ١/٣–٨. الله يدعو موسى**

أنظرْ الى ردّ فعل فرعون في خر ٤/٨ و١٠/١٧ و١٢/٣١ – ٣٢. قارنْ بين دور الوسيط عند موسى ودور الوسيط عند ابراهيم في تك ١٨. على شعب الله ان يأتي بالغفران والبركة، حتى لألدّ اعدائه.

حلقة بلْعام

كان اسرائيل يواجه شعب موآب. فاستدعى ملك البلاد من المشرق بلعام الإلهي ليلعن اسرائيل. ماذا فعل بلعام (عدد ١/٢٤)؟ من المفيد ان تقرأ عدد ١/٢٤ – ١٩، على الاقل الآيتين ٧ و١٧.

اليك كيف كانوا يفهمون عدد ١٧/٢٤ في ايام المسيح، بحسب الترجمة المشروحة (او ترجوم) التي كانوا يأتون بها لهذا المقطع.

النص العبري	**ترجوم**
يخرج كوكب من يعقوب	يخرج ملك من آل يعقوب
ويقوم صولجان من اسرائيل	ومخلّص (او مشيح) من آل اسرائيل

افي هذا الشرح ما يساعدك على فهم متى ٢/١ت؟ ما هو هذا الكوكب في نظر متى؟

الآباء

اذا اردنا ان نضع شجرة نسبنا، نتطلق من انفسنا ونرقى الى اجدادنا. لا دليل لنا سوى رابط الدم. هذا أمر هام، ولا شك. ولكن هناك أحيانًا روابط صداقة او رفقة قد تكون اوثق من روابط الدم. فالصديق يصبح «أخًا». وفي أيامنا أيضًا، حين تتعاهد بعض القبائل، فإنها تتشارك في كل شيء: في التقاليد وفي الاجداد. وبما أن هذه القبائل اصبحت مجموعة واحدة، فإنهم يعبّرون عن هذه الوحدة بإقامة روابط قرابة بين الاجداد.

وهذا ما فعله اسرائيل، على ما يبدو، في امر الآباء. في القرن الثامن عشر او السابع عشر ق.م.، أقامت في كنعان عشائر بدوية مختلفة: عشائر يعقوب واسحق واسرائيل وابراهيم... وتبنّت إلهًا محليًا واحدًا، وهو ايل. وتعاهدوا وأصبحوا اخوة. وبالتالي، أصبح اجدادهم أيضًا اقرباء. وهكذا أصبح ابراهيم أبا اسحق وجدّ يعقوب الذي هو اسرائيل.

لا شيء مقلق في هذا الافتراض الذي يقترحه رجال الاختصاص. ولكنه يحملنا على مزيد من الفطنة حين ندّعي اعادة وضع تاريخ الآباء. ولكن الجوهر ليس هنا.

الجوهر هو المعنى الديني الذي رآه اسرائيل في هذه القصة. ففي «قصيدة الأجداد الملحمية» هذه وجد اسرائيل، في كلّ عصر، ما يغذّي تأمّله ويقوّي ايمانه. يكتشف «اليهوي» في ذلك وعدًا ببركة يستفيد منها الملك، ابن داود، وعليه ان ينقله الى الجميع. و «الايلوهي» يُظهر لمعاصريه المعرَّضين للارتداد عن الله الى الاصنام الكنعانية آباءهم ابراهيم ولا سيّما يعقوب كمثال امانة لله. وأمّا «الكهنوتي» فإنه يكتب اثناء الجلاء الى بابل، اذ كان كل شيء يبدو مكسورًا ولم يبق مجال للأمل. فلكي يثبّت رجاءه وايمانه، يستند الى وعد الله لإبراهيم. ان الله ألزم امانته في احد الايام. فهو سيخلّصنا بالرغم من خطايانا.

يرى القديس بولس في ابراهيم مثال الايمان. فليس الأمر ان نريد ان نكون ابرارًا امام الله بأعمالنا، بل ان نسلم امرنا اليه واثقين. فالرسالة الى العبرانيين تدعونا الى الانطلاق في خطى ابراهيم، دون ان نعرف الطريق مُسبقًا...

ونحن، ماذا نكتشف في ابراهيم لنحيا اليوم في الامانة لله...؟

إبدأ **بقراءة** هذا النص المعروف. دوِّن ردود فعلك وأسئلتك...

عد الى هذا النص طارحًا على نفسك بعض الاسئلة (يمكنك ان تضع تحت كلمات النص خطوطًا مختلفة الالوان):

• من هم الممثّلون؟ ماذا يعملون؟
• حاوِل ان تميّز أقسامًا مختلفة: ما هو المقصود في كلٍّ منها؟
• اكتشف المواضيع او العبارات المتكرّرة، وبنوع خاص: أين يرد الكلام على شجرة الحياة؟ على شجرة معرفة الخير والشرّ؟ ما هي العبارات التي تفسّر ما يحصل عليه الانسان ان اكل من ثمرتها؟

تفكير حِكَمي

الى اي فن ادبي ينتمي هذا النص؟ لا شك أنه ليس «تحقيقًا مباشرًا» ولا تعليمًا في التاريخ او الجغرافيا. المقصود هو بالأحرى تفكير قام به «حكماء» كانوا يتساءلون عن المسائل البشرية الكبرى: من اين أتينا؟ الى اين ذاهبون؟ لماذا الحياة والألم والموت؟ لماذا تجاذب الجنسين هذا؟ ما هي صلة الانسان بالله وبالطبيعة (العمل) وبالآخرين؟...

ولكي يحاول الكاتب ان يجيب عن هذه الاسئلة، يعتمد على «تفكيره الشخصي»، بل وعلى تفكير حكماء ينتمون الى حضارات أخرى. ولكنه يفكّر بنوع خاص انطلاقًا من ايمانه. ان المؤمنين الذين سبقوه تأمّلوا قبله في الخروج وفي الدخول الى كنعان، واكتشفوا في هذه الاحداث وجهًا معيّنًا لإلهِهم. فممّا يعرفه الكاتب عن إلهه يحاول ان يجيب.

سنعود الى بعض من هذه الأسئلة، واضعين ايّاها في الاطار الفكري الذي يمتاز به ذلك الزمان.

• **آدم وحوّاء**. لنتغلّبْ أولاً على صعوبة. يقولون احيانًا: «ان آدم وحوّاء لم يوجدا قط». من يتكلّم هكذا **يُظهر** أنه لم يفهم شيئًا من الفن الأدبي الذي ينتمي اليه هذا النص. لا شك أن البشرية كانت لها بداية. مع مَن؟ اين؟ كيف؟ من شأن العلم ان يجيب عن هذه الاسئلة. لا من شأن الكتاب المقدس. لكن الزوجين او الازواج الأولين الذين يقدّمهم لنا العلم بصفتهم اول الناس، يسميها أو يسميهم الكتاب المقدس «آدم وحوّاء». ومعنى هذين الاسمين في العبرية: «السيد الانسان والسيّدة الحياة». فها اذًا اسمان رمزيّان يدلاّن في آنٍ واحد على الانسانين الأوّلَين وكل انسان وجميع الناس.

• **ولادة الارض**. ما هي الفكرة العلمية (فكرة ذلك العصر) الكامنة في هذه الرواية؟ (سنرى أن علم تك ١ علم آخر). لا شك أن في هذا خبرة البدوي الذي يعدّ الواحة في الصحراء جنّةً.

• **خلق الانسان**. ما هي العناصر التي يتكوّن منها؟ اقرأ المقطع التالي المأخوذ من قصيدة بابلية: ما هي وجوه الشبه والفوارق التي تراها بين النصّين؟ كيف يُعبَّر عن تشاؤم بابل وتفاؤل الكتاب المقدس؟

هذا النص لا يناقض ابدًا نظرية النشوء والتطوّر التي تقول بأن الانسان صادر عن الحياة الحيوانية. إنه يعطي معنى دينيًا لظهور الانسان: ما هو هذا المعنى؟

> **ملحمة أطرا – حاسيس (قبل ١٦٠٠ في بابل)**
>
> ان الآلهة مرهقون بسبب الاعمال التي يقومون بها:
> «حين كان الآلهة، على طريقة الناس،
> يحتملون العمل ويتحمّلون العناء
> كان عناء الآلهة كبيرًا وعملهم ثقيلاً وشدّتهم عظيمة...»
> فتمرّد الآلهة. وللتخفيف عنهم، استقرّ الرأي على خلق الانسان. فأشار الإله إيا:
> «ليُذبَحْ إلهٌ ولتأخذْ ننتو (الإلاهة الأم) دمه ولحمه
> وتجبلْ طينًا حتى يختلط الإله والانسان في الطين».

• **الانسان والطبيعة**. ما هو دور الانسان بالنسبة الى الطبيعة (١٥/٢)؟ بالنسبة الى الحيوانات (١٩/٢: من سَمَّى أعطى كائنًا جديدًا)؟ ألا يعني هذا المناداة بأن العلم شرعي؟

خلق المرأة. لماذا خُلقت المرأة؟ كيف يُعبَّر عن الفكرة بأن الرجل والمرأة هما من طبيعة واحدة وأنهما يختلفان عن الحيوانات؟

«السبات» او «النوم». هذه كلمة نادرة تعبّر عن اختبار فائق الطبيعة، عن نوع من الانجذاب. بحسب الترجمة اليونانية للكتاب المقدس.
لعلّنا نجد هنا الاسطورة القديمة التي تقول بأن الرجل لا يصبح رجلاً إلاّ في صلة حبّ بالمرأة. انظر الى النص التالي:

ملحمة جلجامش

جلجامش بطل مدينة اوروك. أراد الآلهة ان يقاوموا قدرته. فخلقوا المسخ أنكيدو الذي يعيش مع الوحوش. وفقًا لمشورة بعض الصيّادين. استسلمت له بغيّ مقدسة. فجامعها ستة ايام وسبع ليالٍ. ولمّا أروى غليله اراد ان يعود الى الوحوش. ولكنها أخذت تهرب منه. حاول انكيدو ان يتبعها، فلم ينجح. ذلك بأنه فقد قوّته، ولكنه أصبح انسانًا.

«ها إن انكيدو لا قوّة له
ركبتاه تبقى جامدتين حين يريد ان يتبع القطيع.
ضعُفَ فلم يعد يقوى على الركض. لكنَّ قلبه وروحه منشرحان.
فعاد الى الجلوس عند قدمَي خليلته وأخذ يتأمّل في وجهها
وها انه اصبح يفهم ما تقوله خليلته».

• **الحيّة**. كان لهذا الحيوان دور هام في علم الأساطير. في مصر كانت الحية تقاوم الاله الشمس في الليل لتمنعه من الطلوع. وفي كنعان، كانت رمزًا جنسيًا في بعض العبادات. جاء في ملحمة جلجامش أنها هي التي سرقت شجرة الحياة (انظر في الاسفل). من الممكن ان كل ذلك قد أثّر في اختيار الحية. ولكن الأمر المهمّ في هذا النص هو الدلالة على ان الخطيئة لا تصدر عن باطن الانسان وانها ليست جزءًا من طبيعته. إنها تصور عن خارج الانسان. فالانسان مسؤول عن اعماله (قارن ذلك بالنص البابلي ادناه).

علم الإلهيات البابلي (بابل، الألف الثاني)

«إنّ ملك الآلهة، خالق البشر،
والإله إيا الذي جبل طينهم والإلاهة التي صنعتهم
قد وهبوا للانسان روحًا فاسدًا
واعطوه للأبد لا الصدق، بل الكذب».

ملحمة جلجامش

تسلّطت على جلجامش فكرة الموت، فذهب يبحث عن الخلود. فكشف له بطل الطوفان وجود شجرة الحياة. فاستطاع جلجامش ان يستخرجها من الهاوية وأراد ان يعود بها الى مدينته. فسار يومين ثم توقّف.
«رأى جلجامش جرنًا مياهه عذبة. فنزل إليه ليغتسل.
وشعرت حيّة برائحة الشجرة فخرجت من الارض بصمت
وذهبت بالشجرة ونبذت على الفور جلدها القديم.
في ذلك اليوم بقي جلجامش هناك وبكى وسالت دموعه على أنفه».

• **شجرة معرفة الخير والشرّ**. من الواضح أن هذه الشجرة وثمرها هما رمزان (لا ذكر لـ «التفّاحة»). كما اننا نقول «إننا نذوق ثمار الراحة او ثمار عملنا». ماذا تمثّل هذه الشجرة؟
لنبدأ بإبعاد تفسير خاطئ: ليس المقصود شجرة المعرفة او العلم، كما لو كانت هذه محرّمة على الانسان. فإن النصّ يُثبت عكس ذلك: ذلك بأن الله يهب العالم للانسان ليحرثه، والحيوانات ليسمّيها، اي العلم ليخلقه.
في اثناء قراءتك لهذا النص، لاحظت ان هذه الشجرة كثيرًا ما هي متّصلة بعبارات مثل: «تصيران كآلهة تعرفان الخير والشر» (٣/٥). هذه الشجرة «مُنية للتعقّل» (٣/٦). انظر أيضًا الى ٣/٢٢.
ان كان لديك متّسع من الوقت، يمكنك ان تقرأ حزقيال ٢٨: يستعمل النبي الصور نفسها (عَدن او الجنّة، صار كالله، الكروبين الخ). خطيئة ملك صور هي في قوله: «انا إله»، لأنه اقتنى الحكمة.
فما هو محرّم على الانسان هو رفضه لأن يكون انسانًا ورغبته في ان يجعل نفسه إلهًا، ان الله وحده «حكيم»، يعرف اصل الخير والشرّ. لا يستطيع أحد ان يسرق هذه الحكمة، ولكن الله يهبها لمن يحبّه باحترام، او، كما يقول الكتاب المقدس، لمن «يهابه» (راجع مثل ١٨/٣).
والحكمة التي ظنّ أنه سرقها تركته آخر الأمر «عريانًا»، فاكتشف أنه مجرد انسان فشارك الحيّة حالتها: «عريان» و «محتال» كلمة واحدة في اللغة العبرية.

العذاب والموت. هل كان الانسان يتعذّب، هل كان يموت قبل الخطيئة؟ السؤال مطروح طرحًا سيئًا. فإن الكاتب ينظر ببصيرة الى اوضاع زمنه البشرية: يعلم ان العذاب والموت موجودان ويبحث عن المعنى. ويصطدم بحكمة الله التي لا يستطيع الانسان ان يعرفها. فإن اراد الانسان ان يسرق هذه الحكمة، وجد نفسه عريانًا وحائرًا في هذه الاوضاع البشرية المؤلمة. فيكتشف اذًا صلة بين العذاب والخطيئة. قبل الخطيئة، كان آدم يتعذب وكان قابلاً للموت، ولكنه لكان عاش هذه الأوضاع في الثقة بالله وبلا قلق. (سنعود الى الكلام على كلمة «قبل» هذه).

الخطيئة الاصلية

ان ما يسمّيه المسيحيون «الخطيئة الاصلية» لا وجود له في نص التكوين، بل في رسالة القديس بولس الى اهل رومة (روم ٥).

خطيئة التكوين. اذا كان آدم هو الانسان وكل انسان، فخطيئته أيضًا هي خطيئة كل انسان، هي خطيئة العالم. في هذا المعنى، كلّ خطيئة من خطايانا تدخل في خطيئة آدم هذه وتضخّمها وتزيدها كثافة.

في نظر القديس بولس، ليس التأكيد على الخطيئة الاصلية إلاّ نتيجة لحقيقة اكثر اهمية بكثير، وهي «اننا جميعًا مخلّصون بيسوع المسيح». ويواصل قوله فيضيف: اننا جميعًا مخلّصون، «لأننا جميعًا كنّا في حاجة الى ان نكون مخلّصين». فيحاول ان يُثبت ذلك، أولاً بطريقة إحصائية، مبيّنًا أن اليهود والوثنيين هم خاطئون (روم ١ – ٣)، ثم يستأنف إقامته الدليل بطريقة رمزية: بما أن آدم يمثّلنا جميعًا وأنه خطئ، فنحن جميعًا به خاطئون. ولكن ذلك مجرد استنتاج. لأن الجوهر هو أننا مخلّصون بيسوع المسيح. حيث كثرت الخطيئة، فاضت النعمة. انه يصرّح لنا، بعبارة أخرى، بأننا خاطئون معفو عنهم. وهذا امر رائع. حين ننجو من حادثة قاتلة، يكون أثر الجرح الباقي رائعًا. وكلّما رأيناه، يذكّرنا بأننا احياء! من شأن عقيدة الخطيئة الاصلية ان تثير فينا الحميّة، فإنّها تذكّرنا بأن الله يخلّصنا بيسوع المسيح، وبأننا «فزنا فوزًا مبينًا بذلك الذي أحبّنا» (روم ٣٧/٨).

• **شجرة الحياة**. تظهر أولاً في ٩/٢. وبحسب ١٦/٢ يستطيع الانسان ان يأكل منها. ثم تظهر ثانيةً في ٢٢/٣ – ٢٣، حيث نكتشف رأفة الله. فليس هو حَسودًا، كما تزعم الحية. في يده وحده الحياة. وهو مستعد لأن يهبها للانسان، شرط ان يرغب الانسان في ذلك: «بين يديك الحياة والموت: فاخترِ الحياة...» (تث ١٩/٣٠ – ٢٠).

الفردوس: عمل يجب القيام به.

يريد الكاتب ان يعبّر عن أمرين يصعب التعبير عنهما والتمسّك بهما في آنٍ واحد. الأول أخذه عن ايمانه: خلق الله الانسان ليكون سعيدًا حرًّا. ولم يخلق الخطيئة والشر. والثاني يعرفه من خبرته: كل انسان خاطئ. كل انسان يريد ان يجعل من نفسه الهًا، وذلك منذ البدء.

لنأخذ قطعة نقد: من المستحيل ان نرى وجهيها في آنٍ واحد، ما لم ننشر القطعة في سُمكها، ولكنها لا تعود قطعة حقيقية. هذا ما يفعله اليهوي هنا. إثباتان هما وجهان للحقيقة البشرية. فهو يفصلها ليضعها جنبًا الى جنب، «قبلاً» و«بعدًا». هذا أمر واضح، ولكن الانسان لم يعد انسانًا! «القَبْل» هنا ليس هو بزمن تاريخيّ، بل هو صورة لاهوتية: يريد ان يعبّر فقط عن رغبة الله، عن رغبة لم تُحقّق في الواقع كما هي.

بعد اليهوي بقليل، تناول اشعيا النبي الصور نفسها، ولكنه جعلها في اطار نهاية الازمنة: ذاك ما سيحقّقه الله يومًا (اش ١/١١ – ٩). لعلّ اليهوي واشعيا يقولان لنا الشيء نفسه: ليس الفردوس وراءنا كحلم جميل مفقود، بل هو في الأمام وهو عمل يجب القيام به.

أيُّ إله؟ أيُّ انسان؟

افتتحنا هذا الدرس بقولنا: يحاول اليهوي ان يجيب عن الاسئلة الكبرى التي نحملها في انفسنا. وفي الختام: ايُّ ضوءٍ جاءكم من ذلك؟
أيُّ وجه لله يظهر لكم هنا؟
ما هو الانسان؟



راجع شرح هذا الرسم الجداري في الصفحة ١١٥.

انبياء مملكة يهوذا

ستتعرّف الى الأنبياء الأولين الذين وعظوا في مملكة يهوذا.

ناتان

هذا النبي لم يترك كتابات. ولكنه لعب دورًا هامًا لدى داود.

٢ صم ١/٧ - ١٧. إقرأ هذا النص واضعًا ايّاه في اطار مملكة داود ووضعها الديني والسياسي (انظر الصفحة ٣٤).

لاحِظ النقائض: سَكَن / سار في خيمة - بيت سكن / بيت سلالة - اسمي / اسمك. هل تجد هنا النظرتين عن الله اللتين تكلّمنا عنهما في الصفحة ٣٥؟ هل في امكانك ان توضّحها؟

ما هو دور المَلِك في اسرائيل؟ انظر الى الالقاب المُطلقة على داود: عبد وراع وملك...

ان كان لديك متّسع من الوقت، يمكنك ان تقرأ ١ اخ ١/١٧ - ١٥. وُضع سفر الأخبار بعد الجلاء، اي بعد نص صموئيل بخمسة قرون. قارن بين ٢ صم ١٤/٧ و ١ اخ ١٣/١٧ (لم يعودوا يتصوّرون أن «ابن داود» هذا معرَّض للخطيئة)؛ وبين ٢ صم ١٦/٧ و ١ اخ ١٤/١٧ (لقد تغيّرت الضمائر المتّصلة). كل هذا يرينا أن وجه «ابن داود» هنا اصبح، خلال خمسة قرون، على جانب من الاهمية. اقرأ المزمور ٢: في هذا المزمور تُنسب اليه ملكية العالم كله! وهذا الأمر يساعدنا على ان نفهم في ايّ معنى سيُطلق لقب «ابن داود» على يسوع.

أمّا سائر تدخّلات ناتان، فتجدها في ٢ صم١٢ (خطيئة داود) و ١ مل ١.

أشعيا

وعظ أشعيا في اورشليم بين السنة ٧٤٠ والسنة ٧٠٠. كان شاعرًا كبيرًا وسياسيًا يقظًا، وقبل كل شيء نبيًّا، فكان له تأثير عظيم في زمنه. اعتزّ به تلاميذ جاؤوا بعد قرنين وقد أُضيفت اعمالهم الى اعماله. فلا بدّ من التمييز بين سفر أشعيا (٦٦ فصلاً) و«الأنبياء»: الفصول ١ - ٣٩ هي جزئيًا من تأليفه. والفصول ٤٠ - ٥٥ هي من تأليف تلميذ عاش في ايام الجلاء، والفصول ٥٦ - ٦٦ هي من تأليف تلميذ عاش بعد الجلاء.

كانت الأوضاع السياسية في ايام أشعيا معقّدة. وكانت مملكتا اورشليم والسامرة على جانب كبير من الازدهار (على الاقلّ للأغنياء الذين كانوا يحطّمون الفقراء!)، ولكنّ بلاد أشور كانت تهدّدهما. ففي السنة ٧٣٤ ضغط ملوك دمشق والسامرة على اورشليم لإرغامها على التحالف ضد اشور. وستكون هذه «الحرب السورية الأفرائيمية» السبب الذي حمل أشعيا على تأليف أهم نبوّاته.

قد يكفيك، لجولة اولى من الاكتشافات، ان تقرأ الفصول الاثني عشر الاولى، لا بل اش ٦ - ١٢ أيضًا، وكذلك ١٦/٢٨ - ١٧ و ١٧/٢٩ - ٢٤.

في «دعوة» أشعيا (اش ٦) مبرّر لرسالته. جاء الى الهيكل فاختبر وجود الله ووعى ان ليس هو سوى انسان وخاطئ، فشعر بأنه هالك. لكن الله أنهضه وطهّره. وشعر أشعيا بأن الخطيئة العظمى هي الكبرياء (يظن الانسان أنه قائم بذاته فيجعل نفسه إلهًا)، وبأن الخلاص هو الايمان (يُسلم الانسان أمره الى الله ويضع فيه كل ثقته).

«لا يرى الانسان الله ويعيش...»

كثيرًا ما وردت هذه الجملة في الكتاب المقدس، وهذا ما اختبره أشعيا. ولا يعني ذلك بأن الله شرير، بل انه يختلف عنا كل الاختلاف! التيّار الكهربائي شيء حسن، ولكن ان وضع الانسان يده على خط من خطوط التوتر العالي، يتفكّك لأنه غير منسجم مع هذه القدرة. وكذلك فنحن غير منسجمين مع الله الذي «هو» الحياة، بينما نحن «لنا» حياة فقط. ولذلك، فعندما يتجلّى الله، يحجب مجده: راجع على سبيل المثل «رؤية القَفا»، التي منحها الله لموسى (خر ١٢/٣٣ ت).

لا بل نحن خاطئون ولا نستطيع أن نقوم امام الله القدوس، اي «المختلف عنّا والكامل».

فلا بدّ ان يطهّرنا الله ويقيمنا. وفي آخر الأمر فبابنه يسوع «نجرؤ» على تسميته أبًا.

سيحاول أشعيا ان يحمل شعبه على القيام بالاختيار نفسه: ان الله «كحجر» ضخم على الطريق، فعلى الشعب ان يختار: إمّا الكبرياء، وهذا يعني الاصطدام بالحجر (١٤/٨) والموت (٥)، وإمّا الايمان، وهذا يعني الاعتماد عليه (١٠/٢٠ – ٢١) او على تلك الصخرة التي هي المشيح (١٦/٢٨). لكنّ هذا الوعظ لن يؤدّي، مع الاسف، إلاّ الى تحجّر قلوب الاكثرية، والى قيام «بقيّة» من المؤمنين (٦/٩ – ١١).

أشعيا من مملكة يهوذا. فالمَلِك في نظره «ابن داود / ابن الله» وكفيل ايمان الشعب وممثّله لدى الله. ولذلك تألّم من قلّة ايمان آحاز الملك. فإن الملك خاف من تحالف دمشق والسامرة فقدّم ابنه ذبيحة للآلهة الكاذبة (٢ مل ٣/١٦) معرّضًا هكذا للخطر وعد الله لداود. فجاء أشعيا وبشّره بأن الله، بالرغم من كل شيء، يبقى أمينًا لوعده، وبأن ابنًا آخر آت وأن المرأة (زوجة آحاز) حامل. ووضع أشعيا كل رجائه في هذا الولد، حزقيا الصغير، عمانوئيل، «الله معنا» (اش ٧). ولمّا ملك حزقيا فأصبح «ابن الله»، أخذ أشعيا يتغنّى بعصر السلام الذي لمَحه (اش ٩) ويشيد مسبقًا بمجيء ابن داود الحقيقي الذي سيأتي يومًا ليُحل السلام الشامل (اش ١١). هذه الاقوال النبوية هامة، ولكنها عسيرة الفهم احيانًا.

ميخا

كان أشعيا ارسطقراتيًا، أمّا ميخا فهو فلاّح. وقد تألّم في جسمه من سياسة الكبار التي جلبت الحرب ومن لاعدالة الأغنياء. فصعد في احد الايام الى اورشليم يجهر بسخط الله.

ان وجب علينا ان نحفظ آية ممّا قاله، نختار مي ٨/٦ حيث وفّق توفيقًا رائعًا بين رسالة الأنبياء الثلاثة الذين عاشوا في ذلك العصر: عاموس الذي تكلّم عن العدل، وهوشع الذي تكلّم عن حنان الله في مملكة الشمال، وأشعيا، نبيّ الايمان الوضيع في اورشليم.

«قد بُيّن لك ايها الانسان ما هو صالح
وما يطلب منك الربّ:
إنّما هو ان تجري العدل
وتحب الرحمة
وتسير بتواضع مع إلهك».

وبإمكانك ان تقرأ أيضًا صراخه على اللاعدالة الاجتماعية (١/٢ – ٥ و١/٣ – ١٢ و١/٧ – ٧) او تبشيره بمشيح لن يكون ابنًا لداود ملك اورشليم، بل ابنًا لداود راعي بيت لحم الصغير (١/٥ – ٥ ويستشهد به متى ٦/٢) او رسالته في الرجاء (١/٧ – ١٥ ويستشهد به لوقا ٧٣/١).

النبيّ

ليس هو «أحدًا ينبئ بالمستقبل»، بل بالأحرى أحدًا يتحدّث باسم الله، أحدًا أطلعه الله على تدبيره (عا ٧/٣) فصار يرى كل شيء بعينيه.

هل هناك وحي خارق العادة؟ لا يُستبعد هذا الافتراض. ولكن يبدو بالأحرى أن الانبياء يكتشفون كلمة الله هذه في وقتَين او مكانَين. هما دعوتهم والحياة. دعوتهم جازمة، وفي هذا الوقت يقومون باختيار الله، في زيارة للهيكل عند أشعيا، او في صلاة متواصلة عند إرميا، او من خلال حبّ فاشل عند هوشع... وفي هذا الضوء، فمن طريق «الحياة» وبواسطة الاحداث السياسية الكبرى كالوجود اليومي، يكتشفون هذه الكلمة ويقرأون علامات الازمنة.

ومن ثمّ فكل شيء اصبح يحدّثهم عن الله، سواء أكان غصن شجرة اللوز المزهر او القدر غير المثبّتة (ار ١١/١ ت) او الحياة الزوجية (هو ١ – ٣ وحز ١٥/٢٤ ت) او اجتياح العدو. وبذلك يعلّموننا أن نقرأ في حياتنا تلك الكلمة التي لا تزال تنادينا.

يعبّر الأنبياء عن افكارهم بالكلام: اقوال نبويّة (او تصريحات يدلى بها باسم الله) وارشادات وروايات وصلوات... وبالأعمال أيضًا. فالحركات التي يقوم بها الأنبياء تعبّر عن كلمة، لا بل تكوّن التاريخ.

ان كنت تدرس مع فريق...

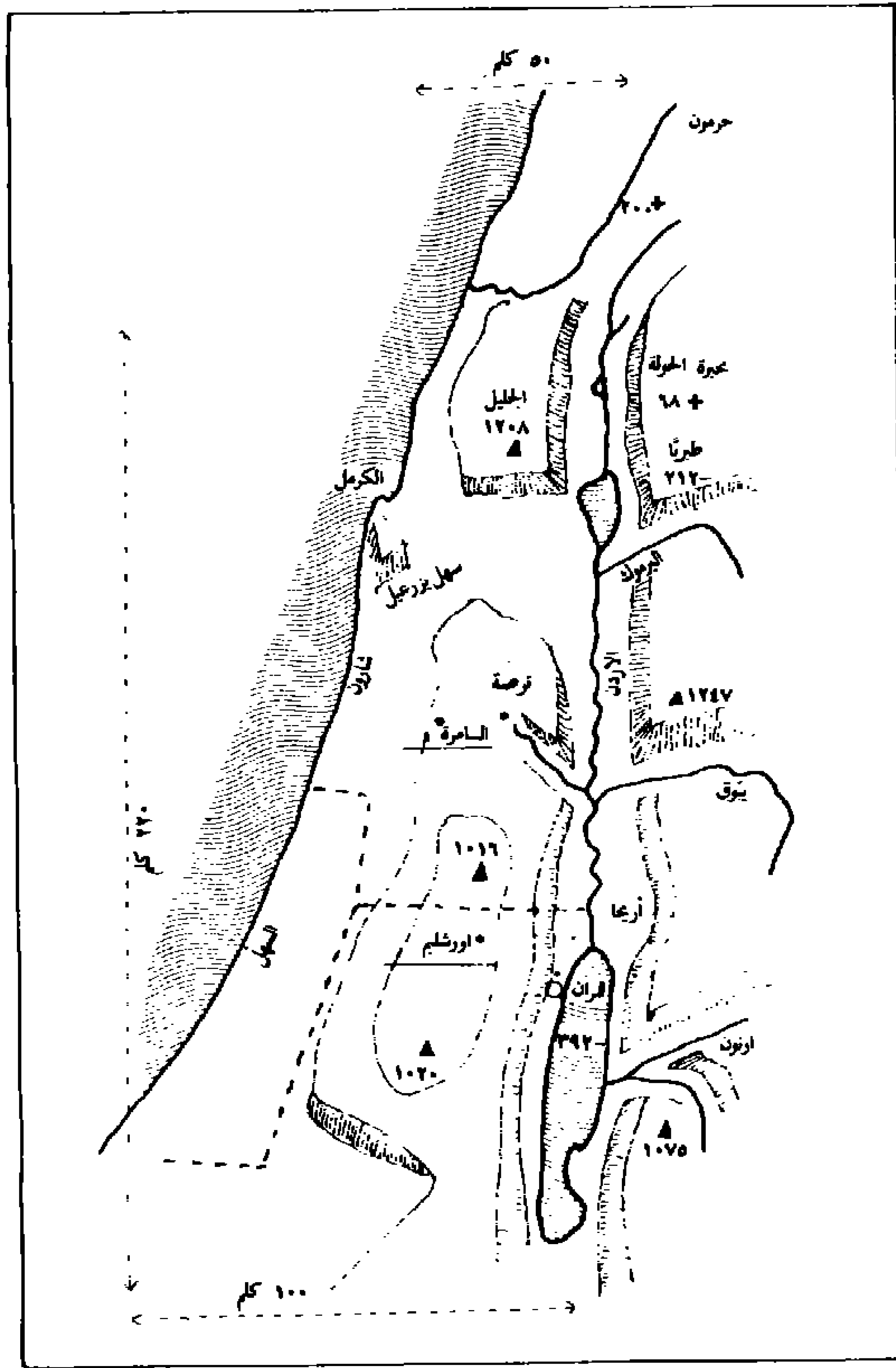
من الواضح أنك لا تستطيع، في خلال شهر واحد، ان تدرس كلّ ما هو معروض هنا. فلماذا لا تتقاسمون العمل: كلّ منكم يقرأ بمجمل هذا الفصل ويكتفي بدرس جزء منه. وحين تجتمعون، يستطيع كل واحد ان يأتي الآخرين ببعض الشيء ويكتشف بعض الافكار المتقاربة.

فإنه من المهم ان يكون لكل واحد رؤية اجمالية لهذه الفترة الزمنية. لم يقتصروا في ذلك الوقت على تأليف رواية خلق العالم او تاريخ مملكة يهوذا المقدس. هناك أنبياء وعظوا وحكماء تكلّموا (لا سيا في تك ٢ – ٣) وشعب يصلي (وان كنا نجهل ما هي المزامير التي يرقى عهدها الى ذلك العصر). ففي هذا الحَبَل العظيم، نشاهد اوائل مولد الكتاب المقدس.

٣. مملكة الشمال
(٩٣٥ - ٧٢١)



كاروب. صفيحة عاجية من قصر أحآب في السامرة (القرن التاسع ق.م.)

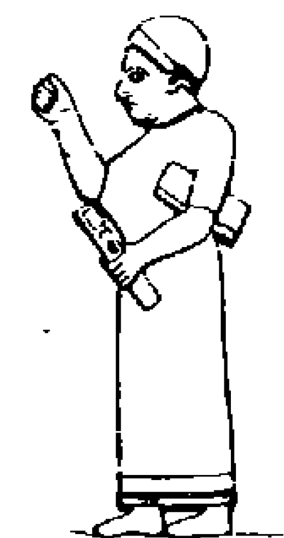


نحو خمسين كيلومترًا فقط تفصل العاصمتين المتنافستين الواحدة عن الأخرى: اورشليم والسامرة. ومع ذلك، فمملكة اسرائيل تختلف من اكثر من وجه عن مملكة يهوذا الشقيقة المعادية.

الوضع الجغرافي. نظرة الى الخريطة المبسّطة اكثر فائدة من اقوال كثيرة. اورشليم هي في وسط التلال، بالقرب من برّيّة يهوذا. أرضها المليئة بالحصى تخرج بعض الحبوب وتمكّن من زراعة الكرم والزيتون وتربية الخراف. ليس للمملكة من منفذ الى البحر – يقيم الفلسطينيون في السهل الخصب – وهي موجّهة نحو وادي الاردن والبحر الميت.

أمّا مملكة الشمال، فهي تشغل بالعكس تلال السامرة المخصوضرة الوديان وسهول شارون ويزرعيل. هذا وان تنقّل العاصمة يدل بوضوح على تطوّرها: كان ملكها الاول ياربعام قد أقام في ترصة الموجّهة نحو الاردن. فاشترى عمري، احد خلفائه، رابية السامرة وبنى فيها عاصمته، فأصبحوا موجّهين نحو البحر. وسهلت العلاقات والتجارة مع رؤساء الشمال الكنعانيين (لبنان وسورية الحاليتين). وهذا ما أدّى جزئيًا الى الوضع الاقتصادي والديني.

الوضع الاقتصادي. يحسن بنا ان نقرأ، في اقوال عاموس النبي، وصفه لمساكن السامرة وجدرانها الملبّسة أبنوسًا وعاجًا (عا ٣/١٢ و ٥/١١ و٦/٤)، لنشعر بازدهار البلاد، ولكن في الوقت نفسه، بما ولّده هذا الازدهار من لاعدالة اجتماعية. فالحفريات التي جرت في ترصة، العاصمة الأولى، أظهرت عددًا من المساكن المتقنة البناء يفصلها جدار عن مجموعة من الاكواخ.



موظّف امام الملك. نقش حثّي (القرن الثامن)

الوضع الديني. مملكة اسرائيل اكثر اتصالاً من مملكة يهوذا بالكنعانيين الذين يقيمون في ارضها وبرؤساء صور وصيدا ودمشق. سنوضح بعض ملامح هذه الديانة التي كانت تجتذب ذلك الشعب المزارع، لانها كانت مركّزة على عبادة القوّات الطبيعية المؤلّهة – البعل والعشتروت – والتي كان مفروضًا فيها ان تُخصب الارض والمواشي والبشر. وكان اسرائيل يتمنّى ان يضمن لنفسه الجانبين، ان «يعرج على الرجلين» بحسب ما ورد على لسان ايليا: ان يعبد الرب ويعمل للبعل في آنٍ واحد.

كان ياربعام يحاول ان يمنع شعبه من الذهاب الى اورشليم، فنصب ثورَين (وكان الأنبياء يسمّونهما بتهكّم «العجلَين») في حدود مملكته، في دان وبيت ايل (١ مل ١٢/٢٦ ت). ومن الارجح أن هذين الثورين كانا بمثابة قاعدة للإله الحق وكمكان لحضوره، على مثال تابوت العهد في اورشليم. ولكن الثور كان رمز بعل، فكان يشكّل خطرًا كبيرًا للوقوع في عبادة الاوثان.

الوضع السياسي. لقد استمرّ في اسرائيل نظام الملكية الذي انشأه داود وسليمان. ولكن الملوك هنا لم يعودوا من سلالة داود الشرعية. فثمانية على تسعة عشر منهم سيموتون مقتولين، والسلالات تتعاقب. ليس الملك «ابن داود» ولا يمكنه ان يكون «ابن الله». قال الله شاكيًا: «نصبوا ملوكًا، ولكن ليس من قِبَلي» (هو ٨/٤). فلن يكون الملك، كما هي الحال في يهوذا، كفيل وحدة الشعب وممثّله امام الله. هذا الدور سيمثّله النبي في اسرائيل، فيقف وقفة تعارض وقفة الملوك، مع العلم بأن هؤلاء الملوك لن يكونوا خيرًا او شرًّا من ملوك يهوذا، وسيقوم من بينهم ملوك عظاء.

السياسة الدولية. لقد وجد اسرائيل نفسه مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بسياسة زمنه. كانت مصر في عصر انحطاط، ولكن اشّور كانت قوية وقامت بعدّة غارات على كنعان.

في شمال اسرائيل، كانت مملكة دمشق الآرامية الصغيرة مزدهرة. نظرًا الى اصلها الساميّ وقوّتها، كانت قريبة من اسرائيل ومن يهوذا، وستكون تارةً حليفة وتارةً عدوّة. تخبرنا وثيقة أشورية، على سبيل المثل، ان أشور واجهت في السنة ٨٥٣ تكتّل ممالك آرامية منها أحآب اسرائيل ومعه الفا مركبة وعشرة آلاف جندي.

ولن تصل مملكتا اسرائيل ويهوذا الى ذروة قوّتها إلاّ في حوالى السنة ٧٥٠. ارادت أشور ان توسّع امبراطوريتها نحو البحر المتوسط. وأول عقبة اعترضتها هي دمشق، وذلك لحسن حظ اسرائيل ويهوذا. فدمشق كانت مهتمة على هذه الجبهة الثانية فكفّت عن مهاجمتها. ومن جهة أخرى، فما دامت تقاوم، فهي لهم بمثابة ترس ضد أشور! ولكن لا يخفى على احد ان هذه الحال لا تدوم. ومع ذلك فقد كانت المملكتان تحت حكم ملوك بصراء مَلَكَ كل منهم اربعين سنة، فاستفادتا من وضعها السياسي وعاشتا سنوات ازدهار. وفي ذلك الزمن وعظ النبيان عاموس وهوشع في اسرائيل.

وفي السنة ٧٣٢ استولت أشور على دمشق وفي السنة ٧٢١ على السامرة وجلي قسم من السكّان الى أشور حيث اندمجوا وفُقد أثرهم. فكانت خاتمة مملكة الشمال.

السامريون بعد ٧٢١. لم يُجْلَ جميع السكّان، بل بقي بعضهم في السامرة. واتى الأشوريون الى السامرة بنازحين جُلوا من اقاليم أخرى من الامبراطورية فوصلوا مع تقاليدهم وآلهتهم.

ونشأ عن ذلك سُكّان جدد مختلطو الدم يعبدون إله اسرائيل كما يعبدون آلهة أخرى (راجع الرواية الممتعة في ٢ مل ١٧/٢٤ – ٤١).

سنشير الى الخلافات التي قامت بين هؤلاء السامريين واليهود العائدين من الجلاء في بابل (الصفحتان ٧٤ و ٧٩).

ومن هنا نرى لماذا كان اليهود والسامريون، في أيام المسيح، يقاطعون بعضهم بعضًا.

النشاط الأدبي

منذ القرن التاسع، أخذوا يحرّرون «تقاليد ايليا» (١ مل ١٧ – ١٩ و ٢١ و ٢ مل ١ – ٢)، وفي حوالى السنة ٧٥٠ قصص أليشاع (٢ مل ٣ – ٩) او صفحات رائعة من التاريخ كرواية ثورة ياهو (٢ مل ٩ - ١٠).

ودُوّنت اقوال عاموس وهوشع النبويّة.

وفي حوالى السنة ٧٥٠ وُضع تاريخ مملكة الشمال المقدس الذي نسمّيه «التقليد الايلوهي».

وأخيرًا فقد أخذوا في تأليف مجموعات قوانين لتكييف الشرع القديم على الوضع الاجتماعي الجديد. وقد أثّر الأنبياء، ولا سيّما هوشع. في هذه المجموعات التي ستكوّن يومًا نواة سفر تثنية الاشتراع.

انبياء مملكة الشمال

كفيل الايمان في هذه المملكة هو النبي لا الملك. سنبدأ بالاستماع الى ثلاثة أنبياء كبار.

ايليا

على غرار ناتان في اورشليم، لم يترك ايليا كتابات، مع أنه هو وموسى اكبر شخصيات الايمان اليهودي. ولا يخفى علينا أن العهد الجديد، ولاسيّما لوقا، يشير الى يسوع على أنه ايليا الجديد.

اسمه برنامج، فان كلمة «ايليا» مختصر للعبارة «ايلي يهو»، اي «إلهي هو يهوه». ظهر في القرن الرابع، على عهد احآب الذي تزوّج من إيزابل، ابنة ملك صور. وهذه المصاهرة ساهمت في ازدهار اسرائيل. لكن ايزابل أتت بديانتها والبعل وأنبيائها. وكان الشعب يعبد الله ويكرم بعل. أمّا ايليا فقد اختار.

اقرأ الصفحات القليلة التي يظهر فيها: ١ مل ١٧ - ١٩ والفصل ٢١ و ٢ مل ١ - ٢. حاول ان تستخلص اهمّ ملامحه. اليك بعضًا منها:

الانسان أمام الله. كثيرًا ما ترد عبارة «إلهي الذي اعمل له او الذي أقف أمامه». لقد اختار ايليا اختيارًا لا يقبل التجزئة وهو يريد ان يقتدي الشعب به.

تغلّب عليه الروح. طالع جواب عوبَدْيا الممتع في ١ مل ١٢/١٨. هذا مصدر عزم ايليا وحريته الباطنية.

ايمانه الذي لا يقبل التجزئة. عند تقريب الذبيحة في جبل الكرمل (١ مل ١٨)، أراد ايليا ان يحمل الشعب على الاختيار بين الإله الحيّ الذي يتدخّل في التاريخ، وقوات الطبيعة المؤلّهة، اي البعل (انظر الى النص المحاط بإطار في الصفحة التالية). كان ايليا يؤمن، كما نفعل نحن. فهو يبشّر بنزول المطر، لأن الله طلب منه ذلك، ولم يرَ شيئًا منه (١ مل ٤١/١٨ ت).

ألفته لله. لا تزال رؤياه لله (١ مل ١٩)، مع رؤيا موسى (خر ١٨/٣٣ ت)، مثال الحياة الصوفية: لقد رأى ايليا اكثر ما يمكن للانسان ان يراه. ومع ذلك فهو انسان مثلنا: فترت همّته واستولى عليه الخوف (١/١٩ ت). يجب ترجمة الآية ١٢/١٩ على الوجه التالي: «كان صوتُ سكوت». ليس الله في قوات الطبيعة المؤلّهة. انه الاله الخفيّ الذي نشعر بحضوره في السكوت والفراغ، إنه إله محتجب. في صلاته - كما في صلاة موسى - لا يفيض ايليا تدفّقات صوفية، بل يحدّث الله عن رسالته.

نصير الفقراء. دافع عن الفقير أمام الملك والمقتدرين (١ مل ٢١).

شموليته. لأنه يؤمن بالله ايمانًا لا يقبل التجزئة ولأنه ينقاد للروح، فهو يخالط الوثنيين بحرية باطنية شديدة (١ مل ١٧). ولكنه طلب من تلك الوثنية ايمانًا غير مشروط (١٣/١٧).

قصص ايليا (٢ مل ١). ان هذه الرواية الشعبية، على صورة الروايات التي تعرّفنا الى اليشاع، ستساهم مع الاسف في تصوير ايليا كقاضٍ يستنزل نار السماء على الخاطئين.

صعود ايليا (٢ مل ٢). لا شك أنهم كانوا يجهلون اين هو قبر ايليا، فانتهوا الى الاعتقاد بأنّه رُفع الى عند الله. وسيستوحي لوقا بهذا النص ليكتب رواية صعود يسوع (رسل ٦/١ - ١١). ومن المعلوم أن أليشاع، لأنه رأى ايليا اثناء صعوده، نال روحه لمواصلة رسالته، كما أن التلاميذ سينالون روح يسوع لأنهم رأوه يرتفع.

يسوع ايليا الجديد في انجيل لوقا

إقرأ النصوص التي يستند فيها لوقا صراحة الى قصة ايليا: ٢٦/٤ (خطاب في مجمع الناصرة) و ١٢/٧ - ١٥ (قيامة فتى في نائين) و ٤٢/٩ (شفاء طفل) و ٥١/٩ و ٥٤ و ٥٧ و ٦١ و ٦٢ (يسوع يصعد الى اورشليم) و ٤٣/٢٢ و ٤٥ (النزاع في بستان الزيتون: ملاك يشدّد يسوع). يجدر بالذكر ان لوقا أهمل كلام يسوع مطابقًا بين يوحنا المعمدان وإيليا (متى ١٤/١١ و ١١/١٧ - ١٣).

يمكنك، في هذا الضوء، ان ترى كيف ان الملامح التي لاحظناها عند ايليا تمكّننا ان نكتشف صورة يسوع بحسب لوقا: صلته بالآب المعبَّر عنها مرارًا عديدة في الصلاة، وحرّيته الباطنية بفضل الروح، وشموليته وحنانه على الفقراء والخاطئين والمحتقرين والنساء، وصرامته التي تحمله على مطالبة تلاميذه بإيمان غير مشروط. ويسوع هو أيضًا، شأن ايليا، رجل الهدف الواحد: انه «يصعد» الى «رَفعِه» (٥١/٩) وهو في آن واحد ارتفاعه على الصليب وارتفاعه في مجد الآب.

عاموس. إتمام البرّ

كان عاموس راعيًا من أَلتَقون، بالقرب من بيت لحم. أرسله الله الى الشمال، في ايام عِز السامرة، على عهد يارُبعام الثاني. كان واعظًا شعبيًّا شديد اللهجة وقد لفت نظره ترف البيوت ولاسيّما لاعدالة الأغنياء. راجع على سبيل المثل ١٣/٣ – ٣/٤ (الترف) و ٦/٢ – ١٦ و ٤/٨ – ٨ (اللاعدالة الاجتماعية).

وكان عاموس نبيًّا، وهو يُخبرنا مرّتين عن دعوته: يرويها في ١٠/٧ – ١٧، ويحاول ان يعطيها معنى في ٣/٣ – ٨. النبي هو الذي يدخل في مسعى الله فيرى بعد ذلك كل شيء في هذا الضوء ويحاول ان يفهم هذا المسعى في الحياة والاحداث.

ولذلك فتعليمه الاجتماعي مبنيّ على «العهد». وليس العهد ضمانًا يمكّننا ان نعيش كيفما كان، بل هو مسؤولية. يقول الله: «إيّاكم وحدكم عرفتُ... فلذلك سأفتقد عليكم جميع آثامكم» (١/٣ – ٢).

اذا عاقب الله فلكي يحمل على التوبة. يتنبأ عاموس بأنه ستبقى «بقيّة» وبأن بعض الناس سينجون (١٢/٣)، وهذا ما يساعد على حفظ الرجاء (١١/٨ – ١٢ و ١١/٩ – ١٥).

ان إله عاموس ليس هو إلهًا قوميًّا فقط، فهو يسهر على الاخلاق حتى عند سائر الأمم (١/٣ – ٢/٣). وهو قادر على ذلك لأنه «خالق»: يستشهد عاموس بقصيدة (لعلّها مستوحاة من نشيد كنعاني): ١٣/٤ + ٨/٥ – ٩ + ٥/٩ – ٦.

هوشع. الحبّ بحنان

كان هوشع من مملكة الشمال، وقد وَعَظ في ايام عاموس. اكتشف حنان الله من خلال حدث شخصي. كان هوشع يحبّ امرأته، وكانت هي تسير سيرة سيّئة. وقد توصّل، بفضل حبّه لها، ان يُعيد اليها قلب شبابها. هكذا يحبّنا الله، لا لأنّنا صالحون، بل لنصير صالحين (هو ١/٣). ان الله يحبّنا حبّ الرجل لامرأته. وسيُعالَج هذا الموضوع مرارًا كثيرة في الكتاب المقدس فيضفي على الايمان معنى جديدًا. وتظهر شريعة سيناء بمظهر عَقد حبّ وتحالف بين زوجين، فتظهر الخطيئة بمظهر زنى وبغاء وخطيئة الى الحب.

يُثبت هوشع خطيئة شعبه، فليس هناك من أمانة. ولا من حنان أخ لأخيه، ولا من اطّلاع على محبة الله. سندرس نصًّا درسًا دقيقًا. ولكننا نقرأ مجمل الفصل ونتوقّف على الفقرات التي تُبرز لنا محبة الله (١ – ٣ حبّ الزوج، ١١ حبّ الأب) أو تطالب بجواب حبّ من قِبَل الشعب (١/٤ – ٣ و ٤/٦ – ٦ وهي جملة يوردها متى مرّتين، و ١٢/١٠ و ٣/١٢ – ٧). ويمكننا أيضًا، بالعكس، ان نرى ما هي الخطيئة (٤/٤ – ١٠ و ١/٥ – ٧ و ١/٧ – ٢).

وان كان لنا رغبة في معرفة ما كان يكوّن حياة الشعب، يمكننا ان نلاحظ كل ما يُقال في المؤسّسات، من شريعة وعبادة وأرض ونبيّ. مع العلم بأن أهمية هذه الأمور تغطّي على أهميّة المَلِك والقضاة... وكان المثال الاعلى في ذلك الزمان تلك العيشة التي كانوا يعيشونها في البرية في ايام الخروج بقيادة موسى النبيّ.

إله التاريخ ام آلهة الطبيعة؟

يؤمن اسرائيل بإله تدخّل في تاريخه: إله إبراهيم واسحق ويعقوب، «الإله الذي أخرجنا من العبودية». هداه هذا الإله حين كان بدويًّا في البرية وأدخله الى ارض كنعان.

وأمّا الآن فقد اصبح اسرائيل حَضَريًّا، وصارت له حقول ومدن. وما يهمّه هو: كيف الحصول على خصوبة الارض والمواشي؟ الى من يتوجّه لكي ينزل المطر في أوانه؟ وقد وجد، في ارض كنعان، ديانة معدّة لتلبية هذه الحاجات: البعل (العاصفة والمطر المؤلّهَين) والإلاهات عشتروت (الجنسيّة والخصوبة المؤلّهتَين). راجع ما ذكرناه في العقلية الكنعانية. الصفحة ١٩).

إله تدخّل في التاريخ، هذا شيء حسن. ولكن لا بدّ من العَيش... فالأفضل ان يؤمّن الانسان نفسه لدى البعل.

لا نعتقدْ بأننا اليوم تخطّينا هذه المشكلة: فالبعل لا يزال وقد تبدّلت اسماؤه فقط. والمسيحي قد يرى نفسه أمام الصراع نفسه: إنه يؤمن بإله تدخّل في التاريخ عن يد ابنه يسوع. ولكن ما علاقة هذا الايمان بالضروريات الاقتصادية؟ أليس من الآمن ان يؤمّن المسيحي نفسه لدى «قوات» الطبيعة (مصرفه والسلطة...)؟

◄ درس نص : هوشع ٢/٤ — ٢٥

إبدأ بقراءة هذا النص، دون الاهتمام بالتعليق في الهامش. على من يدور الكلام؟ بأية صُوَر؟ بماذا يوحي اليك هذا النص؟ دوِّن ما يُعجبك، وما يُدهشك، وما يُثير أسئلتك...

الله زَوج مُتَّهَم قاض...

٤ «حاكموا أُمَّكم. حاكموا،
فإنَّها ليست امرأتي ولا أنا رجُلُها.
لتنزعْ زناها من وجهها وفِسقها من بين ثدييها.

الآلهة بعل محبّون مُتَّهَمون...

٥ لئلاّ اجرِّدها عُريانة
وأردَّها كما كانت يوم ميلادها واجعلها كقَفْر
واصيِّرها كارض قاحلة وأُميتها بالعطش.

الشعب زوجة أم ارض

٦ اني لا ارحم بنيها لأنهم بنو زنى
٧ لأن امّهم زنت

التهمة الأولى

والتي حبلت بهم أتت بالمخازي. لأنها قالت:
«أنطلق في آثار محبِّيَّ الذين يعطونني
خبزي ومائي وصوفي وكتّاني وزيتي وشرابي».

العقاب

٨ لذلك هاءنذا أسيِّج طريقها بالشوك
وأحوِّطه بحائط فلا تجد سبلَها.
٩ فتلحق بمحبيها فلا تدركهم.
وتطلبهم فلا تجد. فتقول:
«انطلق وأرجع الى رجلي الأول
لأنه حينئذٍ كان لي خيرٌ من الآن».

التهمة الثانية

١٠ انها لم تعلم أني اعطيتها القمح والسُّلاف والزيت
واكثرت لها الفضة والذهب فجعلوها لِبَعل.

العقوبة

١١ فلذلك أرجع فآخذ
قمحي في حينه وسُلافي في أوانه
وأستخلص صوفي وكتّاني اللذين هما لِستر عَورتها.

التهمة الثالثة

١٢ والآن اكشف فاحشتها على عيون محبيها
وليس أحد ينقذها من يدي.
١٣ وأُبطل كل فرحها واعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها
وكلّ احتفالاتها.
١٤ وأدمِّر كرمها وتينها مِمَّا قالت:
«هو جُعالتي جعلها لي مُحبِّيَّ».
١٥ وأصيِّرهما غابًا فيأكلها وحش الصحراء. وأفتقد عليها ايّام البعليم
الذين قرَّبت لهم: وتزيَّنت بشنوفها وحليّها
وانطلقت في إثر محبّيها، ونسيتني، يقول الرب.

«العقوبة»

١٦ لذلك هاءنذا أتملَّقها
وآتي بها الى البرِّيَّة واخاطب قلبها.

١٧ وأُعطيها كرومها من هناك ووادي عكور بابًا للرجاء
فتغنّي هناك كما في أيّام صباها
وفي يوم صعودها من ارض مصر.

الخروج

١٨ وفي ذلك اليوم، يقول الرب
تدعينني «رجُلي» ولا تدعينني «بَعْلي» بعد ذلك.

تك ٢/٢٣

١٩ فإني أُزيل أسماء البعليم من فمها
فلا تُذكر من بعد بأسمائها
٢٠ وابتّ لهم عهدًا في ذلك اليوم
مع وحش الصحراء وطير السماء وزحّافات الارض
وأكسر القوس والسيف والحرب من الارض
وأُريحهم في الدَّعة.

سلام الفِردوس
تك ٢/١٨ – ٢٣
عز ٦/١١ – ٨

٢١ واتزوّجك للأبد، اتزوّجك بالعدل والحق
والرأفة والمراحم
٢٢ واتزوّجك بالأمانة فتعرفين الرب.
٢٣ ويكون في ذلك اليوم اني استجيب، يقول الرب.
استجيب للسموات، وهنّ يستجبن للأرض.
٢٤ والأرض تستجيب للقمح والسُلاق والزيت
وهنّ يستجبن لِيزرعيل.
٢٥ وازرعها لي في الأرض وارحم «غير مرحومة»
واقول لـ «ليس بشعبي»: «أنتَ شعبي»
وهو يقول: «أنتَ الهي»

راجع هوشع ٨/١
وهو نفي
خر ١٤/٣

من هم الممثَّلون؟ ما هي الصُوَر التي تمثّلهم؟
ماذا يعملون؟ عمَّا يبحثون؟

انتبه الى العبارات المتكررة والى الاسماء التي تراها هامّة والى دور الضمائر المتصلة (مثلاً الـقمح، قمحـي...).

في هذه «الدعوى للطلاق» التي تظهر بمظهر الانذار، انتبه الى تُهَم الله الثلاث (ما هي؟) والعقوبات التي يشير اليها (ما هي العقوبة الثالثة؟).

إنتبه الى النقائض: «مرحومة / غير مرحومة» و«أعطى/أخذ» و«البرّيّة في الآية ٥ / البرّيّة» في الآية ١٦ (هل المعنى واحد؟ لماذا؟).

ضع هذا النص في اطار تفكير ذلك العصر (أُنظر الى النص المحاط بإطار في الصفحة ٤٧): الرهان هو ان تعرف من الذي يعطي الخصوبة: هل هي القوّات المؤلّهة (البعليم) ام هو إله التاريخ؟ كيف يستند هوشع الى التاريخ (انظر الى المراجع الموضوعة في الهامش)؟

ما هو وجه الله الذي يبرز هنا؟ هل هو جزء من الطبيعة؟ إنه الوجه الذي يعطي معنى لكل شيء؛ لكن للطبيعة قوانين تنتمي الى العلم.

ماذا ينتظر من الانسان؟ انتبه الى الكلمات التي تعرض جواب الانسان.

مفردات الحب

الرأفة («حسد» في العبرية) هي إحدى الكلمات الأساسية عند هوشع. وتدل على الرابط العاطفي القائم بين شريكين.

المراحم («رَحَمين» في العبرية) هي كلمة مخصوصة بمحبة الله لنا وهي صيغة الجمع (أي أفعل التفضيل في العبرية) لكلمة «حشا». فالحب هنا هو حبّ أمومي يأخذ بالأحشاء.

الأمانة. اصل هذه الكلمة في العبرية يدل على الثبات والاستمرار في التحالف بين كائنَين، **فهما** يستطيعان ان يثق كلّ منهما بالآخر.

المعرفة.تكون المعرفة بكل كيان الانسان. بعقله وقلبه وجسده (فالكلمة تعبّر أيضًا عن العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة).

الحنوّ (حنان). نرى ذلك عندما تحنو ام على طفلها (يوحنا = الله يَحْنو).

هذه هي الأسماء التي يطبعها الله على «بطاقته»: «إله المراحم والحنوّ، غنيّ بالرأفة والأمانة» (خر ٦/٣٤).

تاريخ مملكة الشمال المقدّس
التقليد الايلوهي

انفصلت اسباط الشمال عن اورشليم وملكها وهو خليفة داود. ولكنّ ماضيها واحد وتقاليدها واحدة. ودُوّنت هذه التقاليد في وقت مبكّر في مملكة يهوذا، فنشأ عنها «تاريخ مملكة يهوذا المقدس» (او التقليد اليهوي). وبعد ذلك بقرنَين. في نحو السنة ٧٥٠، جُمعت هذه التقاليد نفسها في مملكة اسرائيل فنشأ عنها «تاريخ مملكة الشمال المقدس». يسمّونه التقليد «الايلوهي»، لأن الله يطلَق عليه فيه اسم «ايلوهيم»، ويُدل عليه بالحرف آ.

فالتاريخ في الجنوب وفي الشمال هو هو، ولكنه يختلف باختلاف الأوضاع الراهنة في كلتي المملكتين. في اسرائيل -- كما رأينا الأمر في درسنا للأنبياء - مَيل الى الارتداد عن الإله الحقيقي لعبادة البعل، او، على الأقل، الى التأمين على النفس من الجانبَين. ولا يمكن الاعتماد على الملك، إذ ليس هو من سلالة داود، للمحافظة على الايمان الصحيح. فأصبح من شأن الأنبياء ان يذكّروا بقوة أن ليس هناك إلاّ عهدٌ واحد ممكن، وهو العهد الذي قطعه الله مع شعبه، والكتبة الذين أَلّفوا هذا التاريخ مُشبعون بتفكير الانبياء والحكماء. فتذكير الشعب بتقاليده هو طريقة عندهم للعودة به الى العهد.

وربّما لهذه الأسباب لا يُفتتح ذلك التاريخ بروايات مبادئ العالم، كما الأمر هو في تاريخ مملكة الجنوب، بل بقطع العهد مع ابراهيم.

وأمّا الشعور الديني الذي من شأنه ان يحفظ الشعب في امانة هذا العهد، فهو تقوى الله، وهي غير الخوف، بل الاحترام المبنيّ على الثقة.

سنبدأ بقراءة دقيقة لنصَّين يعبّر فيهما الايلوهي عن اهمّ معتقداته: قَطْع العهد في جبل سيناء (تجد هذا النص في الصفحة التالية) ورواية ذبيحة ابراهيم لاسحق التي تجدها في كتابك المقدس.

ونستطيع عندئذٍ ان نتصفّح بسرعة تاريخ مملكة الشمال هذا، مركّزين على هذين العنصرين المرتبطين الواحد بالآخر: العهد - تقوى الله.

بعض ملامح الايلوهي

تزداد هذه الملامح وضوحًا بالمقارنة بين اليهوي والايلوهي (أنظر الى الصفحة ٣٦).

فنّه اقلّ حيوية وواقعيّة.

يختلف الله كل الاختلاف عن الانسان. يتجنّب الايلوهي وجوه التشبيه أي الكلام على الله على نحو الكلام على الانسان. وهذا الإله الذي لا يُدرَك يتجلّى بواسطة الاحلام. وحين يتكلّم بنفسه، يكون ذلك أثناء تجلّياتٍ أو ترائياتٍ ساطعة. لا يمكن تصوير الإله.

الايلوهي كثير الاهتمام بالمسائل الاخلاقية، وشعوره بالخطيئة في تقدّم. فهو يشرح، على سبيل المثل، ان ابراهيم لم يكذب (قارن بين تك ١٢/١٠ت اليهوي - وتك ٢٠ الايلوهي). والشريعة التي اعطاها موسى اقلّ اهتمامًا بطريقة تأدية العبادة منها بالاخلاق والواجبات نحو الله والقريب.

العبادة الصحيحة هي الطاعة لله واحترام العهد، بالاعراض عن كل تعاهد مع الآلهة الكاذبة.

ورجال الله الحقيقيون ليسوا الملك او الكهنة، بل الانبياء: ابراهيم وموسى (وهو الاعظم)، ثم ايليا وأليشاع...

يتأصل تفكير الايلوهي في تيار الأنبياء وتفكير الحكماء.

من وجوه استعمال هذا الدليل

نتبع تسلسل أهم ساعات تاريخ الشعب ونحاول أن نحدّد وضع مجمل النصوص المؤلّفة في كل من العصور. من شأن هذه الخلفية التي لا غنى عنها ان تمكّنك من الاختيار بين عدّة مداخل ممكنة.

تستطيع ان تتبع السير المقترح.

تستطيع أيضًا ان تتقفّى اثر بعض الشخصيات الكبرى: ابراهيم، موسى... في كل فصل، نجتهد ان نشير الى اهم النصوص.

◄ العهد في جبل سيناء خر ١٩ – ٢٠

اليك الآيات المنسوبة الى الايلوهي:

١٩/٢: هناك خيَّم اسرائيل، تجاه الجبل.

٩: قال الرب لموسى: «ها انا آتٍ اليك في كثافة الغمام».

١٢: ضَعْ حدًّا للشعب وقل لهم: «احذروا ان تصعدوا الجبل او تمسّوا طرفه، فإنّ كُلَّ من مسَّ الجبل يُقتل قتلاً».

١٣: لا تمسّه يد، وإلاّ يُرجم رجمًا او يُرمى بالسهام، بهيمة كان او انسانًا.

١٦: فارتعد كل الشعب الذي في المخيَّم.

١٧: فأخرج موسى الشعب من المخيَّم لملاقاةِ الله، فوقفوا أسفل الجبل.

١٩: وكان موسى يتكلّم والله يجيبه في الرعد.

٢٠/١–١٧: الكلمات العشر الايلوهية.

٢٠/١٨: وكان الشعب كله يشاهدون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخّن. فلَمَّا رأى الشعب ذلك ارتاعوا ووقفوا على بعد.

١٩: وقالوا لموسى: «كلّمنا انت فنسمع، ولا يكلّمنا الله لئلاّ نموت».

٢٠: فقال موسى للشعب: «لا تخافوا، فإن الله انّما جاء يمتحنكم ولتكون مخافته امام وجوهكم، لئلاّ تخطأوا».

٢١: فوقف الشعب على بعد، وتقدَّم موسى الى الغمام المظلم الذي فيه الله.

٢٠/٢٢ – ٢٣/٣٣: كتاب العهد الايلوهي.

٢٤/٣: فجاء موسى وقصّ على الشعب جميع اقوال الرب وجميع الاحكام. فأجابه كل الشعب بصوت واحد وقالوا: «كل ما تكلم به الرب نعمل به».

٤: فكتب موسى جميع كلام الرب، وبكّر في الغداة وبنى مذبحًا في اسفل الجبل، ونصب اثني عشر نُصبًا لأسباط اسرائيل الاثني عشر.

٥: وأرسل فتيان بني اسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامية من العجول للرب.

٦: فأخذ موسى نصف الدم وجعله في طسوت ورشّ النصف الآخر على المذبح.

٧: وأخذ كتاب العهد فتلا على مسامع الشعب فقالوا: «كل ما تكلّم الرب به نفعله ونسمعه».

٨: فأخذ موسى الدم ورشّه على الشعب وقال: «هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال».

اقرأ بانتباه هذا النص.

ابحث عن الملامح التي يمتاز بها الايلوهي (راجع النص المحاط بإطار في الصفحة السابقة).

ما هو الدور المنسوب الى موسى؟ انتبه الى مختلف وجوهه: النبي والوسيط والكاهن...

الخوف: ما هو الشعور المقصود هنا؟ ما هي غايته؟ الامتحان هو في نظر الله طريقة لاختبار امانة الشعب.

العهد: انتبه الى الرتبة. المقصود هنا هو عَقد ثنائي: الله يعطي شريعته، والشعب يلتزم بطاعته (فعل «سمع» في العبرية يدل على الطاعة أيضًا: راجع تث ٦/٤). يُراق الدم على المتعاقدَين: على المذبح الذي يرمز الى الله، وعلى الشعب. وهذه الرتبة تشير الى وَجهَين: انها تعني أنه ان فسخ أحدهما العهد، يُراق دمه. وهي تعني بنوع خاص أنهما اصبحا «من دم واحد».

◄ ذبيحة ابراهيم – اسحق (تك ٢٢/١ – ١٣ و ١٩)

إقرأ هذه الرواية في كتابك المقدّس، مُهملاً الآيات ١٤ – ١٨ وهي يهوية.

لا شك أن في الاساس رواية قيّمة تبيّن ان الله لا يريد ذبائح اولاد (كما كانت تُمارس أحيانًا في ذلك الزمان).

تناول الايلوهي هذه الرواية القديمة فرسم ابراهيمًا مثيرًا للاعجاب.

ابحث عن الملامح التي يمتاز بها الايلوهي. وانتبه الى الملامح التي تجدها في هذا النص وفي نص قطع العهد.

ضع نفسك محلّ الاسرائيلي الذي يسمع هذه الرواية: كيف يظهر له ابراهيم كالمثال لما يجب عليه ان يكون ويعمل؟ كيف هو مثالنا؟

> **الذبائح البشرية**
>
> البواكير مرغوب فيها. فالذي نحصل عليه أولاً يبدو لنا الأفضل. ما زالوا منذ القدم يقرّبون للآلهة بواكير الغِلال.
>
> وأحيانًا ما كانوا، على الأقل عند الساميين المقيمين في كنعان، يقرّبون البكر، مثلاً في حالات مأسوية (اجتياح...). كانت هذه الحالات نادرة. وكان الساميّون القادمون من المشرق (ما بين النهرين)، امثال ابراهيم، يجهلون هذه الرتبة.
>
> رفض اسرائيل هذا النوع من الذبيحة، فكانوا يفتدون البكر، اي انهم كانوا يقرّبون حيوانًا مكانه (تك ٢٢/٢ وخر ١٣/١١ واح ١٨/٢١ وتك ٢٢/١ وخر ١٣/١١ واح ١٨/٢١).

نظرة خاطفة الى تاريخ مملكة الشمال المقدّس

يصعب علينا ان نقرأ هذا التاريخ المقدس قراءة متواصلة. عند العودة من الجلاء الى بابل، حين دمجوا هذين التقليدين المتوازيين، تاريخ الجنوب المقدس وتاريخ الشمال المقدس، ضحّوا اجمالاً بتاريخ الشمال، فلم يبق منه إلاّ اجزاء متفرّقة. سنتوقف على أثبت النصوص.

حلقة ابراهيم

لا شك أن هذه القصة كانت تبتدئ، لا بروايات خلق العالم كما الأمر هو في اليهوي، بل بإبراهيم. والنص الأول هو عهد الله مع ابراهيم (تك ١٥). وبما أنه مُختلط جدًا بالرواية اليهوية، فسنقرأه في وقت لاحق (الصفحة ٦٠).

ابراهيم وأبيملك (تك ٢٠). نجد هنا أهم ملامح الايلوهي: اهتمامه بالاخلاق، فإن ابراهيم لم يقف موقفًا مشرِّفًا ولكنه لم يكذب! بل هو وحده، بصفته نبيًّا (الآية ٧)، يستطيع ان يشفع للملك (الآية ١٧). ويكتشف أن مخافة الله (الآية ١١) قد توجد أيضًا عند الوثني، مع العلم بأن الملك لم يخطأ، فإن الله ظهر له في الحلم ومنعه عن ذلك (الآية ٤).

هاجر واسماعيل (تك ٢١ /٩ – ٢١). يتدخّل الله من اجل المظلوم.

ابراهيم واسحق (تك ٢٢ /١ – ١٤). سبق أن قرأنا هذا النص الهام. لِربط اسحق على المذبح فوق الحطب أهمية كبرى: انظر الى النص المحاط بإطار في ترجوم تك ٢٢ /١٠.

حلقة يعقوب

حلم يعقوب (تك ٢٨ /١٠ ت) ينتمي جزئيًا الى الايلوهي، بذكر الحلم (الآيتان ١١ – ١٢) والخوف أمام الله السامي (الآيتان ١٧ – ١٨) وحماية الله للضعيف (الآيات ٢٠ – ٢٢).

تنقلات يعقوب (تك ٢٩ – ٣٥). في هذه الفصول، نرى يعقوب يمرّ بأهم معابد مملكة الشمال، وبذلك تتأصّل نشأة هذه المعابد في قصة الآباء.

قصة يوسف

من الصعب هنا أيضًا ان نميّز بين الرواية الايلوهية والرواية اليهوية. كان يوسف أبًا لِسِبطَي الشمال (أفرائيم ومنسَّى) وكان قبره في شكيم (يش ٢٤ /٣٢). وفي ذلك سبب اهتمامهم بهذا الأب.

يمكننا ان نجد في هذه القصة بعض ملامح الايلوهي، مثلاً: الامتحان (تك ٤٢ /١٦) ومخافة الله (٤٢ /١٨) وحماية الله للضعيف (٤٥ /٥ و ٥٠ /٢٠). لا يزال الله يسعى في خلاص البشر، حتى من خلال العذاب والخطيئة.

ترجوم لـ تك ٢٢ /١٠

في مطلع عصرنا المسيحي، كان اليهود في المجمع يقرأون الكتب المقدسة في العبرية وهي اللغة المقدسة، ولكن الشعب الذي كان يتكلّم الآرامية لم يعد يفهم العبرية. ومن ثمّ الحاجة الى الترجمة، ولكن، بدلاً من ان يقوموا بترجمة حرفية، كانوا يترجمون بتصرّف، وهذا ما يسمّونه «ترجوم» (انظر الى الصفحة ٨١). في هذه الترجمات الآرامية فائدة كبرى، لأنها ترينا كيف كانوا يفهمون الكتب المقدسة في أيّام المسيح. فكانوا تارةً يُجرون فيها بعض التغييرات البسيطة، وتارةً يضيفون اليها بعض الشروح. هذا ما جرى لرواية تقريب ابراهيم ابنه ذبيحةً. فبعد الآية ١٠ يضيف الترجوم:

«تكلّم اسحق وقال لأبيه ابراهيم: أربطني جيدًا، يا ابتِ، لئلاّ ارفسك فتمسي تقدمتك باطلة... كانت عَينا ابراهيم تحدّقان في عيني اسحق وكانت عينا اسحق تتّجهان نحو ملائكة العُلى. كان اسحق يراهم، وامّا ابراهيم فلم يكن يراهم. وفي ذلك الوقت نزل من السموات صوت يقول: «تعالوا فانظروا شخصَين فريدَين في عالمي. الواحد يذبح والآخر يُذبح: الذابح لا يتردّد والمذبوح يبسط عنقه».

فالربط الذي يلتمسه اسحق يعبّر عن تقدمته الباطنية: فهو لا يريد ان يقاوم مخافة ان يُجرح فلا يعود صالحًا ليكون ضحيةً تُقدَّم.

يطلب اليهود الى الله، في ساعات الشدة، ان يذكر هذا «الرَّبط» وان يغفر لهم خطاياهم، بسبب هذا الربط، ويخلّصهم.

لموسى في تأسيس الشعب دور أهم هنا من دوره في التاريخ اليهوي (انظر الى الصفحة ٣٨). فله قدرة على اجراء المعجزات، وهو يمثّل دور الوسيط بين الله والشعب وهذا دور نبيّ، وصلاته فعّالة، لا بل يظهر بمظهر الكاهن.

القابلات ومولد موسى (خر ١/١٥ – ٢/١٠). ان القابلات يتّقين الله ويفضّلن الخضوع له ولا الخضوع لفرعون. والله يخلّص الضعيف، اي موسى الطفل. لا شك ان الكاتب قد استوحى من قصة معروفة في مصر عن مولد سرجون الأكدي الذي عاش في بلاد ما بين النهرين قبل يسوع المسيح بأكثر من ٢٣٠٠ سنة.

مولد سرجون الأكدي

«سرجون، الملك القوي، ملك أكد، هو انا. كانت امي فقيرة، وأمّا ابي فلم اعرفه... حبلت بي أمّي المسكينة وولدتني في الخفية، ووضعتني في سلّة قصب واغلقت بابي بالزفت. وتركتني في النهر فلم يغمرني. وذهب بي النهر الى أكّي حامل الماء. فنظر إليَّ أكّي بعطف وأخرجني. واتّخذني أكّي ولدًا له وربّاني. ووضعني أكّي لفلاحة البساتين. وفي أثناء الفلاحة، أحبّتني الإلاهة عشتار. ومدّة ٥٥ سنة ملكتُ».

العليقة المتقدة (خر ٣ – ٤). ظهر الله ظهورًا ساطعًا وكشف اسمه لموسى في جملة تصعب ترجمتها. فالبعض ترجمها بـ«انا من أكون»، اي: «بمشاهدتكم ما سأكون وما سأفعل معكم، وفي تاريخكم، تكتشفون من انا». فلا يُعرف من هو هذا الإله إلاّ من خلال الذين يخدمونه: انه إله ابراهيم وموسى ويسوع المسيح وفلان وفلانة. فالغاية من التحرير من عبودية مصر هي في الواقع ان يضع الشعب نفسه في خدمة الله (٤/٢٣: جملة كثيرًا ما تتكرّر). في هذا التقليد «بكر الله» هو اسرائيل. لا الملك كما الأمر هو في التاريخ اليهوي.

موسى ويترو (خر ١٨). ان حما موسى ساعده على تنظيم الشعب ونظر اليه نظره الى «ممثّل الشعب تجاه الله» (الآية ١٩). وستكون مخافة الله احد المقاييس في اختيار مساعديه.

في جبل حوريب، سبق ان قرأنا خر ١٩ – ٢٠ وسنقرأ في وقت لاحق كتابَي العهد (خر ٢٠ – ٢٣، راجع الصفحة ٦٠). في مملكة الشمال، يسمّى جبل الله حوريب، لا سيناء.

عجل الذهب والرؤية من القفا (خر ٣٢ – ٣٤). في هذه الفصول أيضًا يختلط التقليد اليهوي والتقليد الايلوهي. نرى ان خطيئة الشعب وهارون ليست خطيئة عبادة أوثان، كما لو أنهم عبدوا وثنًا. فالعجل هو، على الأرجح، قاعدة الإله الحقيقي (٣٢/٥). فقد أراد الشعب ان يحمل الله على الحضور فقدّموا له عرشًا، ليكون في متناولهم (راجع النظرتَين في الله، في الصفحة ٣٥).

يظهر موسى بمظهر الشفيع (٣٣/٣٠ ت).

عُهد اليه بقيادة الشعب الى ملاقاة إلهه: إقرأ الرواية التي تحرّك المشاعر في خر ٣٣/٧ – ١١. يُعدُّ موسى، مع ايليا، اشدّ الناس ألفة بالله. ومع ذلك فهو أيضًا لا يستطيع ان يراه إلاّ «من القفا» (خر ٣٣/١٨ – ٢٣).

موهبة الروح لشيوخ اسرائيل (عدد ١١/١٦ – ١٧ و ٢٤ – ٣٠). سبق أن رأينا في مملكة الشمال ان النبيّ هو الذي يحافظ على الايمان الصحيح، وان موسى هو أوّل الأنبياء وأعظمهم. ولكن المثالَ الاعلى في نظر الكاتب هو ان يكون الشعب كلّه نبيًا وينقاد للروح الذي يُنعش موسى.

لتسهيل عملك...

تذكّر ما سبق ان قلناه: حين تقرأ دليلاً خطّيًا او غيره. تكوّن نظرة اجمالية عمّا يجب مشاهدته، ولكنك تعرف انك لا تستطيع ان ترى كل شيء... هذا شأنك هنا. فالمهم ان تكوّن فكرة عن الوضع وعن التفكير في مملكة الشمال، إختَر النصوص التي تريد درسها. ولا تحزن ان لم يكن في امكانك ان تدرسها كلّها!

٤. الحقبـــة الاخـــيرة
لمملكـــــة يهـــوذا (٧٢١ - ٥٨٧)



سجين يسوقه محارب اشوري.
نينوى (القرن السابع).

في مستهلّ مسيرتنا، توقفنا خاصة على مملكة داود—سليمان الموحَّدة (الصفحتان ٣١ - ٣٢). ثم اجتزنا الى مملكة الشمال (الصفحتان ٤١ - ٤٢). وها نحن نعود الآن الى مملكة يهوذا او الجنوب. اننا في الحقبة الاخيرة من حياتها، والتي تمتدّ من سقوط مملكة الشمال (٧٢) الى الاستيلاء على اورشليم (في السنة ٥٨٧).

مملكة يهوذا من ٩٣٣ الى ٧٢١

كانت مملكة يهوذا مملكة صغيرة محصورة بين مملكة اسرائيل والفلسطينيين (راجع الخريطة في الصفحة ٤١)، وكانت تمتدّ الى التلال المحيطة بأورشليم والى برية النقب. وكان معاشها من الزراعة وتربية الدواجن ولاسيّما الخروف، لا بل من التجارة أيضًا مع جزيرة العرب ومصر.

على الصعيد السياسي، كانت تتأثر بردود فعل الوضع الدولي. طوال مدة من هذه الحقبة، كانت الدولتان الكبريان مصر وأشور في حالة ضعف. فكان النشاط السياسي والعسكري متركّزًا على ارض كنعان. فهناك الصراعات والتحالفات والانتصارات والانكسارات بين ممالك يهوذا واسرائيل ودمشق الصغيرة.

لكنه، ابتداءً من السنة ٧٤٥، تغيّر الوضع مع عودة أشور الى المسرح السياسي. ارادت دمشق واسرائيل الوقوف في وجهها، فتكتّلتا وحاولتا ارغام يهوذا على الانضمام اليهما. فكانت الحرب السورية الافرائيمية، وفي أثنائها تنبّأ أشعيا النبي (انظر الى الصفحة ٣٩). فقد فضّل آحاز، ملك يهوذا الصغير، ان يستغيث بملك أشور. فوصل أشور واستولى على دمشق في ٧٣٢، ثم سقطت السامرة في ٧٢٢ - ٧٢١.

انعكاسات سقوط السامرة مهمّة لمملكة يهوذا، على الصعيدين السياسي والنفساني.

مملكة يهوذا بين ٧٢١ و ٥٨٧

أصبحت كلّ الأرض الواقعة شماليَّ اورشليم (مملكة الشمال السابقة) اقليمًا أشوريًا. أمّا الملك آحاز، وهو المسؤول عن خراب المملكة الموحَّدة بسبب استغاثته بأشور، فقد بقي أمينًا لأشور حتى وفاته.

ملك ابنه **حزقيا** ثلاثين سنة، لا بل ما يُقارب الأربعين، اذ ان أباه أشركه في الحكم مدة ١٢ سنة. وبالرغم ممّا كان يُشير عليه أشعيا، فقد مارس سياسة تحالفات معقَّدة مع مصر ومع أحد ملوك بابل كان قد تمرَّد حينًا على ملك أشّور.

في السنة ٧٠١، قام سنحاريب، ملك أشور الجديد، بحملة على مملكة يهوذا. فحصَّن حزقيا عاصمته وحفر في الصخر «قناة حزقيا»، وهي عبارة عن نفق ينقل مياه ينبوع جيهون الى بركة سِلْوام في داخل الأسوار. لكن سنحاريب اغلق عليه في اورشليم «كعصفور في القفص». وفي آخر الأمر فك الحصار (لعلَّ ذلك جرى على اثر وقوع وباء دمَّر جيشه)، مكتفيًا بجزية باهظة فُرضت على حزقيا.

وملك منسّى، وهو ملك عنيف كافر، ٤٥ سنة، خاضعًا لملك أشّور. وكان هذا الملك أَسنَفَّر. وقد ترك لنا هذا الملك الفنَّان المثقَّف دار كتب مؤلّفة من اكثر من ٢٠٠٠٠ لوحة من فخَّار حُفرت عليها حوليّات المملكة وأهم أعمال الشرق الأوسط الأدبية. لكنَّ الخريطة السياسية أخذت تتغيَّر في اواخر مُلكه، فقد ظهرت سلالة جديدة في بابل، وأصبح الميديون أقوياء شرقًا في ايران الحالية، واستيقظت مصر غربًا.

في هذه الظروف ملَكَ يوشيا في اورشليم ما يُقارب الثلاثين سنة. فبَعد ملكَين كافِرَين هما منسَّى وآمون، رُحِّب بهذا الملك التقيّ ترحيبًا حارًا، ولاسيّما ان يوشيا توصّل الى استعادة جزء من اراضي مملكة الشمال. فهل يصبح يوشيا داودًا جديدًا؟ وفي أيّامه، عُثر في الهيكل على سِفرٍ فيه شرائع صادرة عن مملكة الشمال السابقة. أُكملت هذه المجموعة من الشرائع وأصبحت سفر تثنية الاشتراع. وهذا الاكتشاف جرى في الوقت المناسب، فقد كان الأساس للإصلاح العظيم الذي أقدم عليه يوشيا لغايات سياسية ودينية (٢ مل ٢٢ - ٢٣).

وفي هذه الحقبة، قام جيل جديد من الأنبياء: صفنيا ونحوم وحبقّوق ولاسيّما ارميا.

وفي السنة ٦١٢ حدث تطوّر فجائي، وهو الاستيلاء على نينوى، عاصمة أشّور. فرحّب جميع شعوب الشرق الأوسط بتدمير العدوّ. ولكنهم لم يفهموا عندئذٍ أن في ذلك مجرّد تغيّر في هوية السيّد. فالقائد البابلي الظافر يسمّى نبوكدنصّر، وأوّل مهمّاته حملة على مصر.

أراد يوشيا الملك ان يسدّ الطريق على الفرعون نَكُو، فقُتل في مَجدُّو. كان لوفاة الملك القديس المأسوية وقع بعيد في قلوب المؤمنين: فلماذا يموت هذا الموت المؤسف ذلك الذي اتّكل على الله؟ ووافق هذا الموت نهاية الاصلاح الذي اقدم عليه يوشيا والذي لم يكن قد أدّى الى التأصّل في القلوب.

وفي السنة ٦٠٥، انتصر نبوكدنصّر في كركميش فانفتح امامه طريق فلسطين. فاستولى على اورشليم في السنة ٥٩٧ وجلا الملك وجزءًا من السكان، بينهم حزقيال النبي. كان نبوكدنصّر قد أقام في اورشليم ملكًا مأجورًا له. وما إن انصرف نبوكدنصّر حتى تحالف مع مصر. فغضب نبوكدنصّر وعاد. وفي ٩ تموز (يوليو) من السنة ٥٨٧ (او ٥٨٦) استولى على المدينة ودمّرها وأحرق الهيكل وتابوت العهد وجلا السكّان الى بابل. وهذه نهاية مملكة يهوذا.

كان الاستيلاء على اورشليم صدمة نفسانية بالغة للمؤمنين، وسنرى ذلك في مرحلتنا القادمة. أما الآن، فلا بدّ من العودة الى الصدمة الأولى، ألا وهي الاستيلاء على السامرة، فهي التي كانت الى حدٍ ما نقطة انطلاق التفكير الذي قاموا به في يهوذا ابتداءً من ٧٢١.

الصدمة التي عكسها سقوط مملكة اسرائيل في ٧٢١

يعرف الالمان جيّدًا تلك الصدمة التي سبّبها تقسيم شعبهم الى قسمين، ولا يزال امل العودة الى الوحدة يضطرم في صميم قلوبهم.

لقد عرف سكّان مملكة يهوذا تلك الصدمة نفسها، حين رأوا أشّور تدمّر السامرة وتضمّ ارضها. وكانت تلك الصدمة قوية بقدر ما كانت تضرب، لا على الوتر الوطني فقط، بل على الايمان الديني أيضًا وأولاً.

اجل، كانت المملكتان منفصلتين الواحدة عن الأخرى وكانتا تتحاربان. لكن كان لها إله واحد وتقاليد واحدة واعتقاد واحد بأنها «شعب الله» الذي أعطاه الله أرضًا. فجاء ضم السامرة شكًّا في هذين القطبين اللذين يقوم عليها الايمان: الشعب والأرض. فهل كان على الشعب ان يقتصر على مملكة يهوذا وحدها؟ بفضل الأنبياء والحكماء، سيبقى الرجاء حيًّا بأن يُعيد الله يومًا توحيد الشعب. فالشعب الحقيقي هو يهوذا واسرائيل.

فهذا الاطار السياسي والديني هو الذي سبّب الى حد بعيد ذلك النشاط الأدبي المكثف الذي عرفته مملكة يهوذا على عهد حزقيا ويوشيا.

النشاط الأدبي

لجأ لاويون من الشمال الى اورشليم فأتوا بالأدب المؤلّف في مملكتهم: اي تاريخ مملكة الشمال المقدس (التقليد الايلوهي) ومجموعات من الشرائع واقوالاً من انبيائهم.

فالشرائع تبدو متأثّرة كثيرًا بروح الشمال. وسترقد هذه الشرائع في دار كتب الهيكل قبل ان يتّخذها يوشيا اساسًا لإصلاحه. وتجاه هذه الشرائع، اقدم بعض الكتبة على دمج التاريخَين: التاريخ اليهوذي (اليهوي) وتاريخ الشمال (الايلوهي). ويبدو هذا الدمج ملكًا مشتركًا بين أسباط الشمال والجنوب.

هذا وان اصلاح يوشيا سيسلّط الاضواء على الشرائع الآتية من الشمال. وهذه الشرائع ستكمّل وتصبح «سفر تثنية الاشتراع».

وفي ضوء التعليم الذي اكتشف في تثنية الاشتراع، أخذوا ينظّمون التقاليد في يشوع والقضاة وصموئيل والملوك. وهذه الكتب، بعد ان كُتبت كتابة جديدة، ستصبح توضيحًا بالصور لما يحاول سفر تثنية الاشتراع ان يعبّر عنه بالكلام.

وأخيرًا دُوّنت اقوال الأنبياء – صفنيا ونحوم وحبقوق وارميا (راجع ار ٣٦). وقد أُلّف في ذلك الزمان كثير من المزامير، واستمرّ تفكير الحكماء، لاسيّما في موت يوشيا الملك القديس.

سِفر تثنية الاشتراع

نحن في اورشليم في السنة ٦٢٢. أمر يوشيا الملك ببعض الاشغال في الهيكل. فعثر عظيم الكهنة على «كتاب الشريعة» (٢ مل ٢٢) فجعل يوشيا من «كتاب العهد» هذا (٢ مل ٢/٢٣) أساسًا للإصلاح العظيم الذي أقدم عليه. هكذا تمّ اكتشاف النواة المركزية لما سيصبح «سفر تثنية الاشتراع».

لهذا الكتاب قصة معقّدة وتأليفه قد استغرق بضعة قرون. فهو يمثّل اذًا تيّارًا فكريًا علينا ان نهتدي اليه، لأننا نجد تلك الطريقة في التفكير في تاريخ اسرائيل في عدّة اسفار من الكتاب المقدّس.

سِفر تثنية الاشتراع الحالي وقصته

يظهر هذا الكتاب بمظهر سلسلة خطب لموسى، يسنّ فيها، قبل وفاته، بعض القوانين للشعب، ويدلي بوصاياه الأخيرة في طريقة العيش في الأرض التي سيستولون عليها.

هذا الكتاب هو ما أدّى اليه تاريخ طويل يمكننا ان نلخّص مراحله الرئيسية بشيء من الترجيح.

قبل سقوط السامرة في ٧٢١، وعى الناس، في مملكة الشمال، أن الشريعة التي أُعطيت عن يد موسى لم تعد تطابق الواقع. كانت تلك الشريعة صالحة لشعب بَدْو، وها ان الشعب أصبح أُمّةً منظّمة، ظهرت فيها مشاكل جديدة، خطيرة او ثانوية، مثلاً: تجنيد المتأهّل حديثًا ومخاطر العبادات الوثنية التي يمارسونها في كنعان ولاعدالة الأغنياء الذين يحطمون المساكين... فكان لا بدّ اذًا من اعادة النظر في الشريعة ومن جعلها نوعًا من «طبعة ثانية». وهكذا نشأت شيئًا فشيئًا قوانين وعادات ستكون قلب «سفر تثنية الاشتراع» او «الشريعة الثانية».

وأمّا اللاويّون الذين جمعوا وفسّروا هذه القوانين والعادات، فإنهم قد تأثروا كثيرًا بوعظ الأنبياء كايليا وعاموس ولاسيّما هوشع. فقد تبيّن لهم ان الشريعة التي اعطاها الله لشعبه ليست هي ايَّ عقد كان، بل انها تخالف ورابط حبّ يماثل الرابط الذي يجمع بين الخطيب والتي يحبّها (راجع هوشع ١ – ٣).

وبعد سقوط السامرة في ٧٢١، لجأ لاويون الى اورشليم حيث حزقيا الملك. فأتوا بهذه القوانين ونظّموها واكملوها. وتأمّلوا أيضًا في اسباب خراب مملكتهم: ماذا كان يجب عليهم ان يعملوا ليبقوا أمناء لله؟ وهكذا فإنَّ قوانينهم تبدو احيانًا نظرية محض، يُستهدف منها ان تُضفي روحًا اكثر من ان تسنّ قواعد لا يمكن تطبيقها او لم يعد ممكنًا. مثلاً: مفروض كل سبع سنوات ان يُعفى من الديون وان يُحرّر العبيد (تث ١٥)، وعند الاستيلاء على مدينة، يجب قتل جميع سكانها اجتنابًا لفساد ديانتهم (تث ١٦)، ولا بدّ من الحج الى اورشليم في الأعياد السنوية الثلاثة الكبرى (تث ١٦) الخ... وكان لهذا القانون الأخير معنى خاص، وهو ان اللاويين كانوا يسعون الى اعادة وحدة الشعب، فأرادوا ان يركّزوا الايمان على المكان الوحيد الذي يحضر الله فيه، اي على اورشليم، لكي يحطّوا من منزلة المعابد القديمة كشكيم وجبل جَرِزِّيم.

بعض ملامح تثنية الاشتراع

على صعيد المبنى:

- انشاء عاطفي جدًا. فالكاتب لا يقتصر على التعليم، بل يريد ان يقنع بالطاعة.
- تكرارات كثيرة، مثلاً: الرب الهك... إسمعْ، أذكرْ، يا اسرائيل... احفظوا الوصايا، والاحكام والعادات...
- خليط متواصل من «انت» و «أنتم». لا شك أن في ذلك دليلاً على وجود مرحلتين في التحرير. في الكتاب الحالي: يعني هذا الأمر ان الشعب واحد (فيمكن مخاطبته باستعمال «انت»)، ولكن كل مؤمن من مؤمني هذا الشعب يحافظ على شخصيته (يُقال لهم: «أنتم»).

بعض الأفكار القويّة.

- ان الرب هو اله اسرائيل الأوحد.
- اختار لنفسه شعبًا. فعلى الشعب ان يحب الله، تلبية لهذا الاختيار.
- اعطاه الله أرضًا، شرط ان يكون الشعب أمينًا له ويذكر اليوم عهده.
- في الليترجية خاصة يكون الشعب جماعةً يدعوها الله كما حدث في جبل حوريب، فيذكر ويسمع كلمة الله.

هذه الصياغة الأولى في اورشليم، عن يد لاويين أتوا بتقاليدهم من الشمال، هي النواة القديمة لسفر تثنية الاشتراع (فقرات الفصول ٥ الى ٢٦ التي يُستعمل فيها ضمير المخاطب في المفرد). لكنَّ حكم الملك الكافر منسَّى أسقط هذا «الكتاب» في زاوية النسيان. وهذا الكتاب هو الذي وُضع في الهيكل، الى ان عُثِر عليه في السنة ٦٢٢.

جعل منه يوشيا أساسًا لاصلاحه السياسي والديني الكبير، الذي أراد به ان يعيد الى الوجود شعبًا موحَّدًا حول اورشليم. أمَّا الفقرات التي يُستعمل فيها ضمير المخاطب في الجمع والفصلان الأول والأخير، فلعلّها أُضيفت في ذلك الزمان او في وقت لاحق.

واخيرًا، وبعد ان أُدخل على الكتاب تنقيحات أخرى، دخل في المجموعة الكبرى التي تمّ وضعها في حوالى السنة ٤٠٠، اي في الشريعة بأقسامها الخمسة، او التوراة.

وكانوا يشعرون بأمانتهم لأفكار موسى، او، بعبارة أخرى، كانوا على يقين من ان القوانين التي يسنّونها هي التي لو عاش موسى في ذلك الزمان لسنّها، فجعلوها على لسانه في صيغة خطب ألقاها قبل وفاته.

«ما كان عليك إلاَّ أن...»

من السهل ان تُجدَّد قراءة التاريخ وان يُقال بعد فوات الأوان: «كان عليك أن... كان عليك ان تفعل هذا...»! ومَن منّا لا يرغب ان يجيب: «اود لو كنتَ مكاني...». ولكن، ماذا نجيب، ان كان الله هو الذي يخاطبنا، كما الأمر هو الآن...؟

يُرينا متى ولوقا، في روايتها للتجارب التي جُرِّب بها يسوع، كيف أننا، في يسوع، رأينا الله مكاننا. ذلك بأن الشيطان يجعل يسوع يعيش تجارب الشعب وتجاربنا. ويسوع يجيب بالاستشهاد ببعض آيات تثنية الاشتراع. انه يجيب كما كان على الشعب ان يجيب. ففيه تنجح أخيرًا قصة الشعب وقصتنا.

يتساءل سفر تثنية الاشتراع: هل يمكن للانسان ان يحبّ الله؟ فيجيب العهد الجديد: في يسوع اصبح كل شيء ممكنًا.

تيّار فكري

لكن تثنية الاشتراع ليست كتابًا فحسب. فهناك «تقليد لتثنية الاشتراع» يشيرون اليه بالحرف ت. وهذا يعني ان المقصود هو تيار فكري وطريقة في تجديد قراءة التاريخ في اطار معيَّن، اي في اطار الفشل الذي يرمز اليه سقوط مملكة الشمال.

وفي السنة ٥٨٧، ستدمَّر مملكة الجنوب بدورها. فيقوم لاهوتيون آخرون ويتأملون في هذا الفشل ويجدِّدون قراءة التاريخ الذي سبق أن دُوِّن. وعند وضع اللمسات الأخيرة على اسفار يشوع والملوك - وبنوع أقل تأكيدًا على أسفار القضاة وصموئيل - سيحاول هؤلاء الكتّاب ان يُظهروا كيف كان يجب الاخلاص لله لكي يسير تاريخ اسرائيل سيرًا مختلفًا.

بعض النصوص من تثنية الاشتراع

يحسن بنا أن نقرأ الكتاب كلّه لنشعر فيه بحبّ الله لشعبه ولنسمع الله يدعو الشعب الى تلبيته فيحبّه بكل نفسه طوال حياته اليومية ويحب إخوته. ولكن فلنبدأ بقراءة بعض النصوص الهامّة.

الاختيار (٣٢/٤ - ٤٠). هذا الاختيار الالهي مبنيّ قبل كلّ شيء على محبته. انه رسالة، لا امتياز.

«اسمع يا اسرائيل...» (٦). أصبح مطلع هذا الفصل صلاة كل يهودي وقلب ايمانه. «إسمع -أَطِع (للكلمة العبرية هذان المعنيان)، يا اسرائيل، ان الربّ واحد». ذلك هو التأكيد الأساسي، ونتيجته: «أحبب الرب من كل قلبك...».

الحياة اليومية كامتحان (١/٨ - ٥). ان الله يمتحننا ليرى هل نضع ثقتنا به وحده. يرد هذا النص في رواية تجارب يسوع.

ليست الشريعة قوانين خارجية، بل واجب تلبية المحبة بالمحبة (١٢/١٠ ت).

الهيكل: هو المكان الوحيد الذي يحضر الله فيه لشعبه (٢/١٢ - ٢٨). لا بدّ من الحج اليه ثلاث مرات في السنة (١/١٦ - ١٧).

النبيّ الصادق (١٥/١٨ - ٢٢). يبشّر الله بمجيء النبيّ النهائي. والمسيحيون الأولون سيرون فيه يسوع.

ملعون من عُلِّق على خشبة (٢٢/٢١). سيكون لهذه الآية دور هام في فكر بولس في المصلوب (راجع مثلاً غل ١٣/٣).

المعنى الاجتماعي (١٤/٢٤ - ٢٢): تظهر هنا وفي أماكن أخرى كثيرة لباقة تثنية الاشتراع وعطفه على الصغار والمساكين.

«قربان» البواكير (١/٢٦ - ١١). سندرس هذا النص في الصفحة التالية.

كلمة الله في قلوبنا (٣٠ / ١١ - ٢٠).

◄ دَرس احد النصوص : «قربان» البواكير (تث ١/٢٦ – ١١)

مضى على اسرائيل بضعة قرون وهو يقيم في كنعان. انه يعبد إلٰهًا تدخَّل في التاريخ : هذا ما يذكّر به «قانون الايمان» المُدرج في قلب هذا النص. لكن الإسرائيلي أصبح الآن فلاّحًا وتاجرًا. وهو مهتمّ قبل كل شيء بخصوبة الارض والمواشي. نجد هنا النزاع الذي أشرنا إليه في كلامنا على هوشع (الصفحة ٤٩) : «إله التاريخ أم آلهة الطبيعة؟». كان الكنعاني يحتفل كل سنة، في زمن الغلال، بعيد اكرامًا لبعل، إله الخصوبة ونموّ النبات. تبنّى اسرائيل هذه الرتبة، ولكن ما هو المعنى الذي أضفاه عليها؟

لولا الخوف من الوقوع في خطأ تاريخي، لقلنا ان هذا النص يتبع تصميمًا لا نزال نستعمله في خدماتنا القربانية : التقدمة – الرواية («قانون ايمان» يروي قصة او رواية العشاء الأخير) – العبادة والتناول. كيف نفهم أن رواية قصّة في عطايانا وفي حياتنا تحوّل هذه العطايا وهذه الحياة؟

يدعونا هذا النص الى اكتشاف ذلك وأشياء أخرى كثيرة.

إبدأ بقراءته بانتباه بغض النظر عن الفوائد الهامشية.

١ واذا دخلتَ الارض التي يعطيك الربُّ إلٰهك ايّاها ميراثًا فورثتها وسكنت فيها.

٢ فخذ من بواكير كل ثمر الارض الذي تخرجه من ارضك
التي يعطيك الرب الهك اياها، وضعه في سلّة،
وامضِ الى المكان الذي يختاره الرب إلٰهك ليحلّ فيه اسمه. (هيكل اورشليم)

٣ وأتِ الىالكاهن الذي يكون في تلك الايام وقل له :
أُعلن اليوم للربّ إلٰهك اني قد دخلت الارض التي
اقسم الرب لآبائنا ان يعطينا اياها.

٤ فيأخذ الكاهن السلّة من يدك فيضعها امام مذبح الرب الهك.

٥ ثم تتكلم فتقول بين يدي الرب الهك : ان أبي كان
آراميًا تائهًا، فنزل الى مصر واقام هناك مع رجال قلائل،
فصار هناك أمّة عظيمة قوية كثيرة.

٦ فأساء الينا المصريون وأذلّونا وفرضوا علينا عملاً شاقًا.

٧ فصرخنا الى الرب اله آبائنا، فسمع الرب صوتنا
ورأى ذلّنا وعناءنا وظلمنا.

٨ فأخرجنا الرب من مصر بيد قوية وذراع مبسوطة
ورعب شديد وآيات ومعجزات.

٩ وأوصلنا الى هذا المكان واعطانا هذه الارض،
ارضًا تدرّ لبنًا وعسلاً.

١٠ والآن هاءنذا آتٍ ببواكير ثمر الارض
التي اعطيتني اياها يا رب. ثم ضعها امام الرب
إلٰهك، واسجد بين يدي الرب إلٰهك

١١ وافرح بكل الخير الذي اعطاه الرب إلٰهك لك ولبنيك،
انت واللاوي والنزيل الذي فيما بينك.

«قانون ايمان» = رواية
الموضوع : ارض
الرب غائب
الموضوع ارض حريّة
الرب في
خدمة شعبه

الموضوع : السعادة
في ارض لا يملكها
الانسان
الرب المعروف
كربّ.

إبدأ بقراءة هذا النص بانتباه، مستعينًا بـ «علبة ادوات العمل» (الصفحة ١٤).

من هم الممثّلون؟ ماذا يعملون؟ ماذا يعطون؟ هل الرب حاضر في كل مكان؟ ما هي الأماكن؟ ما هي العبارات المتكرّرة؟ إنتبه الى الضمائر: أنا / أنت – نحن...

في مطلع النص، يقتصر الكلام على «انت»، وفي الختام، يُجمع بين «انت – لاويّ – نزيل». ما المشترك بين هؤلاء الممثّلين الثلاثة الذي يدعو الى الجمع بينهم؟ كيف يغيّر هذا الجمع بينهم صلة «انت» بأرضه؟

ضع هذا النص في الاطار الديني لذلك الزمن؟ (راجع الصفحة ٤٤) كيف يحلّ النزاع: اله التاريخ – قوّات الطبيعة؟

اليك بعض الأسهم في حال انقطاعك في الطريق (لا تقرأها فورًا!).
تبتدئ الرواية حين يُعوز الانسان شيء وتنتهي حين يحصل على هذا الشيء.
نحن أمام ثلاث روايات تتشابك.

الآية ٥ب. ان إعواز «الأرض» يُسدّ، بما انه يُصبح أُمة كبيرة، لكنّ تتمّة الرواية تُخبر بأن الأمر قد فشل. فلا بدّ من ان يزداد الموضوع وضوحًا: «ارض حرّيّة». ولماذا فشل الأمر؟ هذا المقطع هو المقطع الوحيد الذي يغيب الله عنه. فهل هذا يعني ان السعي بمعزل عن الله لا يمكن ان يؤدّي الى نتيجة ثابتة؟

الآيات ٦ – ٩. تجاه المصريين الذين يعطون العبودية، نرى ان الله يعطي «ارض الحريّة» (انتبه الى استعمال «نحن» في موقف حرج). ولكن يبدو ان الله في خدمة شعبه هنا، كآلهة الطبيعة.

الآيتان ١٠ – ١١ وهما تكرار للآيات ١ – ٤. يتغيّر معنى غلال الأرض، لأن قصّتها تُروى. كانت في البدء «ثماري التي أُعطيك ايّاها»، فأصبحت «الثمار التي تعطيني أن أُنميها». يُعترَف هنا بالله ربًّا.

والصلة بالأرض تغيَّرت هي أيضًا. فاللاويّ والنزيل يتمتعان بأرض ليست لهما. كذلك الـ «انت»! أموالنا ليست لنا، بل هي في خدمة سعادتنا وسعادة جميع الناس.

الأنبياء الأولون

تلك الأسفار التي نسميها «تاريخية»: يشوع والقضاة وصموئيل والملوك، يسميها اليهود «الأنبياء الأولين» فيساوون بينها وبين «الأنبياء الآخرين»: أشعيا وإرميا وسائر الانبياء.

في هذا الأمر اكثر من تغيير لصيغة. فعندما يختار كاتب في ايّامنا ان ينشر كتابه في مجموعة تاريخية او فلسفية، يخبرنا بذلك ما هو قصده وكيف يريد ان نقرأه.

فليست هذه الأسفار كتبًا تاريخية. فهي لا تهدف الى تمثيل الاحداث بدقة، وأن افادنا علم الآثار، على سبيل المثل، بأن أريحا كانت متهدّمة تقريبًا حين استولى عليها يشوع، فلا شأن في ذلك، لأن الكاتب ليس بمحقّق يصوّر معركة، بل هو نبيّ يبحث عن معنى الحادث.

«أسفار الأنبياء»: يعني هذا أن المؤلّفين تأمّلوا في التقاليد التي كانت تنقل الاحداث اليهم، ليكتشفوا أية كلمة الله تحملها هذه الاحداث. فالمؤلّفون اقلّ سعيًا الى الإخبار بالاحداث منهم الى اكتشاف ما تعني لنا هذه الاحداث. فسيتناولونها على مرّ الاجيال ويتأمّلون فيها ويروونها على وجوه مختلفة، وهي لا تزال حاملة كلمة جديدة لله في وضع تاريخي جديد.

بقراءتنا تثنية الاشتراع، اكتشفنا خاصة «تيّارًا فكريًّا». من الأرجح أن التأليف النهائي لـ «هؤلاء الأنبياء الأولين» قد تمَّ عن يد كتبة تأثروا بهذا التيار. كان بين ايديهم روايات محرّرة. فلخّصوها ليستخلصوا منها عبرة. وبعد كارثة السنة ٥٨٧، أصبحت رواية اخطاء اسرائيل والملوك دعوة الى التوبة. بقي الله امينًا لوعده بإعطاء الارض، ولكن بشرط ان يكون الشعب أمينًا له. بقي الله حاضرًا لشعبه كما كان حاضرًا في هيكله. ولكن بشرط ان يعود الشعب إليه. وفي هذا التأمّل في الماضي، يسعى هؤلاء الأنبياء قبل كل شيء الى نورٍ للحاضر ورجاءٍ للمستقبل.

التقليد اليَهْلوهي (يآ)

هكذا يسمّون أحيانًا اندماج التقليد اليهوي (ي) الموضوع في ايام داود – سليمان في مملكة الجنوب، والتقليد الايلوهي (آ) المحرّر في مملكة الشمال. وهذا الدمج هو اكثر من عملية ادبية، فهو يدلّ على قرار ايماني وعلى تفكير عميق في الوضع الجديد الناشئ عن سقوط مملكة الشمال.

نحن في اورشليم. فيها يملك حزقيا يؤيّده اشعيا النبيّ، يخلف لداود وسليمان اللذين وعدهما الله بأرض وشعب وسلالة. ولكنّ المملكة الموحَّدة قد انشطرت: فهناك مملكة الشمال او مملكة اسرائيل، ومملكة الجنوب او مملكة يهوذا، وهاتان المملكتان كانتا تعلمان بأنهما تكوّنان معًا ذلك الشعب الذي قطع الله معه عهدًا في جبل سيناء والذي هو وريث الوعد لإبراهيم.

ففي السنة ٧٢١ دمّرت أشور مملكة الشمال. وهذا الأمر إعاد الى بساط التساؤل ايمان الشعب بنقطتين اساسيتين: الأرض والشعب. فالأرض التي أُعطيت في الماضي لداود يجتاحها العدو شيئًا فشيئًا وهو يعسكر بالقرب من ابواب اورشليم. أمّا الشعب فهل عليه بعد اليوم ان ينحصر في سبطي يهوذا وبنيامين اللذين يؤلّفان مملكة الجنوب؟

بين اسرائيليّ الشمال الذين نجوا من المذبحة، هناك بعض المؤمنين الذين لجأوا الى اورشليم فأتوا بتقاليدهم. وكان حزقيا الملك يريد ان يخلق تجديدًا قوميًا ودينيًا. فنما في ايّامه نشاط لاهوتي وأدبي مكثّف، ومن ثمار هذا النشاط «التقليد اليَهلوهي».

وهذا الاندماج هو جوابُ ايمان عن السؤال المقلق المطروح حول الأرض والشعب. فالرجاء الاساسي يبقى (وسيبقى دائمًا) ان الشعب هو يهوذا واسرائيل. وللدلالة على ذلك، أقدموا على الجمع في عمل واحد بين التقليدين اللذين نشأا منفردين. كان هذا العمل شديد الخطورة، اذ ان التقليدين كثيرًا ما كانا يتضمّنان روايات واحدة معروضة في وجهتي نظر تختلف الواحدة عن الاخرى بعض الاختلاف. حاول هذا العمل الاندماجي ان يُراعي التقليدين – وهذا ما يمكّن الاختصاصيين في أيّامنا ان يهتدوا الى آثارهما – مع المحافظة على وحدة الرواية الجديدة. وقد نجح خاصة في المحافظة على رجاء التقليد اليهوي المركّز على سلالة داود، مع إدراج ما في التقليد الايلوهي من متطلّبات اخلاقية وروحية. فهذا العمل هو عمل مشترك بين أسباط الشمال والجنوب، وهم يُظهرون ايمانهم بإله اسرائيل ورجاءهم للمستقبل. سنقرأ نصّين بسرعة:

◄ العهد مع ابراهيم (تك ١٥)

من الأرجح أن هذا النص هو مطلع التقليد الايلوهي، ولكنه مندمج برواية يهوية حتى ان الاختصاصيين عدلوا عن التميز بينهما، واكتفوا باكتشاف الأفكار العزيزة على كل من التقليدين.

وهكذا فالوعد بذريّة وبأرض يوافق البركة التي ورد ذكرها في تك ٢/١٢ و ١٤/١٣ وهما من التقليد اليهوي. أما «العهد» فهو موضوع عزيز على التقليد الايلوهي.

لا يخلو النص الحالي من التباينات، ولكنه يُبرز بوضوح رائع ما كان لابراهيم من ايمان تامّ. كان لرتبة العهد اهمية كبرى. فكان الفريقان يجتازان كلاهما عادة بين الحيوانات المجزّأة للدلالة على أنه، إن فسخ أحدهما العهد، فسيحدث له ما جرى لهذه الحيوانات. أمّا هنا فإن الله وحده يجتاز ويلتزم. وهذا أمر جوهري بالنسبة الى اسرائيل وبالنسبة الينا، ذلك بأن في منطلق تاريخنا كمؤمنين التزامًا غير مشروط من قِبَل الله الذي يلقي في ميزان التاريخ ثقل امانته. ففي أمرّ الساعات، حين يشعر اسرائيل بأنه لم يكن أمينًا وبأنه يعاقَب بحقّ بسبب خطاياه، يستطيع مع ذلك ان يلتفت نحو ذلك العهد. فالله وعد بدون قيد او شرط وهو امين في وعده.

◄ كتاب العهد (خر ٢٢/٢٠ – ١٩/٢٣)

هذا النص قديم، يرقى عهده الى نشأة اسرائيل. وُضع في زمن (زمن القضاة ولا شك) لم يكن فيه ملك ولا كاهن، وكان الاقتصاد مبنيًّا على تربية الدواجن وبمقدار قليل على الزراعة. حُفظ في مملكة الشمال واستوحى به سفر تثنية الاشتراع. وهو، باهتمامه بجميع قطاعات الحياة اليومية، يعلّمنا بأن علينا ان نعيش الحياة كلّها تحت نظر الله.

ولمّا تمّ الاندماج في نصّ موحّد يَهْلوهي، ضُمّ الى رواية الخروج فقطع سياقها. لكنه يُضفي على الرواية كلها هيكلية معاهدة يلتزم فيها الفريقان هذه المرّة.

انبياء يهوذا في القرن السادس ق.م.

سكت صوت أشعيا، ولا نعرف متى. يُقال، بحسب التقليد اليهودي، أنه استشهد عن يد منسّى الملك. وقام جيل جديد من الأنبياء وسنصغي إليهم.

نحوم

لا بدّ من قراءة تصويره المذهل لمعركة المركبات في نينوى المغمورة بالمياه: قبل وقوع الحادث بكثير – كان يعظ على الأرجح في حوالى السنة ٦٦٠ – «رأى» نحوم خراب عاصمة اشور في ٦١٢. ما أدهش فعل الايمان هذا بقدرة الله، تلك القدرة الوارد ذكرها في المزمور الذي يفتتح الكتاب: فان أشور كانت، في تلك الايام، في اوج عزّها.

صفنيا

حين أخذ صفنيا يتكلّم، كان قد مضى وقت قليل على انقضاء مُلك منسّى الكافر، ولم يكن الملك الفتيّ يوشيا، الذي ارتقى العرش في ٦٤٠، قد أقدم على اصلاحه الديني العظيم.

القسم الأول من الكتاب (١/١ – ٣ و ٨) إثبات حالة مأسوية. يشعر صفنيا بالانصعاق، فإنّه عبثًا يبحث، فليس من ابرار بين الشعب، إلاّ الله. لكن الله وحده، لأن اورشليم لم تتقرَّب الى الله (٢/٣). ولذلك فقد اقترب اليوم العظيم، يوم غضب الله (١٤/١ ت).

وبما أن المقتدرين والملوك والأنبياء والكهنة قد فشلوا، فالنبي يلتفت الى «فقراء» القلوب، الى الذين لا يتّكلون على قوّة أنفسهم، بل يضعون ثقتهم في الله (٣/٢). وبذلك يفتتح صفنيا معالجة موضوع – موضوع الفقر الروحي – سيزدهر في العهد الجديد.

لكنّ محبّة الرب هي الاقوى. فان الله يلمح، في امر المستقبل، تلك الساعة التي يستطيع فيها ان يكون بالقرب من بنت صهيون، في وسط شعبه وجميع الشعوب التي طهَّرتها محبته، وهذه الرؤية تحمله على الرقص فرحًا (٣/٩ – ٢٠).

حبقّوق

اخذ حبقّوق يعظ في حوالى السنة ٦٠٠ حين بدأ أهل بابل زحفهم على فلسطين. انهم، في نظره، أداة في يد الله تعاقب الأشوريين الذين ظلموا اسرائيل. لكنه يتساءل: كيف يستطيع الله ان يستخدم أداة غير طاهرة؟ ولماذا ينجح الأشرار دائمًا؟ يطرح حبقّوق مشكلة الشرّ على مستوى الأمم. فيجيبه الله بجملة سيجعل بولس منها موجز بشارته: «بالايمان يحيا البارّ» (٤/٢).

وصلاته (حب ٣) تعبّر عن ايمانه وسروره بالله في وسط أشدّ المصائب.

بنت صهيون

من الأمور التقليدية في جميع الحضارات ان يُرمز الى الشعب بوجه نسائي. سبق أن شبّه هوشع الشعب بزوجة غير امينة ردَّ الله لها، من شدّة محبته، قلب فتاة.

وميخا هو أوّل من استعمل عبارة «بنت صهيون» الغريبة. لا شك أنها كانت تدلّ على الحيَّ الشمالي في اورشليم، وهو رأس تلّة صهيون حيث تجمَّع الناجون من كارثة السامرة في ٧٢١. فالمقصود بها هو البقيّة الباقية التي طهّرها الألم.

وهذه البقية من اسرائيل يراها صفنيا مطهَّرة في المستقبل حتى ان الله يستطيع ان يسكن بالقرب منها. وسيشاركها في ذلك جميع الشعوب المطهَّرة (صف ٩/٣). فهذه الصورة تعنينا نحن أيضًا: فالأمر يهم مصير كل واحد منا، لأنه مصير شعب آخِر الأزمنة.

ارميا اكثر تشديدًا على ما في التطهير الضروري من سرّ أليم (١١/٤ و٦/٢٣). وهذا شأن المراثي. وبعد ان تكون تلك «المرأة» قد تطهَّرت، تلتمس الله زوجها (ار ٢٢/٣١).

وتلاميذ أشعيا الذين يعظون في اواخر الجلاء يصوّرون تلك العذراء صهيون، زوجة الرب، تلد ابناءً كثيرين (اش ١/٥٤ والفصلين ٦٠ و ٦٢: «افرحي، يا بنت صهيون...»). وستلد الشعب الجديد أيضًا (اش ٦/٦٦ – ١٠).

سيتناول المسيحيون الأولون هذا الموضوع ليعبّروا عن سر الكنيسة، تلك المرأة التي تلد المسيح في مخاض الجلجلة وعلى مرّ التاريخ (يو ٢١/١٦ – ٢٢ ورؤ ١٢). وفي نظر لوقا، فمريم هي صورة لتلك الكنيسة الممتلئة نعمة في آخِر الأزمنة (اف ٦/١) والقابلة الرب في أحشائها (لو ٢٨/١ – ٣١).

قال رينان: «لولا هذا الكائن العبقري، لاتّخذ تاريخ البشرية الديني مجرًى آخر... ولما كانت الديانة المسيحية».

عاش ارميا تلك المأساة الرهيبة التي انقضّت على شعبه. لا بل توقعها وحاول ان يُعدّ لها الشعب المستهتر، فاضطهده هذا الشعب.

أَخذ ارميا يعظ في ايام يوشيا الملك، وكان وعظه في ذلك الحين لا يختلف عن وعظ الأنبياء الذين سبقوه. كان يحاول ان يُشعر شعبه بأنه قد ضلّ الطريق، وبأن الحياة التي يعيشها ستنتهي به الى الكارثة. في الفصول العشرة الأولى التي هي كموجز لوعظه، كلمتان أساسيتان تتكرّران: ابتعد الشعب عن الله — فعليه ان يتوب الى الله ويتحوّل.

من العجيب ان إرميا لم يتكلّم أثناء الاصلاح الديني الذي قام به يوشيا والذي كان يؤيّده ولا شك.

وفي السنة ٦٠٥، هزم الملك نبوكدنصّر البابلي المصريين في كركميش، في شمال سورية، وفي السنة ٦٠٣ وصل الى اورشليم وأُخضعها. أدرك إرميا ان العدوّ يأتي من الشمال، من بابل. فتوقّع الكارثة وأعدّ لها شعبه. حين يصيبنا حدث أليم (مرض او حادثة...) ونشعر بأننا لم نعد قادرين على شيء، يبقى لنا ان نحاول اعطاءه معنى. سبق لنا ان قلنا في البدء (الصفحة ٩) اننا **«لا نفهم احيانًا إلاّ بعد فوات الأوان»**. وهذا ما سيحاول بعض الأنبياء كحزقيال وبعض تلاميذ أشعيا المنفيين الى بابل أن يُظهِروه (راجع النص المحاط بإطار «ان الله سيعاقبكم»). فضل إرميا أنه فهم «قبل فوات الأوان» واعطى الحدث المدمّر معنى قبل وقوعه. اجل، لن يسمعه الشعب، بل يرذله ويضطهده، مفضّلاً الاذعان لأنبياء كذبة يطمئنونه. ولكن، بعد ان يكون الحدث قد تمّ وفقًا لما قاله إرميا، يذكرون كلامه. وبفضله، يستطيع الشعب ان يعيش الحدث الأليم وله معنى ممكن قبل وقوعه. وهذا ما سيساعد الشعب الى حد بعيد على ان يعيش الجلاء بالايمان والرجاء وألاّ يغرق في البؤس، بل ان يجد فيه معنًى جديدًا لحياته.

لا تستطيعون قراءة سفر إرميا كلّه. فإليكم على الاقلّ نصوصًا يمكنكم ان تقرأوها.

• **الدين الصحيح**. ان الشعب يمارس دينه ممارسة حسنة، وهو يكرّم تابوت العهد ويزور الهيكل ويقرّب الذبائح ويحفظ يوم السبت ويختن الاطفال... انه يُمارِس، لكن لا نصيب لقلبه في كل ذلك. وهو يعتقد أنه من واجب الله ان يحميه ويحمي اورشليم المدينة المقدسة، بما أنه يراعي كلّ تلك الشعائر الخارجية. لقد جعل من ممارسته لاحكام الشريعة ضمانًا يغنيه عن المحبّة. ولذلك ينبئ ارميا بأن الله سيقضي على جميع هذه الضمانات الكاذبة: تابوت العهد (١٦/٣) والهيكل (١/٧ – ٥ والفصل ٢٦) واورشليم (١٩)، لأَن ما يطلبه الله ليس هو بختان خارجي في الجسد، بل ختان القلب (٤/٤ و ٢٤/٩ – ٢٥). بدت هذه التهجّمات تجديفية حتى ان ارميا لم ينج من الموت إلاّ بقليل. وهذه التهجّمات صورة سابقة لتهجّمات يسوع على ممارساتنا الخالية من اي معنى.

• **العهد الجديد**. الفصل ٣١ هو ذروة رسالته. إنه يتجاوز المصائب ويعظ الرجاء، قائلاً ان الله يغفر ويصنع جديدًا.

إلامَ يستند هذا الضمان؟ اقرأ ٣١/٢٠.

المسؤولية الشخصية (الآيتان ٢٩ – ٣٠). وسيتوسّع حزقيال بإسهاب في وجهة النظر هذه (حز ١٨).

ما هي الميزات التي تجعل العهد جديدًا (٣١/٣١ – ٣٤)؟ سيراه لوقا (٢٠/٢٢) وبولس (١ قور ٢٥/١١) مُحَقَّقًا في دم العشاء السري.

• **الاعمال النبويّة**. على غرار جميع الأنبياء، لا بل اكثر منهم، يعظ إرميا بأعماله كما يعظ بأقواله. وهذه الأعمال الرمزية غالبًا ما تكون اكثر من مجرّد اعلان خبر. فلأن النبيّ يحمل كلمة الله، وهي كلمة فعّالة، فإن هذه الاعمال تجعل الحدث المُخبَر به حاضرًا نوعًا ما قبل وقوعه. وبهذا المعنى، يمكننا ان نقول إن ما فعله يسوع في العشاء السرّي هو أيضًا عمل نبويّ.

• **يوميّات إرميا الشخصية**. ارميا، ومِثله بولس، أكثر شخصيات الكتاب المقدّس معرفة مِنّا. فإنه يُفضي الينا بانطباعاته الشخصية وايمانه وشكوكه في مقاطع شخصية جدًا تسمّى احيانًا «اعترافاته». يمكنك ان تقرأ على الأقل ١/١٢ – ٥ و ٧/٢٠ – ١٨: كيف تساعدنا هذه «الصلوات» على ان نفهم الله؟ ان نفهم أنفسنا؟ ان نفهم صلتنا بالله؟

• **الدعوة** (٤/١ – ١٩). ان الطريقة التي يعرض بها نبيّ دعوته والنداء الذي يوجّهه الله اليه، كثيرًا ما تلقي ضوءًا على رسالته. أمّا عند

إرميا ، فليس هناك ايّ شيء غير عاديّ : يبدو ان كل شيء يجري في اعماق الصلاة. حاول ، انطلاقاً من هذا النص ، ان تكتشف ما هي الرسالة المعهود بها الى ارميا وبعض ملامح طبعه. الى اي شيء يستند ضمانه؟ تظهر لنا «الرؤيتان» (الآيتان ١١ ت و ١٣ ت) كيف النبيّ «يرى» الله في الاحداث. كيف يساعدنا ذلك على اكتشاف كلمة الله في حياتنا وفي احداث العالم؟

«ان الله سيعاقبكم...»

قد تصدمنا رسالة الأنبياء ، فانها كثيرًا ما تُظهر الله إلهًا يهدّد شعبه بالعقابات لأنه أخطأ. فهل الكوارث الطبيعية والحروب ولاعدالة البشر عقابٌ من الله...؟ لا نحتمل اليوم صورة إله ينتقم.

اليك مثلاً. هذا شابٌ مولع بالدرّاجة النارية. في ذات يوم ، وقع الحادث ، وتلاه المستشفى والعناية مدة أشهر طويلة ، وسهر الاطباء والممرّضات... وهناك ممرّضة اعتنت به وأظهرت له مشاعر غير مهنية. وفي احد الأيام تزوّجا. قد يقول هذا الرجل للتي أصبحت امرأته : «في الحقيقة ، من حسن الحظ جرى لي ذلك الحادث ، وإلاّ لما كنتُ تعرّفت اليك». نحن نقبل هذه العبارة ، ولكننا نستثقل ان يستقبله المرشد الروحي فيقول له : «من حسن حظّك...». ولماذا؟ في الحالة الأولى ، يعطي المعنيّ نفسه معنًى لحادثه من الداخل وبعد فوات الأوان ، ولا يُفرض عليه ذلك من الخارج. وفضلاً عن ذلك ، فان الحادث يبقى في نظره شرًّا. والأمر الذي يعدّه حسن حظ هو النتيجة الصالحة التي صدرت عن هذا الشرّ.

لنحوّل القصة لنقارنها بنصوص الأنبياء. ولنفترض ان ذلك الشاب كان يعيش ، قبل حادثه ، حياة فاسدة انانية. فحمله الألم وأشهر العزلة الطويلة على التفكير في فراغ حياته ، فخرج من المستشفى شابًّا جديدًا ، عازمًا على تغيير حياته وعلى وضعها في خدمة الآخرين. وبعد ان يكون قد استعاد إيمانه ، فقد يقول لله ذات يوم : «حسنًا فعلت إذ سمحتَ بذلك الحادث. فقد استعدت به معنى لحياتي». نحن نقبل هذه الصلاة. ولكننا نستثقل المرشد الروحي الذي يقول له : «ترى ان الله عاقبك...».

فالنبيّان هما ذلك الشاب لا المرشد الروحي. جُلي حزقيال مع الشعب ، واضطُهد إرميا فحمل مُسبقًا عذابات الشعب. إنهما يتأمّلان في الاحداث التي تبقى في نظرهما شرًّا. ولكنهما يحاولان ، من الداخل وبعد فوات الأوان (او «قبل فوات الأوان» عند إرميا) ، ان يعطيا معنى لهذه الأحداث وان ينظرا الى النتيجة الصالحة التي قد تصدر عنها : انهما يحملان الشعب على الاعتراف بأنه عاش عيشة سيّئة وبأن عليه ان يغيّر حياته. فهذه الاحداث هي ، في نظرهما ، - وان عبّرا عن ذلك بعبارات فجّة - عقابات الهية اقلّ ممّا هي فُرَصٌ لاكتشاف محبة الله الذي يدعوهم الى حياة جديدة.



محارب اشوري
يقطع رأس سجين (القرن الثامن)

٥. الجــلاء الى بــابــل
(٥٨٧ - ٥٣٨)


ثور مجنّح برأس انسان.
اشور (القرن الثامن)

تموز (يوليو) ٥٨٧ : بعد حصار دام سنة ، استولى جيش نبوكدنصّر ، ملك بابل ، على اورشليم. فكانت نهاية مملكة يهوذا.

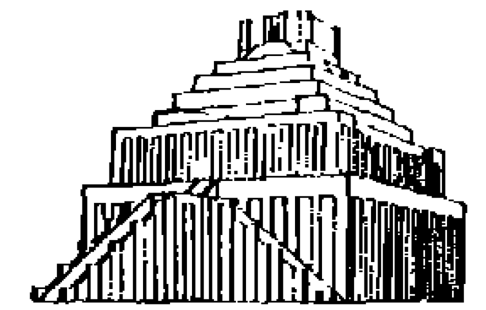
عشر سنوات جنون (٥٩٧ - ٥٨٧).

منذ السنة ٥٩٧ استولى نبوكدنصّر على اورشليم. ولكنه اكتفى بالحصول منها على جزية باهظة وبجلاء قسم من السكّان (بينهم حزقيال النبي) وباقامة ملك يخضع له.

هل كان ذلك عبرةً للشعب؟ هذا ما كانوا يرجونه. لكنّ الشعب عاش عشر سنوات جنون، يُضلّله أنبياء كاذبون يعلّلونه بالأوهام ويوهمونه بأنها ساعة وتعود الأمور الى مجراها. فواصل الشعب حياة اللامبالاة وتحالف مع مصر على بابل.

وفي اورشليم كان إرميا يحثّ على الخضوع للبابليين. فليس المهم في نظره ان تكون الأمّة حرّة او خاضعة سياسيًا، بل ان تكون بارّة وحرّة روحيًا بخدمة إلهها وبممارسة البرّ. فعُدّ إرميا «خائنًا لوطنه» واختنق صوته في بئر وَحِلة أُلقي فيها.

وفي بابل، كان حزقيال يقول القول نفسه لإخوته المجلوّين معه، ولكن عبثًا. فقد كانوا يُعدّون في الخفية أعلامًا لاستقبال إخوتهم الآتين لإنقاذهم... وفي السنة ٥٨٧ رأوهم قادمين - على الأقل اولئك الذين ابقاهم السيف - لا كمحرَّرين، بل مقيَّدي الأعناق، أنهكهم سلوك طريقٍ طوله ١٥٠٠ كلم، وسائرين وراء ملك مفقوءِ العينين وحافظٍ في حدقتيه الفارغتين رؤيا أبنائه المذبوحين...


اعادة وضع تصميم زيكورة او برج بطوابق كما كان «برج بابل»

معجزة الجلاء

فقد الشعب كلّ ما كانت حياته قائمة عليه.
- **الأرض**، العلامة الحسيّة لبركة الله على شعبه.
- **المَلِك**، الذي به كان الله يُنزل هذه البركة، وكفيل وحدة الشعب وممثّله لدى الله.
- **الهيكل**: مكان الحضور الإلهي.

وفي أقصى حدّ، فقد فَقَد اسرائيل إلهه أيضًا. كانوا يعتقدون في ذلك الزمان بأن كل بلد كان تحت حماية إلهه القومي الذي يعطي جيوشه القوّة. فإله اسرائيل قد هزمه الاله مردوك، اله بابل. ولا يبقى الانسان في خدمة إله مهزوم...

وأمّا معجزة الجلاء الكبرى، فهي أن تلك الكارثة، بدلاً من ان تقضي على ايمان اسرائيل، أيقظت هذا الايمان وطهّرته. تمَّ كل ذلك بفضل الأنبياء، كحزقيال وتلميذ من تلاميذ أشعيا يُسمّى أشعيا الثاني، وبفضل الكهنة أيضًا: فكانوا يحثّون الشعب على تجديد قراءة تقاليده ليكتشف لرجائه أساسًا. سيبتدعون معًا طريقة جديدة أشدّ روحانية ليعيشوا ايمانهم. ألم يعد هناك هيكل ولا ذبائح؟ فيمكنهم ان يجتمعوا يوم السبت لإكرام الله وللتأمّل في كلمته. ألم يعد هناك مَلِك؟ أفليس الله هو ملك إسرائيل الحقيقي الأوحد؟ ألم يعد هناك أرض؟ فختان الجسد سيضع حدودًا لمملكة أبعادها روحية... ففي أثناء الجلاء نشأ ما يُسمَّى «اليهودية»، اي طريقة لممارسة الدين اليهودي ستكون طريقة زمن يسوع وزمننا.

على أنهار بابل...

أيًّا كان وضع اليهود المجلوّين؟ ليس الجواب على هذا السؤال من الأمور السهلة. لقد أُصيب الشعب بصدمة نفسانية ومعنوية هائلة، وتألّم في جسده أيضًا. وكان الاستيلاء على مدينة في ذلك الزمان يعني الجلاء واغتصاب النساء وتحطيم الأطفال على الصخور وخوزقة المحاربين او سلخهم أحياءً وفقء عيونهم وقطع رؤوسهم... في المزمور ١٣٧ صدى لهذه التعذيبات. ولكن، من جهة أخرى، لا نتصوَّر الحياة في بابل كالتي نعرفها اليوم في معسكرات الاعتقال. كان اليهود يتنعّمون بحريّة نسبية (لا تنفي اعمال السخرة). فكان حزقيال حرًّا في أن يزور بني قومه وهم منصرفون الى الزراعة. وفي نهاية الجلاء، سيفضّل بعضهم البقاء في بابل حيث سيؤلّفون مجموعة هامّة ومزدهرة. وتفيدنا محفوظات مصرف «موراشو» في نيبور (في جنوب بابل) أن بعض اليهود كان لهم، بعد مئة سنة من الجلاء، حساب مصرفي محترم.

سيكون لمدينة بابل وتقاليدها وقع بعيد في نفوس اليهود. كانت المدينة تظهر بمظهرٍ رباعي اضلاع واسع مساحته ١٣ كلم² يمرّ فيه نهر الفرات. أمّا الممرّ المقدس الذي ينطلق من باب عشتار المرصّع بالآجر الكثير الألوان، فإنه يجانب سياج المعابد التي يرتفع في وسطها برج ذو طوابق، هو برج بابل، وكانوا في رأس كل سنة يسمعون إنشاد القصائد الكبرى (أنوما اليش وملحمة جلجامش...) التي تروي كيف ان الاله مردوك، وهو إله بابل، خلق العالم، وكيف ان الإله إيا أنقذ البشرية من الطوفان... واكتشفوا أفكار الحكماء في الوضع البشري... فكان اليهود اذًا على صلة مباشرة بفكر كان منتشرًا انتشارًا واسعًا في الشرق الأوسط كله، وسوف يساعدهم كل ذلك على التفكير.

قورش «المشيح»

في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ٥٣٩، استولى قورش على بابل، «من دون طلقة رصاص»، وكان ذلك، ولا شك، بفضل تواطؤ أهل بابل المنزعجين من عدم أهلية ملكهم نبونيد.

كان قورش مُلَيكًا من فارس وهي اقليم من أقاليم امبراطورية الميديين الممتدّة الى شرق بابل وشمالها. ومنذ السنة ٥٥٠، استولى على الحكم في ميديا ووصل الى آسية الصغرى فنهب كنوز الملك كريزس الطائلة وعاد متّجهًا الى بابل. كان اليهود وأشعيا الثاني يتتبّعون بحماس صعوده العجيب ويتساءلون هل يكون ذاك الذي اختاره الله و«مَسَحه» ليحرّرهم.

وفي الواقع، ففي السنة ٥٣٨، ومن عاصمته الصيفية أحْمَتا، وقّع قورش على منشور يأذن لليهود في العودة الى بلادهم. ولقد منحهم أيضًا «تعويضات حرب» كبيرة لإعادة بناء وطنهم. هل فعل كل ذلك عن عطف فطري ام عن شعور سياسي؟ كان من صالحه، في الواقع، ان تكون أمّة اليهود مخلصة له إخلاصًا تامًّا، فإنها كانت معقل امبراطوريته المتقدّم تجاه مصر. على كل، فقد رأى اليهود في ذلك زوال الكابوس. وعاد عدد كبير منهم الى «الأرض».

النشاط الأدبي

فقد اليهود كل شيء، ولم يبقَ لهم إلاَّ تقاليدهم. فسينصرفون الى قراءتها بولع.

ووَعَظ حزقيال واشعيا الثاني النبيّان، الأول في اوائل الجلاء، والثاني في أواخره.

وجَمَع الكهنة مجموعات القوانين الموضوعة في اورشليم في أواخر ايام المملكة، وألّفوا «شريعة القداسة» (اح ١٧ – ٢٦). وسيُزاد على هذه الشريعة بعد العودة من الجلاء، فتصبح سفر الأحبار.

وحاول الكهنة ان يسندوا ايمان الشعب ورجاءه، فعادوا به مرة أخرى الى التأمّل في اصوله. هذه القراءة الجديدة للتاريخ معروفة باسم «التقليد الكهنوتي»، وهي الوثيقة الرابعة من وثائق التوراة. وبذلك كمُلت عناصر التوراة، ولم يبقَ إلاَّ أن تُجمع في مؤلَّف واحد. وسيتمّ ذلك في حوالى السنة ٤٠٠.

وأمّا الكارثة والعذاب، وكذلك الاحتكاك بالفكر البابلي والفارسي، فكل ذلك سيحمل حكماء اسرائيل على تعميق تفكيرهم في الوضع البشري، وسيؤدي ذلك، في القرون التابعة للجلاء، الى أعمال كسفر أيوب.

ويمكننا ان نتصوّر بسهولة أيضًا أن صلاة اولئك المؤمنين ستُضفي عليها صبغة جديدة. ولعلَّ بعض المزامير (مثال ١٣٧ او ٤٤ و٨٠ و٨٩) قد نشأت في تلك الحقبة كنداء الى الله الأمين.

وفي أورشليم، صبَّ بعض اليهود الناجين من الجلاء شكواهم في «المراثي» المنسوبة خطأً الى إرميا.

أنبياء الجلاء الى بابل

حزقيال

حزقيال من قافلة المجلوّين الأولى في السنة ٥٩٧ . وفي بابل ، كان كلامه مدة عشر سنوات ككلام ارميا الباقي في اورشليم . فهو ايضًا يلوم شعب الله (حز ٣ - ٢٤) والأمم (٢٥ - ٣٢) على سوء سلوكهم .

وانطلاقًا من السنة ٥٨٧ ، عندما حلّت الكارثة وفقد الشعب كل أمل ، انقلب وعظه الى رسالة رجاء ، قائلاً ان الله سيحيي شعبه (٣٣ - ٣٩) . وكان حزقيال متأكدًا من الأمر حتى انه وصف ، بطريقة مستقبلية ، اورشليم المستقبل ، التي سيغيّر الله وجهها (٤٠ - ٤٨) .

شخصية محيِّرة

حزقيال رجل لا يستطيع ان يعمل شيئًا كما يعمله جميع الناس . يرى رؤًى كالذين سبقوه ، لكن رؤاه مُدهشة : اقرأ ، على سبيل المثل ، رواية دعوته (الفصل ١) . يقوم بحركات نبويّة ، ولكن يكاد يتجاوز حدود الذوق السليم : انظر الى الفصلين ٤ و٥ . وبعض مقاطع من «أمثاله» قد يخجل منها مخفر حَرَس : فلا تقرأ الفصلين ١٦ او ٢٣ !

ولكن حزقيال لا يصل الى الطابع المؤثِّر إلاّ من خلال هذا الخروج عن الحد . واذا أراد ، فهو قادر ان يكون شاعرًا غنائيًا كبيرًا : مثلاً صراخه على رئيس صور (الفصل ٢٨) . قارن بينه وبين تلك ٢ - ٣ . ترَ ان هذين النصّين يستغلاّن بنوع مختلف تقاليد اسطورية واحدة .

أبو اليهودية

ستكون رسالة حزقيال بمثابة أساس لما سُمّي «اليهودية» ، اي الطريقة اليهودية في الحياة امام الله ومع الآخرين ، كما ستُصاغ بعد الجلاء .

يشعر حزقيال شعورًا حيًّا «بقداسة الله» ، وهو يريد ان يُعبِّر عن ذلك بالكيان كلّه ، ولذلك يعلّق أهمية ، بما انه كاهن ، على التوجيهات الطقسية والعبادة .

وبذلك يستوحي من «شريعة القداسة» (اح ١٧ - ٢٦) التي دوَّنها الكهنة في اورشليم بعد الجلاء (راجع الصفحة ٦٨) .

كان ارميا يشدّد على الوجه الباطني من الدين ، وسيغذّي مثاله الاعلى تقوى «مساكين الله» ، مع الخطر ان يصبح الدين روحيًّا صِرفًا . فكان حزقيال يعظ أيضًا بدين باطني ، مع التشديد على وجه مكمِّل ، وهو أن هذا الإيمان لا بدّ ان يُعبَّر عنه بالجسم في رُتب ، مع الخطر ان تُمارَس التوجيهات الطقسية وان يبقى القلب غائبًا عنها .

◄ بعض النصوص من حزقيال

الحضور المقدس لله

كان الله يحضر في هيكله . ولكنّ ناتان اولاً (٢ صم ٧ ، انظر الى الصفحة ٤٢) ، ثم سائر الأنبياء ، كانوا قد شعروا مقدَّمًا بأن الله لا يريد ان يسكن ماديًّا في مكان ما ، بل روحيًا في شعبٍ مؤمن . ويرينا حزقيال على طريقته ، وهو في الجلاء ، أن ذلك قد حُقِّق .

إقرأ بالتتابع : حز ٣/٩ و٤/١٠ - ٥ و٢٢/١١ - ٢٣ ، ثم حز ١ ، وأخيرًا حز ٢٦/٣٧ - ٢٨ و١/٤٣ - ١٢ . عمًّا يريد حزقيال ان يعبّر من خلال هذه الصور غير المألوفة ؟ أين الله حاضر ؟ وكيف؟ (لعلّ لوقا يستوحي من حز ٢٣/١١ ، حين يجعل الصعود في الجبل شرقًا ، في بستان الزيتون) .

انا الراعي الصالح (حز ٣٤ و١٥/٣٧ - ١٨)

من هم رُعاة الشعب؟ كيف كان سلوكهم؟ من سيكون الراعي الصالح؟ سيستوحي يسوع من هذه النصوص (متى ١٠/١٨ - ١٤ ولو ١/١٥ - ٧ ويو ١٠) . من هو الراعي؟ ايّ قوّة وايّ معنى يُضفيهما ذلك على كلام يسوع؟

هاءنذا اجعل كل شيء جديدًا (رؤ ٥/٢١)

حز ١/٣٣ - ١١ و١/٣٧ - ١٤ . الشعب المجلوّ الى بابل قطع الأمل ، وهو كالهياكل القديمة التي تَيبس في الشمس ... بماذا ينبئ الله في رؤيا الفصل ٣٧ ؟ يخلق الله شعبه ثانية بكلمته ويعطيه الحياة بروحه . ماذا يعني ذلك الآن للمسيحيين؟

حز ١٦/٣٦ - ٣٨ و١/٤٧ - ١٢ . ماذا يعمل الروح ؟ من اين ينبثق ؟ في هذا توضيح لـ ار ٣١/٣١ - ٣٤: بأي شيء؟ كيف تساعدنا هذه النصوص على فهم يو ٣٧/٧ - ٣٩ و ٣٤/١٩ او غل ٢٢/٥ - ٢٥؟

أشعيا الثاني. «صوت صارخ» (اش ٤٠ - ٥٥)

أن يكون الانسان محلوًّا ومحتقرًا ومُذَلاً، بعد ان فقد كل شيء، وان يكون عاملاً يدويًا بلا أمل وعاملاً أجنبيًا... وأن يُنشد مع ذلك لله، صانع العجائب، بصوت مقنع يُعيد الرجاء لشعب كامل، هذا، ولا شك، لأمر عجيب! هذا ما فعله تلميذ لأشعيا يستتر وراء رسالته فيسمّي نفسه «صوتَ صارخٍ». ولكن من أين استمدَّ هذه القوّة؟ من ايمانه بالله. لا يزال الله «ذلك الذي أخرجنا من دار العبودية» في ايام الخروج، فبإمكانه أيضًا ان يحرّرنا. وهو قادر على ذلك لأنه وحده «خالق». وسيفعل، لأنه أمين وان حبّه لنا أشدّ من حب الأم.

قبل ان ندرس نصًّا هامًّا، لنُشِر الى بعض المواضيع الرئيسية التي تناولها هذا النبيّ المؤثِّر.

البشرى

ثلاث مرات تدوّي تلك البشرى او الإنجيل، بأن الله سيُقيم مُلكه أخيرًا ويُظهر نفسه مَلِكًا حقيقيًا بالتغلّب على الشر واللاعدالة والعذاب (٤٠/٩ و٤١/٢٧ و٥٢/٧، وراجع ايضًا ٣٥/٣ - ٦ الذي يرقى الى الزمن نفسه). وسيعلن يسوع، بصُنعه المعجزات ومناداته بالتطويبات، أن ذلك قد تمَّ به، فسيكون الفقراء سعداء لانه فقرهم قد قُضي عليه.

رأفة الله (٤٣/١ - ٧ و٤٩/١٤ - ١٦).

لم يُسمع قط أجمل من هذا في إله يحبّنا حبًّا أموميًا.

الخروج الجديد

يظهر لنا التحرير بمظهر خروج اروع من الخروج الأول. انظر على سبيل المثل الى: ٤٠/٣ و٤١/١٧ - ٢٠ و٤٣/١٦ - ٢٣ و٤٤/٢١ - ٢٢ و٤٨/١٧ - ٢٢... وسيفسّر المسيحيون الأولون حياة يسوع المسيح وحياتنا في ضوء الخروج.

«المشيح» قورش

إليك مثلاً عن تفسير التاريخ: استولى قورش على بابل لتوسيع مملكته. وهو يفسّر ذلك كنداء من الإله مردوك البابلي (راجع النص المحاط بإطار). أمّا أشعيا فإنه يرى أن إله اسرائيل هو الذي دعا قورش و«مسحَه» (٤١/١ - ٥ و٢٥ و٢٩ و٤٢/٥ - ٧ و٤٤/٢٧ - ٢٨ و٤٥/١ - ٦ و١١ - ١٣). فالايمان - والايمان وحده - يُشعرنا بوجود معنى في الأحداث.

◄ عبدالله (اش ٥٢/١٣ - ٥٣/١٢)

هذا النص ذروة الرسالة. تفسيره موضوع نقاش. ابدأ بالبحث عن الذين يتكلّمون:

- الله يُخبر بالمجد المدّخر لعبده (٥٢/١٣ - ١٥).
- والأمم التي اضطهدت هذا العبد تتعجَّب وتعترف بخطإها (٥٣/١ - ٦).
- والنبي يتأمّل في مصير هذا العبد، الضحيّة البريئة والمحكوم عليه بالموت... ٥٣/٧ - ٩.

ثم يصلّي فيقول:

«يا رب، لِيُرضِكَ مسحوقًا بالآلام، واجعل نفسه ذبيحة تكفيرٍ ولْيَرَ ذرّيّة وتطُل أيّامه ولْتنجحْ عن يده مرضاة الرب».

- والله يستجيب هذه الصلاة (٥٣/١١ - ١٢).

لا شكَّ ان هذا العبد هو تجسيد لشعب اسرائيل المُذلَّل والمحتقَر والمحكوم عليه بالموت. انقضّت عليه المصائب ولم يعد قادرًا على اي شيء، إلاَّ على ان يُعطيها معنى (راجع: «ان الله سيعاقبكم» في الصفحة ٦٣).

كيف تحوَّل وضع العبد هذا والذي هو وضع موت؟ ما هي نتيجته الأخيرة؟ ولماذا؟ (أنظر الى الوَجهَين: موقف العبد وعمل الله).

سيُفيد هذا العبد المسيحيين الأولين كثيرًا في فهم شخصية يسوع. كيف يساعدك ذلك على اكتشاف

- معنى مهمة المسيح؟
- معنى موته عن الكثيرين (مر ١٠/٤٥ وروم ٤/٢٥ وروايات العشاء السرّي: متى ٢٦/٢٨ ومر ولو)؟
- معنى سر الفصح؟ إقرأ فل ٢/٦ - ١١

كيف من شأن كل ذلك ان يعطي معنى لحياتنا؟

اسطوانة قورش

في اسطوانة من طين عُثر عليها في بابل، يعرض قورش تفسيره للأحداث:

«ان مردوك، سيّد بابل العظيم وحارس اهلها، نظر بسرور الى اعمال قورش الصالحة والى قلبه المستقيم، فأمره بالذهاب الى مدينته بابل. سيّره على طريق بابل وما زال يمشي الى جانبه كصديق ورفيق... وأدخله الى بابل بلا قتال ولا معركة...».

سفر الأحبار

كتاب رائع مليء بالتحريمات الجنسية والدم! يتطلّب الخوض فيه شيئًا من الجرأة: فهناك التكرارات المتواصلة والنغمة المملّة والقواعد الدقيقة الغريبة: كلّ شيء فيه يوقعنا في حيرة. ومع ذلك...

لا بدّ من الرُتَب...

لأننا جسديّون، فنعبّر عن مشاعرنا بحركات حسّية. أنظر الى ربّةِ البيت تحضّر لوازم المائدة: كل شيء اصطلاحي ومدوَّن، ومع ذلك فبهذا تعبّر لأصدقائها عن سرورها باستقبالهم. ولكنّ في الرتب خَطَرًا مُحتملاً: فقد لا تتمّ طريقة خادم المطعم في توزيع لوازم المائدة إلاّ عن لامبالاة كليّة.

حين نستعدّ لملاقاة الله، لا بدّ من الرُتَب. في ذلك، كما كان يقول الثعلب للأمير الصغير، نوع من «ارتداء القلب». كانت ملاقاة الله، في نظر اولئك المؤمنين الاسرائيليين، القضية الكبرى، القضية المقبولة الوحيدة. فالدقّة في الرتب كانت عندهم طريقة في التعبير عن شعورهم بالعيش في حضرة الله القدوس.

المقدّس والكهنوت والذبيحة

المقدّس في جميع الأديان هو نِطاق الإلَه. وهو منفصل تمامًا عن الدنيوي. ولإسرائيل نصيب كبير من هذه العقلية. فالله هو القدّوس، اي «الآخر».

ومن جهة أخرى، كان اسرائيل يشعر شعورًا مُرهفًا بأن الانسان لا وجود له إلاّ اذا كان على صلة بالآخرين ولا سيّمَا بالله – ولكن كيف يجتاز الفاصل بين الله القدوس والانسان؟

هذه مهمّة الكاهن. وعليه، للقيام بهذه المهمّة، ان يدخل في دائرة المقدّس. ويتمّ ذلك بالتقديس الذي هو انفصال: انفصال عن الشعب للانصراف الى العبادة، انفصال عن الدنيوي وعن النشاطات اليومية للدخول الى الهيكل، وذروة نشاطه هي الذبيحة. هذه الكلمة لا تعني «الحرمان»، بل التحوّل. ما يقدّمه الكاهن ينتقل الى نطاق الله. وبالمقابلة، يستطيع الكاهن ان ينقل الى الشعب عطايا الله: الغفران والأوامر والبركات.

سيتغيّر هذا المفهوم تمامًا مع يسوع المسيح. فبه يُصبح المقدس دنيويًا، اذ لم يعد هناك تمييز بينهما، بل به يصبح كل شيء مقدّسًا. وهو الكاهن الوحيد والوسيط الكامل، وذبيحته هي الذبيحة الوحيدة (ستتوسّع الرسالة الى العبرانيين في هذا الوجه). ولكنّ في الكنيسة نزعةً دائمة الى التعبير عن الذبيحة وعن خدمة الكهنة بالعودة الى تصميم العهد القديم: وهذ ما قد يفسّر كثيرًا من المصاعب الحالية حول الكهنوت في الكنيسة الكاثوليكية.

«كونوا قديسين لاني انا قدّوس»

ينتمي كثير من التوجيهات الطقسية الوارد ذكرها في سفر الاحبار الى ثقافة لم تعد ثقافتنا، ويُعدّ تطبيقها اليوم تفسيرًا خاطئًا. ولكن ما تعبّر عنه لا يزال أمرًا جوهريًا، وهو ان الله حاضر وأننا نعيش أمامه. لا ينقطع ذكر الله (اكثر من ٣٥٠ مرّة)، وأمّا عبارة «أمامه» فإنها تتكرّر كاللازمة (اكثر من ٥٠ مرّة). إقرأ الفصل ١٩: سبب واحد يبرّر جميع الأحكام، من محبّة القريب (الآية ١٨) الى انصاف الأجير (الآية ١٣) مرورًا بجميع مواقف الحياة اليومية: «انا الربّ إلهكم». ففي محبته لله يشعر المؤمن بالطريقة التي يجب بها عليه ان يعيش في الدنيا ومع الآخرين.

هذا الاله هو الاله القدوس، اي الذي يختلف عنّا كل الاختلاف. انه الاله الحيّ، انه الحياة. وفي ذلك سبب الاحترام الغامض الذي يدعو اليه الدم والأمور الجنسية.

«الدم هو الحياة» (اح ١١/١٧ و١٤)

الدم مقدّس لأنه الحياة، تلك الحياة الآتية من الله والسارية في عروقنا. فلا يجوز سفك دم بشري، ولا يجوز شرب دم حيوان (ولا سيّمَا دم انسان)، لأن في ذلك زعمًا لأن يستطيع الانسان أن يزيد على حياته بنفسه، ويجهل ان الله هو وحده سيّد الحياة. فليست المسألة مسألة مطبخية، (عدم الأكل من سُجُق الدم)، بل مسألة احترام الحياة. أمّا تقدمة الدم في الذبائح فهي بالعكس نوع من الاعتراف بعطية الحياة التي يمنحنا الله ايّاها.

ففي هذه الذبائح ، لا تُقرَّب الضحيّة – وقد أمست جثّة – بل الدم الحيّ ، اي حياة الضحية. علينا ان نتعوّد ان نستبدل عقليًا عبارة «الحياة المقرّبة» بكلمة «الدم» ، فبذلك تصبح نصوص سفر الاحبار او الرسالة الى العبرانيين شديدة الايحاء.

هذا شأن جميع الموانع الجنسية. فوراء تلك التحريمات (وهي موجودة) ، هناك أمر يبرر قبل كل شيء طابعها المقدس ، وهو الشعور المرهف بأننا بالأمور الجنسية نشارك في الحياة الصادرة عن الله.

تأليف سفر الأحبار

وُضع كتاب القداسة (اح ١٧ – ٢٦) في اورشليم قبل الجلاء. حين أُلّف سفر تثنية الاشتراع الآتي من الشمال والمركّز على العهد والاختيار من قِبَل الله ، أراد كهنة اورشليم تدوين العادات الممارسة في الهيكل والمركّزة كلها على العبادة. ليذكّروا بأن الله قدوس يسمو على كل شيء.

أمّا شريعة الذبائح (اح ١ – ٧) وشريعة الطهارة (اح ١١ – ١٦) فقد وُضعتا بعد الجلاء ، وكذلك «شريعة الاعياد» (عدد ٢٨ – ٢٩).

بعض النصوص من سفر الاحبار

قد لا تستطيع قراءة الكتاب بكامله ، ولكنك تخسر ان جهلت بعض النصوص.

أح ١/١٩ – ١٧ : ان قداسة الله هي مصدر المحبة الأخوية والحياة في المجتمع.

أح ٢٣ يذكّرك كيف كانوا يقدّسون الوقت بالاحتفال بالسبت وبالأعياد الكبرى.

أح ١٦ يتناول موضوع «يوم الغفران» ، وهو اليوم الوحيد الذي كان عظيم الكهنة يدخل فيه الى الهيكل لنيل غفران الخطايا. وسيستعين صاحب الرسالة الى العبرانيين بهذه الخدمة الطقسية للتعبير عن ذبيحة المسيح. وفي هذا الفصل ذكر لعادة قديمة ، فيها شيء من السحر ، وهي عادة «كَبْش الفداء».

وأخيرًا ان أردتَ ان تتبيَّن ما هي أنواع الذبائح ، فاقرأ اح ١ – ٧.

نَجِس ام مقدَّس

الطاهر والنجس هما عندنا مفهومان أخلاقيان.

أمّا في الكتاب المقدّس ، كما هو الأمر في جميع الأديان. فهما مفهومان قريبان جدًا من مفهوم «المحرّم» او «المقدّس». فالانسان «نَجِس» ان اتّصل بقوّة خفيّة قد تكون صالحة او شريرة. فلا بدّ من ممارسة رتبة «تَطهّر». وتنجّي من عدوى تلك القوة.

هناك بعض الأمراض التي قد تنجّس الانسان. لأنهم كانوا يعتقدون بأنّه يقع بذلك تحت تأثير الشياطين.

وبالعكس فان الاتصال بالله قد «ينجّس». في بعض الكتب الطقسية نقرأ هذا التوجيه : «بعد التناول. يقوم الكاهن بتطهير الكأس». أترى أصبحت هذه الكأس «دنسة» (بالمعنى الأخلاقي) لأنّها احتوت دم المسيح؟ لا ، بل انها أصبحت «مقدّسة» لأنها دخلت في نطاق الله. فكان «تطهيرها» رتبة نَزْع قُدسية» تمكّن من استعمالها مرّة ثانية استعمالاً دنيويًا. وعلى المرأة التي وَضعت أن «تتطهّر» ، فلعلّنا هنا ايضًا أمام رتبة «نَزْع قدسيّة» : بما انها بالولادة قد اتّصلت بالله مصدر الحياة. فعليها ان تخضع لرتبة لتتمكّن ان تعيش ثانية في الوجود الدنيوي.

ان مسألة الطاهر والنجس هذه مسألة معقّدة وموضوع نقاش بين أهل الاختصاص. تبسيطها يؤدي الى تشويهها. إليك على الأقل بعض النقاط :

• كثيرًا ما يخلو مفهوما الطاهر والنجس من الطابع الأخلاقي. ويقاربان بالأحرى مفهوم المحرّم او المقدس.

• ومع ذلك ففي بعض الاحيان يُضفى على هاتين الكلمتين معنى أخلاقي.

• عدم التمييز بين مَعنَيَي هاتين الكلمتين هو الذي أدّى جزئيًا. ولا شك. الى الحطّ من قيمة الأمور الجنسية. فحيثما كان الكتاب المقدس يتكلّم على النجاسة بمعنى «المقدّس» ، فهمنا هذا الدنس بالمعنى «الأخلاقي».

التاريخ الكهنوتي

بعد أن جُلي الشعب، فقد جميع مقوّماته كشعب، وأمسى مهدَّدًا بالانصهار والزوال. كما كان شأن اسرائيل الشمال الذي جُلي الى أشور قبل ذلك بقرن ونصف. من الذي يمكّنه من الصمود في المحنة؟ هم بعض الأنبياء كالكاهن حزقيال وأشعيا الثاني، ولا سيما الكهنة - كان الكهنة يشكّلون في اورشليم فريقًا قويًا منظّمًا راسخ التقوى. سيكونون هم سند ايمان المجلوّين وسينجحون في تكييف الدين على الوضع المتأزّم ويؤمّنون له مصيرًا جديدًا.

سيكتشفون صيَغًا جديدة للممارسة او يُضفون عليها قيمة جديدة. وستُعطى الأوّلية للسبت لتقديس الوقت وللختان للدلالة على انتماء الشعب (راجع الصفحة ٦٤) وستحلّ المجامع، حيث يصلون ويتأمّلون في كلمة الله، محل الذبائح: ومن هنا نشأ ما سيسمّى في وقت لاحق العبادة المجمعية.

التاريخ الكهنوتي - يُدل عليه بالحرف ك - سينشأ في هذا الإطار. كانوا يعيدون قراءة التاريخ الماضي ليكتشفوا جوابًا على مسائل مُقلقة: لماذا صَمَتَ الله هذا؟ كيف الايمان بالله في هذا العالم البابلي الذي يكرم الاله مردوك كخالق؟ ما هو محلّ سائر الأديان في التدبير الإلهي؟ فهذا التقليد يدعونا الى مواصلة تفكيره والى البحث كيف علينا اليوم، في وضع جديد، ان نعيش ايماننا ونجيب عن أسئلة العالم. الوعد الإلهي لا يزال قائمًا فلا بدّ من العمل على تحقيقه.

بعض ميزات الكهنوتي

الإنشاء ناشف. فالكهنوتي ليس براوية. انه يحب الأرقام والاحصاءات. وكثيرًا ما يكرّر الأمور نفسها: «قال الله... صنع الله...». مثلاً: عبور البحر (راجع الصفحة ٢٦) وخلق العالم (تك ١) وبناء المقدس (خر ٢٥ - ٣١ و٣٥ - ٤٠).

المفردات فنّيّة وطقسية في أغلب الأحيان.

الأنساب كثيرة، وهي مهمّة في نظر شعب مجلوّ ومغترب. فانها توَصّله في تاريخ وتربط هذا التاريخ بتاريخ خلق العالم (تك ٤/٢ و١/٥ وعدد ١/٣...).

العبادة أساسية، نظّمها موسى وسيهتمّ هارون وخلفاؤه بتأمينها عن طريق الحج والاعياد والذبائح وخدمة الهيكل وهو المكان المقدس الذي يحضر الله فيه. والكهنوت هو المؤسسة الجوهرية التي تؤمّن حياة الشعب. يحلّ الكهنوت محلّ المَلِك والنبي اللذين نجدهما عند اليهوي والايلوهي.

الشرائع ترد عادة في داخل الروايات. فهي ترتبط هكذا بأحداث تاريخية تعطيها معناها. مثلاً: شريعة الخصوبة (تك ١/٩) في رواية الطوفان، وشريعة الفصح (خر ١/١٢ ت) المرتبطة بالضربة العاشرة...

فالنصوص الكهنوتية اكثر النصوص ظهورًا في التوراة، بسبب جميع هذه العلامات المميّزة.

◄ نصّ أساسي (تك ٢٨/١)

«باركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلّطوا على اسماك البحرِ وطيور السماء وكل حيوان يدبّ على الأرض».

هذه بركة مدهشة تعبر عن ايمان الكهنة المجلوّين. والأفعال الخمسة تناقض تمامًا وضعهم الحالي. انها تعبر عن إرادة الاله الخالق، وستتمّ هذه الإرادة يومًا ما وتضع حدًا للشرّ والجلاء.

يمكنك ان ترى كيف ان هذه البركة تلازم سفر التكوين، مُضفيةً على الأحداث المروية طابعًا جديدًا: تك ١٧/٨ و١/٩ - ٧ (الطوفان) و٢٠/١٧ (ابراهيم) و١/٢٨ - ٤ و١١/٣٥ (يعقوب) و٢٧/٤٧ (يوسف). وفي خر ٧/١ لم تعد مجرد وعد، بل أصبحت حقيقة تستمرّ طوال التاريخ.

نظرة خاطفة الى التاريخ الكهنوتي

على مثال التقليد اليهوي، يمتدّ التاريخ الكهنوتي من خلق العالم الى وفاة موسى (تك ٧/٢٤). سندرس في الصفحة التالية رواية خلق العالم. أمّا الآن فستقرأ بعض النصوص.

العهد مع نوح والطوفان (تك ٦ – ٩)

يختلط التقليدان اليهوي والكهنوتي في رواية الطوفان الحالية. وكلاهما يتبعان عن كثب رواية الطوفان الاسطورية التي ترويها ملحمة جلجامش. يشدّد الكهنوتي على بناء تابوت العهد الذي شيِّد من ثلاثة طوابق كما في هيكل سليمان. ففي المقدس يجد الانسان الخلاص (١٦/٦).

تنتهي هذه الرواية بالعهد مع نوح وذريته ومع الأرض كلها (٩/٨-١٧): فإله اسرائيل هو هكذا اله الجميع وعهده يعني جميع الناس. فجميع الأمم تحتلّ مكانًا في التدبير الإلهي.

ولكن، هل لإسرائيل مكان خاص؟

العهد مع ابراهيم (تك ١٧)

ترتبط شريعة الختان برواية هي عبارة عن اربع خطب لله. حاول ان ترى كيف يتقدّم الفكر من خطبة الى خطبة. ماذا يطلب الله من ابراهيم؟ يطلب منه ان يسير في حضرته (تذكّر سفر الأحبار) وان يكون كاملاً وبلا عيب ولا نقص كالتقدمة المعَدَّة للذبيحة (خر ١٢/٥ واح ٣/١). ويصبح الختان علامة الشعب المميّزة (قارن بين هذا النص وتك ١٥ في الصفحة ٦٠).

شعر اسرائيل، وهو في الجلاء، بأنّه خطئ وفسخ العهد الثاني الذي قُطع في جبل سيناء. وبحكم ما ورد في هذا العهد، فمن الطبيعي ان يكون الله قد خذَله... والمؤلِّفون، كما سنرى، يتوقّفون قليلاً على ما جرى في جبل سيناء فيرقون الى العهد مع ابراهيم. والمقصود هنا هو وعد لم يلتزم به إلاّ الله. فأيًّا كانت خطايا اسرائيل، يمكنه (ويمكننا بعده) ان يلجأ الى ذلك الوعد.

يهتمّ هذا التقليد بقطعة الأرض التي اشتراها ابراهيم في حبرون ليدفن سارة (تك ٢٣). وهذا أمر هام في نظر أناس مجلوّين. ذلك بأن جدّهم سبق ان اشترى قطعة أرض وأنه دُفن فيها (٢٥/٩). فلهم حقوق في تلك الأرض!

الخروج

يشدّد اولئك المجلوّون على قساوة العبودية في مصر (خر ١/١٣ – ١٤ و٢/٢٣ – ٢٤) وعلى وعد الله لإبراهيم (خر ٦ : دعوة موسى). ويذكّر هؤلاء الكهنة بطريقة الاحتفال بهذا التحرير: فالعبادة تجعل عمل الرب المحرِّر حاضرًا لكل جيل (خر ١٢/١ – ٢٠). ويصبح عبور البحر عملاً من اعمال قدرة الله الخالق (راجع الصفحة ٢٦)، وفي إمكان الله ان يجدّده في سبيل شعبه المجلوّ. وترتبط شريعة السبت بعطية المَنّ (خر ١٦). فلا خوف على الشعب ان وقف عن العمل في ذلك اليوم، لأن الله لن يدعه يموت جوعًا!

العهد في جبل سيناء

كان هذا العهد أهم من أن يُهمله المجلوّون. ولكنهم حوّلوا معناه. فليس هناك بت عهد (كما الأمر هو عند اليهوي والايلوهي: خر ٢٤). بل يكتفي الله ويبشّر بأنه سيجعل من اسرائيل مملكة كهنة وأُمّة مقدّسة (خر ١٩/٥ – ٦). لا يحكم في اسرائيل ملوك كما في سائر الأمم، بل كهنة.

ولا يعطي الله شعبه شريعة، بل أوامر لبناء مقدس (خر ٢٥ – ٢٧) واقامة كهنة (خر ٢٨ – ٢٩) والعبادة. الشريعة الوحيدة هي شريعة السبت (خر ٣١/١٢ – ١٧).

وأمام فشل عهد سيناء، كانوا يلتفتون الى وعد الله لإبراهيم. والمؤسسة الموكل اليها بتذكير الشعب بخطيئته وغفران الله هي الكهنوت.

حضور الله المقدس (خر ٢٥/١٠ – ٢٢ و٤٠/٣٤ – ٣٨).

في هذه الفصول الاجمالية خر ٢٥ – ٣١ و٣٥ – ٤٠، لا بدّ من قراءة أولها وآخرها على الأقل. «يصنعون لي مقدسًا لأسكن بينهم» (٢٥/٨). فالنص يركّزنا على «الكفّارة» (صفيحة ذهب تغطّي تابوت العهد) وعلى ذلك المكان الفارغ بين الكفّارة والكروبَين: هناك يحضر الله لشعبه، وعلى هذه الكفّارة يرشّ عظيم الكهنة الدم مرّة في السنة فينال غفران الله (اح ١٦).

ولكي يعبّر بولس عن كون المسيح حضورًا حقيقيًا لله وأن دمه يمنحنا الغفران، سيكتب: «جعله الله كفّارةً في دمه...» (روم ٣/٢٥).

يمكنك، لدرس هذا النص المعروف، ان تستعين بعلبة ادوات العمل الوارد ذكرها في الصفحة ١٤.

ستجد في هاتين الصفحتين بعض المبادئ للإجابة عن الأسئلة مرتَّبةً بحسب ترتيب الأسئلة. فلا تقرأها الآن ان حاولت الإجابة عن جميع اسئلة الصفحة ١٤. لن تحتاج الى قراءتها وتكون قد وجدت كل شيء بنفسك.

خذ اذًا علبة ادوات العمل هذه وكتابك المقدس.

بعد الفراغ من الدرس، يمكنك، ان شئت، ان تقرأ ما يلي، من الكلمات والعبارات المتكرّرة:

• الله يقول: عشر مرّات. تذكّر هذه الكلمات العشر بالوصايا العشر. فالله يخلق العالم كما خلق شعبه في سيناء.

• الله يعمل (افعال مختلفة). وهذا التعارض بين الخلق بالكلام والخلق بالعمل قد يدل على رواية سابقة مزدوجة او على الانشاء الذي يتّسم به الكهنوتي عادة.

• «كان مساء...». خلق العالم موزَّع على ستة ايام للوصول الى السبت. فنحن اذًا أمام تنظيم طقسي (لا علمي) لتركيز أهمية السبت.

زمن تأليف هذا النص: نحن في الجلاء، وكثيرًا ما ننسى هذا الأمر، مع انه يساهم في إعطاء النص معناه التام كفعل ايمان. يبدو لأول وهلة نوعًا من الشعر ومن الانفلات من الواقع: «العالم كله جميل...». والحال ان المؤلف يكتب في الجلاء، في عالم محطَّم. فهو يؤكِّد، وراء الاحتقار والشر والألم، ايمانه بإله يريد عالمًا جميلاً عادلاً.

هناك عبارات او حقائق كان لها معنى خاص في ذلك الزمن.

سبق ان رأينا ما أهمَّ السبت في نظر المجلوّين والتشديد على ان الله نفسه حفظه يضفي عليه طابعًا مقدسًا.

لا تُذكر الشمس والقمر، بل «النيِّران». هذه الكلمة من مصطلحات العبادة عند الكهنة، وهي تدلّ على السراجين المضائين في الهيكل (خر ٦/٢٥ و ٢٠/٢٧...) فليست الشمس والقمر إلهين كما الحال هو في بابل، بل هما علامتان تدلاّن على حضور (كشمعة القربان المقدس عند الكاثوليك) وعلى أوقات الأعياد. فاذا كان هيكل اورشليم قد دُمِّر، فالكون كله هيكل الله!

من المفيد ان نقارن بين هذا النص والروايات الأسطورية البابلية. فالله في هذا النص لا يخلق من لا شيء، بل يخلق بفصل الأشياء بعضها عن بعض. ويتناول الكاتب الاسطورة القديمة التي كانت معروفة في بابل وفي مصر: أعِد قراءة نصوص الصفحة١٩. تذكَّر الكلمة العبرية «تيهوم» بالكلمة البابلية «تيامات». إلاَّ أنه لا أثر هنا لِصِراع، فالله هو الإله الأوحد.

يمكننا المقارنة بين هذا النص ونصوصٍ كتابية أخرى، ولكننا نكتفي بنصَّين.

١. خلق العالم في التقليدين الكهنوتي (تك ١) واليهوي (تك ٢)

• يختلف «العِلم» الكامن في هاتين الروايتين. فالأرض تظهر في تك ٢ بمظهر واحة في وسط الصحراء. أمَّا هنا، فهي جزيرة في وسط المياه. والله يجري عدّة عمليات فَصْل فيُظْهر اليبس ليجعل الانسان فيه.

• في تك ٢، يُخلق الرجل أولاً ليفلح الأرض، ثم تأتي المرأة. أما هنا، فالانسان (الرجل والمرأة) يُخلق في آخر الأمر. وهذه طريقة أخرى في إظهار كرامة الانسان. في موكب طقسي يمشي الأول رتبةً آخر الكل. والمخلوق هو الانسان، ثم يُضاف أنه ذكر وأنثى.

٢. خلق العالم وعبور البحر (خر ١٤)

لقد لاحظنا، في درس خر ١٤ (الصفحة ٢٦)، وجوه الشبه بين هذين النصَّين: فالله يتكلّم ويعمل (مباشرة او بواسطة موسى). ويفصل بين المياه لكي يَظهر اليبس. فالكاتب يُظهر التحرير كعملٍ من اعمال قدرة الله الخالق ويُظهر خلق العالم كعمل من أعمال الله المحرِّر الذي يريد أن **تكون جميع الشعوب والبشرية كلها حرَّة، لا شعب واحد فقط هو اسرائيل.**

لِنعدْ، بطريقة أكثر تلخيصًا، الى بعض وجوه هذه النصوص.

قصيدة طقسية

يجب ألاَّ نبحث هنا عن تعليم تاريخي او علمي، فنحن امام قصيدة تعبّر عن ايمان كهنة بإلههم ايمانًا مُدهشًا. فالعالم يُخلق في ستة أيام لتبرير شريعة السبت. ولهذا السبت معنيان: إنه زمن يحفظ فيه الله السبت، اي ينقطع عن العمل. وبذلك يكون اليوم السابع زمن التاريخ البشري، ذلك الزمن الذي يُعطى للانسان لكي يعمل ويواصل خلق العالم. بعد ذلك يأتي «اليوم الثامن»، يوم الختام. ولكننا نحتفل بهذا السبت بالانقطاع عن العمل، لنقدّس الزمن ونُهدي لله عملنا الانساني.

من الإله المحرِّر الى الإله الخالق

ان الإله الذي اكتشفه اسرائيل اولاً هو الاله الذي حرَّره من عبودية مصر وهو إله يعمل في التاريخ. والى هذا الإله يلتفت مجلوّو بابل مرّة ثانية راجين تحريرًا جديدًا. ولكن هذا الإله قادر على العمل في التاريخ لأنه خلق التاريخ، وهذا ما عبَّر عنه أشعيا بقوّة.

الانسان على صورة الله

بأي شيء يكون الانسان صورة الله؟ يشدّد النص على وَجهَين:

خُلق الإنسان خالقًا. فالانسان، بتسلّطه على العالم وبعلمه، يُظهر سلطان الله. فهو مكلَّف اذًا بتنظيم الكون وبجعله صالحًا للسكن. إنه مسؤول عنه.

الانسان صلة حب. لا يمكن ان تكون صورة الله المحبة فردًا متوحِّدًا، بل هما زوجان، رجل وامرأة، يحبّ الواحد الآخر ويثمر حبّهما حياةً. علينا ان ننتظر الوحي الذي اتى به يسوع لنكتشف كل ما توحيه هذه الصورة من سِرّ الله. ولكنّ الزوجين إنما هما سرُّ ذلك الإله الثالوث.

إله لا اسم له...

من سمَّى أحدًا كان له عليه شيء من السلطان. ومن أطلق اسمًا اعطى شيئًا من نفسه. ولذلك فليس لله اسمُ علَم (راجع تك ٢٣/٣٢ – ٣٣: يرفض الله الإدلاء باسمه).

ايل. ايلوهيم. الطريقة الأولى في تسميته هي استعمال اسم الجنس «إيل» (إله). منذ الألف الثالث كان ساميّون يسمّون إلههم الرئيسي: الإله. والمسلمون قد حافظوا على هذا الاستعمال. فكلمة «الله» مشتقة من «الإله». فكان اليهود يقولون: ايل ابراهيم واسحق... وفي ذلك تعليم أوَّل. وهو ان الله هو الذي لا يُعرف. ولا يستطيع الانسان ان يكتشف شيئًا منه إلاَّ من خلال ما هو في الذين يعبدونه. فهو إله ابراهيم ويسوع وهذا وتلك... وأمّا صيغة الجمع «ايلوهيم» فهي تدلّ على الجلال الإلهي.

يهوه. يبدو ان اللّٰه يدلي باسمه لموسى (راجع الصفحة ٥٣). في الواقع، ليس هو اسمًا بقدر ما هو دليل على حضور. مع العلم بأننا لا نعرف كيف نلفظ هذه الكلمة. ذلك بأن اليهود كانوا يمتنعون عن لفظ اسم الله احترامًا له. فكانوا يكتبون أحرفه الأربعة. ويقرأون: «أدوناي»، اي الربّ. فوضع المسّوريون (راجع الصفحة ٧) حركات «ادوناي» على أحرف «يهوه» فأصبحت «يَهُوَه».

وأمّا الترجمة السبعينية (الكتاب المقدس اليوناني) فقد ترجمت الأحرف الأربعة بـ«كيريوس»، الربّ. وهكذا فعل المسيحيون الأوّلون. وهكذا يجدر بنا ان نفعل مراعاة لشعور اليهود.

٦. اسرائيل تحت سيطرة الفُرس
(٥٣٨ – ٣٣٣)



حرس ملكي فارسي.
سوس (القرن الخامس)

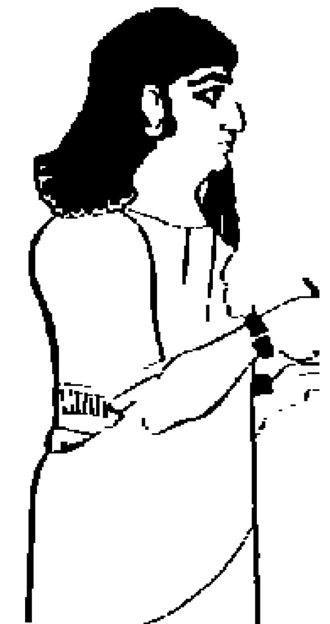
٥٣٨ : صدر منشور قورش يأذن لليهود في العودة الى أرض الأجداد وفي إعادة بناء الهيكل (راجع هذا المنشور في عز ١/٢ – ٤). يتفق هذا المنشور مع روح التسامح عند قورش. ولكنه يتفق ايضًا مع مشروعه السياسي. اذ لا بدّ لأورشليم. وهي حصن الامبراطورية الأخير تجاه مصر. ان تكون مخلصة.

بقي اليهود مدَّة قرنين جزءًا من الامبراطورية الفارسية. وكان ملوكها ذوي إقدام، بينما كان نجم الدولة اليونانية يطلع في الأفق. إليك بعض النقاط لهذا التاريخ المضطرب.

الامبراطورية الفارسية

بعد الاستيلاء على بابل، واصل قورش فتوحاته نحو الشرق، ومات هناك في السنة ٥٣٠. واستولى ابنه كمبيز على مصر، ولكنه فشل في الحبش.

كان مُلك داريوس الأول طويلاً (٥٢٢ – ٤٨٦) فتسنّى له ان ينظّم امبراطوريته الواسعة. قسّمها الى عشرين اقليمًا وجعل على رأس كل منها واليًا ومستشارًا وقائدًا. فُرضت على الأقاليم ضرائب باهظة. وانشأ شبكة طرق ممتازة، منها «الطريق المَلَكي» الذي يربط سوس بأفسس على البحر المتوسط. واستولى على طراقيا ومقدونية في شمال اليونان، ولكنه فشل في مراتون (٤٩٠).



اشوري.
جداري اشوري.
، الثامن)

وانهزم احشورش الاول امام الاغريق في سلامين (٤٨٠) ووجب أولاً على ارتحشِشتا (٤٦٤ – ٤٢٤) ان يُقِرَّ السلام في مصر بعد تمرّدها. وأُرسل نحميا اليهودي. وهو موظَّف مَلَكي في بلاط الملك الفارسي. الى اورشليم. وأصبح اليهود محافظة مستقلة، بعد أن كانوا خاضعين للسامرة.

وعرفت اليونان في ذلك الزمان عصرها الذهبي – «عصر بيريكلس» في الفن (البارثينون) والأدب (سوفوكليس واوريبيدس) والفلسفة (سُقراط وأفلاطون)...

وَجَب على داريوس الثاني (٤٢٤ – ٤٠٤) ان يحارب في مصر. وكان في اليفانتين، بالقرب من سدّ أسوان الحالي، جالية من العسكريين اليهود لها هيكل باسم الاله ياهو. من مراسلتها لسلطات اورشليم والبلاط الفارسي نعرف شيئًا عن ديانتها.

لمَّا مَلَك أرتحششتا الثاني (٤٠٤ – ٣٥٩)، استعادت مصر استقلالها. فاستعادت اورشليم مركزها كحصن متقدّم. وفي السنة ٣٩٨، أرسل الملك اليها عزرا. فحاول عزرا ان يعيد السلام بين اليهود والسامريين، مع العلم بأنهم سيتمتّعون بأحوال شخصية خاصة في الامبراطورية، ذلك بأنه يُفرض عليهم ان يخضعوا «لشريعة اله السماء» (عز ٧/٢١). بقيادة عظيم الكهنة. إلاَّ ان تلك الوحدة بين اليهود والسامريين لن تدوم اكثر من عشرين سنة.

وجب على الملوك الفُرس الأخيرين ان يقاوموا عصيان بعض الأقاليم، قبل ان تذهب بهم دولة جديدة، دولة مقدونية. ففي السنة ٣٣٨، نجح فيليب المقدوني في إعادة الوحدة الاغريقية لصالحه. وفي السنة ٣٣٦ ابتدأ عصر تاريخي جديد، بعد ان تسلّم ابنه الاسكندر زمام السلطة.

العودة من الجلاء

وضع قورش حدًا لخمسين سنة من الجلاء في بابل. يبلغ عدد اليهود الذين عادوا الى أرضهم، على مرحلتين رئيسيتين، خمسين ألفًا.

ففي السنة ٥٣٨، رحلت قافلة أولى بقيادة شيشبَصَر، وكان فيها كثير من الكهنة وقليل من اللاويين وكثير من «المُعطَين» من عبيد وخدم الهيكل (عز ٢/٤٣). أمَّا الذين كانوا أقلّ تمسُّكًا بالدين وتحسّنت اوضاعهم المادية في بابل. فقد فضّلوا البقاء هناك.

كان الاستقرار ثانية في يهوذا من الأمور العسيرة. فقد كانت أرض يهوذا تخضع للسامريين (راجع الصفحة ٤٥) وكان السامريون ينظرون شزرًا الى اولئك الملاّكين السابقين الذين يطالبون بأرض أقاموا هم فيها. أراد السامريون ان يساهموا في إعادة بناء الهيكل. لكن اليهود رفضوا لأن دينهم غير طاهر. وبالعكس. فقد قاوم السامريون مشروع إعادة بناء أسوار اورشليم. كل هذه المصاعب، ويُضاف اليها الجفاف وقلة المال. حالت دون مواصلة اعمال بناء الهيكل. في مدّة هذه السنوات. ولا شك، وعظ تلميذ من تلاميذ أشعيا، يُسمّى أشعيا الثالث.

وفي السنة ٥٢٠، وعلى عهد داريوس، قدمت من بابل قافلة جديدة. بقيادة الأمير زربابل وعظيم الكهنة يشوع. وتحت إشرافهما وبتأييد من حجّاي وزكريّا النبيّين، تمّ أخيرًا إعادة بناء الهيكل في ٥١٥.

٥١٥ : عصر الهيكل الثاني

بعد خمس سنوات من بذل الجهود، تمّ بناء الهيكل ثانية. ولكن الأقدمين، الذين عرفوا ما كان عليه هيكل سليمان من بهاء. لم يتمكّنوا من إمساك دموعهم، لرؤيتهم ذلك الهيكل الهزيل (عز ٣/١٠ – ١٣ وحج ٢/٣). على كل، لا بأس في ذلك، بما أن الهيكل أصبح حقيقة. وقد أضاف عليه هيرودس وجمّله من السنة ١٩ ق.م. الى السنة ٦٤ ب.م.، قبل ان يدمّره الرومانيون في السنة ٧٠.

احفظ العبارة «الهيكل الثاني». انها تدلّ على مبنى اقلّ مما تدل على حقبة من الزمن، على الحقبة التي تمتدّ من العودة من الجلاء الى السنة ٧٠ من عصرنا. هذا هو زمن اليهودية، او زمن الدين اليهودي.

إن البعثتين اللتين قام بهما **نحميا** (في ٤٤٥ ثم في ٤٣٢) ستمكّنان من إعادة بناء اسوار اورشليم وتؤدّيان الى الاستقلال عن السامرة. في ذلك الزمن قام ملاخي يسعى لإنعاش ايمان الشعب.

وفي السنة ٣٩٨ (بقدر ما يمكننا ان نتحقّق من هذا التاريخ)، عهد الملك ارتحشستا الى **عزرا** بإعادة تنظيم المنطقة. كان رجلاً ذا حزم فأعاد الى الايمان طهارته وأمر بفسخ الزواجات المقرونة مع غير اليهود. وفرض «شريعة إله السماء» كشريعة الدولة. لا شك ان هذه الشريعة هي التوراة الحالية التي حرّرها عزرا انطلاقًا من مختلف التقاليد.

وتُعدّ التأدية المهيبة للعبادة الموصوفة في نح ٨ – ١٠ من أهمّ ساعات تاريخ اسرائيل، فهي بمثابة ميلاد رسمي لليهودية. فالاجتماع لا يُعقد في الهيكل، بل في الساحة؛ وليس هو عبارة عن ذبائح دموية، بل عن قراءة الشريعة والصلاة. هكذا نشأت العبادة الجمعية.

وجوه هامّة

هناك تفاصيل كثيرة عن تاريخ إسرائيل لا تزال غامضة في نظرنا. ولكننا نذكر على الأقلّ بعض النقاط العامّة.

سلطة الكهنة

ان الكهنة هم الذين قاموا بتنظيم الشعب. وسيصبحون الرؤساء الدينيين والسياسيين الحقيقيين.

اليهود في العالم. «الشتات»

بقي في بابل كثير من اليهود وشكّلوا فيها جماعة حيّة. وعُلِم بوجود جماعة في اليفانتين في مصر. وستظهر بعد قليل أهمية جماعة الاسكندرية في مصر ايضًا... فنحن امام تشتيت اليهودية: اجل، بقي المركز في اورشليم، ولكن مراكز أخرى هامّة نشأت في أنحاء العالم.

لغة مشتركة: الآرامية

لم تزل اللغة الآرامية في ذلك الزمن. وهي لغة قريبة من العبرية. اللغة الدولية المستعملة في الامبراطورية الفارسية للتجارة والسياسة (كما الأمر هو في ايامنا بالنسبة الى الانكليزية). وقد احتلّت شيئًا فشيئًا في اليهودية محلّ العبرية. فلم تعد العبرية إلاّ لغة طقسية. وفي ايام المسيح. كان الشعب يتكلّم الآرامية ولا يفهم العبرية.

وستساهم هذه اللغة هي والشتات في انفتاح اليهود على الشمولية.

النشاط الأدبي

من الأنبياء الذين وعظوا في هذا الزمن: حجّاي وزكريّا وملاخي وعوبديا ولا سيّما أشعيا الثالث.

لكنّ هذه الحقبة تأثّرت خاصة بنفوذ الكتبة والحكماء.

قام بعض الكتبة كعزرا وجدّدوا قراءة الكتب المقدسة وجمعوها (التوراة) وأكملوها (الأخبار وعزرا ونحميا).

وجمع الحكماء الأفكار السابقة وأخذوا يؤلّفون اعمالاً هامة كأسفار راعوت ويونان والأمثال وأيوب.

وشُرع في جمع المزامير في مجموعات لن تلبث ان تُصبح كتابًا.

أنبياء العودة

حجّاي

في السنة ٥٢٠، وجّه حجّاي الى العائدين من الجلاء رسالة وجيزة ولكنها لاذعة: «ها قد مضى عشرون سنة على عودتكم. لقد أعدتم بناء بيوتكم. وها ان بيت الله لا يزال خرابًا!». لا بدّ من الجواب عن هذا السؤال: «أيريد اسرائيل ان يعيد بناء حياته القومية مع الله ام بدونه»؟ لا يزال هذا السؤال صالحًا لأيّامنا!

زكريّا الأول (زك ١ – ٨)

ان الفصول الأربعة عشر التي تكوّن الكتاب الحالي هي مجموعة لمواعظ نبيَّين. وسنقرأ رسالة النبي الثاني في الفصل التالي.

يؤيّد زكريا الأول وعظ حجّاي. ولكنه يفعل ذلك في لغته الخاصة وهي لغة الرؤى (راجع الصفحة ٨٩).

ملاخي

يومَ وعظ ملاخي، كان بناء الهيكل قد تمّ، فعادت العبادة والذبائح... ومعها العادات السيئة السائدة قبل الجلاء: أخذوا يقومون برُتب، ولكن كيفما كان، وكانوا في الوقت نفسه غير عادلين وغير أمناء...

كان ردّ فعل ملاخي شديدًا فكان تأثيره عميقًا حتى في العهد الجديد.

يظهر كتابه بمظهر حوار بين الله وشعبه وكأنه تمهيد للحوار الأخير الذي نجده في الانجيل: «كنت جائعًا... متى، يا رب، رأيناك جائعًا؟...». «يقول الله: اني احبّكم. وانتم تقولون: بماذا تُحبّنا؟... «وتقولون...»: تُكرَّر هذه اللازمة ثماني مرّات ضد شعب يحب النقاش! ثماني مرّات للكشف عن الخطيئة المكبوتة بعناية، خطيئة الذين يقرّبون لله فضلاتهم (٦/١ ت)، خطيئة الكهنة الذين كفّوا عن الوعظ بكلمة الله (١/٢ ت)، خطيئة الذين يطلّقون نساءهم (١٠/٢ ت: تأمّل رائع في الزواج)، خطيئة الذين لم يعودوا يحسنون التمييز بين الخير والشر (١٧/٢ ت)...

ويعلن الله في الخاتمة أنه سيرسل الى الأرض ايليا النبي قبل يوم الدينونة. سيساهم هذا النص في رفع شأن ايليا في اليهودية، وسيصرّح يسوع بأن يوحنا المعمدان قد قام بهذا الدور (متى ٩/١٧ ت).

يوئيل

لا يُعرف متى وعظ هذا النبيّ «المهتمّ بالبيئة». فالتلوّث الذي كان يسود البلاد ظهر له كعلامة لمجيء «يوم الرب»، ذلك اليوم الذي يجرّد الله فيه الانسان من خطيئته. لكن الله سيجعل «روحه» في ذلك الانسان المجرَّد. سيستشهد بطرس بيوئيل يوم العنصرة (رسل ٢).

كلمة الله

قد يتعجّب بعض الناس عند قراءة الكتاب المقدس، ذلك بأنهم، بدلاً من ان يجدوا فيه «كلمة الله»، يبدو لهم أن معظمه «كلام بشري». هذا يدل على أنهم يتصوّرون كلمة الله كشيء سحري، كشيء يهبط من السماء، بينما نعرف ان الله يكشف عن نفسه في تاريخ، من خلال احداث حياة الناس: فعلينا ان نستكشف كلمة الله في هذه الأحداث.

والمسيحي ايضًا يشعر بذلك التعجّب امام يسوع. انه يرى فيه ابن الله والكلمة. والحال ان معاصري يسوع رأوا فيه إنسانًا مثلهم. فالقديس يوحنا لم يكتب: «رأينا الكلمة»، بل «ذاك الذي رأيناه وسمعناه من الكلمة» (١ يو ١/١)، اي اننا، من خلال ما رأيناه (من الحركات البشرية والأقوال المشابهة لأقوالنا)، لَمَحنا الكلمة، مستنيرين بالايمان والروح.

ان الله لم يسر على طريقة مختلفة في العهد القديم. كان اليهود يعيشون احداثًا عادية، لكنّ المؤمنين منهم وأوّلهم الانبياء كانوا يقرأون فيها كلمة من عند الله، كما اننا نحسن قراءة كلمة في بعض الحركات، فنقول: «هذا الحدث بليغ» و«هذه البسمة شديدة التعبير».

لكننا قد نغلط... هل نحن على يقين من ان الأنبياء وسائر المؤمنين لم يغلطوا؟ هنا تقوم أهميّة الايمان بالروح القدس الذي يُنير المؤمن. قال يسوع: «ان الروح يرشدكم الى الحق كلّه» (يو ١٣/١٦). فقد يكون انتظار «كلمة من الله تهبط من السماء» مجرد رفض للايمان بالروح وللعيش في الايمان: ففي مثل هذه «الكلمة» يكون الله في متناولنا، بينما هو يكشف لنا عن نفسه بتواضع وعبر الظواهر البشرية.

أشعيا الثالث (اش ٥٦ – ٦٦)

ان المواعد بالخروج الثاني التي وعد بها أشعيا الثاني أثارت حميّة بعض اليهود المجلوّين، فعادوا الى بلادهم. إلاّ أن تلك الحمية ما لبثت أن سقطت أمام الواقع المرّ. فاضطروا الى الاكتفاء بعيش متواضع. ولكن كيف يُعاد بناء أمة لم تعد تؤمن بمصيرها؟ فقام أحد تلاميذ أشعيا يحاول أن يعيد اليها ايمانها برسالتها.

كانت مهمّته شاقّة، لأن السامعين كانوا منقسمين. فهناك العائدون من بابل، واليهود الذين بقوا في البلاد، والأجانب الذين نزلوا فيها اثناء ذلك، واليهود المشتّتين. فكان الشقاق والبغض واحتقار الأجنبي والميل الى عبادة الأوثان ينال من رجاء المؤمنين. وكان النبي يحاول ان يشيع حميّته في نفوس الجميع.

يظهر الكتاب الحالي بمظهر مُنحنًى تتناسب فيه النصوص اثنان اثنان حول الرأس وهو الفصل ٦١. قبل ان ندرس هذا الفصل. علينا أن نلقي نظرة الى الكلّ.

– ١/٥٦ – ٨: يحلّ للأجانب ان ينتموا الى شعب الله، لأن «بيت صلاته لجميع الشعوب» (١٧/٦٦ – ٢٤). فان الله سيجمع جميع الشعوب لخلق جديد.

– ٩/٥٦ – ٢١/٥٧: يبكي النبي على الذين يظنون أنهم ينتمون انتماءً تلقائيًا الى شعب الله (١/٦٦ – ١٦). ويرينا، على سبيل التباين، ان الله يولي بنت صهيون القدرة على ولادة الشعب الجديد (راجع الصفحة ٦١).

– ٥٨: تقوم الممارسة الدينية الصحيحة. ويقوم الصوم الصحيح الذي يرضي الله على مقاسمة الخبز والقضاء على اللاعدالة وتحرير المظلومين... (٦٥). تطويبات للذين ينقادون الى محبة الله، ولعنات للذين يرفضونها.

– ١/٥٩ – ١٥: أعطى اتّهام النبي ثمره، فأخذ الشعب يعترف بخطاياه (٧/٦٣ – ١١/٦٤). وهناك مزمور تضرّع جميل سبق الـ«أبانا»، يناشِدُ فيه حنان الله لكي يمزّق السموات ويأتي. تمّ هذا الأمر، في نظر مرقس، عند اعتماد يسوع (مر ١٠/١).

– ١٥/٥٩ – ٢٠ و١/٦٣ – ٦: لا يُسخَر من الله، فإنّه كقاطف العنب يسحق اعداءه... سيطبّق سفر الرؤيا (١٣/١٩) هذا النص المأسوي على المسيح: فالدم الذي يسيل هو، في آخر الأمر، الدم المسفوك عن خطايانا.

◀ درس أحد النصوص: أشعيا ٦٠ – ٦٣

أشعيا ٦١ ذروة الكتاب، ولكنه جزء لا يتجزأ من الفصلين المتناسبين ٦٠ و٦٢. فلا بدّ من درس الفصول الثلاثة في وقت واحد.

«افرحي يا بنت صهيون» (اش ٦٠ و٦٢)

اقرأ هذين الفصلين محاولاً أن ترى كيف يُصوَّر مختلف الممثّلين:

– الله: ايّ وجه من وجوهه يُصوَّر لنا؟ لاحِظ الصور التي تعبّر عن مشاعره.

– بنت صهيون: على مَن تدلّ؟ لاحِظ الصور التي تعبّر عن تغيّر موقفها.

– البنون: مَن هم؟ إلى أين يأتون؟ ما الذي يجتذبهم؟

أمامنا صورة رائعة لشعب الله (والآن للكنيسة): كما أن الكنيسة الأسقفية، اذا ما غطّاها رشاش نار المناوير، تشرق على المدينة الغائصة في الظلال، فتهدي الذين يسيرون في الظلام. كذلك الشعب هو علامة نيّرة ترتفع في العالم للدلالة على الاتجاه. لكن النور لا يأتي من الشعب. بل من الله الموجود فيه.

«روح الرب عليّ...» (اش ٦١)

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة أقسام:

١/٦١ – ٤: يعرّف النبي عن نفسه.

كيف تمّت دعوته؟ ما هي رسالته: إلى من أُرسل وحمل أية رسالة (او بشرى)؟ لاحِظ الصور التي تعبّر عن التحوّل.

٥/٦١ – ٩: يتحدّث النبي الى سامعيه.

يتكلّم والرب يتكلّم عن المستقبل على لسانه. ما هو الموعود به؟ أيًّا يكون دور الشعب؟

١٠/٦١ – ١١: يعبّر النبي او الشعب (او كلاهما) عن حميّته. ما هي أسباب هذه الحمية ومصدرها؟

عد الآن الى مُجمل اش ٦٠ – ٦٢. ما هي تلك البشرى التي من شأنها ان تحمّس اولئك العائدين الى بلادهم خائري العزائم؟

إقرأ لوقا ١٦/٤ – ٢١. كيف يعبّر اش ٦١، في نظر لوقا، عن رسالة يسوع؟ وكيف يمكّننا من إدراك معنى معجزات يسوع ورسالة التطويبات؟

حين وصل عزرا الى اورشليم في السنة ٣٩٨ (؟)، كانت مهمته أعادة تنظيم الجماعة وتسوية الخلاف مع السامريين.

الشريعة

فرض عزرا على الجميع «شريعة إله السماء» (عز ٢١/٧) كشريعة الدولة. يُجمع النقّاد على القول بأن المقصود بها هو التوراة في وضعها الحالي، كما نظّمها عزرا. كان في متناوله، للقيام بهذا العمل، مجموعة واسعة من النصوص:

- تاريخ يهوذا (يهوي) (راجع الصفحة ٣٦).
- تاريخ الشمال (ايلوهي) (راجع الصفحة ٥٠).

سبق أن دُمج هذان التقليدان في رواية واحدة (راجع الصفحة ٦٠: اليهْلوهي).

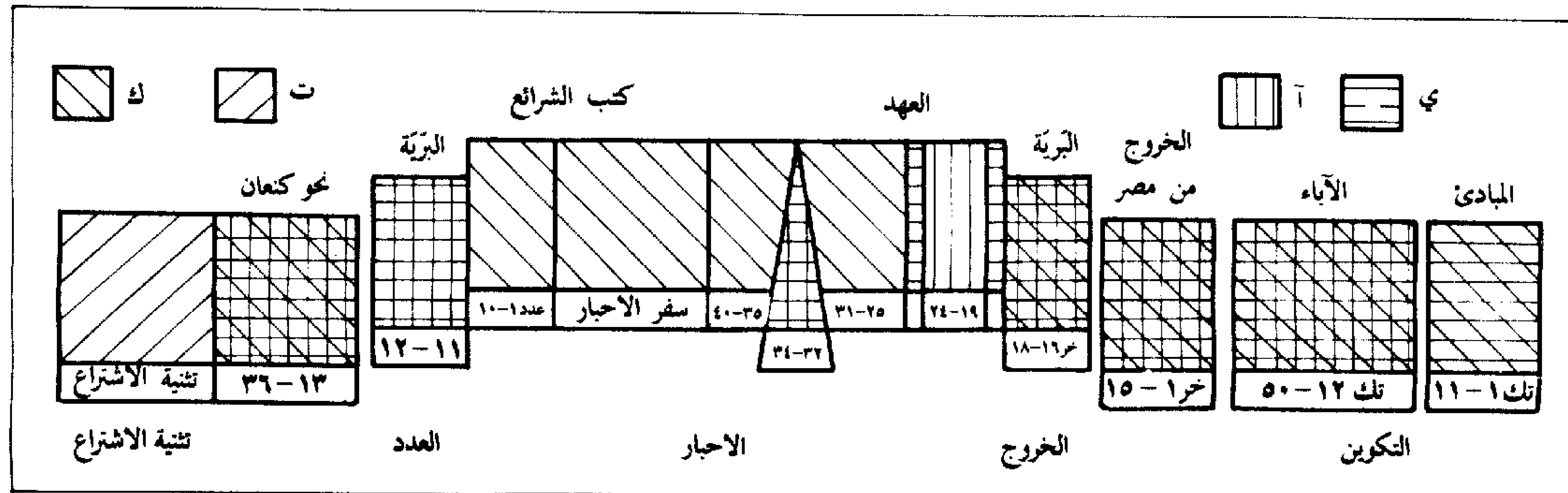
- تثنية الاشتراع (راجع الصفحة ٥٦).
- التاريخ الكهنوتي (راجع الصفحة ٧٠) وسِفر الأحبار (راجع الصفحة ٦٨).
- تقاليد مستقلّة، لا سيّمَا شرائع في الذبائح والأعياد، وَضَعها الكهنة عند عودتهم من الجلاء (راجع الصفحة ٦٩).

استعان عزرا بهذه النصوص وجعل منها مجموعة موحَّدة، وان لم تكن متماسكة. فالتاريخ المقدّس يمتدّ من خلق العالم الى موت موسى ويُبرز شخصية ابراهيم وموسى.

بعد رواية تكوين العالم (تك ١ – ١١)، يروي لنا سفر **التكوين** (١٢ – ٥٠) قصة الآباء وفي طليعتهم ابراهيم. بصفته أبا المؤمنين، فإنه يحمل وعد الله (العهد: تك ١٥ و١٧)، وهو الشفيع لدى الله (تك ١٨) والذي يثق الله به ثقة تامة، حتى لو طلب منه ابنه (تك ٢٢).

في سفر **الخروج**، يدخل موسى الى المسرح ويشغله حتى النهاية. فبعد التذكير بعبودية مصر ودعوة موسى (خر ١ – ١٥)، تبقى حصة الأسد لعهد سيناء، وهو كالمركز تحيط به روايتان في الحياة في البريّة (خر ١٦ – ١٨ وعدد ١١ – ١٢) ويشغله كتاب العهد (خر ٢٠ – ٢٣، راجع الصفحة ٦٠) ومختلف الشرائع الكهنوتية (خر ٢٥ – ٣١ و٣٥ – ٤٠)، وسفر **الأحبار** وسفر **العدد** (١ – ١٠). في هذه المجموعة تذكّرنا قصة عجل الذهب (خر ٣٢ – ٣٤) باحتمال الوقوع في مخاطر فسخ العهد. أمّا القسم الأخير فهو يروي لنا السير الى أرض الميعاد (عدد ١٣ – ٣٦) وخطب موسى الأخيرة في جبل نبو (**تثنية الاشتراع**).

يظهر اذًا **موسى** بمظهر الوسيط. فهو الى جانب الله على الإطلاق وأداته لتحرير الشعب من العبودية وحمله على خدمة الله بواسطة الشريعة التي اعطاه ايّاها، وهو الى جانب الشعب أيضًا على الاطلاق، في تضامن تام حتى انه يؤدي، بصورة خفية، الى الخطيئة. ومع الشعب الذي مات في البرية، سيموت موسى قبل الدخول الى أرض الميعاد، ولكن «في قُبلة من الله» (تث ٥/٣٤)، بحسب ترجمة الربّانيّين الرائعة.



التوراة ، الخطّية والشفهية

ان كلمة الله ، في نظر اليهود ، هي في الأساس الشريعة (التوراة في العبرية) التي اعطاها الله لشعبه في سيناء.

نجدها مودعة ، في صيغتها الخطّية ، في الأسفار الأولى الخمسة من العهد القديم ، وهي قلبه.

لكنّ هذه الشريعة تناقلها الناس شفويًّا أيضًا. وهذا أمر سيشدّد عليه الربّانيون. ولهذه التقاليد الشفهية ، في نظر اليهود ، أهمّيّة لا تقلّ عن اهمية الكتاب المقدس.

والأنبياء أيضًا هم كلمة الله ، ولكن لا بالصفة نفسها. فقام دورهم في الطقوس على توضيح الشريعة خاصة.

أما المؤلفات او الكتابات ، فانها كانت مكرَّمة ، وإن لم يكن لها من الأهمية ما للشريعة والأنبياء.

ومن هنا أهمية العمل الذي قام به عزرا والذي أعطى الشريعة صيغتها النهائية. قال احد الربانيين : «لو لم يُعطَ موسى الشريعة ، لاستحق عزرا ان ينالها». فموسى وعزرا هما الشخصيتان الكبريان في الدين اليهودي.

السامريون

يبدو أن عزرا نجح في فرض «شريعة إله السماء» . لا على اليهود فقط ، بل على السامريين الذين رأينا في الصفحة ٤٥ أنهم من أصل مختلط. لم تدم الوحدة المقدسة في الواقع إلاّ زمنًا قصيرًا. وانفصل السامريون انفصالاً نهائيًا عن اليهود (ربّما في عهد الاسكندر). ولقد شيّدوا هيكلهم الخاص في جبل جَرِزّيم. لكنهم حافظوا على الشريعة (او التوراة) التي يطابق نصّها على التقريب نصّ شريعة اليهود. لا بل ان السامريين لا يعترفون إلاّ بهذه الكتب المقدسة.

فالعلاقات بين السامريين واليهود معقّدة جدًا. ونحن نعرف ، من خلال الانجيل ، كيف كانت العلاقات متوتّرة بين الجماعتين في ايام المسيح. لكنهما كانتا تعترفان بوحدة المصير.

لا يزال الى ايامنا جماعة من السامريين. وهي تقرّب كل سنة ذبيحة الحمل الفصحي على جبل جَرِزّيم.

سِفرا الاخبار – عزرا – نحميا

كُتبت هذه المؤلفات في اوائل العصر اليوناني. لا يُعرف كاتبها. يُسمّى كاتب الأخبار. كان مشروعه ينمّ عن طموح. فقد أراد ان يؤلّف تاريخًا من آدم الى عزرا. يذكر ذلك العلاّمة مراجعه. وهي عبارة عن نحو عشرين كتابًا بعضها معروف (صموئيل والملوك) والبعض الآخر مجهول. وضع مجلّدين جُزّئا الى أربعة : ١ و٢ اخبار ، وعزرا ، ونحميا.

من الأمور الممتعة ان نقارن بين بعض مقاطع سِفرَي الأخبار وما يقابلها في أسفار صموئيل والملوك. لو قمنا بمثل هذا العمل ، لوجدنا كيف يُكتب المدراش (راجع الصفحة ٨١ والمقارنة القصيرة في نبوءة ناتان الوارد ذكرها في الصفحة ٤٢). إليكم بعض الأمور المميّزة :

يعرض لنا كاتب الأخبار نظرةً في لاهوت التاريخ. فلكي يُظهر كيف ينبغي ان تكون حياة الشعب في هذا اليوم ، فإنه يُضفي الكمال المثالي على حقبة من التاريخ الماضي : تاريخ داود وسليمان. ينتقل سريعًا من آدم الى داود (مكتفيًا بالانسان خاصة). ويتوقّف طويلاً عند داود ويختار مراجعه ويحذف الأحداث التي ليست لصالح أبطاله (خطيئة داود وترف سليمان وعبادته للأوثان). فداود هو الملك الذي يناسب قلب الله. والقائم مقام الله الذي يبقى ملك اسرائيل الأوحد. وقد عرف داود كيف يجد لمملكته عاصمة هي اورشليم ، وكيف يمهّد لبناء الهيكل وتنظيم العبادة.

يهمل كاتب الأخبار تاريخ مملكة الشمال. وهو يهتمّ قبل كل شيء بتاريخ الهيكل والعبادة. وللكهنة واللاويين في نظره شأن كبير.

أراد أن يُثبت أن الملوك والشعب سُعداء ان كانوا أُمناء ، وانهم تعساء ان كانوا غير أمناء. نستطيع ان نقول بصورة مبسّطة إنه حاول ان يُثبت بالصور ما يمكن ان يكون ملكوت الله إن عاشه الانسان على الأرض.

◄ **يمكنك ان تقرأ : نحميا ٨ – ٩**

• نح ٨ : ما هي عناصر هذه العبادة؟ في أيّ مكان؟ من الذي يترأس؟ ما هي الجِدّة بالنسبة الى عبادة الهيكل؟

• نح ٩ : في الاعتراف بالخطايا هذا ، ما هي نقاط التاريخ التي يُتمسّك بها؟ إلى أي شيء يُستنَد : الى استحقاقاته؟ الى الله؟ ما هي الصفات المعترف بها لله؟ كيف يمكن لذلك أن يُلهم صلاتنا الشخصية؟

الحكمة

جميعنا ـ أنا وأنت وغيرنا ـ حكماء ـ ولكن لسنا جميعًا كتَّابًا نؤلّف كتبًا حِكَمية.

فالحكيم هو الذي يحاول ان يسير سيرة حسنة وان يكتشف، في حياته وفي حياة العالم، ما يساعد على الحياة، او ـ بالعكس ـ ما يؤدي الى الموت. فهو يفكّر اذًا في المسائل البشرية الكبرى: الحياة والموت والحب والعذاب والشرّ... فهل لوجود الانسان معنى؟ وما هو هذا المعنى. وكلٌّ منّا على صعيده، الولد والشيخ ـ المعلّم والعامل اليدوي وامّ العائلة ـ يبني لنفسه فلسفته وحكمته وطريقته في الحياة.

ويتفق أحيانًا أن شعراء وفلاسفة يتناولون هذا التفكير المنتشر كله ويتغذّون به وينتجون أعمالاً كُبرى.

وهذا ما جرى لاسرائيل. فالشعب يبحث، منذ نشأته، عن معنى حياته ويفكّر في المسائل الكبرى. ولقد رأينا، على سبيل المثل، ان روايات خلق العالم هي «تفكير حِكَمي» (الصفحتان ٣٩ و ٧٢). والشعب طوالَ حياته يعبّر عن تفكيره في امثال وهي أقوال مأثورة شعبية، وفي صلوات وهي خطوط عريضة لأعمال أدبية.

ولم يتمّ كل ذلك إلاّ بعد الجلاء، فبعد الجلاء فقط تناول بعض الكتّاب ذلك التفكير كلّه وألّفوا ـ في ختام اختمار طويل ـ تلك الأعمال الكبرى التي سنشرع في قراءتها.

فيجب التحذير من التعرّض لخطر قد يأتي من درسنا. في المراحل الخمس السابقة، سمعنا الى الأنبياء ورأينا كيف وُلدت التوراة شيئًا فشيئًا، وفي هذه المرحلة السادسة فقط نتناول كتب الحِكَم. قد يوهم ذلك بأن إسرائيل عاش ودوّن تاريخه أولاً وبأنه انتظر ثمانية او تسعة قرون ليأخذ في التفكير! هذا غير صحيح، طبعًا. سنقرأ الآن الكتب والأعمال الأدبية التي أُنتجت في هذه الحقبة، ولكننا سنرى كيف انها تتناول تفكيرًا سابقًا طويلاً، كما ان التوراة تناولت العناصر المؤلّفة فيما قبل.

من هم الحكماء في اسرائيل؟

كل اسرائيلي. فالحكمة شعبية، واكثر الامثال تتناول حكمة الأقدمين ملخّصةً في أقوال مأثورة موزونة.

بعض ميزات الحكمة

الحكمة في السيرة الحسنة. تحاول اكتشاف ما يؤول الى الحياة لا الى الموت. انها تفكير في المسائل الانسانية الكبرى: الحياة والموت والحب والعذاب والشرّ والصلة بالله وبالآخرين، والحياة الاجتماعية...

الحكمة شاملة غير زمنية. فالعذاب والموت، والحياة والحب لا تعرف الحدود. والمريض الذي يصيح من شدة العذاب في بابل او في اسرائيل قبل المسيح بألفي سنة لا يختلف تصرّفه عن تصرّف الذي ينازع في مستشفى عصري.

فلن يتردّد حكماء اسرائيل في الاعتراف بكثرة من تفكير سائر الحضارات، مصر وبابل، ثم اليونان. ولكنَّ هناك طرافة خاصة باسرائيل، وهي ان ذلك التفكير كلّه أُعيد صَهره في بوتقة الايمان بالاله الواحد. فالحق الذي تصدر عنه الحكمة هو الله في آخر الأمر، والسبيل الوحيد الى الحصول عليها هو إقامة صلة وثيقة رهيبة بذلك الإله، وهذا ما يسميه الكتاب المقدس مخافة الله.

الملك. إنه مكلّف بإدارة الشعب وبالتالي بالتمييز بين ما هو صالح وغير صالح له. وهو مفروض فيه ان يشارك الله في حكمته.

الكتبة. الحكمة شعبية، ولكنها تقتضي مستوى علميًا، فهي تُعلَّم في المدرسة. والكتبة، وهم في أغلب الأحيان موظّفون في البلاط الملكي، هم اوّل الحكماء ويتولّون زمام الحكم بفضل حكمتهم السياسية. سيقوم النزاع غالبًا بين الأنبياء وهم نصراء المساكين، وطبقة الكتبة.

ان حكماء ما بعد الجلاء هم ورثة جميع هذه التيّارات. تعلّموا التفكير والكتابة فكانت حكمتهم تفكيرًا بشريًا، ولكنهم يرون فيها في الوقت نفسه هبة من الله الحكيم الأوحد.

مؤلّفات حِكَميّة على عهد الفُرس

لِنبدأ بكتابَين مصنَّفين في كتبنا المقدسة ، الواحد بين الكتب التاريخية والآخر بين كتب الأنبياء ، مع انهما كليهما من المؤلفات الحكمية .

راعوت

أراد عزرا ان يُعيد صفاء الايمان ففرض على اليهود المتزوّجين من نساء غريبات ان يطلقوهنّ . فوجد الله ان عزرا يبالغ ، فألهم هذه الرواية الظريفة : تزوَّج بوعز ، وهو يهودي تقيّ من بيت لحم ، من راعوت ، وهي امرأة غريبة من موآب . فوُلد لهم ابن هو عوبيد ، ابو يسّى وجدّ ... داود !

عبرة في الشمولية وتذكير ظريف من قبل الله لنا جميعًا نحن الذين يظنّون أنهم يحبّونه لأنهم حفظوا وصاياه : «حسنٌ ان تحبَّني ، ولكن من دون تعصّب . كونوا اذكياء ولا تخلطوا بين الغاية والوسيلة ...» . سيأتي ذكر راعوت في نسب يسوع (متى ١/٥) .

يونان

نبيّ لا يوافق على وسائل الله : ذلك هو يونان . بطل هذه الرواية الرائعة . أرسله الله يعظ في نينوى ، عاصمة الأعداء الأشوريين الألدّاء . كانت نينوى الى الشرق ، فأبحر يونان الى الغرب . انه يهرب : الى الغرب ، في عنبر السفينة ، ثمّ في البحر ... لكن الله أمر حوتًا بنجاته فقذفه الحوت الى جهة الشرق . فذهب يونان الى الشرق ...

وعند وصوله الى نينوى ، أعلن ان الله سيدمّر المدينة . وكان مسرورًا بذلك ، لكنّ السكان تابوا فلم يهلكهم الله ...

عبرة رائعة في الشمولية : ان الله يحب جميع الناس ، وهو لا يريد موت الخاطئ ، بل ان يتوب ويحيا» (حز ١١/٣٣) .

سيكون يونان ليسوع علامة لدعوته الى التوبة (لو ٢٩/١١ ومتى ٤/١٦) ، وسيكون ، في نظر متى ، صورة للقيامة (متى ٤٠/١٢) .

مِدراش وتَرجوم

تساءل اليهود في وقت باكر عن إمكانية جعل الكتاب المقدس حاليًا . فإن كلمة الله أُعطيت في اوضاع لم تكن الأوضاع التي يعيشونها . فلا بدّ من تجديد قراءة الكتاب المقدس للبحث كيف يكون له معنى في الحاضر .

فكلمة **مِدراش** (من درش = بَحَثَ) تُطلق على طريقة التفسير وعلى المؤلفات الموضوعة بحسب هذه الطريقة .

هناك نوعان من المِدراش :

- المِدراش «هَلَكَه» (من أصل يعني «الطريق») : يبحثون عن قواعد مسلكية وقوانين . في الدين اليهودي ، «هَلَكوت» (جمع هَلَكَه) مرادف لـ«قوانين» .
- المِدراش «هجّاده» (من أصل يعني «روى») : يبحثون خاصة عن بناء الآخرين .

فالتاريخ الكهنوتي الذي يجدّد قراءة التقاليد في إطار الجلاء ليجد فيها معنى ورجاء ، وعمل كاتب الأخبار الذي يبحث في التاريخ كيف يعيش ملكوت الله ، هما بداية لمِدراش هَلَكَه . أمّا راعوت ويونان فهما بالأحرى من طراز مِدراش هجّاده .

والترجوم هو ترجمة شفهية ، باللغة الآرامية ، للكتاب المقدس . بقيت العبرية اللغة المقدسة . ولكن اتى وقت لم يعد الشعب يفهمها ، لأنه يتكلّم الآرامية . في الطقوس ، كان الكتاب المقدس يُقرأ بالعبرية ، ثم كان أحد الكتبة يترجمه الى الآرامية . ولكنه ، بدلاً من ان يترجمه ترجمة حرفية ، كان يتوسَّع في معناه كما كانوا يفهمونه في ذلك الزمان (راجع بعض الأمثال في الصفحتين ٣٨ و ٥٢) .

وفي أثناء طقوس العبادة التي كان عزرا يترأسّها (نح ٨ - ٩) ، كانوا يقرأون الكتاب المقدس ، ثم كان اللاويون يشرحونه . ولعلّ في ذلك شهادة من الشهادات الأولى لهذه الممارسة .

ضُبطت «التراجم» الرئيسية في اوائل عصرنا المسيحي ، وهي تمكّننا من الاطلاع ، في ايام المسيح ، على كيفية فهم بعض النصوص .

سيتبنّى المسيحيون الأولون هذه الطريقة في تفسير الكتاب المقدس . وسيقرأونه غالبًا في ضوء «التراجم» ، وسيؤلّفون احيانًا «مدارش» مسيحية (روايات طفولة يسوع بحسب القديس متى مثلاً) .

. في زمن كان بعض الشعراء اللامعين في اليونان يخرجون الى المسرح مآسي التاريخ والانسان، كما الأمر هو في «الفُرس» و«انتيكون». أخذ شاعر يهودي يمثّل مأساة المؤمن الذي في صراع مع الألم: ايوب.

للكتاب الحالي تاريخ طويل. فهناك قصة قديمة نثرية (مطلع الكتاب وخاتمته). ربَّما كانت معروفة في ايام سليمان. استُخدمت. بعد العودة من الجلاء. كإطار لحوارات بين أيوب واصدقائه. وقد زيد أيضًا على هذه الحوارات في وقت لاحق.

مأساة أيوب هي مأساة كل مؤمن يتألّم بدون سبب. يؤمن ايوب بالله، بإله عادل وقدير. يتألّم وعبثًا يحاول ان يفحص ضميره (في العدل ومحبة الآخرين)، فهو يجد نفسه بَريئًا.

توضع على ألسنة اصدقائه النظريات التقليدية: «ان كنتَ تتألّم، فلأنك خطئت... فلأن الله يحبّك، اذ انه يؤدّب الذين يحبّهم». أمّا جواب ايوب فهو ان كل ذلك صفّ كلام. فإنه، أمام صمت الله، يصرخ ويتمرّد ويجدّف...

وأخيرًا فالله نفسه يتكلّم. أليعبّر عن فكره او يعزّي؟ كلاّ، بل ليحطّم أيوب ببهاء خلائقه وليطرح عليه هذا السؤال الوحيد: «بأي حق تحاسبني»؟ فيسجد ايوب ويعبد.

في الختام، لا نجد أنفسنا اكثر اطّلاعًا على سبب الشرّ. ولكن كان من المفيد ان يعبّر كتاب هكذا عن تمرّدنا أمام الشر. فنحن نعرف الآن أنه من الممكن ان يكون التمرّد والتجديف صلاةً (يقول الله: «ايوب وحده أحسن الكلام عني» ٤٢/٧) وأن الشروح التقوية لا قيمة لها وأن الموقف الوحيد الممكن للمؤمن هو موقف الثقة. كَتَبَ أحدهم: «تلك الساعة الهائلة التي ليس الله فيها صادقًا والتي لا أزال أحبُّه فيها مع كل ذلك». موقف المسيح على الصليب.

إقرأ على الأقل:

- يأس ايوب: ٣ و٦ – ٧ و٢٩ – ٣٠ (غياب الله وصمته)
- القصيدة في الحكمة التي يعرف الله وحده سرّها: ٢٨
- فحص ضمير ايوب: ٣١
- «جواب» الله: ٣٨.

ان سفر الامثال يمكّن من نظرة خاطفة مفيدة عن الأدب الحِكَمي وتطوّره.

يظهر بمظهر تسع مجموعات تختلف طولاً وانشاءً وزمنًا. قد يرقى أقدم الأمثال الى زمن سليمان (في الفصول ١٠ – ٢٢). وهناك مجموعتان (٣٠ – ٣١) منسوبتان الى حكماء غرباء، وهنا ما يشير الى شمولية الحكمة. في مجموعة الحكماء (٢٢/٧ – ٢٤/٢٢) وجوه شبه بنصّ مصري: «حكمة امينيموبه». وُضع سفر الأمثال (١ – ٩) وخاتمته (٣١/١٠ – ٣١) بعد الجلاء.

يمكننا ان نبدأ بأقدم المجموعات. ليس المطلوب ان تقرأ هذه الفصول بالتتابع، بل ان تذوّقها بجُرَع متجانسة، كما نتصفّح كتاب اقوال مأثورة. ويمكننا ان نؤلّف لأنفسنا مجموعة صغيرة من المنتخبات (هناك طريقة عملية: نعطي لونًا لكل موضوع ونشير الى الأمثال في كتابنا بنقطة ملوّنة). إليك بعض الأمثال للدخول في البحث:

- مخافة الله مصدر الحكمة: ١٠/٢٧ و١٤/٢ و٢٦ و٢٧...
- يذكر اسم الله (او الرب) احيانًا: ماذا يعمل؟ ١٠/٢٢ و٢٩ و١١/١ و١٢/٢ و٢٢.
- الفعّاليات الذاتية في التربية: ١٠/١٣ و١٢/١ و١٩/٢٩...
- بعض الفضائل (محبة وتواضع وعدل...): ١٠/٢ و١١/٢ و١٢/٢٨...
- النساء (مجموعة من الأمثال المعادية للنساء): ١١/١٢ و١٨/٢٢ و١٩/١٣ و٢١/٩ و١٩ و٢٧/١٥...
- بعض اللوحات الأخلاقية: الزانية (٧/٦ – ٢٧) والكسلان (١٩/٢٤ و٢٤/٣٠ – ٣٤) والتاجر (٣٠/١٤) والسكران (٢٣/٢٩ ٣٥)...

أمثال سومرية (اواخر الألف الثاني ق.م.)

خير للفقير ان يموت من ان يعيش.
ان كان له خبز فلا مِلح له
وان كان له ملح، فلا خبز له.
من لم يُعِل امرأة او ولدًا لم يحمل رسَنًا في أنفه.
حياة الرجل جرّة في الصحراء.
الزوجة مستقبل الرجل والابن ملجأ الرجل.
الابنة خلاص الرجل
أمّا الكنّة فهي جهنّم الرجل.

وُضعت الفصول الأولى (وكذلك ٣١/١٠ – ٣٠) آخر الكل. على عهد الفرس. يتناول الكاتب رسالة تثنية الاشتراع وإرميا وأشعيا الثاني. نحن أمام معلّم يخاطب ابنه وتلميذه، يعلّمه ان يسير في حياته بحسب الحكمة وأن يحب قريبه (٢٧/٣ ت) ويتجنّب الخلاعة. وفي الكتاب صورة عاطفية للحب تذكّرنا مُسبقًا بنشيد الأناشيد (١٥/٥ – ٢٣).

في بعض الفقرات تظهر لنا الحكمة بمظهر انسان: السيّدة الحكمة (تقابلها السيّدة الغباوة في بعض الآيات: ١٣/٩ ت). وهي نبيّة (٢٠/١ – ٣٣) ومضيفة تقدّم طعامها (١/٩ – ٦). لا بل ابنة الله (١/٨ – ٣١). سندرس نصًّا كثير الميزات (٢٢/٨ – ٣١). وسنرى في الفصل التالي كيف يحافظ الحكماء على هذا الاتّجاه: فالحكمة تصبح شيئًا فشيئًا انسانًا ينبثق من الله نفسه. وستساعد هذه النصوص المسيحيين الأولين على التعبير عن ألوهية المسيح. حكمة الله (١ قور ٢٤/١).

▶ درس احد النصوص (مثل ٢٢/٨ – ٣١)

قبل خلق العالم

٢٢ «الربّ خلقني أُولى طرقه قبل اعماله منذ البدء.
٢٣ من الازل أُقمت من الاوّل مِن قبل ان كانت الارض.
٢٤ وُلدتُ حين لم تكن الغمار والينابيع الغزيرة المياه
٢٥ قبل ان غُرستِ الجبال وقبل التلال وُلدتُ
٢٦ إذ لم يكن قد صنع الارض والحقول وأوّل عناصر العالم.

في اثناء خلق العالم

٢٧ حين ثبّت السموات كنتُ هناك
وحين رسم دائرة على وجه الغمر
٢٨ حين جمّد الغيوم في العلاء وحبس ينابيع الغمر
٢٩ حين وضع للبحر حدَّه (فالمياه لا تتعدّى امره)
وحين رسم أسس الارض.
٣٠ وكنتُ عنده مُهندسًا
وكنتُ نعيمه يومًا فيومًا ألعب امامه في كل حين.
٣١ ألعب على وجه أرضه ونعيمي مع بني البشر».

من هم الممثلون؟ كيف يُوزَّعون في النص؟ انتبه الى الألفاظ والعبارات المتناسبة.

ماذا يعمل الله؟ ماذا تعمل الحكمة؟ ما هو موقفها بالنسبة الى الله (انظر الى الأفعال)؟ بالنسبة الى خلق العالم؟ بالنسبة الى البشر؟ ما هو دور الحكمة؟

هناك عبارات كثيرة يصعب فهمها، راجع حواشي كتابك المقدس.

في ختام هذا الدرس، يمكنك ان تتساءل: كيف يساعد هذا النص على فهم دور المسيح؟ راجع قول ١٥/١ – ٢٠.

آمين – آمُن – آمون

الآية ٣٠ فرصة سانحة للشعور بغنى – وبتعقّد – اللغة العبرية. في العبرية، كما في العربية، لا يكتبون إلاّ الحروف الصامتة. وتُضاف الحركات في القراءة بحسب المعنى. وأمامنا في هذه الآية الأصل ءمن وهو يدل على المتانة. في الليترجية، تعني كلمة آمين: متين. أكيد. وفي هذه الآية. يمكننا ان نقرأ اسم فاعل آمُن: المؤسس، الحامل. ومن ثمّ، المهندس، رب العمل. ويمكننا ان نقرأ اسم المفعول آمون: المحمول، ومن ثمَّ: الرضيع، الطفلة.

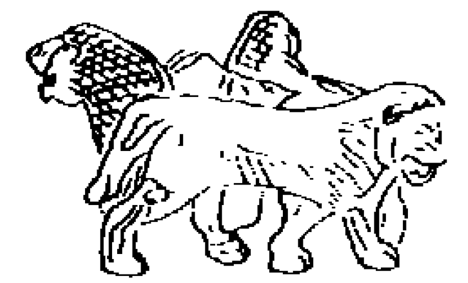
٧. اسرائيـــل تحت حكـــم اليـونـــــانيين (٣٣٣ – ٦٣) والـرومـــانيين (بعد ٦٣)



انتصار ساموتراقيا
(حوالى ٢٥٠ – ٢٠٠ ق.م.؟)

٣٣٣: بعد ان انتصر الاسكندر في ايسوس (شمالي انطاكية)، انفتح امامه باب الشرق الأوسط. ٣٣٢: وصل الى مصر وأسّس الاسكندرية. ٣٣١: استولى على بابل وسوسة وبرسيبوليس. ٣٢٧: بلغ حدود الهند. وفي ٣٢٣، مات في بابل ذلك الملك الشاب الذي بلغ الثالثة والثلاثين من عمره والذي سار من نصر الى نصر مدّة عشر سنين في زحف طوله ١٨٠٠٠ كلم، والذي أسّس، في امبراطوريته الواسعة، اكثر من ٧٠ مدينة (يُسمّى بعضها الاسكندرية) ونشر الثقافة اليونانية وفنّها ومسابحها وملاعبها، وخلق ذلك العامل الموحِّد الذي هو اللغة المشتركة. فاللغة «المشتركة» التي كانوا يتكلّمون بها في اليونان ستصبح طوالَ ثمانية قرون، حتى حوالى السنة ٥٠٠ ب.م. حيث حلّت محلّها اللغة اللاتينية، اللغة المحكية في حوض البحر المتوسط كله. والى هذه اللغة سيُترجم العهد القديم (الترجمة السبعينية) وفي هذه اللغة سيُكتب العهد الجديد.

اسرائيل في حكم اللاجيين: ٣٣٣ – ١٩٨



لمّا توفّي الاسكندر، تنافس قوّاده على امبراطوريته وتقاسموها أخيرًا الى ثلاثة أقسام، فأسّسوا سلالات تحمل اسماء الملك الأول من كلّ منها: الانطيغونيون في اليونان، واللاجيّون في مصر والسلوقيون في سورية (من البحر المتوسط الى الهند).

بقيت فلسطين تحت سلطة لاجيّي مصر اكثر من مئة سنة. وهؤلاء الملوك، الذين يحمل اكثرهم اسم بطليمس، كانوا عادة يحترمون التنوّعات القومية، فتركوا اليهود يعيشون بسلام وفقًا لأحوالهم الشخصية التي حدّدها عزرا. فتمتّعوا هكذا بحكم ذاتي واسع.

وفي هذه الحقبة، أخذت المراكز الرئيسية الثلاثة لليهودية تتنوّع.

فني بابل، واصلت الجماعة عيشها، مع العلم بأننا لا نعرف عنها إلاّ القليل ولكنها ستُنتج، بعد بضعة قرون، أعمالاً هامّة لليهودية، لا سيّما تلمود بابل.

وفي مصر، كانت جماعة الاسكندرية اليهودية تنمو بسرعة. وستشكّل في ايام المسيح خُمس المدينة. وقد اكتشفت صيغة لليهودية وفّقت بينها وبين الفكر اليوناني. ففي الاسكندرية تُرجم الكتاب المقدس الى اليونانية (الترجمة السبعينية) وأُنتجت أعمال كسفر الحكمة، وحاول الفيلسوف فيلون، في ايام المسيح، ان يعيد بحث الايمان في اللغة اليونانية.

وفي فلسطين، كانت الجماعة منقسمة. فكان بعضهم ميّالين الى الحضارة اليونانية وألعابها ومسابحها، حتى ان بعضهم كانوا يحاولون إخفاء ختانهم بواسطة عملية جراحية. وكان البعض الآخر قلقين جدًا أمام هذا المدّ للحضارة اليونانية. كانوا متمسكين جدًا بإيمانهم اليهودي وبالشكل الذي عُبِّر عنه حتى ذلك الوقت في الممارسات والطقوس، فكانوا يسعون أن يبرهنوا أنه يساعد على النموّ الانساني، وأن المحافظة على الايمان اليهودي يقتضي المحافظة على تعبيراته الحسّيّة (نشعر بأن هذه المشكلة مشكلة دائمة تبيّن سبب

ما في الكنيسة الحالية من تعارضات). في هذا الإطار نشأت أعمال كسفر الجامعة وسفر طوبيا وسفر ابن سيراخ...

والاضطهاد الذي سنقضّ على هذه الجماعة في أيام السلوقيين سيزيد هذا التباين بروزًا ويقلب اوضاع هذه الجماعة الفلسطينية.

اسرائيل على عهد السلوقيين (١٩٨ – ٦٣)

في السنة ١٩٨، كسرت الفيلة السورية الجيش المصري، فابتدأ عصر الشهداء في اسرائيل، فقد انتزع الملك السلوقي انطيوخس الثالث من مصر سيطرتها على فلسطين.

خلافًا لما فعله اللاجيّون، فرض السلوقيون بالقوة على اليهود الثقافة والدين اليوناني، ففي السنة ١٦٧، ألغى انطيوخس الرابع امتيازات اليهود وحرّم السبت والختان ودنّس الهيكل اذ جعل فيه شناعة الخراب، اي تمثالاً لزوس. والأمر الذي زاد الأزمة خطورة ان عظماء الكهنة لم يجمعوا كلمتهم، فكان بعضهم يؤيّدون التهلين.

جاء في احد الأيام موفد من انطيوخس يفرض تقدمة الذبائح للأوثان. فذبحه أحد الكهنة وكان ذلك العمل إشارة العصيان، فأدغل هو وبنوه الخمسة. وكان اسم الولد الخامس يهوذا وسُطلق لقبه (المكّابي) على الأسرة كلّها. نجح يهوذا، بغارات موفّقة، في تحرير اورشليم. وأعيدت العبادة في الهيكل في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٦٤. وعيد التدشين هو العيد الذي يُحتفَل فيه بذلك الحدث. خلف يهوذا اثنان من اخوته وغيرهما من المتحدّرين منهم فأسّسوا سلالة المكابيين او الحسمونيين، وحمل بعضهم لقب الملك فأعادوا الملكية في اسرائيل ردحًا من الزمن.

من المؤسف ان يكون تاريخ الحشمونيين، الذي ابتدأ بدم الشهداء، قد انتهى في الوحل. فسيحصل خلفاء يهوذا من الملوك السلوقيين على رتبة عظيم الكهنة وكثيرًا ما يدفعون ثمنها بالفضة، ومنهم من سيَصلب يهودًا أمناء لأنهم يعادون تصرّفاتهم...

وفي السنة ٦٣، انقسم اليهود الى فريقين متنافسَين يؤيّدان ملكَين مختلفَين، فاضطرّوا الى تحكيم روما، فوصلت روما الى الشرق الأوسط بشخص القائد بومبيوس. وقف الى جانب احد الفريقين واستولى على اورشليم بعد حصار دام ثلاثة أشهر. هكذا ابتدأت السيطرة الرومانية التي ستبقى حتى القرن السابع ب.م. اي حتى الاجتياح العربي.

المذاهب اليهودية

تُسمّى المجموعات الدينية اليهودية مذاهب. وأكثرها نشأ في تلك الأيام.

ينتمي **الفريسيون** (او المنفصلون) الى تيار الحسيديم (من الاصل «حِسِيد» – راجع الصفحة ٤٩) او اليهود الاتقياء الذين أرادوا، منذ زمن عزرا، ان يعيدوا بناء الأمة على قيم روحية. الفريسيون متديّنون في العمق ومتمسّكون بالشريعة وبممارسة أحكامها. وسيصبحون ضمير اليهودية بفضل تقواهم العميقة وتضلّعهم من الكتب المقدّسة.

ازدادت معرفتنا **للحسيديم** منذ العثور على مخطوطات قمران. لا شك انهم ينتمون الى اولئك الذين شاركوا المكّابيين في عصيانهم فلجأوا الى البرية، بالقرب من البحر الميت حيث ألّفوا جماعة «العهد الجديد» وأعدّوا مجيء المشيح في الصلاة والتأمّل. وقد حملهم عدم تساهلهم الى قطع الاتصالات بالفريسيين لما كانوا يُظهرون من الفتور في اعينهم.

أمّا **الصدّوقيون**، فكانوا يؤلّفون فريق كبار الكهنة. انضموا الى الحشمونيين ويبدو أنهم كانوا حريصين على الدفاع عن سلطتهم بجميع الوسائل. يحسن أن لا نخلط بين هذه الارستقراطية الكهنوتية والعدد الكبير من صغار الكهنة الذين كثيرًا ما كانوا اتقياء يسيرون بالاحرى في تيّار الفريسيين.

النشاط الأدبي

في ذلك الزمان وعظ نبيّ يُسمّى **زكريا الثاني**.
أدّى التهلين الى ردود فعل كثيرة، من احتراس وتعاطف. فأُلّفت الأسفار التالية: **الجامعة. ابن سيراخ. طوبيا. نشيد الأناشيد. باروك. الحكمة.**
وتُرجم الكتاب المقدس الى اليونانية: **الترجمة السبعينية.**
وعلى أثر اضطهاد انطيوخس وملحمة المكابيين، أُلّفت أسفار **استير ويهوديت والمكابيين**. ونما فنّ أدبي كان قد أخذ في الظهور عند الأنبياء الآخرين، وهو التيّار الرؤيوي الممثّل في العهد القديم بسفر **دانيال.**
كُتبت **المزامير** الأخيرة وكُوّن **سفر المزامير.**

جزّأ الاختصاصيون أشعيا الى ثلاثة أجزاء . وجزّأوا زكريا الى جزئين : فالفصول ٩ – ١٤ هي لنبيّ يرقى الى زمن الاسكندر.

ان وصول هذا الملك الفتيّ ، الذي أطاح بسلطة الفرس ، بعث الأمل في القلوب . فلعلَّ الله يتدخّل أخيرًا ! ولكنّ التغيّر الجذري لا يأتي ، في نظر النبيّ ، إلاَّ من الله . ولذلك فقد بعث فكرة الرجاء المشيحي ، اي انتظار مشيح يُقيم الله مُلكَه عن يده . والصورة التي يرسمها للمشيح فريدة في الكتاب المقدس : فإنها تجمع بين ملامح المشيح المَلَكي ، ابن داود او ابن الله (راجع الصفحة ٤٢) وملامح العَبد المتألّم الوارد ذكره في أشعيا (الصفحة ٦٧) . تُعرض تلك الصورة في أربع قصائد سيطبِّقها المسيحيون الأولون على يسوع . سنقرأها .

◀ المَلِك المشيح . المتواضع والمسالم (٩/٩ – ١٠)

تصف ٩/١ – ٨ حملة الاسكندر الى فلسطين ومصر في ٣٣٣ . أتُرى هو المشيح؟ يجيب النبيّ : لا .

إقرأ ٩/٩ – ١٠ : كيف يُصوِّرُ لنا هذا الملك؟ على ايّ شيء يعتمد؟ أعلى قوّته؟ أعلى الله؟ بماذا يأتي؟

إقرأ متى ٢١/٥ .

◀ الراعي الذي باعه شعبه (١١/٤ – ١٧ و١٣/٤ – ٩)

ليس من السهل ان نفسِّر رموز الصور الواردة في هذه القصة . إليك تفسيرها المرجّح : الخراف هي الشعب ، والرُعاة هم الملوك او عظماء الكهنة . والباعة والتجّار هم الأنبياء الكذبة والكهنة الأشرار الذين يسلمون الشعب الى العدوّ ، والمشترون هم الأعداء ، والرعاة المبادون الثلاثة هم ثلاثة عظماء كهنة (؟) . وتكسير «الحظوة» و«الإخاء» هو تذكير بالاجتياحات الماضية والانشقاقات بين يهوذا واسرائيل في السنة ٩٣٥ وبين اسرائيل والسامريين . يحاول الكاتب ان يفهم الاحداث الحاضرة في ضوء بعض الأحداث الماضية .

الراعي هو النبي ، بل الله أيضًا (١١/١٣) . يسخرون منه فيبيعونه بثمن عبد . اقرأ متى ٢٦/٣١ و٢٧/٣ – ١٠ . فيسوع هو الراعي الصالح وهو الله .

◀ الله مطعون (١٢/١٠ – ١٣/١)

إليك أغرب النبوّات : يصرِّح الله بأنه هو نفسه يُصاب في الشخص المضروب !

ما هي النتيجة غير المنتظرة (١٣/١)؟ إقرأ حز ٣٦/٢٥ ت و٤٧/١ – ١٢ : مَن الذي يمثله هذا الينبوع؟ من أين يَنبع ؟

إقرأ يو ٧/٣٨ و١٩/٣٤ : كيف يساعدنا زكريا على ان نفهم من هو يسوع؟ من اين يخرج الينبوع؟ لا يريد يوحنا ان يُفيدنا على الصعيد الطبّي (من أيّ جانب طُعن يسوع) ، بل على الصعيد اللاهوتي : فيسوع هو الهيكل الحقيقي الذي ينبثق منه الروح .

الأسفار القانونية الثانية والأسفار المنحولة

الفرق ضئيل بين الكتاب المقدس الكاثوليكي والكتاب المقدس البروتستانتي فيما يتعلّق بالعهد القديم . ففي الكتاب المقدس الكاثوليكي ٧ او ٨ أسفار يسمّيها الكاثوليك قانونية ثانية ، ويسمّيها البروتستانت منحولة .

تعني كلمة قانون «قاعدة» ، فالكتاب يكون قانونيًا إن اعتُرف به كقاعدة ايمان . وقانون الكتب المقدسة هو مجموعة الكتب المعترَف بها كقاعدة ايمان .

انّ المسيحيين قد اتّبعوا اليهود فيما يتعلّق بالعهد القديم . ولكنّ هناك قانونَين مختلفَين قد وُضِعا . ففي حوالى السنة ٩٠ ب.م. ، لم يعترف رابنيّو فلسطين إلاَّ بالكتب المكتوبة بالعبرية ، في حين ان يهود الاسكندرية كانوا يعترفون بكتب أخرى وُضعت او كانت معروفة باليونانية .

والمسيحيون الذين كانوا يطالعون الكتاب المقدس باليونانية تبنَّوا قانون يهود الاسكندرية . لكنّ القديس ايرونيمس ، الذي ترجم الكتاب المقدس الى اللاتينية في اوائل القرن الخامس ، كان يميل الى القانون العبري .

وفي أثناء الإصلاح الذي تمَّ في القرن السادس عشر ، كان البروتستانت أشدَّ ميلاً الى اتّباع القديس ايرونيمس . فكانوا يطبعون الكتب المتنازع عليها في ذيل الكتاب المقدس (وقد اختفت منه في القرن التاسع عشر) ويُسمّونها «منحولة» .

وفي المجمع التريدنتيني ، اعترف الكاثوليك بأن هذه الكتب مُنزَلة كسائر الكتب ، ولكنهم سمّوها «قانونية ثانية» (اي أنها أُدخلت في القانون في مرتبة ثانية) .

هذه الكتب هي أسفار يهوديت وطوبيا والمكّابيين والحكمة وابن سيراخ وباروك ورسالة ارميا والمقاطع اليونانية في سفر استير وسفر دانيال .

مؤلّفات حِكَمية

سنعرض المؤلّفات الحِكَمية التي وُضعت في الحقبة اليونانية. لن يكون في امكانك ان تدرسها جميعها. فإن كنت تدرس مع فريق، يستطيع كلّ واحد ان يقرأ مؤلّفًا من هذه المؤلّفات ويُشرك الآخرين في اكتشافاته.

سفر الجامعة

إنه لكتاب غريب. يصبّ الكاتب زاجًا على جميع امورنا المضمونة والمؤكّدة: فالعمل والسياسة والحب واللذة... كل ذلك باطل، يقول الجامعة. أمر واحد يهمّنا، وهو أن نأكل جيدًا... هناك الله، اجل. لكنّ الله في السماء وأنت على الأرض. فعليك ان تتدبّر أمرك في عالمك غير المعقول!

ويَستتر الكاتب تحت اسم كاذب: «كوهيليت»، ومعناه «الجمعية». لعلّه لسان حال الجمعية، يستمع الى عظة جميلة حُسب فيها حسابٌ لكل شيء، ويبدو الله فيها عادلاً وصالحًا، ويسير فيها العالم بحسب تخطيطه... فلسان حال الجمعية يجرؤ على القول: كلّ ذلك باطِل!

إنّه لطِبٌّ صارمٍ يدعونا الى عدم حَمْلِ انفسنا محمل الجدّ اكثر مِمّا يجب، والى تصفية أوهامنا... والى العمل: بما أنك لا تعلم ايٌّ من الأمرين سينجح، فافعَلْها كليهما.

خذ كتابك المقدس وابحث عن العناوين التي تستوقفك، ولا شكّ أنك ستقرأ الكتاب كلّه.

طوبيا (قانوني ثانٍ)

قصة جميلة جدًا او مِدْراش هجّاده. جدَّدكاتبه قراءة تاريخ الآباء واستخلص منه قصّة ذات مغزى لاهوتي وأرّخها في زمن الجلاء.

كان طوبيت رجلاً بارًا ففَقَد بصره ولم يكن له ايّ امل في الشفاء. ومن جهة أخرى، كان هناك فتاة فاضلة اسمها ساره وكان جميع الذين يخطبونها يموتون، فكانت هي ايضًا تطلب الموت... لماذا هذا الشرّ غير المعقول؟ فهل الله غائب ولا يبالي؟

يرينا الكاتب كيف ان الله حاضر في حياة كلّ واحد منا، ولكن بصورة مستترة. فعلينا ان نعرف كيف نكتشفه.

وهذه الرواية هي في الوقت نفسه شهادة رائعة للزواج والحبّ البشري.

عليك ان تقرأ الصلوات الجميلة على الأقلّ (صلوات شكر وحمد): صلاة طوبيت اليائس (٣/١ - ٦) وصلاة ساره الموشكة على الانتحار (٣/١١ - ١٥) وصلاة ساره وطوبيا في غرفتهما يوم العُرس (٨) وصلاة طوبيت بعد شفائه (١٣/١ - ١٠).

نشيد الأناشيد

قصيدة رائعة تتغنّى بالحب البشري في كثافته الجسدية وبواقعية لا يُنكرها الشعراء العصريون.

للنص الحالي قصة طويلة. لا شك أنه ينطلق من قصائد حب قديمة كانوا ينشدونها في السهرات، ولعلّه يستوحي من الطقوس الوثنية. لا يذكر الله ابدًا. ولكنه يتأمّل في تث ٢/٢٣ - ٢٤ وملا ٢/١٤ وفي نصوص الأنبياء الذين أشادوا بحب الله لشعبه على صورة حبّ العروسَين.

وستكون للنص قصة طويلة أيضًا. فانه سيصبح رمز محبة الله والشعب (او المؤمن) ويُلهم اليهود والمسيحيين كالقديس يوحنا الصليبي.

في زمن كانت فيه المرأة خادمة الرجل، نتعجّب من هذه الأناشيد التي يحبّ فيها الواحد الآخر على قدم المساواة، في نضارة حنان لا يتنافى مع المصاعب.

ابن سيراخ (قانوني ثانٍ)

ترجم حفيد الى اليونانية مؤلّفات لجدّه في حوالى السنة ١٩٠. كان الميل الى الحضارة اليونانية شديدًا، وكان الشبّان معرّضين لترك تقاليد الأجداد. يريد هذا الكتاب، المتّسم بما كان للبرجوازية التقيّة من روعة مضى زمانها، ان يُثبت أن الأمانة للشريعة ولممارساتها تساعد على اكتساب الحكمة الحقيقية.

بإمكانك، كما فعلت في امر سفر الأمثال، ان تختار بعض النصوص (ومنها ما هو مُمتع). ولا سيّمَا ان تتوقّف عند بعض الفقرات:

- النشيد في مخافة الله (وهو لا يقلّ جمالاً عن النشيد في المحبة (١ قور ١٣): ١/١١ - ٢٠). وُضعت الحكمة معنا في احشاء الأم. فكل واحد منا يولد وفيه ذرّة من الحكمة!
- فرح الذي يلتمس الحكمة: ٤/١١ - ١٩.
- السيّدة الحكمة تعرض دورها في خلق العالم وفي التاريخ (٢٤). هي والشريعة شيء واحد. وهذا المقطع الشهير قد ألهم يوحنا (يو ١).
- في مديح خلق العالم فقرات جميلة (٤٢/١٥ - ٤٣/٣٣) ولا سيّمَا في قاعة عرض الأجداد (ابتداءً من الفصل ٤٤). اقرأ على الأقلّ صورة عظيم الكهنة سمعان (٥٠) التي استوحى منها لوقا (٢٤/٥٠ - ٥٢).

انعكاسات زمن المكّابيين الأدبية

لم تطُل ملحمة المكّابيين (من ١٦٧ الى ١٦٤)، ولكنها تركت في اليهودية آثارًا عميقة. أمام عزم انطيوخس الرابع على فرض الدين اليوناني بالقوّة، وجب على المؤمنين ان يختاروا اختيارًا حاسمًا بين جحود دينهم والاستشهاد. والعمل الذي قام به يهوذا المكّابي، وكان عملاً دينيًا قبل كل شيء، والنجاح الذي أحرزه أيقظا الايمان. ولكنّ خلفاءه، كما رأينا، لم يلبثوا أن تورَّطوا في الدسائس السياسية وحبّ السلطة.

أدَّت هذه الملحمة طوال مئة سنة الى ثلاثة انواع من الانعكاسات نشاهدها في الأدب، ويمكننا ان نلخّصها على الوجه التالي:

١. **تجريد السيف**. ان سفر المكابيين الاول يناصر المقاتلين ويروي مآثرهم. وأمّا سفر يهوديت وسفر أستير، فإنهما يعبّران، بشكل قصص، عن المشاعر التي كانوا يشعرون بها.

٢. **ضمّ الأيدي**. هناك مؤمنون آخَرون كانوا أشدَّ تحفُّظًا أمام سير التطوّر الذي اتخذته سلالة المكابيين. كانوا على يقين من أن الفرج لا يأتي إلاّ من الله، وأن الموقف الديني الحقيقي لا يقوم على تجريد السيف، بل على ضمّ الأيدي والتوسّل الى الله بالتدخّل. فسفر المكابيين الثاني يجسّد التيار الفريسي، وهو أن الايمان يقود الى الاستشهاد وبأنّه هو الذي ينال من الله تدخّله.

والتيّار الرؤيوي، المتجسّد بسفر دانيال، يتّجه هذا الاتّجاه ويترقّب تدخّل الله في نهاية التاريخ.

٣. **مدّ اليد**. بعد ان زالت العاصفة، وفي الاسكندرية، اي بعيدًا عن مآسي فلسطين، ألّف حكيم «حكمة سليمان» حاول ان يعبّر فيها من جديد عن ايمانه اليهودي، مستعينًا بثقافته اليونانية.

سنلقي نظرة خاطفة الى هذا الأدب، متوقّفين عند نصّين: الفصل السابع من دانيال والفصل السابع من الحكمة.

يهوديت (قانوني ثانٍ) **وأستير**

هناك قصّتان بمغزى لاهوتي (مِدْراش) تعبّران عن الحماس الذي بعثته ملحمة المكابيين. وهما تشدّدان على نقطة جوهرية، وهي أن الله هو السّاعي وهو المخلّص، وأنه يختار لذلك أوهى الطرق، اي يد امرأة.

سفر المكابيين الثاني (قانوني ثانٍ)

ليس هذا الكتاب تابعًا لسفر المكابيين الأول، لا بل إنه كُتب قبله، في حوالى السنة ١٢٤. هو موجز لكتاب آخر يقع في خمسة مجلّدات ألّفه ياسون، بعد وفاة يهوذا المكّابي بقليل.

نكتشف، من خلال هذه القصص التقويّة، روحانية الفريسيين وتمسّكهم التام بالله. إليك بعض النقاط:

- الجهاد. حين يروي لنا الكاتب مآثر يهوذا، يشدّد على هذا الأمر، وهو ان الله هو الذي ينصُر، ولذلك كثُرت في الكتاب الصلوات قبل كل معركة والمعجزات (الفصل ٨ والفصول التالية).
- الاستشهاد. قد يؤدي التمسّك التام بالايمان الى تأدية الشهادة الحاسمة، الى الاستشهاد. فهناك استشهاد ألِعازر الشيخ (١٨/٦ – ٣١) ولا سيّمَا استشهاد الإخوة السبعة (٧) وهما مشهوران.
- القيامة (٩/٧ و٢٣ و٢٩). يتناول الكاتب، بصورة أوضح، العقيدة المعروضة في سفر دانيال (دا ٢/١٢) والتي هو عقيدة فريسية. سنعود إليها في درسنا لسفر دانيال.
- الصلاة من أجل الأموات (٣٨/١٢ – ٤٥). لعب هذا النص دورًا هامًّا في الفكر اللاهوتي الكاثوليكي عن «المطهر»: اذا وجب علينا ان **نصلّي من أجل الأموات، فذلك أنهم لم يصيروا في العدم وانهم يستطيعون ان** ينالوا الغفران بعد موتهم. أمّا البروتستانت، الذين لا يعترفون بقانونية هذا الكتاب، فإنهم يُسلمون الى الله أمر مصير الأموات، ولا يحاولون ان يكتشفوا السرّ.
- الخلق من لا شيء (٢٨/٧). لم يكونوا الى ذلك الوقت يصوّرون الله خالقًا من لا شيء، بل كانوا يصوّرونه فاصلاً ومنظّمًا الخواء الأصلي (تك ١، راجع الصفحة ٧٢).

سفر المكابيين الاول (قانوني ثان).

ان الكاتب الذي وضع هذا الكتاب، في حوالى السنة ١٠٠، مناصر لسلالة المكّابيين. وهو يروي قصة المكابيين الثلاثة الأولين: يهوذا (٣ – ٩) ويوناتان (٩ – ١٢) وسمعان (١٣ – ١٦). مراده ان يؤلّف تاريخًا مقدسًا على طريقة الأنبياء الأولين (راجع الصفحة ٥٩) وأن يُرينا عمل الله الذي يحرّر شعبه منقذًا إياه من الشقاء الذي أوقعته فيه الخطيئة.

كتب الرؤى

نواجه طوال حياتنا أحداثًا سارّة او مؤلمة ، ونحاول ان نتغلّب عليها ونغيّرها لتصير سارّة وان نعطيها معنى ، واذا شعرنا بأننا ضللنا السبيل ، فإننا نغيّر أنفسنا .

هذا ما كان الأنبياء يفعلونه . فكانوا يفسّرون الاحداث ويجدون فيها كلمة الله ويدعون الناس الى التغيّر والاهتداء .

وقد يتّفق أحيانًا أن الشرّ مستعصٍ والموقف مسدود ، حتى يبدو ان لم يعد هناك من مخرج . فلم يبقَ إلاّ الانتظار ان تأتي أيام أفضل . وان كان هناك أحد في إمكانه ان يقول لنا كيف ينتهي كل ذلك ، وجدنا في الأمر نورًا ورجاء يساعداننا على الصمود .

وكتب الرؤى هي بالأحرى من هذا الطراز ، وهي تنشأ عادة في زمن الأزمة . وللكتّاب فيها رأي متشائم في العالم ، فهُم يرونه كلّه تحت سيطرة «رئيس هذا العالم» (او الشيطان) . ومرادهم أن ينعشوا الرجاء ، ولذلك فإنهم يخبرون بأن الله سيأتي في الآخِر ويجدّد . فلا بدّ ، الى ان يأتي ذلك اليوم ، من «تكتّف اليدين» والصلاة . لا يخفى علينا ما في هذا التيار من إبهام ، فهو متشائم ومتفائل في آن واحد ، يحمل على الايمان ويعرّض لعدم الالتزام .

أصبحت كلمة «رؤيا» في اللغة المألوفة ترادف كلمة «غامض» و«مُفجع» . من المؤسف أنه لم يُحفظ إلاّ هذا الوجه ، فإن الرؤيا هي نور ورجاء ايضًا .

ان الفعل اليوناني الذي يعبَّر فيه عن الرؤيا يعني «الكشف» و«إزاحة الستار» . في هذا تصوُّر بأن التاريخ يمرّ مثل خطّ يختفي آخره في سرّ الله . فلكي يسند الله رجاء شعبه في ساعة المآسي ، فإنه يُزيح الستار الذي يحجب النهاية ، كاشفًا آخِر التاريخ السعيد بانتصار الله .

القفّاز بالطول

ولكن كيف يحصل كاتب الرؤيا على هذا «الكشف» ؟ طريقته الفنيّة هي نوعًا ما طريقة القفّاز بالطول . يريد هذا ان يقفز إلى ابعد ما يمكن الى الأمام ، فيذهب ... الى الوراء ، ثم يجتاز بأقصى سرعة تلك الأمتار الثلاثين او الأربعين ، وعند وصوله الى خشبة الانطلاق ، يقفز الى الأمام محروفًا باندفاعه .

بعض ميزات الرؤى

- يستعمل الكاتب اسمًا مستعارًا . فينسب كتابه الى أحد رجال الماضي الابرار . ويربح هكذا على صعيدين : هذا الرجل البار قريب من الله فباستطاعته ان يكشف أسراره . وهو من رجال الماضي فباستطاعته ان يُخبر عن المستقبل !
- نشأت كتب الرؤى في ساعات الأزمات فهي متشائمة في العالم . فقد حُكم عليه بالهلاك لأنه تحت تأثير «أمير هذا العالم» (او الشيطان) . ولكنّها متفائلة في الخاتمة ، فإن الله سيخلق عالمًا جديدًا .
- رؤيتها للتاريخ حتمية بالأحرى ، فكل شيء متوقَّع مُسبقًا ومدوّن في الكتب السماوية .
- تدعو الى ايمان تام بالله . ولكنها تُعرِّض للتخلّي عن الالتزام . فلم يبقَ هناك إلاّ الانتظار ان يعمل الله .
- تسعى خاصة الى الحفاظ على الرجاء .
- تقتصر على المطّلعين ولذلك فهي تُستعمل لغة وصورًا موضوعة بالرموز .

فكاتب الرؤيا مثلنا . لا يعرف المستقبل ، ولكنه متأكّد من أمر واحد وهو أن الله أمين . فلكي يعرف كيف ينهي الله التاريخ . يكفيه ان يرى كيف سيّره في الماضي . فالكاتب يرجع الى الوراء ، فيتظاهر بأنه يكتب في زمن سبق زمن الكتابة بثلاثة او أربعة قرون . فيجتاز التاريخ بسرعة ، وعند وصوله الى زمنه ، يقفز الى الأمام ويلقي الى آخِر الأزمنة ما اكتشفه في قراءته للتاريخ .

تيّار منتشر جدًا

يحتوي الكتاب المقدس على رؤيَيَين فقط : رؤيا دانيال ورؤيا القديس يوحنا . ولكن كثيرًا من نصوص الأنبياء الآخرين ينتمي الى هذا التيار (حز ٢٤ – ٢٧ و٣٤ – ٣٥ وزك ١ – ٨...) .

وهذا التيّار أنتج كتبًا كثيرة جدًا بين السنة ١٥٠ ق.م. والسنة ٧٠ ب.م. وكيَّف عقلية المؤمنين ، مساعدًا إيّاهم على الحياة في الرجاء وفي انتظار الآخرة .

سفر دانيال

يرتبط هذا الكتاب ارتباطًا وثيقًا بزمن المكّابيين، فإن مؤلّفه يكتب في حوالى السنة ١٦٤. يُدرجه الكتاب المقدس اليهودي بين «الكتابات» او «المؤلّفات» ويُدرجه الكتاب المقدس اليوناني بين «الأنبياء». ويستخدم هذا الكتاب فنّين ادبيّين مختلفين: القصص التقوية والرؤيا.

القصص التقوية او الفكاهة السوداء (دا ١ – ٦)

معنويات الجيوش أمر هام في ايّام الحرب، والقصص الظريفة لها مفعول كبير لتشديد العزائم. وفي كلامها على أشخاص غير حقيقيين، تساعد على الضحك من العدوّ دون ان يشعر بالأمر. وهكذا فمن الأمور الخَطِرة ان يُقال ان الله سيجعل انطيوخس الرابع «حيوانًا يأكل التبن». فيُقال ذلك عن نبوكدنصّر الذي عاش قبل ذلك بأربعة قرون (دا ٤).

لكنّ هذه القصص تذهب الى أبعد من الفكاهة، فبصفتها روايات ذات مغزى لاهوتي، تهدف خاصة الى تقوية الايمان (راجع الصفحة ٨١). اليك بعض الأمثال:

معلوم أن القواعد الغذائية اليهودية صارمة جدًا. وكانت تبدو مضحكة للوثنيين وحتى لبعض اليهود الميّالين الى الحضارة اليونانية؛ وقد نهى انطيوخس عن مراعاتها. فقصة الفتيان المجلوّين الى بابل جواب لهؤلاء. فمع اكتفائهم بأكل البقول وشرب الماء، كانوا أحسن منظرًا وأسمن من الذين يأكلون اللحم (دا ١).

كان اسرائيل مسحوقًا تحت وطأة انطيوخس، كما كان مسحوقًا قبل ذلك تحت وطأة البابليين والميديين والفُرس واليونان بما فيهم اللاجيّون والسلوقيون. وكان يشعر بضعفه أمام ذلك العملاق. فقال دانيال: «لا تخف. فإنه عملاق رجلاه من طين». واذا بحجر خفيّ ينفصل عن الجبل ويحوّله الى تراب (٢/٣٤). فالله، لا سيف المكّابيين، هو الذي سيضع حدًا للتاريخ فيقيم ملكوته (٢/٤٤).

ولليهود الذين «عصَوا أمر الملك وأسلموا اجسادهم الى الموت لئلاّ يعبدوا إلهًا آخر» (٣/٢٨) يروي الكاتب قصة الفتيان الثلاثة الذين أُلقوا في الأتون: «لا تخافوا! فإن الله سيرسل ملاكه معكم في النار لينقذكم من الشر» (دا ٣). وأُضيف باليونانية الى هذه الرواية ذلك النشيد الرائع، نشيد «الفتيان الثلاثة في الأتون».

«وحتى إن قتلوكم، فالله قادر ان يخرجكم أحياء من القبر». هذا ما يعلّمنا اياه الفصل ٦. أُلقي دانيال في جبّ الأسود ووُضع عليه حجر مختوم، وأخذ الملك في النحيب، لاعتقاده أن دانيال قد مات، ولكنه خرج حيًا، وهو صورة لشعب اسرائيل كله، الذي قتله مضطهدوه، فردَّه إلهه الى الحياة.

في بعض هذه النصوص تظهر منذ ذلك الحين ميزات خاصة بالرؤى: الحجر الرامز الى تدخّل الله، والرؤى والأحلام. ولكن استعمال الكاتب لفن الرؤيا الأدبي يظهر خاصة في الفصول ٧ – ١٢.

فكر لاهوتي في صُوَر

تستعمل الرؤى جهاز صُوَر لا بدّ من فكّ رموزها. إليك أهمّها:

- **الألوان**

الابيض = النصر والطهارة.
الاحمر = القتل والعنف ودم الشهداء.
الاسود = الموت والكفر.

- **الرموز**

سبعة = الرقم الكامل والكمال
ستّة (سبعة ناقص واحد) = عدم الكمال.
ثلاثة ونصف (نصف سبعة) = عدم الكمال والعذاب وزمن المحنة والاضطهاد. إنتبه، فقد تظهر ٣$\frac{1}{2}$ بأشكال مختلفة، ولكنّ قيمتها الرمزية لا تتغيّر. فـ ٣$\frac{1}{2}$ او زمن وزمنان ونصف زمن (اي ١ + ٢ + $\frac{1}{2}$) او ثلاث سنين ونصف لا يختلف معناها عن ثلاثة ايام ونصف او ٤٢ شهرًا او ١٢٦٠ يومًا!
اثنا عشر = اسرائيل (بسبب الأسباط الاثني عشر)
أربعة = العالم (الجهات الأربع)
ألف = كمية لا تُحصى.

- **صُوَر أُخرى**

القَرن = القدرة
الشعر الابيض = الأبدية (لا الشيخوخة: فـ«الشيخ» في دا ٧ ليس متقدّمًا بالسنّ، بل شاب للأبد).
الثوب السابغ = كثيرًا ما يدل على المرتبة الكهنوتية
زنّار الذهب = سلطة الملك
التيوس = الأشرار
الخراف = الشعب.

رؤيا (دا ٧ – ١٢)

ان القسم الرؤيوي (٧–١٢) من الكتاب هو الذي أثّر في الفكر الاسرائيلي. رأينا ان الكاتب وضع كتابه في السنة ١٦٤. إلاّ انه يتظاهر بأنه يكتب في زمن اضطهادات آخر، زمن الجلاء، قبل ذلك بأربعة قرون. ويطلق على نفسه اسم دانيال، وهو اسم بطل وثني كنعاني ذكره حزقيال (حز ١٤/١٤). فباستطاعته ان «يُنبئ» عن المستقبل بين الجلاء وعهد المكّابيين بشيء من السهولة! لكنه يفعل ذلك ليُبرز الخطوط العريضة لطريقة الله ويكشف كيف ان هذا الاله سيضع حدًّا للتاريخ. سندرس اهمّ نص من نصوص دانيال.

◀ **دَرْس نص** (دا ٧)

إبدأ بقراءة هذا النص بدون توقّف. ستشعر بالغُربة، ولكن ذلك يساعدك على التعرّف الى أدب الرؤى.

واستخلص الآن مختلف اقسام هذا الفصل. تجد عادة رؤية يليها تفسيرها على لسان ملاك.

تُروى الرؤية في ١/٧ – ١٤، ولكنّ في ١٩ – ٢٢ توضيحًا هامًّا. فاقرأ بالتتابع ١/٧ – ٨، ثم ١٩ – ٢٢، ثم ٩ – ١٤.

يرد التفسير في الآيات ١٥ – ١٨ ثم ٢٣ – ٢٨.

لِنعدْ الى كلّ ذلك بمزيد من التفاصيل.

هناك تعارض بين حيوانات وإنسان (ابن انسان = انسان). الحيوانات تخرج من الهاوية، وهي مأوى القوّات الشريرة، والانسان يظهر في السماء. فقبل ان نعرف من تمثّله هذه الصُوَر، نعلم ان الحيوانات شريرة تقف الى جانب الشر، وأن الانسان صالح يقف الى جانب الله.

من تمثّله الحيوانات الأربعة؟ أُنظر الى التفسير الوارد في ١٧/٧. ولماذا ذلك الاهتمام الخاص بالحيوان الرابع؟ لأن أهوَل الحيوانات يمثّل انطيوخس الرابع الذي يضطهد اليهود. راجع الآية ٢٥.

من يمثّله الانسان؟ أُنظُر الى الآيتين ١٨ و٢٧.

ما هي التغيّرات التي تطرأ على الحيوانات؟ وعلى الانسان؟

كيف تكون هذه الرؤية رسالة الى اليهود المضطهدين الذين يفضّلون الموت على جحود ايمانهم؟

قيامة الأموات (دا ١/١٢ – ٤).

هذا النص اول نص من الكتاب المقدس يعرض لنا بوضوح أمر الايمان بقيامة الأموات. لم تكن رؤيا حز ٣٧ إلاّ صورة لقيامة الشعب. وأمّا هنا، فالمقصود هو القيامة الشخصية. هذا النصّ يعبّر بوجه مختلف عمّا أثبت دا ٧. لِننظرْ ثانية الى الوضع.

كان انطيوخس الرابع يضطهد اليهود، وكان بعضهم يفضّل الموت على التخلّي عن ايمانهم. وهذا الأمر يثير مشكلة خطيرة: لم يكن اسرائيل قد فكّر الى تلك الأيام في وجود حياة بعد الموت. فلم تكن هناك لليهود حياة غير تلك الحياة الأرضية. والحال أن أولئك الشهداء يقبلون، في سبيل الله، ان يفقدوا هذا الخير الوحيد! فأجاب الله على لسان دانيال: «أنتم مضطهَدون وتقبلون الموت: هذا هو وجه الأشياء المنظور. سأريكم الوجه غير المنظور. انتم الذين يقبلون الموت، يا شعب قديسي العليّ، ستدخلون الى المجد لحياة جديدة تمامًا، في ملكوت رائع لا يزول!».

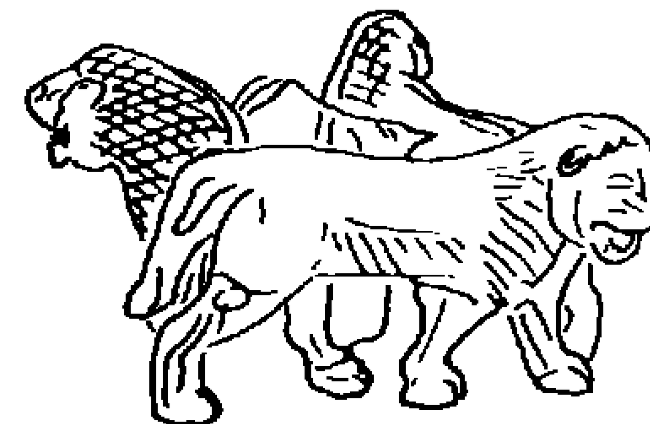
في هذا لُغتان وطريقتان هامتان للتعبير عن القيامة:

دا ١٢ يستعمل المدى «قبل/بعد»: «قبل الموت، كنتم تَحيون. فأسقطكم الموت في الحفرة او النوم. بعد الموت، ستخرجون من هذه الحفرة وتستيقظون». فالأشخاص هم هم قبل وبعد. لكنّ الحياة التابعة لن تكون كالحياة السابقة تمامًا، وهذا ما يعبّر عنه الكاتب بصُور كونية: بهاء القبة الزرقاء...

يشدّد دا ٧ على هذه «الزيادة» خاصة. وهو يستعمل المدى «تحت/فوق». في الأرض (تحت) تُقتلون. ولكنكم ستدخلون بالقرب من الله (فوق) لحياة جديدة تمامًا.

لا بدّ من التذكّر بهذه الصُوَر، حين تدرس قيامة المسيح، فإنهم سيستعملونها للتعبير عن تلك القيامة.

أمر هام، وهو ان ذلك الانسان مجرّد صورة، فإنه يمثّل مجموعة الذين يتّكلون على الله حتى الموت. ولا بدّ من تذكّر ذلك حين يصوّرُ يسوع كابن انسان.



ثلاثة اسود. برسيبوليس
(القرن السادس – الخامس ق.م.)

الحكمة في الشتات

سننتهي بكتابين أُلِّفا في الشتات: الواحد في بلاد بابل (باروك)، والآخر في مصر (الحكمة).

باروك (قانوني ثانٍ)

يُنسب هذا الكتاب الى باروك، امين سرّ ارميا النبي. لكنه مؤلَّف في الواقع من اربعة أجزاء من أزمنة مختلفة وكتّاب مختلفين. وهو في وضعه الحاليّ صيغة رائعة لحفلة توبة. يبتدئ بإثبات حالة، وهو ان خطايانا قد قطعت الصلة بالله (١/١ – ١٤). ثم يأتي تفكير في الخطيئة كمنفى بعيدًا عن الله، ولا ملجأ لنا سوى حنان الله وأمانته (١/١٥ – ٣/١٨). فيمكن التأمّل في حكمة الله التي هي الشريعة. ولا تُكتسب الحكمة إلاّ بممارسة الشريعة (٣/٩ – ٤/٤). وأمّا الجزء الأخير، والذي تذكّرنا لهجته بأشعيا الثاني، فهو يشجّع اورشليم وينبئ بأن الله يمنحها نوره ورحمته، ثمّ تتمّ المصالحة (٤/٥ – ٥/٩).

يمكنك ان تقرأ صلاة المجلوّين الرائعة (٢/١١ – ٣/٨) ولا سيما التأمّل في حكمة الله: «ظهرت على الأرض وعاشت مع البشر» (٣/٣٢ – ٤/١). ولن يضيف يوحنا شيئًا على هذا حين يتكلّم على يسوع.

يسوع حكمة الله

على وجه مبسَّط: ساعد الأنبياء المسيحيين على اكتشاف رسالة يسوع، اي ما كان عليه ان يعمل. وأمّا كتب الحكمة فقد ساعدتهم على الشعور بكيانه، اي بما هو.

في العهد القديم، تظهر حكمة الله أحيانًا بمظهر شخص. ولكن ذلك مجرّد صورة، كما الأمر هو عندما أقول: «عقلي في القمر» (اي شارد الذهن). اني أجسّد عقلي كما لو كان قادرًا على التنزّه بدوني، مع العلم بأنه ليس هو شيئًا آخر سواي، في امكاني ان أنسب اليه صفاتي الحميدة وعيوبي. وكذلك فحكمة الله ليست هي غير الله، بل هي الله بصفته حكيمًا. فلا بأس ان ننسب اليها صفات إلهية كثيرة، كالقدرة على الخَلْق، الخ (حك ٧).

وحين يقول المسيحيون ان يسوع هو حكمة الله، فذلك يمكّنهم ان ينسبوا اليه صفات هذه الحكمة، اي صفات الله نفسها.

الحكمة (قانوني ثانٍ)

وُضع هذا الكتاب باللغة اليونانية في الاسكندرية بمصر، في حوالى السنين ٥٠ – ٣٠ ق.م.، وهو أحدث كتب العهد القديم.

كاتبه يوناني طويل الباع في الأدب اليوناني، وهو يهودي. عاش بعيدًا عن الهيجان الذي عرفته جماعة فلسطين حول السلالة الحسمونية. فمارس سياسة اليد الممدودة، وحاول ان يفكّر في دينه اليهودي من خلال ثقافته اليونانية، كما فعل بعده الفيلسوف اليهودي فيلون الاسكندري، معاصر يسوع.

يقسم كتابه الى ثلاثة أقسام:

١. المصير البشري بحسب الله (١ – ٥)

ما معنى الحياة؟ يرسم لنا الكاتب، بكثير من الدقة النفسانية، موقفين نموذجيين. يقول البعض: وُلدنا اتفاقًا، والحياة قصيرة، ولا شيء بعدها. فيُرينا الكاتب الى ايّ نتائج عملية قد يذهب بنا هذا التفكير، من تمتّع الانسان بالحياة وسحق الآخرين لتوسيع المكان لنفسه... يضيف الكاتب أن أولئك هم في الواقع أصدقاء للموت، ينسون ان الله خلق الانسان غير قابل للفساد، إذ جعله صورة لطبيعته. ومن جهة أخرى فهناك الذين يتكلون على الله ويثبتون في محبته. أجل، انهم كثيرًا ما يتألّمون وأحيانًا ما يُضطهدون، ولكنهم، اذا ما أتمّوا عملهم، يقيمون عند الله.

سيُكثر المسيحيون الاولون من استعمال هذه النصوص التي تعكس بعض فقرات من اقوال الأنبياء، للتعبير عن موت البار على الصليب.

٢. مديح الحكمة (٦/١ – ١١/٣)

سنعود الى احدى الفقرات، ولكن لا بدّ من قراءة كل هذه الفصول حيث يلحّ علينا الكاتب ان نلتمس حكمة الله المحبّ للبشر، كما التمسها هو، وأن نجعل منها رفيقة لحياتنا، وأن نعشق جمالها... ثم إنه يتناول، في صيغة مدراشٍ عجيب، بعض الساعات الحاسمة من التاريخ المقدس، لكي يبيّن أن مسيّر هذا التاريخ هو الحكمة، فهي التي جبلت آدم وأرشدت سفينة نوح وساعدت ابراهيم على ان يكون اقوى من حنانه لولده، وقادت موسى...

٣. تأمّل في الخروج (١١/٤ – ١٩/٢٢).

تكاد الحكمة تختفي في هذه الفصول. فالضربات التي حلّت بمصر هي عقاب للبعض وخلاص للبعض الآخر.

من الصعب ان نقصّ نصًّا معيَّنًا ، لأن الأفكار تتتابع ، والأولى ان يُدرس مجمل الفصول ٦ – ١٠.

يتصرّف الكاتب كأنه سليمان ، الملك الحكيم ، ويبيّن كيف أن كل ما كان عليه من صفات لم ينله بالولادة ، بل لأنه صلّى فحلَّ عليه روح الحكمة . والذي علَّمه هو «مهندسة» كل شيء والتي نظَّمته (٢٢/٧).

إقرأ هذا النص . كيف تظهر الحكمة؟ يُعترَف لها بجميع الصفات الحميدة ، كما يُعترف بها للحبيب او للحبيبة (في ٢٢/٧ – ٢٣ ، ثلاث مجموعات لِسَبع صفات : اي صيغة التفضيل للكمال !). بعض هذه الصفات مقصورة على الله في الكتاب المقدس ، والبعض الآخر كان منسوبًا عند الفلاسفة اليونان الى المبدأ الالهي الذي يسيّر الكون : بإمكانك أن تحاول الاهتداء اليها... ولكن بدون جدال ، لأن الأمر غير واضح دائمًا وليس على جانب كبير من الأهمية.

حاول خاصة ان ترى ، وانت تنظر الى تلك الصفات ، ما هو وضع الحكمة بالنسبة الى الله.

الآية ٢٦ فيها كثير من الجرأة . فالصورة عند اليهودي تدل على نوع من التطابق وعلى الحضور.

حاول ان ترى ، وأنت تنظر الى هذه الصفات ، ما هو دور الحكمة بالنسبة الى خلق العالم والى البشر.

يمكنك ان تقرأ الآن تك ٢٦/١ – ٢٧ (خلق الله للانسان على صورته) وحك ٢٣/٢ . في تك ٢٦/٧ الحكمة هي صورة الله . ألا يعني ذلك ان في الانسان نسخة منقولة لملامح هذه الحكمة؟

إقرأ ٢ قور ٤/٤ وقول ١٥/١ ، ثم ١ قور ١١/٧ و ٢ قور ١٨/٣ وقول ١٠/٣ . ماذا يُفيدنا ذلك عن المسيح؟ وعن دعوة الانسان؟

بإمكانك في الختام ان تعيد قراءة هذه الفصول مستبدلاً في ذهنك كلمة «يسوع» بكلمة «حكمة».

الترجمة السبعينية

يُطلق اسم «السبعينية» على الترجمة اليونانية الاولى للعهد القديم.

مصدر هذا الاسم أسطورة وردت في «رسالة أرستي» وهو مؤلِّف يوناني يرقى عهده الى اواخر القرن الثاني ق.م. : يُقال ان ٧٢ عالمًا يهوديًا عملوا منفردين مدة ٧٢ يومًا فوضعوا ترجمة واحدة في جميع تفاصيلها ! المراد من ذلك ان تلك الترجمة كانت عجائبية وتمّت بالهام من الله.

أما الواقع فإن هذه الترجمة تمَّت بين السنة ٢٥٠ والسنة ١٥٠ . عن يد مترجمين مختلفين.

كانت جماعة الاسكندرية تتكلّم اليونانية ولم تعد تفهم العبرية . وكما أن النص العبري كان يُترجم في فلسطين الى الآرامية (الترجوم : راجع الصفحة ٨١) ، فكذلك تُرجم هذا النص في مصر الى اليونانية . ومن الأرجح ان لهذه الترجمة أصلاً طقسيًا وكثيرًا ما هي تكييف اكثر مِمَّا هي ترجمة . انّها قراءة جديدة للكتب المقدسة لجعلها حالية . هناك مثل مشهور : أعلن أشعيا : «إن المرأة الفتيّة تحبل وتلد عِمَّانوئيل» (اش ١٤/٧) ، فترجمت السبعينية : «تحبل العذراء» ، وهذا ما حمل المسيحيين على تطبيق هذا النص على مريم (متى ٢٣/١).

هذه الترجمة على جانب كبير من الاهمية.

إنها أوّلاً ساعدت على أقلمة الايمان اليهودي للفكر اليوناني فكوَّنت لغة للتعبير عنه . ذلك بأنها استخدمت اللغة اليونانية المشتركة ، ولكنها صبغتها بعدد كبير من التراكيب المأخوذة عن العبرية . وقد أكثر العهد الجديد من استعمال هذه اللغة.

أصبحت «كتاب المسيحيين المقدس» ، فهم تبنّوا لائحة كتبها (راجع «قانونية ثانية» ، في الصفحة ٨٦) وكثيرًا ما تبنّوا طريقة تفسيرها للكتب المقدسة . فكانت حلقة حاسمة مهّدت الى التعبير الذي شاع في المسيحية.

٨. المـــزامــير


عازف على قيثارة اعمى

نُنهي «دورتنا السياحية» في أنحاء العهد القديم بسفر المزامير.

لماذا نجمعها كلّها في فصل واحد؟ اجتهدنا حتى الآن ان نقرأ النصوص في الحقبة التاريخية التي نشأت فيها. لماذا نعامل المزامير على خلاف ذلك؟ السبب بسيط، وهو أن تأريخ المزامير أمر شبه مستحيل. فالصلاة هي هي في جميع العصور، والنصوص جُدّدت قراءتها وجُدّدت كتابتها. فالأفضل ان ندرسها جميعها في وقت واحد.

سيساعدنا ذلك على ان نعرف كيف كان اسرائيل يصلّي، وسنجد في ذلك ملخّصًا مفيدًا لرحلتنا: فلقد عبَّر الشعب في صلاته عن جوهر ما عاشه واكتشفه عن الله وعن وضعه الخاص في العالم.

فالمزامير في جوهرها صلاة وهي جواب الانسان الى الله الذي يناديه، في كل وضع من أوضاع حياته.

صراخات بشرية

كتب الشاعر اليهودي شوراقي: «نولد وهذا الكتاب في احشائنا. كتاب صغير: ١٥٠ مزمورًا، ١٥٠ درجة سلّم مشيّدة بين الموت والحياة، ١٥٠ مرآة لتمرّداتنا وأماناتنا، لاحتضاراتنا وقياماتنا. إنه اكثر من كتاب، فهو كائن حيّ يتكلّم – يكلّمك – ويتألّم ويئن ويموت ويقوم من بين الأموات ويغنّي، على عتبة الأبدية...».

جميع صراخاتنا البشرية، من نشيد اعجابٍ امام الطبيعة او امام الحب البشري، وضيقٍ امام العذاب والموت، وانسحاق عن يد المجتمع، وتمرّدٍ أمام لامعقولية العالم او صمت الله، جميع هذه الصراخات البشرية – صراخاتنا – نجدها في هذا الكتاب، مقدّمةً لصوتنا كـ«كلمة الله»! وهي تعلّمنا أن الله حاضر، حتى في أحلك وضع من تمرّدنا، وأنه يصرخ معنا وبنا، وأن التسبيح والتجديف قد يكونا صلاة، ان كانا حقيقيين وان عبَّرا عمّا نعيشه.

اسلوبان لُغَويان

يمكننا بالاختصار ان نميّز بين لغة الإعلام أو العلم ولغة العلاقة. إليك مثلاً: الولد في السرير وينادي أمّه: «ماما، أنا عطشان». من ايّ طراز هذه الجملة؟ لعلّها من طراز الإعلام، اي ان العبارة «انا عطشان» تصف الوضع بدقة. فالأم تجيب باللهجة نفسها وتقول: «تقوم وتأخذ كوب ماء»، والولد ينام. ان كانت الجملة من طراز العلاقة، فالولد يعود فيقول بعد ان شرب: «ماما، انا عطشان» أو «أشعر بالحرّ». فعبارة «انا عطشان» تعني في هذه الحال: «انا عطشان اليك، الى حضورِكِ».

في اللغة العلمية او الاعلامية، تعبّر الكلمات عمّا تعنيه. أمّا في لغة العلاقة، فالكلمات تعني شيئًا آخر. ان العاشق الذي ينادي «عينه» او «روحه» لا يعبّر عن وضع من الأوضاع، بل عن طراز علاقة، كما ان صاحب المزامير يسمّي الهه «صخرتي وحِصني».

هذا الفرق بين هذين الطرازين للغة أمر هام لصلاة المزامير، وبوجه أشمل، لقراءة الكتاب المقدس. فكلمة الله هي عادة من طراز العلاقة، لا من طراز الإعلام. اجل، ان الكتاب المقدس يريد ان يعلّمنا بعض الأشياء، ولكنه يريد، قبل كل شيء، ان يُدخلنا في علاقة شخصية مع الله. الكتاب المقدس ينادينا. فإن لغة الإعلام تخاطب عقلنا، لكنها كثيرًا ما لا تغيّرنا شخصيًا. ان كان الولد عطشان في الحقيقة، فالأم لا تضطرب. أمّا لغة العلاقة، فإنها تغيّرنا. وعبارة «انا عطشان» تحمل الأم على التحرّك وتنادي غريزتها الأمومية.

أمام شيء من الأشياء او حركة من الحركات، يحملنا عقلنا العلمي على التساؤل: «ما هذا؟» والشاعر او انسان الكتاب المقدس يسأل: «ما معنى هذا»؟ ان أرى استاذ العلوم الطبيعية زهرةً لاحدى تلميذاته، يكون السؤال طبعًا: «ما هذه؟ ومن ايّ نوع هي»؟ ولكن، ان كان مقدّم الزهرة للبنت نفسها صبيًّا، يكون السؤال مختلفًا تمامًا...

فمن الجوهري اذًا ، عندما نفتح سفر المزامير ، بل الكتاب المقدس كله ، ان نتذكّر هل نحن أمام لغة العلاقة. هناك صور او عبارات يجب ألا نحاول ان نفهمها كخبر بالمعنى العلمي ، بل ان نحلّ رموزها كمناداة. وهي تحدّثنا بالنسبة الى خبرتنا الشخصية. فالكلمة الواحدة تعني شيئًا للفلاّح الذي تكسّرت سكّة محراثه على «صخرة» بارزة ، وشيئًا آخر لمتسلّق الجبال الذي ، بعد ان ارتعب على صخرة متفسّخة ، وصل اخيرًا الى صَوّان متين المَسكة. نجد هذين الوجهين في الكتاب المقدس : فالله هو «الصخرة» التي يتحطّم عليها الانسان ان لم يراعِها ، وهو ايضًا «الصخرة» الراسخة التي يجد الانسان فيها الأمان.

لغة خاصّة بحقبة معيّنة

تتغيّر الصور الشعرية مع الحضارات. كانت «حركة الزارع الجليلة» من الأمور التي تهزّ مشاعر أجدادنا. أمّا اليوم ونحن في عصر المِزرع الميكانيكي ، فلم يعد لها من معنى.

والكتاب المقدس يعبّر عن كل شيء في ثقافة زمنه. وهذه الثقافة لم تعد ثقافتنا ، وهذا ما يشكّل أحيانًا صعوبة كبيرة. لكنّ الحواشي والفوائد التي قد تجدها في كتابك المقدّس تساعدك على إدراك معنى بعض الرموز.

والأساليب الشعرية تختلف هي ايضًا. ولقد سبق ان ذكرنا شيئًا عنها (الصفحة ٣٠). وهذه الأساليب قد تروقك او قد تضايقك... ولكن لا بقدر أكثر ولا بقدر أقلّ من بعض القصائد العصرية.

ترقيم المزامير

للكتاب المقدس اليوناني ، ومن ثمّ للترجمة اللاتينية والترجمة العربية القديمة ، ترقيم يختلف عن ترقيم الكتاب المقدّس العبري ، وهو ترقيم اتّبعته اكثر الكتب المقدسة العصرية... فحيثما يختلف الترقيم ، فذلك بأن رقم الترجمة العربية القديمة متأخّر بعددٍ واحدٍ.

فانتبه اذًا عندما تُحال الى أحد المزامير.

وفي ايامنا يزداد عدد الكتب المقدسة العصرية التي تتبنّى ترقيم الكتاب المقدس العبري (وهو الذي نتّبعه في هذا الكتاب).

وكثيرًا ما يُعطى الرقمان. مثلاً : ٥١ (٥٠) ، اي ٥١ في الكتب الحديثة و٥٠ في الترجمة العربية القديمة.

الفنون الأدبية

اجتهد اهل الاختصاص في تحديد مختلف الفنون الأدبية في المزامير. وهذا امر هام لمن يريد ان يفهمها. وبالأحرى لمن يريد ان يصلّيها. من اطّلع على الفن الأدبي في مزمور من المزامير ، علم كيف يستعد لملاقاة الله.

أمّا التبويبات التي يقترحها اهل الاختصاص ، فهي تختلف في تفاصيلها ، ولكنها تتوافق في خطوطها العريضة. ولعلّك تجد في المدخل الى سفر المزامير في كتابك المقدس تبويبًا وتوزيعًا للمزامير بحسب هذه الفنون.

هذ الفصل يساعدك خاصة على الدخول في صلاة المزامير. ولذلك تجدها مقسّمة الى مواضيع اكثر مِمّا هي مقسّمة الى فنون ادبية (ولكن كثيرًا ما يتوافق التقسيمان).

لا تطمح الى درس وافٍ لمجموعة المزامير ، بل اننا ، ونحن نقرأ عددًا من المزامير بعضها للاستمتاع وبعضها الآخر نظرًا لأهميتها اللاهوتية ولصعوبتها. نجتهد ان نكتشف كيف ان هذه الصلوات القديمة لا تزال صلواتنا.

بعض مواضيع الصلاة

- صلاة تسبيح لله المخلّص والخالق
- صلاة تسبيح لله القريب : يسكن عند شعبه (اورشليم ، الهيكل) ويسكن في شعبه (الشريعة).
- صلاة رجاء. ان الله مَلِك وسيقيم ملكه العادل. يفعل ذلك عن يد مَلِكه المشيح المتمثّل بالمَلِك الأرضي.
- صلاة طلب وشكر. لا فصل بين الوجهين في نظر اسرائيل.
- صلاة للعيش. تُضمّ هنا عدّة مواضيع نشأت عن تفكير الحكماء : كيف يعيش الانسان وضعه البشري الشاقّ؟

وقبل ذلك ، تساعدنا مزامير المراقي على ان نكوّن لأنفسنا تصوّرًا أوليًا للمزامير.

وستجد لكل موضوع بعض المعلومات العامّة على صفحة اليمين ودعوات

◀ الى قراءة بعض المزامير في صفحة اليسار.

مزامير المراقي (مز ١٢٠ الى ١٣٤)

في كتاب المزامير تبرز مجموعة صغيرة رائعة ، وهي عبارة عن ١٥ مزمورًا قصيرة كلّها نضارة ، تحمل عنوانًا واحدًا وهو «نشيد المراقي» ، لأنها كانت تُنشد اثناء الصعود الى اورشليم لأعياد الحج الثلاثة . هي المزامير ١٢٠ الى ١٣٤ (لكن المزمور ١٣٢ ، وهو يختلف عنها ، ليس واحدًا منها) .

تنتمي هذه المزامير الى فصائل مختلفة . وستساعدنا على التعرّف الى هذه الفصائل وعلى اكتشاف الشعر العبري ولا سيّمَا مشاعر الكتّاب الدينية .

إبدأ بقراءة هذه المزامير ، للاستمتاع فقط .

ويمكنك بعد ذلك ان تعود اليها لدرسها من مختلف الوجوه .

الفنون الأدبية

في أية فصيلة تضع كلاً من هذه المزامير؟

تجد فيها صلوات اتّكال ، استغاثات فردية او جماعية ، صلاة عرفان جميل ، نشيد من نوع نشيد صهيون ، عدّة مزامير تعليم ومزمورًا طقسيًا .

حاول ان تهتدي الى بعض الملامح لكل من الفصائل ، مع العلم بأن الحدود دقيقة احيانًا : فقد تنتقل في صلاة واحدة من التوسّل الى التوكّل .

الشعر العبري

الايقاع . في الشعر العربي ، ابيات القصيدة تكون كلّها من بحر واحد ، ولكل بحر وزن معيّن . أمّا في العبرية ، فالمبدأ يختلف . وذلك بأن الصوت يرتفع وينخفض على بعض المقاطع الصوتية ، ولا يُؤخذ بعين الاعتبار إلاّ عدد ارتفاعات الصوت هذه . فقد يكون لها عدد واحد في جميع الأبيات (مثلاً ٣ + ٣) او يختلف عددها (مثلاً ٣ + ٢) .

إليك مثلاً :

إلى أقوالي يا ربُّ أَصغِ (٣) وشكْواي تبيَّن (٢)
أَنصِت الى صَوتِ ندائي (٣) يا مَلِكي وإلهي . (٢)

في هذا المقطع الشعري يرتفع الصوت على المقاطع الصوتية التي تحتها خطّ مزدوج . ففي البيت الأول ٣ + ٢ وفي البيت الثاني ٣ + ٢ .

التوازي . ان الأسلوب القائم على تكرار الشيء الواحد على مرّتين بصورة مختلفة هو أسلوب مألوف جدًا في الشعر العبري . حاوِل ان تجد امثالاً في هذه المزامير (مثلاً ١٢٢/٨ – ٩) .

الكلمات – العلاّقات . قد تبدأ كل جملة من الجمل بإحدى كلمات الجملة السابقة . فكأن الجملة تتعلّق بالكلمة . راجع المزمور ١٢١ مثلاً .

كيف نصلّي معًا انطلاقًا من مزمور؟

من الواضح ان ليس هناك وَصْفات ، وأنّ على كل واحد ، بمفرده او مع فريق ، أن يبتدع طريقته . نكتفي هنا بذكر ما يمارَس هنا وهناك . يجتمع الفريق (المحيط له أهميته : طريقة الجلوس ، الايقونة ...) . يقوم أحدهم بقراءة المزمور بصوت عالٍ . ثم يُعيد كلّ منهم قراءته بصمت ، مرّة ، مرّتين ، عشر مرّات ، مستوعبًا اياه . وبعد زمن يختلف طوله من هذه الصلاة الصامتة ، يكرّر الواحد ثم الآخر احدى الآيات التي أثّرت فيه ، مُعيدًا قراءتها او معبرًا عنها بكلماته الخاصة . وهناك كثير من آيات المزمور وألفاظه وصوره ، إذا ما أُعيدت قراءتها او كتابتها ، وامتلأت من حياة كل من اعضاء الفريق ، تتخّذ معنًى جديدًا وتنعش صلاة كل واحد منهم . لا تَخَفْ من اوقات الصمت ، فليست اوقاتًا عقيمة ، بل هي لحظات تصبح فيها كلمة الكتاب المقدس كلمة أخ فتدوّي فينا وتوقظ كلمتنا .

من الممكن أحيانًا ان تُنشد عفويًا لازمة ترتيلة معروفة . ومن الممكن احيانًا أيضًا ان يُستشهد ببعض الآيات الانجيلية ، وهذا ما يعبّر عن التيقّن من ان هذه المزامير هي صلوات المسيح ايضًا .

الصور

بإمكانك ان تدرسها على صعيدين.

أيًّا هي؟ عن أيّ بيئة اجتماعية واقتصادية وثقافية تكشف؟ فهي توحي، على سبيل المثل، بالحياة العائلية (أم/ولد وسيدة/خادمة)... والحياة القروية المتصلة بالطبيعة (حارس وأسهم وبناء بيت وحصّاد...) ودَهَش رجل الريف، عندما يكتشف المدينة الواسعة ذات المباني الضخمة والمتينة! وهذه الصُوَر تُظهر لنا قريحة شعبية تعبّر عن الواقع: «كادوا يبتلعوننا أحياء...».

حاول أن تعرف ما «تعني» هذه الصور:

• ايّ وجه لله يظهر في هذه المزامير؟ ما هي صلته بالانسان؟ ربّ عبارة بسيطةً مثل «الربّ يحفظك في ذهابك وإيابك من الآن وللأبد» (١٢١/٨) تعبّر بطريقة رائعة عمّا نسمّيه «العناية الإلهية»، عن وجود الله في المكان والزمان اللذين يقوم عليهما التاريخ البشري.

• ما هو جواب الانسان لمحبّة الله هذه في الحياة العادية والمحن اليومية والشدّة؟ أيّ شعور بالخطيئة يعبَّر عنه؟ أنظر كيف أنه، في جميع لحظات حياته العائلية والمهنية، يعيش متّحدًا بإلهه: فكل شيء يشير الى الذي يحبّه.

• ما معنى الحج وأهمية اورشليم والهيكل، وهما المكان الذي يحضر فيه الله؟

الارتباط بالكتب المقدسة

يمكننا ان نرى كيف أن هذه المزامير تتناول روحانية حزقيال والتاريخ الكهنوتي (تقوى مركّزة على حضور الله في هيكله) وكيف أنها تتّفق مع سفر تثنية الاشتراع الذي يعبّر عن حضور الله في الحياة اليومية العادية وكيف أنها تتناول بطريقة أبسط وبالصّور ايمان اشعيا الثاني بالله الخالق والقريب من الانسان بمحبّته، او تلك النضارة في صلاة الشكر عند طوبيا...

على صعيد العمق، تُعزف أناشيد المراقي هذه على مَدًى رُباعيّ: يُحتفَل بالصعود الحالي الى اورشليم – وهذا الحج هو طريقة أيضًا لإحياء ذكرى الصعود الأول من مصر عند الخروج – والصعود من بابل في نهاية الجلاء – والصعود الحالي هو صعود مُسبق للشعوب الى اورشليم في نهاية الأزمنة (راجع اش ٦٠ – ٦٢).

صلاة مسيحية

كيف استطاع يسوع ان يصلّي هذه المزامير؟

كيف نستطيع ان نصلّيها اليوم؟

مساكين الله

للفقر في الكتاب المقدس معنيان يجب التمييز بينهما.

الفقر هو أولاً وضع ملموس من الحرمان. وهو شرّ، لا بل حجر عثرة، لأنه يدل على ان ملكوت الله لم يأتِ حتى اليوم، اذ لا يزال هناك بؤساء وأناس يعانون اللاعدالة. انّ أنبياء زمن الجلاء خاصة يُنبئون بحلول ملكوت الله: وعندئذ لن يبقى فقراء (راجع الصفحة ٦٧). من هذه الوجهة يجب ان ننظر الى التطويبات الواردة في انجيل لوقا.

ويُنظر احيانًا الى الفقر كموقف روحي، اي كموقف الذي يُسلم أمره الى الله، بعد ان اختبر عجزه وفقره، وهذا الفقر هو الفقر الباطني. وهؤلاء الفقراء او المساكين، هؤلاء «العناويم» (جمع «عنو» اي فقير)، هم الذين تصرّح التطويبات الواردة في انجيل متى بأنهم سعداء.

يظهر هذا المثال الأعلى للفقر الروحي بوضوح في سفر صَفَنْيا (راجع الصفحة ٦١) وسينمو عند العودة من الجلاء ويدلّ على طبقة من الناس البسطاء والمتأصّلين في الايمان والبعيدين عن المسائل السياسية الدينية التي كان عظماء الكهنة ينصرفون اليها، ومن امثال اولئك المساكين زكريا واليصابات وسمعان وحنّة ومريم...

ان مزامير المراقي، وهي التي أُلّفت بعد الجلاء، تعبّر تعبيرًا وافيًا عن هذه الروحانية.

كانت حياة ذلك المسكين، ذلك الوضيع والفقير بالروح، حياة بسيطة جدًا. كان قرويًّا قريبًا من الطبيعة، يتمتّع بأوضع أفراح العائلة وبالصداقة بين الإخوة والسلام. لم يكن قادرًا على التعبير عن مشاعره بكلمات عريضة، وكانت صُوَره تكشف عن عمق شعوره الديني. فكل شيء كان يحدّثه عن الله ويبلّغه محبته. سيتكلّم يسوع على هذه الطريقة في الأمثال.

كان ذلك الاله إلهًا شخصيًا، قريبًا من الانسان، يحميه في جميع نشاطاته ويسهر عليه ويصفح عن خطاياه. وكان المسكين يتجاوب معه بإيمان وثقة تامّة.

كان ذلك الإله يسكن في وسط شعبه، في هيكله في اورشليم. فكانت حياة المسكين كلّها حجًّا. كان اسرائيل شعبًا يسير الى المكان الذي يسكن فيه إلهه. كان يسير منذ الخروج من مصر، لأن الله حرّره، منذ الخروج من بابل. كان يسير حتى ذلك اليوم الذي تلتقي فيه جميع الشعوب في وحدة الايمان وفي فرح الإله الواحد والاتحاد به.

صلاة تسبيح للإله المخلّص والخالق

في حياتنا ساعات نرغب فيها ان نغنّي، لأن العالم جميل او لأن احدًا يحبّنا او لأن صديقًا يصفح عنا فيرفع عنّا عبئًا ثقيلاً يفوق طاقتنا... وفي حياة شعبٍ ساعات ابتهاج يشرع فيها في الغناء: مثلاً حين مشى اوّل انسان على القمر... قد يكون التسبيح غناءً شخصيًا او انفجار ابتهاج جماعي تتردّد فيه اللازمات والشعارات، يبقى انه يرافق جميع الأعياد في جميع العصور، مهما اختلفت مظاهره.

وفي اسرائيل، يبرز او ينفجر التسبيح في معظم المزامير، وهو يظهر في الأناشيد في وضعه الخالص، ولكنه حاضر في ترانيم الشكر ومزامير التعليم وحتى في الصلوات الابتهالية. وهذه احدى الميزات الجوهرية التي يمتاز بها انسان الكتاب المقدس أمام إلهه. فمها كانت اوضاع المؤمن الملموسة، سواء أكان في الفرح أم في الحزن، سواء أكان في حالة الألم ام في حالة الخطيئة، فانّه يحيا حياته في حضرة إلهٍ لا يسعه إلاّ ان يتغنّى بجماله ورأفته.

لا ينشأ التسبيح نتيجةً للتفكير، بل هو عبارة مندهشة عن سرور الانسان الذي يعرف ان الله يحبّه ويقول له: «إنك عزيز في عينيّ، ولك وزنٌ لأني أُحبّك» (اش ٤٣/٤).

الإله المحرِّر

سبق لنا ان رأينا أن اسرائيل اختبر اولاً اختبار التحرّر والخلاص وأن إلهه هو الإله الذي ينشله من العبودية. حفظت لنا كتبٌ غير سفر المزامير بعض الأغاني العريقة في القدم، منها اللازمة الوجيزة التي أنشدتها مريم وهي ترقص لفرح الشعب عند الخروج (خر ١٥/٢١)، او الترنيمة الرائعة التي أنشدتها دبورة النبية وهي تتغنّى بالانتصار المُحرِّر في حوالى السنة ١٢٢٥ في سفح جبل تابور (قض ٥).

وعندما كان الشعب يشيد بعجائب الله اثناء الاعياد الطقسية، كان يجدّدها ويجعلها حالية ويشترك فيها. وكان يُحيي شعوره بأنه الشعب الذي اقتناه الله ويجدّد ايمانه بالعهد ورجاءه. فإنّه كان يذكّر الله بتحريراته الماضية ويدعوه الى ان يُكملها بتحريرات جديدة.

الإله الخالق

واكتشف اسرائيل بعد ذلك أنّ الله يستطيع التدخّل في التاريخ، لأنه سيّده ولأنه هو الذي خلق العالم. سبق لعاموس النبي أن استشهد بترنيمة جميلة للإله الخالق (عا ٤/١٣ و٥/٨ - ٩ و٩/٥ - ٦، وراجع الصفحة ٤٧). وسيجعل أشعيا الثاني من ذلك قاعدة تفكيره اللاهوتي.

بنية هذه الصلوات

بنية هذه المزامير بسيطة جدًا. تبدأ المزامير بدعوة، وهي حثّ على التسبيح. يليها التوسيع (ويبدأ بـ«فإن» او «هو الذي...») الذي يُعلن العجائب التي صنعها في التاريخ او صفاته. وأمّا الخاتمة، فإنّها تتناول الدعوة مرة ثانية، بصورة واسعة او شخصية، وكثيرًا ما تنتهي ببركة او بهتاف: «هلّيلويا» (سبّحوا الله) للأبد.

صلاتنا

لن يصعب علينا ان نصلّي هذه المزامير. قد تكون الصعوبة الوحيدة على الصعيد الثقافي، فإننا نستغرب بعض الصور (لكنَّ روايات خلق العالم قد عوّدتنا هذا النوع من الصُوَر)، ولا شك ان بعض التلميحات الى احداث تاريخية ستخفى علينا. لا بأس، فإذا كنا نجهل بعض التفاصيل عن حياة أجدادنا، فلا يعني هذا اننا لسنا متضامنين معهم. وكذلك فمن شأن هذه الأناشيد، أيًا كانت التفاصيل، أن ترسّخ فينا اليقين من ان تاريخ شعب الله هو تاريخنا، ومن أننا متأصّلون في عجائب الله هذه، من الخروج من مصر الى الخروج الجديد في المسيح يسوع.

> **عناوين المزامير**
>
> في مطلع معظم المزامير معلومات عن المؤلّف وعن الفن الأدبي، وكثيرًا ما يصعب علينا فهم معناها.
>
> المؤلّف. يعني حرف الجر الذي يسبق الاسم أن المزمور يُنسب الى هذا المؤلّف او انه ينتمي الى مجموعة مزامير تحمل هذا الاسم. ذلك بأنهم، حين جدّدوا قراءة المزامير، شعروا بميل الى إدخالها في سياق حياة الشخصيات الكبرى.
>
> وكثيرًا ما حدَّدوا على أيّة آلة تُعزف، وهذا ما يُرشد الى فنّها الأدبي.

◄ **إله الخروج** (مز ١١٤)

الدعوة: هليلويا! سبّحوا الله.

التوسيع: الآيتان ١ – ٢: هدف الخروج الأول: يريد الله ان يجعل من الشعب مقدسه، يريد ان يسكن في شعب مؤمنين (راجع حزقيال في الصفحة ٦٦ وناتان في الصفحة ٤٢).

الآيتان ٣ – ٤: عجائب الخروج الأول

الآيتان ٥ – ٦: يتدخّل الكاتب ويحثّنا على التساؤل عن هذه العجائب.

الآيتان ٧ – ٨: عجائب الخروج الثاني: التحرّر من بابل، وهو على الأقل معنى محتمل. فالكاتب يستوحي من أشعيا الثاني (اش ١٥/٤١ و١٥/٤٢ و٢٠/٤٣...) فيتغنّى بالخروج الجديد.

صلاة يسوع: كان من السهل على يسوع ان يستشهد بهذا المزمور للكلام على «خروجه الذي سيتمّ في اورشليم» (لو ٣١/٩).

الصلاة المسيحية: كيف نستطيع اليوم ان نصلّي هذا المزمور؟ لقد عبّر العهد الجديد (يو و١ بط ورؤ) عن حياتنا وكأنها خروج: اي معنًى يتّخذ وجودنا على الأرض من هذا التعبير؟ وفي إمكاننا أيضًا ان نصلّي الى المسيح صخرتنا وينبوع ماء حيّ (راجع ١ قور ٤/١٠).

◄ **إله المظلومين** (مز ١١٣)

الدعوة: الآيات ١ – ٣: من المدعوّ الى التسبيح؟ وأين؟

التوسيع: الآيات ٤ – ٦: على ايّ صفات يُسبَّح الله؟

الآيات ٧ – ٩: قارن بين هذه الآيات وآيات ١ صم ١/٢ – ١٠ المحتوية على «البشرى» الذي أعلنها أشعيا الثاني (راجع الصفحة ٦٧) والتطويبات. بماذا تنبئ هذه الآيات؟

صلاة يسوع: هذا المزمور هو الأول لمجموعة (مز ١١٣ – ١١٨) تُسمّى «هَلِّل» (تسبيح) والتي كانوا ينشدونها في طقوس الأعياد الثلاثة الكبرى. فلا شك ان يسوع قد أنشدها مساء الخميس المقدس (مز ٢٦/١٤). كيف كان في إمكانه ان يجعل منها صلاته؟

الصلاة المسيحية: كيف يريد الله ان يُظهر عظمته؟ كيف نعبّر اليوم عن الآيات ٧ – ٩ (كرامة الفقير والمظلوم)؟ هل نستطيع ان نصلّي هذا المزمور دون ان نحاول، بأعمالنا، ان نكون صادقين في طلبنا؟

◄ **مجد الله الانسان الحيّ** (مز ٨)

الدعوة: الآية ٢: وتُكرَّر في الختام في الآية ١٠

التوسيع: الآيات ٣ – ٥: يتغنّى الكاتب بعظمة الله. قد يجب ترجمة المطلع على الوجه التالي: أريد ان يكون غنائي بمجدك فوق السماوات أفضل من غناء الأطفال والرُّضَّع.

لا شك أن هؤلاء الأطفال هم الكواكب التي تغنّي في صباح العالم (اي ٦/٣٨ وبا ٣٥/٣). فإشادة الانسان بالله أفضل من إشادتهم. و«مأوى» الله هو السماء. والكاتب يتصوّر خلق العالم كأنه انتصار الله على الخَوى. كما جاء في تك ١.

الآيات ٦ – ٩: أُدخل الانسان في الآية ٥. فأصبح الآن في المركز. لكن الله يبقى في صيغة الفاعل لجميع الأفعال. فالمناداة بعظمة الانسان هو مناداة بعظمة الله.

وفي هذا النشيد نكون في منتصف الطريق بين روايتي خلق العالم (تك ٢ و١).

سيُستشهد اكثر من مرة بهذا المزمور في العهد الجديد (انظر الى المراجع في هامش كتابك المقدس).

◄ **الخليقة مجد الله** (مز ١٠٤)

يستوحي الكاتب من نشيد مصري الى الإله الشمس. المؤلَّف في حوالى السنة ١٣٥٠. وستساعدك المقتطفات الواردة في الصفحة ١٨ على المقارنة بينهما. فمن الممكن للصلاة البشرية ان تصبح صلاة الى الله الحي. كما أنه يمكن للخبز اليومي ان يصبح جسد المسيح. لكن صاحب المزمور يعيد التفكير في صلاته بالنسبة الى ايمانه والى رواية خلق العالم (تك ١).

الدعوة: الآية ١

التوسيع: الآيات ٢ – ٣٠

إقرأ أولاً هذا النص للاستمتاع. ثم قارن بينه وبين النشيد المصري: ما هي الصلات التي تراها بينهما؟ قارن بينه وبين رواية تك ١: هل ترى كيف يتبع أيام خلق العالم؟

الخاتمة: الآيات ٣١ – ٣٥: التسبيح الشخصي في الفرح والطموح الى عالم يكون في آخر الأمر محرَّرًا من الشرّ.

الصلاة المسيحية: بالمسيح ومن أجله خلق الله كل شيء (قول ١٥/١ – ١٨). وبنسمته وروحه يهب لنا الحياة. ويصبح الخبز والخمر رمزًا الى عالم أُعيد خلقه في الروح.

صلاة تسبيح للإله القريب جدًا

ان الله هو الإله «المُختلف» عن كل شيء، سيّد التاريخ والخالق. ولكن هناك عجيبة لا ينقطع اسرائيل عن الافتتان بها، وهي أنه جعل نفسه قريبًا جدًا من الانسان. فهو يسكن عند شعبه: في اورشليم وفي هيكله، وهو مكان حضوره الذي يَصعد اليهود اليه حاجّين. وهو يسكن في شعبه: «ليست الشريعة بعيدة عنك وفوق طاقتك، بل الكلمة في قلبك لتعمل بها» (تث ٣٠/١١ ت). نجمع هنا بعض المزامير التي يقسّمها اهل الاختصاص الى فنون مختلفة: مزامير صهيون ومزامير الحجّ ومزامير التعليم...

عمانوئيل: الله معنا

هناك مزامير تُشيد بسعادة الانسان ان يكون مدعوًّا عند الله ويكون ضيفه ومن مقرَّبيه. لا بدّ من الانتباه الى هذه العبارات: كان مع، معك، كان ضيفك، سكن في بيته، كان في كنف الله، الله أمامي، تحت جناحيك...

يمكننا ان ندرس المزمور ١٣٩.

الله حاضر في هيكله

ان اورشليم – او صهيون وهو الجبل الذي بنيت عليه المدينة – والهيكل هما المكان الذي يحضر فيه الله لشعبه. عندما قرأنا دعوة أشعيا (الصفحة ٤٢) او النّصوص الكهنوتية في حضور الله على تابوت العهد (الصفحة ٧١)، ادركنا ما اعظم الانطباع الذي كان الشعب يشعر به امام هذا الحضور.

كانوا يصعدون الى اورشليم ثلاث مرات في السنة: في اعياد الحج (الفصح والعنصرة ولا سيّمَا الأكواخ) فكانوا يختبرون هكذا الاختبار الجماعي حول الله. ولكن كان هناك خطر يهدّدهم، وهو ان يجعلوا من حضور الله شيئًا سحريًا يُغني عن السير بحسب البرّ. كان بعض الأنبياء، مثل إرميا، قد لفتوا نظر الشعب الى خطاه (الصفحة ٦٢) وكان الجلاء وما رافقه من خراب الهيكل قد ساعد الشعب على ان يفهم أن هذا الحضور الإلهي ليس هو مضمونًا تلقائيًا، فالله لا يسكن أولاً في مكان، بل في شعب مؤمنين.

الصلاة المسيحية. أصبح حضور الله حضورًا حقيقيًا في يسوع المسيح، هيكلنا الحقيقي. وأما الكنيسة فهي جسده المنتعش بروحه. وهذه الصلوات تذكّرنا بأن الكنيسة هي شعب يسير الى اورشليم السماوية، تلك المدينة النهائية التي يزول عنها الشر لأن الله يكون كل شيء في جميع الناس.

الله حاضر بشريعته

للشريعة سُمعة سيّئة في ايّامنا، وللطاعة كذلك.

لم تكن الشريعة في نظر اسرائيل أوامر ووصايا، بل كانت كلمة، كلمة رقيقة كابتسامة امرأة تجيب على الحب، وصارمة ككلمة رئيس فريق يوزّع العمل المشترك، ودقيقة ككلمة الدليل الجبلي الذي يلفت النظر الى المسكة المتينة الوحيدة الموجودة في صخرة هشّة. وهذه الكلمة «إسمَع يا اسرائيل. إسمعْ وأطعْ يا اسرائيل» لا تختلف عن «أُحبُّك... وأنت»؟

الطاعة هي الوقوف تجاه الذي ينادي للإصغاء اليه، وهي التأهب من صميم القلب لتقبّل كلمته، لكي تدوّي هذه الكلمة في قلب الانسان فتبعث منه جوابًا يأتي من صميم القلب. وبهذا المعنى، فالحوار بين حبيبين هو «طاعة» متبادلة.

من الأمور الجوهرية ان نتذكّر ذلك لنتمكّن من تبنّي «صلوات الطاعة» هذه ونفهم كيف استطاع اولئك المؤمنون ان يتغنّوا بالشريعة بمثل هذه الرقّة، كما الأمر هو في المزمور ١١٩.

الصلاة المسيحية. أصبح سهلاً علينا الآن ان نصلّي هذه المزامير. فإن الشريعة عندنا صارت أحدًا: يسوع المسيح، كلمة الله التي يودعها الروح في قلوبنا. ومن شأن تلك الكلمات القديمة ان تساعدنا على ان نعبر له عن الحب الذي يوحي به إلينا.

> «أحببتَنا حبًّا وافرًا، ايها الرب إلهنا، ورحمتَنا رحمة عظيمة فائضة، يا أبانا وملكنا. من أجل اسمك العظيم ومن أجل آبائنا الذين جعلوا ثقتهم بك والذين علّمتهم وصايا الحياة، سامحنا نحن أيضًا. يا أبانا الرحيم، ارحمنا وضع في قلوبنا ان نفهم ونسمع ونتعلّم ونعلّم، وان نسهر بمحبة على العمل بكل ما في توراتك من أقوال تعليم. أنر عيوننا بوصاياك، ولتلزمْ توراتك قلوبنا ولتتّحد قلوبنا فتتّقي اسمك... اخترتنا من جميع الشعوب وقرّبتنا من اسمك العظيم في الأمانة. تباركت، يا رب، انت الذي اختار شعبه اسرائيل في المحبة».
>
> (صلاة من الليترجية اليهودية).

◄ **يا رب ، انك تعرفني...** (مز ١٣٩)

من لم يحلم بأن يكون معروفًا كما هو ، بخصاله الحميدة ونقائصه ، وأن يكون محبوبًا كما هو؟ والمؤمن يعرف أنه معروف ومحبوب عند الله على هذا الوجه.

لكنَّ هذه الأُلفة ليست بالأمر المُريح . فقد يشعر الانسان برغبة في الهرب من تلك الكلمة التي يفوق ثقلها طاعة الانسان ، كما حدث لإرميا (الصفحة ٦٢).

الآيات ١ - ١٨ : لاحِظ الصور والعبارات المعبّرة عن القُرب والألفة . ومن معاني التواضع أيضًا ان يعترف الانسان بأنه أروع هديّة يُعطينا الله اياها : «احمدك يا رب على انك جعلتَ مني هذه العجيبة المدهشة».

الآيات ١٩ - ٢٢ : تبقى هناك مسألة تؤلم ذلك المؤمن : لماذا الشرّ؟ انه يسأل الله ، بصورة قد نجدها ساذجة ، ان يدمّر كلَّ ما يقاوم إرادته .

الآيتان ٢٣ - ٢٤ : ولذلك تأتي صلاته الأخيرة محرّكة لمشاعرنا ، اذ نراه يعترف بأنه غير متأكّد من السير على الطريق المستقيم ومن الثبات فيه ، فيسأل الله أن يرعاه .

الصلاة المسيحية . قد غمرنا الله بكلِ نعمة في ابنه الحبيب (افسس ٦/١) . فيه نستطيع ان نصبح ابناء ونعرف شيئًا عن أُلفته بالآب ، بالروح الذي يجعلنا نصلي فنقول : «يا أبَتاه». ونحن نعلم بأن الابن يحفظ الذين اعطاه الآب ايّاهم (يو ١٧).

◄ **كياني كلّه يصرخ فرحًا** (مز ٨٤)

هذا النشيد الذي يُنشده حاجٌ وصل الى هيكل اورشليم يعبّر عن شغفه بالله .

إبحث عن الصور والعبارات المعبّرة عن السير ، والسكنى (المنزل والبيت والعش...) ، والسعادة (الفرح والسُّور والترس...) . بإمكانك ان تبحث عن الصور التي تعبّر لنا عن تلك الحقائق نفسها ، فتكون في طريق تأليف صلاتك لليوم .

الصلاة المسيحية . أصبح الهيكل الحقيقي جسد يسوع الذي قام من بين الأموات . فبإمكاننا ان نحتفل به بتلك الكلمات نفسها .

وأمّا كنيسته فهي جسده طوالَ التاريخ . بإمكاننا ان نتغنّى بفرح العيش كإخوة ، ونسأل في الوقت نفسه ان نتطهّر هذه الكنيسة فتصبح أشدّ مطابقة لما يجب عليها ان تكون ، وأن يساعدنا الله على الاشتراك في هذا العمل .

◄ **اني عطشان الى الله...** (مز ٤٢ - ٤٣)

هذان المزموران هما في الحقيقة مزمور واحد تقسّمه لازمة (٦/٤٢ و١٢ ، و٥/٤٣) الى ثلاثة مقاطع شعرية .

هناك خادم من خَدَم الهيكل منفيٌ الى لبنان ويصرخ ألَمه . وفي مَنْفاه لا يأسف إلاّ لأمر واحد وهو بُعده عن الله .

٢/٤٢ - ٦ : ما هي رغبته؟ (راجع خر ٢٣/٣٤) . ما هو ألمه؟ ما هو الأمر الذي يشدّد عزيمته؟

٧/٤٢ - ١٢ : يصلّي الى الله من مكان اغترابه (وكل انسان يستطيع من مكان اغترابه ان يصلي الى الله) . وهو يصلّي بعبارات وصور تقليدية .

إبحث عن الصور والعبارات التي تعبّر عن الحنين (العطش وخور العزيمة...) والماء والنور والفرح والخلاص .

◄ **عجائب شريعتك...** (مز ١١٩)

١٧٦ آية ! ١٧٦ آية تقول شيئًا واحدًا : «يا رب . احبّ شريعتك» ! ٢٢ مقطعًا شعريًا ، بحسب عدد احرف الأبجدية العبرية . تبتدئ الأبيات الثمانية كلها من كل مقطع بحرف واحد هو بالتتابع كل حرف من أحرف الأبجدية العبرية . وفي كلٍ من الأبيات الثمانية يظهر اسم من اسماء الشريعة الثمانية : الشريعة والأحكام والوصايا... من الأفضل أن يُصلّى هذا المزمور على دفعاتٍ صغيرة . وهو خلاّب كالنشيد العاطفي . فكما أن العاشق يكرّر حبّه للحبيب على ألف وجه ، فصاحب المزمور لا يملّ من قوله لله إنه يحبّه . لله الذي جعل نفسه قريبًا جدًا بكلمته : «وأنت يا ربّ قريب جدًا...» . (الآية ١٥١).

وفي حوار الحب هذا بين الله المتكلّم والمؤمن المصغي ، يمكنك ان تبحث عن الصور والعبارات التي تصف الله : الشريعة هي الله الذي يجعل نفسه قريبًا (تصدر عن فمه وهو يعلّمنا ايّاها...) . لكنها تبقى سرًّا .

ويمكنك ان تبحث عن الصور والعبارات التي تصف الانسان وموقفه : إنه يتّجه نحو الله (يتفحّص الشريعة ويتأمّل فيها ويهواها وينظر فيها) وهو يطيع ويسير ويبحث... ويعود الى الله ، لأنه خطئ فيما مضى .

الصلاة المسيحية . يمكنك أن تصلّي هذا المزمور فتضع يسوع مكان الشريعة ، وهو كلمة الله التي جعلها الروح في قلوبنا ، وهو «الطريق والحق والحياة» .

صلاة رجاء. الله مَلِك. المَلِك الأرضي

نضمّ هنا فنّين مختلفين من المزامير، يجمع بينها أنّها تشيد بالملكيّة، بعضها بملكية الله وبعضها الآخر بملكية المَلِك الأرضي، وأنها توجّهنا نحو المستقبل، نحو ذلك اليوم الذي يتجلّى الله فيه أخيرًا كما هو في الحقيقة، اي كمَلِكٍ امين عادل، بواسطة ذلك الذي سيقيمه ملكًا مشيحًا.

الربّ مَلِك

في اسرائيل لا مَلِكَ إلاّ الله. فالمَلِك الأرضي إنّما هو يقيم مقامه. ذلك هو ايمانهم منذ القدم.

في أثناء الجلاء الى بابل وبعده، لم يعد هناك مَلِك. فتوسَّعوا اذًا في الايمان بملكية الله. يبيّن أشعيا الثاني ان الله مَلِك لأنه خالق (اش ٤٠/١٢ – ١٣) ومحرّر اسرائيل (اش ٤١/٢١ و٤٣/١٥ و ٤٤/٦...).

ويدعو النبي جميع الشعوب الى ان تعترف بأن الله مَلِك وتُشيد به (٤٢/١٠ – ١٢). وينبئ بأن الله سيأتي أخيرًا ويقيم مُلكه (٥٢/٧).

هناك خمسة مزامير متشابهة جدًا تتغنّى بمُلك الله: مز ٩٣ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩.

ينفجر فيها الابتهاج وكأننا في يوم تتويج، فإسرائيل وأبعد الشعوب (الجُزر) وجميع عناصر الكون تشترك في هذا الفرح الشامل.

تتناول هذه المزامير موضوع البشرى الوارد ذكرها في أشعيا الثاني فتنبئ باليوم الذي يمحو الله فيه كل شقاء وكل فقر (الصفحة ٦٧).

هذا مصدر المزمور ٤٧. أما المزمور ٢٤/٧ – ١٠ فلعلّه يرقى الى عهد قديم، اذ انه يتغنّى بدخول تابوت العهد الى اورشليم في ايام داود. والآيات ١ – ٦ التي أُضيفت بعد الجلاء تضفي على كامل المزمور طابعًا شموليًا.

نشأت هذه الأناشيد في الليترجية. فإن مُلك الله للأبد يصبح فِعليًا على الأرض بفضل العبادة.

الصلاة المسيحية. لمَّا اعلن يسوع التطويبات، ولما أجرى المعجزات من أجل الفقراء، أظهر أن مُلك الله هذا قد بدأ في شخصه ولكنه بدأ فقط، اذ على تلاميذه أن يحقّقوه. فهذه المزامير تعزّز انتظارنا (ليأتِ ملكوتك) وتدعونا الى العمل لتحقيق الملكوت.

«ولادة» المَلِك

سبعة مزامير (٢ و٢١ و٤٥ و٧٢ و٨٩ و١٠١ و ١١٠) وربّما بعض المزامير الأخرى تشيد بمَلِك اسرائيل.

لم يؤلّه اسرائيل قط ملوكه، بخلاف ما جرى لشعوب أخرى. ومع ذلك فهؤلاء الملوك يصبحون، كما أعلنه ناتان النبيّ لداود (الصفحة ٤٢)، ابناء لله بمعنى خاص، يوم تنصيبهم. ففي يوم ولادتهم كملوك، وُلدوا كابناءٍ لله.

قد يكون بعض هذه المزامير قديمًا. على كل، فإنه قد جُدِّدت قراءته بعد الجلاء، في زمن لم يعد فيه مَلِك. فيصبح حامل رجاء جديد، اذ يُرسل الله مَلِكه المسيح يومًا ليقيم مُلكه.

الصلاة المسيحية. يرى المسيحي في يسوع ذلك المَلِك المسيح. فإنه مدعوّ اذًا لتكريمه وللصلاة لكي تزداد سيادته على البشرية صِدقًا يومًا بعد يوم.

المزمور ٢ في العهد الجديد

ساعد هذا المزمور على فهم ما يلي والتعبير عنه:

- قيامة المسيح: هي الساعة التي وُلد فيها كابن الله والملك المسيح وسيّد الكون (رسل ١٣/٣٢ وروم ١/٣ وعب ١/٥ و٥/٥ ورؤ ١٢/٥). فليس المقصود هنا ميلاده في بيت لحم، كما أن العبارة «ابن الله» ليس لها المعنى الذي نحمّلها ايّاه. فهي لا تدلّ على ألوهته، بل على إقامته مَلِكًا وسيّدًا للكون.
- موت المسيح: نُبذ يسوع من قِبَل رؤساء الشعب. فهم اذًا المسمَّون «اشرارًا» في المزمور ومتمرّدين على الله وعلى مسيحه (رسل ٤/٢٣ – ٣١ وعلى الأرجح متى ٢٦/٣ – ٤).
- مجيئه في نهاية العالم: سيُنصَّب يومًا وبصورة نهائية كسيِّد الكون (رؤ ١٩/١٥ و٢١/١ – ٥). هذا هو الأساس النهائي لرجائنا، ويعدنا يوحنا بأننا سنشاركه مجده (رؤ ٢١/٧ و٢/٢٦).

◀ **الرب قد ملك** (مز ٩٦)

يمكنك ان تبحث كيف ان هذا المزمور (وسائر مزامير المُلْك) تحوِّل رسالة اشعيا الثاني الى صلاة. إليك بعض المقارنات:

الآيات ١ – ٣: دعوة الأرض كلها الى نشيد جديد (اش ١٠/٤٢). حين حرّر الله من الجلاء، أظهر خلاصه وبرّه ومجده أمام الأمم (اش ١٤/٤٥ – ٢٥ و١٠/٥٢).

الآيات ٤ – ٦: يدلّ ذلك على أن الله هو الله وعلى ان سائر الآلهة هي لا شيء (اش ٢١/٤١ – ٢٩ و٩/٤٣ – ١٣).

الآيات ٧ – ٩: جميع الشعوب مدعوّة الى تسبيح الله (اش ١٤/٤٥).

الآيات ١٠ – ١٣: تُعلن الآيتان ١١ – ١٢ أن الله خالق (اش ٨/٤٢) فتبيّن لماذا يستطيع الله أخيرًا ان يملك كَمَلِك عادل (الآيتان ١٠ و١٣).

◀ **إجلس يا ابني عن يميني** (مز ٢ و١١٠)

من المفيد ان نبدأ بقراءة نبوّة ناتان الى داود (٢ صم ٧ – راجع الصفحة ٤٢).

مز ١/٢ – ٣: يتآمر «الأشرار» من ملوك وشعوب على الله وعلى مسيحه: فقضيتهما مشتركة (كما في ١ اخ ١٤/١٧).

الآيات ٤ – ٦: ان الله يسخر منهم. فإن أولئك المتمردين لا قدرة لهم على تغيير تدبيره.

الآيات ٧ – ٩: يذكّر المَلِك المسيح بهذا التدبير، وهو أن الله، يوم ارتقائه العرش، جعل منه ابنه. لكنّ هذا المُلك يتجاوز حدود اسرائيل، فهو يشمل جميع شعوب العالم، فلم يعد الكلام مقتصرًا على مَلِك أرضي.

الآيات ١٠ – ١٢: إنذار الى المتمردين: عيشوا في سلام!

مز ١١٠: يتناول هذا المزمور، بعبارات مختلفة (واحيانًا غامضة)، المواضيع نفسها.

اجلس عن يميني: تنطلق الصورة من وضع حسّي، فإن قصر المَلِك كان الى يمين الهيكل. وهي تُشير الى وضع فريد وشبه إلهي وُهب لهذا الملك.

أنت كاهن... في اسرائيل وفي سائر الشعوب، كان المَلِك كاهنًا. كان في الواقع وليّ الكهنة خاصة، وسيميلون الى الفصل بين هاتين الوظيفتين.

الصلاة المسيحية. راجع النص المحاط بإطار: مز ٢ و١١٠ في العهد الجديد.

◀ **الايمان بالإله غير الأمين!** (مز ٨٩)

قال بعضهم: «تلك الساعة الهائلة التي لا يكون الله فيها صادقًا والتي لا ازال أحبه فيها مع ذلك». يسري هذا القول على الأوضاع الشخصية (كوضع ايوب – راجع الصفحة ٨٢) كما انه يسري على أوضاع جماعية كالوضع الذي نحن في صدده.

زالت الملكية في السنة ٥٨٧، مع ان الله كان قد التزم بأن يحفظ على الدوام سلالة داود... افتُراه يكون غير أمين ويحنث في يَمينه؟

الآيتان ٢ – ٣: هذا التسبيح لمحبة الله وأمانته هو فعل ايمان تام، في الظلام. فان الظواهر تخالف كل ذلك! ولذا يتمسّك الكاتب بهاتين الكلمتين اللتين لا يكفّ عن تكرارهما: رحمة وأمانة في الآيات ٢ و٣ و٩ و١٥ و٢٥ و٢٩ و٣٤ و٥٠. (راجع مفردات الحب في الصفحة ٤٩).

الآيتان ٤ – ٥: يُذكِّر الله بوعده لداود

الآيات ٦ – ١٩: ان الله خالق وهو مَلِك، فهو قدير. فلا عذر عنده لعدم احترام وعده!

الآيات ٢٠ – ٣٨: تذكير مفصّل بما وعد الله به داود وذريته.

الآيات ٣٩ – ٤٦: يبيّن الكاتب لله، بجرأة يستمدّها من ايمانه، أنه غير أمين!

الآيات ٤٧ – ٥٢: نداء ملحّ الى الله لكي يباشر العمل!

الآية ٥٣: ابتدأت الصلاة بالايمان المجرّد، وتنتهي بالشكر... على عمل لم يقم به حتى الآن.

الصلاة المسيحية. يتعلّم الانسان أولاً ما يجب ان يكون موقفه: موقفه ان يعيش التجرّد في الصلاة والايمان المجرّد والثقة، تجاه اوضاع تكذّب الله.

في إمكاننا ان نعيش الآن هذا الموقف، في يسوع الذي يصلّي في جتسماني وعلى الصليب.

المزمور ١١٠ في العهد الجديد

امام المجلس اليهودي، يطلق يسوع على نفسه هذا المزمور (ودا ٧ في ابن الانسان).

يسوع جالس عن يمين الله: هذا التأكيد الوارد في قانون الايمان، يُعلنه بطرس يوم العنصرة للتعبير عن حدث الفصح (رسل ٣٤/٢). وكثيرًا ما يكرّره العهد الجديد: رسل ٣١/٥ و٥٥/٧ وروم ٣٤/٨ وقول ١/٣ واف ٢٠/١ و١ قور ٢٥/١٥ و١ بط ٢٢/٣.

وستجعل الرسالة الى العبرانيين من الآية ٤ قاعدة إقامة برهانه: يسوع هو عظيم كهنة (عب ٦/٥)

صلاة طلب وشكر

تشكّل صلوات الطلب والابتهال والاستغاثة اكثر من ثلث سفر المزامير. يميّز اهل الاختصاص بين الابتهالات الفردية والابتهالات الجماعية. وهي لا تختلف إلاّ بموضوع الطلب، ويمكن درسها جميعًا في وقت واحد.

تتضمّن هذه الصلوات أربعة أقسام عادة (قد يختلف ترتيبها): الابتهال الى الله والصراخ إليه وعرض الأوضاع والدواعي الى الاستجابة (خاصة محبة الله وأمانته ومجده، وكذلك ثقة المصلّي) والخاتمة وهي كثيرًا ما تكون صلاة ثقة وشكر، لشدّة التيقّن من الاستجابة، ووعد بتقريب ذبيحة شكر.

وأمّا الأوضاع التي من شأنها ان تحمل على الصلاة فهي متنوعة. إليك أهمّها.

- صلوات مَرْضى يرون أنفسهم على حافة القبر.
- صراخات مساكين يسحقهم الظلم.
- صلاة مُبعَدين عن وطنهم.
- صلاة لانتصار جيوش اسرائيل.
- دعاء على الأعداء. تثير مزامير اللعنة هذه مشكلة خاصة ندرسها على انفراد.
- الاعتراف بالخطايا.

الصلاة المسيحية. الصلاة بواسطة هذه المزامير أمر سهل وصعب علينا في آن واحد.

من السهل ان نعود إليها، لأنها تعبّر عن اوضاعنا الخاصة في يوم من الأيام.

امّا الصعوبة فانها تأتي من عدّة جوانب.

- ترتدي هذه الصلوات صورًا كثيرًا ما نستغربها. احيانًا ما نجد في كتبنا المقدسة حواشي تفيدنا، علمًا بأنه ليس من الضروري ان نفهم كل شيء في حقل الشعر.
- لسنا دائمًا (والحمدلله) في مثل تلك الأوضاع، فالمزامير، وهي صلوات جامعة، تحملنا على الخروج من أنفسنا والصلاة مع جميع الذين في مثل هذه الأوضاع. و«أنا» المزامير تكاد تكون دائمًا «أنا» جماعية: فإننا في المزامير صوت البشرية المتألّمة.
- تزعجنا صلاة الطلب، فليس الله «مَسَدًّا» لأنواع عجزنا. هذا صحيح. لكنّ الحب بين كائنين قد يُعبَّر عنه بالطلب أيضًا، مع العلم عندئذ بأن ذلك لا يُعفينا من العمل، بل إننا نستمدّ من حبّ الآخرين قوة على الصراع.

ان الصلاة المقتصرة على الشكر او التوكّل نادرة، وذلك لأن هذه المواضيع ترد في جميع مزامير الابتهال تقريبًا. هذا واننا نجد فيها الأقسام نفسها، ولكن كثيرًا ما تُضاف إليها العبرة المُستخلصة من الحدث: «أنظروا الى قدرة الله ومحبته القادرتين على إنقاذي أنا الخاطئ من هذا الوضع الذي لا خلاص منه».

مزامير اللعنة

تشكّل بعض مقاطع من المزامير. لا بل مزامير بجملتها. حجر عثرة لنا: فكيف نطلب الى الله ان يقتل اعداءنا ويدمّرهم...؟ لعلّ هناك طريقتين لصلاة هذه المزامير.

قد تكون احيانًا الصلاة الصادقة الوحيدة التي أستطيع أن أصلّيها. ان كنتُ غير قادر على وجود مكانٍ لي في العهد الجديد (أبتِ، اغفر لهم...)، ففي إمكاني على الأقل ان أكرّر هذه الصلوات التي تسير إليه. فلقد تكون صلاةُ هذه المزامير بتواضع طريقةً تساعدني على ان أدعَ الكتاب المقدس يُضرِم قلبي، لكي تعود لي يومًا كلمة الله الى قدمي المصلوب.

لكنّ هذه الصلوات تغيّر معناها مع المسيح فأصبحت صلوات تكريس. إقرأ القصيدة الهائلة في قاطف العنب الإلهي (اش ٦٣/١ – ٦ وراجع الصفحة ٧٧): يسحق الله جميع اعدائه وينتضح دمهم على ثيابه... وحين يستشهد سفر الرؤيا بهذه القصيدة فيرينا المسيح في ثياب ملطّخة بالدم (رؤ ١٩/١٣)، نفهم عندئذ ان يسوع قد أخذ على عاتقه خطيئة العالم كلّها (٢ قور ٥/٢١) وأن الدم الذي يسيل أصبح دمه.

ان المسيح يصلّي اليوم هذه المزامير فيواصل الاضطلاع بخطيئة العالم والتألّم منها حتى الموت والقضاء عليها بالتعزيم عليها بمحبته.

ونحن أيضًا نصلّي هذه المزامير مع المسيح فكأنّنا نقول لله: اجعلني على الصليب مع ابنك ومَلِّس كلّ ما يبرز، كلّ هذه الخطيئة التي فيّ، كلّ خطيئة العالم التي أشترك فيها. أكرّس نفسي مع ابنك لكي يكون الجميع مكرّسين بالحق.

◄ **يا رب، لماذا تركتني؟** (مز ٢٢).

الآيتان ٢ – ٣: دعاء الى الله وصراخ إليه.

الآيات ٤ – ١٢: يبدأ المؤمن بعرض الدواعي الى ان يُستجاب. فالله قريب، وقد أنقذ الاجداد وحمى المؤمن منذ مولده...

الآيات ١٣ – ٢٢: عرض للأوضاع باللجوء الى صور تعبيرية.

الآيات ٢٣ – ٢٧: شكر. فإن المؤمن قد استجيب بالفعل او بالرجاء. فيلح على الشعب بالانضمام اليه للتسبيح، ويدعو الفقراء الى الاشتراك في وليمة الذبيحة التي يقيمها.

كانت هذه الصلاة الفردية تتوقف هنا. ولما أصبحت صلاة جماعية بدخولها في مجموعة المزامير، أُضيفت اليها الآيات ٢٨ – ٣٢. يرتبط إعلان اهتداء الشعوب ومُلك الله برسالة اشعيا الثاني ويوافق مزامير مُلْك الله. ولا شك ان الآية ٣٠ التي تشير الى العبادة التي يؤديها الأموات الى الله ترتبط بدانيال ١٢ (راجع الصفحة ٩١). فالصلاة تصبح بذلك انتظارًا للحياة الأخيرة.

الصلاة المسيحية. جاء في الانجيل بحسب متى ومرقس ان يسوع عبّر عن قلقه باستشهاده بالآية الاولى. وهناك عدة صور من المزمور وردت في رواية الآلام.

فبعد أن أصبح هذا المزمور صلاة صلاّها المسيح، فمن شأنه ان يصبح صلاتنا، مع المسيح وبه.

◄ **يا ربّ، اقتلهم جميعًا** (مز ١٠٩)

لا شك ان هذا المزمور أهول مزامير اللعنة. حاول بعضهم ان يخفّفوا من حدّته فجعلوا الأدعية الواردة في الآيات ٦ – ١٩ على لسان اعداء المؤمن. الأفضل ان نقبلها كما هي، فإن هناك قديسين، امثال إرميا، كانوا يستسلمون لمثل هذه «الصلوات» (ار ١٧/١٨ و١٨/٢١ – ٢٣ و٢٠/١١ – ١٢).

من السهل ان تهتدي الى أقسام هذا المزمور المختلفة.

الصلاة المسيحية. تذكّر أولاً بأن يسوع قد صلّى هذا المزمور كما صلّى سائر المزامير. فمن الممكن ان نجعل منه صلاة مسيحية! إقرأ النص المحاط بإطار في الصفحة السابقة او غيره من النصوص. فلا يجوز حذف هذا المزمور وامثاله من الاستعمال الطقسي، فانها هي أيضًا كلمة الله!

◄ **ارحمني يا رب** (مز ٥١)

الآيتان ٣ – ٤: دعوة الى الله واستغفار.

الآيات ٥ – ٨: خطئتُ إليك...

الآيات ٩ – ١٤: طلب لتصفية القلب.

الآيات ١٥ – ١٩: وعد بالشكر، فالذبيحة التي سيقرّبها هي هو نفسه بكبريائه المحطَّم.

الآيتان ٢٠ – ٢١: صلاة لأجل أورشليم. ان هذه الآيات بما فيها من ذبائح ماديّة لا تأتلف مع الآيات السابقة. فمن الأرجح أنها أُضيفت. ثلاث مجموعات رئيسية من المفردات تساعد المؤمن على حياكة اعترافه: مجموعة مفردات الخطيئة (راجع النص المحاط بإطار في هذه الصفحة) ومجموعة مفردات الاطّهار ومجموعة مفردات المحبة (راجع الصفحة ٤٩. حنان ومحبة ونعمة في الآية ٣). حاول ان تكتشفها. ايُّ طابع تضفيه على هذه الصلاة؟

يمكنك أيضًا ان تكتشف كيف ان هذا المزمور يتناول موضوع رسالة حزقيال: فالمؤمن يشعر بأنه ينتمي الى شعب خاطئين (حز ١٦ و٢٠ و٢٣)، ويعرف ان الله وحده يستطيع ان يردّ له قلبًا طاهرًا (حز ٣٦/٢٦ ت)، وهذا هو عمل الروح القدس (حز ٣٦/٢٦ ت و٣٧/١٤ و٣٩/٢٩ والفصل ٤٧).

ما هي الدوافع التي يستند إليها الخاطئ لنيل الغفران؟

الصلاة المسيحية. اذا لم يكن في إمكان المسيح ان يتلو هذه الصلاة إلاّ تضامنًا معنا، فسهلٌ علينا نحن أن نتلوها. والمحبة التي تجلّت تمامًا في يسوع المسيح والروح القدس الذي أُفيض في قلوبنا يساعداننا على ان نتلوها بثقة تامة.

مفردات الخطيئة

خطيئة. أصل هذه الكلمة يعني «أخطأ الهدف». فمن خطئ أخطأ الله وأخطأ بالتالي السعادة (الآيات ٤ – ٧ و٩ و١١ و١٥).

تمرّد. المقصود هنا التعدّي المتعمَّد على حقوق الآخر. حقوق الانسان او الشعب او الله. كثيرًا ما استعمل الأنبياء هذه الكلمة لتوبيخ الشعب على رفضه ان يطيع الله (الآيات ٣ و٥ و١٥).

الفساد. أصل هذه الكلمة يعني «الالتواء والانحراف». فالخاطئ هو القلب الملتوي المدعوّ الى التوبة (الآيات ٤ و٧ و١١).

شرّ. هذا أبذل اسماء الخطيئة وهو يدل على المصيبة والشرّ الاخلاقي (الآية ٦).

صلاة للعيش

لقد كان تفكير الحكماء بعد الجلاء سببًا للتعمّق في مواضيع جديدة، ان لم يكن سببًا لظهورها، كمديح البار او مديح الشريعة، او كمشكلة المكافأة العويصة.

كل هذه المواضيع نجدها في الصلاة.

• مديح البار او التعبّد للقديسين

يكفينا أن نطالع وصف ربّة البيت الكاملة (مثل ٣١/١٠ – ٣١) او نطّلع على مجموعة اجداد ابن سيراخ (سي ٤٤ ت.) لنعرف أنّ الحكماء يحبّون هذا النوع من الوصف.

إقرأ المزمور ١١١. إنه مديح جميل لله (كل بيت من ابياته يبتدئ بحرف من حروف الابجدية بالترتيب). ثم اقرأ المزمور ١١٢ (مؤلّف على الطريقة نفسها): ألا نستغرب أن يُطبَّق على البار كثير من المدائح التي تصلح لله؟ أو خذ المزمور ١ او ٢٦ («في الطهارة أغسل يديَّ...»): كيف يمكننا ان نصلّي هذه الصلوات في الحقيقة؟ قد يكون هناك طريقتان:

ببساطة، كما فعلت مريم حين طربت لما صنعه الرب فيها فقالت: «الربَّ صنع إليَّ أمورًا عظيمة...». ليست الخطيئة في اعتراف الانسان بخِصاله الحميدة، بل في عدم رؤيتها او في الامتناع عن حمد الله عليها.

بتواضع أيضًا. لا يخفى عليَّ أني قصّرت كثيرًا في تسليم أمري لله لكي يحقّق فيَّ ما حلم به لأجلي. فالذي يقرأ هذه المزامير يضع نصب عينيه مثالاً أعلى معترفًا بأنه لم يصل اليه وطالبًا الى الله تعالى ان يقوده إليه.

عبادة الشريعة

سبق لنا ان قرأنا المزمور الرائع ١١٩ بآياته الـ١٧٦ التي تتغنّى بالشريعة. يمكنك الآن ان تقرأ المزمور ١٩ أيضًا.

رأينا كيف ان الشريعة هي، في نظر اليهودي، كلمة الله وحكمته (سي ٢٤ وبا ١/٤). واذا انتقل بولس من «حياتي هي الشريعة» الى «حياتي هي المسيح»، فإنّما يطلق على الحقيقة نفسها اسمها الصحيح.

يعتقد المسيحي (وسنعود الى ذلك في الصفحة ١٠٩) ان الشريعة لم تسقط. فبعد أن اعطانا المسيح ان نفهمها (لو ٢٤/٢٥)، فهي تبقى الطريق الذي تؤدّي بنا إليه، مُضرمةً قلوبنا شوقًا الى معرفته.

مشكلة المكافأة

«ان صنعتَ الخير تُكافأ، وان صنعتَ الشر تُعاقَب». لا غبار على هذا المبدأ الذي يذكّر به سفر تثنية الاشتراع بإلحاح... سوى أن الوقائع كثيرًا ما تكذّبه! نفوس كريمة تحاول اليوم ان تدافع عن هذا المبدأ باللجوء الى حقيقة السماء، حيث يُعاد التوازن بعد الموت. هذا أمر قابل للبحث، لكنه كان غير معقول في اسرائيل، الى ان توصّلوا، في وقت متأخّر، الى الايمان بوجود حياة بعد الموت. وكانوا، قبل ذلك، يتعزّون راجين البقاء في اولادهم، او ناسبين مصائبهم الحاضرة الى التضامن الجماعي. من السهل ان نقول لمن يتألّم دون سبب: «الحق على جدّك الذي خطئ»! وسيكذّب حزقيال (حز ١٨) ثم ايوب والجامعة هذه العلاجات الموقتة تكذيبًا باتًّا.

هناك نحو عشرين مزمورًا تخوض هذه المشكلة. يمكننا ان نرى فيها اربع مراحل رئيسية للتعمّق في الايمان.

١. السلام اللاواعي

يقتصر الأمر على تأكيد العقيدة التقليدية (المزمور ١٣٨ مثلاً). ان نقلنا الخيرات المرجوّة الى ألفاظ روحية، قد يمكننا ان نعبّر عن رجاء السماء؟

٢. العذاب المندهش

«لو كان الله موجودًا، أتُراه يدع الأولاد الابرياء يموتون»؟ هذه المزامير (١٠ و ٩٤ مثلاً) تطرح السؤال بألم ولا تحصل على جواب. لعلَّ هذه الصلاة تكون صلاتنا في بعض الأحيان. على كل، فهي صلاة الكثير من الناس. من حسن الحظ أن هذه المزامير قد تلقي الاضطراب في قلوبنا المطمئنّة بفضل الايمان والتي لا تتردّد في الجواب عن أي سؤال.

٣. السلام في الايمان

أمام نجاح الكافرين، يصرّحون بأن الخير الحقيقي ليس في هذا النجاح. فكرامة الانسان تختلف عنه. ولا شك ان الله سينتصر على المحن الحاضرة (مز ٤٩ و٩١ و١٣٩).

٤. الفرح في المحبة

ان المزمور ٧٣ الذي ستقرأه هو بمثابة ذروة لا يشرح فيه الكاتب شيئًا، بل يتّكل اتكالاً تامًا على الله لأنه لا يشكّ في محبة الله ولا في محبته هو. ونحن لا نجد الفرح إلاّ في فعل الايمان الرائع هذا، وفي تسليم أمرنا لله لتأكّدنا من محبته، بالرغم من كل شيء.

◄ **البشرية، ماشية للذبح (مز ٤٩)**

لا بدّ من قراءة سفر الجامعة قبل ان نصلّي هذا المزمور. نجد فيه اللهجة المخيَّبة نفسها وصبَّ الزَّاج نفسه على أفكارنا العظيمة وأوهامنا: «يشبه الانسان الماشية التي تُقاد الى الذبح...» (الآيتان ١٣ و ٢١).

يشكّل هذا المزمور مُوازنًا جيِّدًا للمزامير التي تمدح البار. فإنه يدعونا الى البحث عن كرامة الانسان في غير النجاح البشري. امتاز كاتب سفر الجامعة برفضه الحلول الكاذبة، وان لم يكن عنده ما يقترحه من الحلول الأخرى. فالانسان أسمى من جميع الزخارف التي يتزيّن بها. إنه لدَرس قاسٍ من قِبَل مؤمن، انه لدرس لا غنى عنه.

الصلاة المسيحية. لا نُسرعْ الى الاعتقاد بأننا أكثر عِلمًا وبأن المسيحي له جواب عن كل شيء. عاش يسوع وضعنا البشري فعلَّمنا أننا نستطيع أن نعطيه معنى، لكنه عاشه في كلّ قساوته دون مخدِّرات. وهو يدعونا ان نمارس معه مهنتنا البشرية بشجاعة.

◄ **أنا معك دائمًا... (مز ٧٣)**

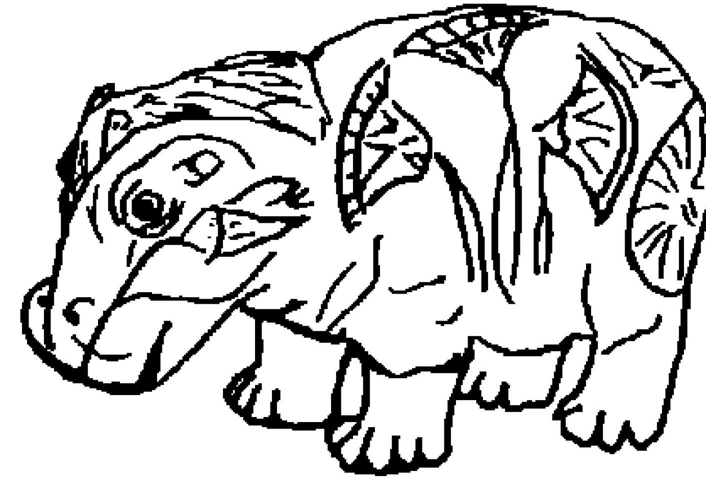
كاتبه مؤمن نزيه لا يغشّ في مسألة عثار الايمان. وهو يقول ذلك ببساطة: «اوشكت قدماي ان تزلّ...».

عِثاره: لأنَّه يؤمن بالله ويحبّه، فهو يُنهك نفسه ليسير سيرة نزيهة. والنتيجة؟ إنه فقير ومحتقَر، في حين ان الذين لا يؤمنون بشيء ابدانهم سمينة واموالهم كثيرة! فما الفائدة في المواظبة على النزاهة؟ (الآية ١٣).

كل ذلك مؤلم فوق الطاقة ومن الصعب جدًا ان يسلِّم به. واذا به يكتشف نفسه بهيمة أمام الله.

وأمَّا ما أدركه الآن فهو: «أنا معك في كل حين. وأنت أخذتَ بيدي اليمنى. بمشورتك تهديني، ومن بعدُ إلى المجد تأخذني. فماذا أبغي وأنت معي»؟

نحن هنا في ذروة: الكلمة الأخيرة هي للمحبة، وإن لم تلفظ هذه الكلمة. ليس عند المؤمن من تفسير، لكنه يحبّ ويعرف أنه محبوب. وهذا ما يساعده على الثبات، في الفرح، فيقول لله بكل تأكيد: «لا اعلم ماذا يكون من بعد، لكن حبّي لك الآن هو أكبر من امكاني أن لا أحبك فيمَا بعد أيضًا».



فرس نهر من خزف مطليّ بالمينا
(بين ١٨٠٠ و ٢٠٠٠ ق.م.).
إنه مزيَّن بزهر عرائس النيل الذي يأكله.
وهو، مع الكركدنّ، ذلك البهيموت الوارد ذكره
في الكتاب المقدس.

في نهايــة الــرحلــة

هنا تنتهي سنة «العطلة» هذه في انحاء العهد القديم. هناك جزء ثانٍ شبيه بهذا الجزء الأول يدعوك الى رحلة مماثلة في انحاء العهد الجديد.

في نهاية هذه المسيرة، يحسن بنا، قبل ان نفترق، أن نتبيّن الوضع عن كل ما اكتسبناه. لا شكّ أنك، في اثناء الطريق، طرحتَ على نفسك بعض الأسئلة. فلا بدّ من معالجتها. من هذه الاسئلة: لماذا نقرأ العهد القديم، بعد أن صار عندنا العهد الجديد؟ هل الكتاب المقدس كلمة الله ام كلمات بشرية؟ وأخيرًا، فأستعمل صيغة المتكلّم لأحاول ان اقول ما اودّ ان تكتشفه في هذه المسيرة وما أُوجزه بكلمة «الشكر».

١. في نهاية المسيرة

دخلتَ في عالم الكتاب المقدس هذا، وتعرَّفت الى التاريخ، تاريخ اسرائيل وتاريخ شعوب أخرى، ولاقيت شخصيات عديدة، معروفة او غير معروفة، وقرأت قراءة طويلة او خاطفة نصوصًا وكتبًا وددت احيانًا لو أمكنك التوقف عندها... وعند وصولك الى النهاية، تشعر، ولا شك، بأنك رأيت أشياء كثيرة وانك... نسيت كل شيء. هذا أمر عادي. ولكنه غير صحيح.

نسيت كثيرًا من الأحداث والتواريخ، ولم تعد تعرف في أي زمن أُلِّف هذا الكتاب او ذاك النص... الأمر غير خطير. فانَّك، يومَ تحتاج الى هذه المعلومات، تجدها بسهولة في هذا الكتاب او في كتابك المقدس.

ذلك بأنك – وقد تكون هذه الفائدة الأولى – تعلَّمتَ ان تستعمل كتابك المقدس وتهتدي الى النصوص وتستعمل المداخل والحواشي.

لقد وضعت خلفيّة معيَّنة في مكانها. وأمَّا بعض التواريخ ولا سيّمَا أهم ساعات تاريخ اسرائيل، كما لُخّصت في لوحة الصفحة ٢٢، فانها تمكّنك الآن أن تضفي بعض الكثافة على حياة اسرائيل وان تحدّد فيها بسهولة وضع كتاب من الكتب.

ولعلَّ هناك أمرًا أهمّ، وهو أنك اكتسبتَ طريقة معيَّنة للدخول في الكتاب المقدس. لا شكَّ أنه لن يكون في امكانك بعد اليوم ان تنظر الى الكتاب المقدس نظرة ساذجة ظريفة. ولكنك تشعر الآن طبعًا بأن قراءتك قد ازدادت صدقًا. لقد ادركت ان الكتاب المقدس ليس بتحقيق صحفي مباشر عن تاريخ شعب، بل أنه تفسير هذا التاريخ عن يد مؤمنين. ولقد اكتسبت بعض ردود الفعل. فإذا طالعت نصًّا، لن تعود تتساءَل اوَّلاً: «ماذا جرى»؟ بل بالأحرى: «ماذا يقول المؤمنون إنّه جرى؟ وبأي كلمة لله شعروا»؟ لن تعود تضع نفسك اولاً على صعيد الحدث، بل على صعيد تدوينه خطيًّا.

وهناك اكتشافات أخرى كثيرة يمكننا ان نذكرها بالتفصيل: من نصوص أصبحت قريبة وشخصيات أصبحت صديقة ووجه جديد لله وطريقة جديدة للنظر الى العالم... نترك لك التنعّم باستعراض هذه النتائج بنفسك، ونتناول بعض الأسئلة الّتي قد تطرحها على نفسك.

٢. لماذا تقرأ العهد القديم

هل من الحاجة الى التوقّف عند هذا السؤال؟ لا شك أن مسيرتنا قد أقنعتك بفائدة العهد القديم. فمن الكافي ان نجمع هنا ما اكتشفته أنت بنفسك.

لماذا تقرأ العهد القديم؟ لأسباب رئيسية ثلاثة: نحتاج إليه لنفهم العهد الجديد – إنه مرآة حياتنا – الوعد الذي يُخبر به لم يُحقّق الى اليوم.

١. العهد القديم ضروري لفهم العهد الجديد

من المفيد دائمًا أن يستهلّ الانسان قراءة كتاب من الكتب بإلقاء نظرة الى الفهرس. وان كان هذا الفهرس مُتقنًا، نستخلص فورًا من مطالعته فكرة اجمالية عن المواضيع التي يتناولها الكتاب. يبقى من الواضح أن كل عنوان من عناوين الفصول يكون أشدّ ايحاء بعد قراءة الفصل المناسب.

العهد الجديد فهرس العهد القديم

هذا شأن الكتاب المقدس. في العهد الجديد ألفاظ كثيرة غير مشروحة لأنها من ألفاظ ثقافة المعاصرين. حين تُذكر أمامنا كلمات كفيروز او الكرسي الرسولي او شمّ النسيم فإنّها توحي الينا بغير اسم عَلَم مؤنّث وبغير كرسيّ (يوصف بأنه رسوليّ!) او بتنشّق الهواء، لأن هذه الكلمات جزء من ثقافتنا ولأنها تعبّر عن إطار اجتماعي وعن تاريخ طويل.

وكذلك فالكثير من الكلمات التي استعملها يسوع او تلاميذه كان جزءًا من الثقافة الدينية في ذلك الزمان وهو يوحي بغير ما يبدو أنه يوحي به. والحال أن جوهر هذه الثقافة كان قائمًا قبل كل شيء على الكتاب المقدس (العهد القديم). فهناك ألقاب تُطلق على يسوع (مشيح او مسيح وابن داود وابن الله وابن الانسان والعبد المتألّم والنبيّ...) وعبارات كثيرة كالكرمة والزواج وصهيون والماء والنَسمة... تبدو أنها «عناوين فصول» مليئة بمضمون إختمر طويلاً في تاريخ اسرائيل.

لكن الكلام على «فهرس» أمر له طابع ماديّ، والحال ان الكلام يدور بالأحرى على عالم من الرموز.

عالم الرموز

سبق لنا (الصفحة ٩٤) أن ميّزنا بين لغتين: لغة العلم التي تأتي بمعلومات، ولغة العلاقة التي تستخدم الرموز. لِنعدْ ونحدّد، بواسطة مثل مبسَّط، وضع هاتين الطريقتين في التعبير.

ان قلتُ لطفل: «هذا الرجل شجاع»، استخدمت لغة العلم والاعلام. فلكلمة «شجاع» معنى دقيق محدّد في المعجم، وأنا أنسبه الى هذا الرجل. هذه الكلمة تلخّص ما هو معروف عنه، لكنها لا تُغني معرفتي له. وان قلتُ: «هذا الرجل أسد»، استخدم لغة رمزية. فلا يتصوّر الطفل ان هذا الرجل حيوان وان له أنيابًا... (لغة الإعلام)، لكنه ينسب إليه كل ما توحي به إليه صورة الأسد... شرط ان يكون قد رأى أسدًا غير أسده النسيجي! اننا نلمس هنا لَمس اليد ما هو فضل اللغة الرمزية وما هي حدودها. إنها تُغني معرفة الأمر الذي تُطبَّق عليه، ولكن لا معنى لها إلاّ بالنسبة الى أشخاص لهم اختبار واحد. ان كان الطفل لا يعرف ما هو الأسد، فعليَّ أولاً ان اذهب به الى حديقة الحيوانات والى السينما. ومتى صار عنده اختبار كافٍ عمَّا هو الأسد، عندئذ أستطيع ان استعمل الكلمة استعمالاً رمزيًا.

العهد القديم، عالم من الرموز

لنستخلصْ مِمّا قلناه نتيجتين عمليتين لقراءة الكتاب المقدس.

عندما نقرأ كلمة من العهد القديم او العهد الجديد، لا بدّ ان نتساءل هل نحن أمام إعلام ام أمام رمز. فإن كنّا امام رمز، فلا بدّ ان نتساءل عمّا كان يوحي به اذ ذاك. وإلاّ لتعرّضنا لأعظم التفاسير الخاطئة. إليك مثلاً: لعبارة «ابن الله» معنى دقيق وقويّ جدًا في نظر المسيحي المعاصر، في حين ان عبارة «ابن الانسان» توحي في نظره بالضعف. والحال انا رأينا ان عبارة «ابن الله» كانت تعادل، في نظر اسرائيل، «ابن داود». فكانت اذًا لقبًا هامًا، ولكنه ارضيّ. أما عبارة «ابن الانسان» فكانت توحي في بعض الأحوال بتلك الشخصية السماوية الوارد ذكرها في سِفر دانيال، والتي سيولّيها الله الدينونة في نهاية الأزمنة، اي شيئًا إلهيًا محضًا. فكان هذا اللقب الأخير اقوى بكثير من لقب «ابن الله»!

نتيجة أُخرى: عندما نقرأ العهد القديم، يجب علينا ان نقاوم، قدرَ ما أمكن من الوقت، ميلنا الى رؤية يسوع فيه! إليك شرحًا معزّزًا بمثل: هَب اننا ندرس الفصل السابع من سفر دانيال. فإن قلنا، ونحن نقرأ كلمة «ابن الانسان»: «هذا يسوع»، نكون قد اكتفينا بأن وضعنا على المسيح رقعة خالية من المعنى او حاملة معنى غير المعنى الصحيح (كرقعة «أسد» بالنسبة الى الطفل الذي لا يعرف إلاّ أسده النسيجي). فلا بدّ لنا ان ننسى أولاً يسوع ونبحث في سفر دانيال عن معنى عبارة «ابن الانسان». ومتى شعرنا بأننا أمام صورة جماعية وأنها تمثّل مجموعة المؤمنين الذين أُدخلوا الى مجد الله لأنهم فضّلوه على حياتهم الخ، استطعنا أن ننسبها الى يسوع، وعندئذ تغتني معرفتنا للمسيح اغتناءً وافرًا.

فلا غنى عن العهد القديم لفهم العهد الجديد. هذا أمر هام، ولكنه لا يزال على صعيد العقل. سنرى أن العهد القديم هو، على الصعيد الحياتي، مرآة حياتنا الإنسانية.

٢. العهد القديم مرآة الانسان

يمكننا ان نقول إن الله جعل شعبه يعيش أكبر الآمال والاختبارات الانسانية. فعندما نقرأ العهد القديم، نفكّر في حياتنا الشخصية، ولكن بعمق. نتبيّن ذلك من القراءة نفسها ومِمّا أثبته يسوع وبولس.

في قراءة العهد القديم

ساعدتك هذه المسيرة الأولى في انحاء العهد القديم على اكتشاف عدد محترم من النصوص. وبعد ان قضيت مدّةً لا غنى عنها للتأقلم على المفردات والصور والأوضاع التاريخية، لا شك أنك شعرتَ هنا وهنا بأن تلك الروايات تتناول أُسس حياتك نفسها. لعلّك شعرتَ بذلك أولاً حين قرأت المؤلّفات الحكميّة. فأيوب الذي يتألّم ويتساءل لماذا، والجامعة الذي يعبّر عن لامعقولية الوضع البشري، ونضارة الحب الذي يفوح من نشيد الأناشيد، وصراخات الألم او هتافات التعجّب التي تخرج من كثير من المزامير، كل ذلك صورة لحياتنا تُعرض لنا كما في مرآة لنتمكّن من التفكير فيها. لكن ذلك ينطبق أيضًا على سائر النصوص: فإن ملحمة الخروج من مصر او انتظار الخروج الثاني عبارة عن عطشنا الى التحرّر ورغبتنا في ان نكون أحرارًا، وصراخات الأنبياء مطالبين بالعدل وباحترام الفقير تتلاقى مع مطالبينا الاجتماعية، وردود الفعل العنيفة او غير العنيفة امام اضطهاد انطيوخس تعبّر عن اختياراتنا الحاضرة والتباسها... ونضع حدًا لهذا التعداد، مع العلم بأنك تستطيع ان تواصله.

على هذا الصعيد الأول، في إمكان كل انسان، سواء أكان مؤمنًا ام لا، ان يختبر هذا الاختبار. فالكتاب المقدس ينتمي الى اكبر اعمال البشرية، ومن شأن روائع العقل البشري ان تعبّر عن جوهر ما يعيشه الانسان. والكتاب المقدس يعبّر عنه على طريقته الخاصة كما نرى ذلك في الملاحم اليونانية او الأساطير البابلية.

ويقول لنا لوقا وبولس إن كل ذلك ينطبق على المؤمن انطباقًا أصدق.

طريقة يسوع التربوية بحسب لوقا

كان تلميذان يعودان يوم الفصح الى بيتهما في عِمّاوس، وقد بردت همّتهما بعدما جرى ما جرى ليسوع: «كُنّا نرجو أنه هو الذي سيفتدي اسرائيل...». كان هذا الاعتراف ينمّ عن اختبار ورجاء كُتبت لها الخيبة. لم يوجّه يسوع إليهما ايّ توبيخ، بل اتّضح له أنهما لا يزالان على رجاء العهد القديم. فجدّد معهما قراءة الكتب المقدسة، واذا بقلوبهم تضطرم وتستطيع ان تعرف، عند كسر الخبز، أن الذي كان يخاطبهما هو الذي قام من بين الأموات.

قد يتّفق لنا نحن أيضًا ان تخور عزائمنا. فالعهد القديم حاضر ليأخذ بيدنا على جميع طرقنا البشرية ويعود بنا بصبر الى ذلك الذي ينبئ به.

تاريخ اسرائيل كمثال مصغَّر

يعبّر بولس عن ذلك بمفردات لاهوتية، فيقول إن الأحداث التي جرت لاسرائيل هي تصاميم لنا (١ قور ١٠/٦ و١١). يترجمون عادة الكلمة اليونانية «تيبُس» بـ«نموذج». والحال ان «تيبُس» هو عكس النموذج، والأولى بأن يُترجم بـ«تصميم» (لبناء او لفستان).

فالمهمّ في «النموذج» هو هذا النموذج لا صورته. وأمّا في التصميم فالعكس. ان قام مهندس في مُختبر بتصميم لِسدٍّ يُرغَب في بنائه، وان قامت خيّاطة بتصميمٍ من ورق جرائد للفستان الذي تريد تفصيله، فالمهمّ يكون السدّ او الفستان. فالتصميم هو نوع من استباق الحقيقة التي يتصوّرها عقل بشري مُسبقًا.

وضع اسرائيل وضع خاص، فانّ أحداث تاريخه لها قيمة في حدّ ذاتها، ولكنها في الوقت نفسه، بالنسبة الى المؤمن، استباق لحياته. فالله كان يفكّر فينا، نوعًا ما، حين كان يحاور إسرائيل.

هذا أمر هام يساعدنا على عدم الوقوع في قراءة تُوجَّه الى اصلاح الأخلاق. إليك مثلاً يوضّح لك هذا الأمر.

تجارب يسوع في البريّة

كثيرًا ما نجعلها حالّيّة على الوجه التالي: جُرِّب يسوع فقاوم التجارب. عليَّ اذًا ان أقتدي به. فأمامنا هذا الرسم البياني: يسوع (قدوة) + نحن. ليس هذا بخاطئ، ولكنه قد يؤدي بنا الى شيء من النزعة الأخلاقية (علينا ان نكون لطفاء على مثال يسوع) او قد يثبّط عزائمنا. وهذا شرّ ممّا سبق. فحين يُعرض عليَّ مِثالٌ أجمل ممّا في طاقتي، أُعجَب وأقول في نفسي: «ليس هذا الانسان مثلي...».

والحال أن متى ولوقا يرويان أن الشيطان يجعل يسوع يعيش التجارب الأساسية التي عاشها الشعب في البريّة. وبذلك فإن يسوع يُعيد تاريخ اسرائيل ولكنه يجعل هذا التاريخ يؤول الى النجاح، لأنه يجيب كما كان يجب على الشعب ان يعمل (راجع «ما عليك إلاّ ان...» في الصفحة ٥٧).

كانت تجارب الشعب هذه في البرية تصميمًا لتجاربنا وهي لا تزال تجاربنا اليوم. فالتجارب التي عاشها يسوع هي تجاربنا نحن. فأمامنا هذا الرسم البياني: اسرائيل تصميم لنا + يسوع + نحن.

ليس يسوع مثالاً نقلّده، بل هو ذلك الذي نجحت فيه حياتنا والذي فيه يمكننا ويجب علينا ان نحيا الآن هذه الحياة.

٣. زمن الموعد مستمرّ

ان العهد القديم موعد في معظمه. تذكَّرْ، على سبيل المثل، نصوص الأنبياء ومزامير المُلك والرؤى التي يُنبئون فيها بهذه البشرى: سيأتي الله في أحد الأيام ليقيم مُلكه. فيكون الفقراء سعداء، لأن الفقر سيزول، والشر واللاعدالة والألم والموت ستُغلب...

يكفي ان ننظر حولنا (وفينا) لنتأكّد من ان ذلك لم يحقَّق حتى اليوم، وأنَّ الشر والألم والخطيئة لا تزال في عالمنا. كان اليهود ينتظرون مشيحًا يُقيم ملكوت الله هذا، بنفسه ووحده وبدفعة واحدة. واعترف المسيحيون بأن يسوع هو هذا المشيح، ولكنهم اكتشفوا أن يسوع اكتفى بافتتاح هذا الملكوت، تاركًا لتلاميذه القيام بالعمل بفضل تأييد الروح القدس.

ان مجيء المسيح لم يُزل انتظار اسرائيل، لا بل قوَّى الرجاء، والموعد الذي يحتوي عليه العهد القديم يبقى البرنامج الذي على المسيحيين ان يُتمّوه كما أتمَّه يسوع.

كلمة الله . كلمات بشرية

سبق لنا أن أشرنا الى هذه المسألة (الصفحة ٧٦) . فقد يجب علينا ان نعود اليها ، فلا شك أنك تطرحها على نفسك في ختام هذا البحث .

يقدم الناس عادة على قراءة الكتاب المقدس متيقّنين (او غير متيقّنين ، ان كانوا لا يؤمنون) من أنه «كلمة الله» وأنه كتاب «مقدّس» عند اليهود وعند المسيحيين.

والحال أنك ربّما شعرت طوال ابحاثنا بأننا ننزع عن الكتاب المقدس طابع القدسيّة. فاننا ندرسه بأساليب تحليل ، كما لو كان نصًا عاديًا . لقد شهدنا كيف أنه كُوِّن انطلاقًا من تفكير الشعب والأنبياء والحكماء والكهنة . وفي آخر الأمر ، يُخشى ان يبدو لنا كلامًا بشريًا . «قال الله لابراهيم... لموسى...» . نشعر بأنه من الأفضل ان يُكتَب : «يقول أناس إن الله قال... لقد فسَّروا... لقد قدسنوا كلامهم البشري بجعله كلمة الله . من الذي يضمن لنا أنهم على حق»؟

قد يجب علينا ان نعيد النظر في تصوّرنا لكلمة الله ، ونجد في القياس بالتجسّد ما يساعدنا على ذلك . وهذا البحث يحملنا على الاعتراف بأهمية الروح القدس وبدور الايمان.

يسوع كلمة الله الذي أصبح انسانًا

ان اندهاشنا أمام ذلك الكتاب المقدس – كلمة الله ، الذي يبدو بشريًا الى حدّ بعيد ، يشبه تمامًا اندهاش معاصري يسوع . فقد وعوا بعد القيامة أنهم عاشوا في الفة ابن الله والكلمة غير المخلوق . لكنّهم لم يروا ولم يسمعوا سوى انسان وسوى كلمات بشرية . فكلمة الله لا تهبط من السماء بوجه منظور وسِحري ، بل تصبح بتواضع واحدًا منّا ، ولا بدّ من الاهتداء إليها بعيون الايمان.

«ان كلمة الله هي في قلبك لتمارسها» (تث ١٤/٣٠). ففي قلب الانسان اذًا وفي ممارسته وفي تصرّفه اليومي ، كما وفي اهمّ احداث العالم ، يجب ان نكتشف هذه الكلمة . على صعيد بشري محض «تعبّر» الحركات والأشياء عن شيء ما : نقول : «هذا الحدث بليغ ... وهذه البسمة شديدة التعبير...» . وعلى هذا النحو يجب ان نكتشف كلمة الله عَبرَ الأقوال والمواقف والأحداث البشرية.

دور الروح القدس

يُخشى ان نسمّي «كلمة الله» ما ليس هو إلاّ تعبيرًا عن اختياراتنا البشرية . من الذي يضمن لنا أن مؤلّفي الكتاب المقدس لم يعملوا مثلنا؟

ان المؤمن الذي يعترف بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله يعترف اذًا بأنه كلمة مُلهمة ويرى فيه عملاً من الروح القدس . قال يسوع لتلاميذه : «سيقول لكم الروح كلَّ ما قلته لكم ويرشدكم الى الحق كله» (يو ١٣/١٦) . فمن حلم بكلمة من الله تكون في حالٍ محض وتهبط من السماء ، أراد ان يستغني عن الروح القدس ، وعن الايمان ايضًا !

دور الايمان

نتمنّى ان يكون لدينا اثباتات : فنحن كاليهود الذين كانوا يطلبون من يسوع آيات عظيمة في السماء . فكان يسوع يجيبهم : «لن تعطوا آية إلاّ آية يونان . لقد وعظ يونان في نينوى دون ان يصنع المعجزات ولا ان يقدّم الاثباتات . اكتفى بالوعظ ، فشعر السكّان في كلامه بكلمة الله تدعوهم الى التوبة . فعليكم كذلك ان تشعروا بالسرّ في كلامي البشري وكياني البشري» (راجع لو ٢٩/١١ ت).

النتيجة هامة . فإن كانت كلمة الله قد هبطت من السماء في حالٍ محض ، لن يسعنا إلاّ ان نكرّرها . وان كانت اكتشافًا متواضعًا للأحداث البشرية تقوم به أجيال من المؤمنين ، فإنها لا تزال في متناولنا في كل ما يحدث لنا اليوم ، ولعلَّ قراءة الكتاب المقدّس دعوة الى تكرار ما اكتشفه أجدادنا في الايمان اقلّ ممّا هي دعوة الى فعلِ ما فعلوه ، اي الى قراءة كلمة الله في حياتنا وحياة العالم.

الحمد والشكر

كثيرًا ما طُرح عليّ السؤال التالي في نهاية مسيرة مماثلة : «ما هي الفكرة التي كانت تدور في رأسكَ حين عرضتَ علينا هذه المسيرة؟ ما هي «عقائدية» هذه الصفحات والى اين تذهب بنا؟»

ان هذا السؤال ، سواء أكان تغريريًا ام وديًّا ، هو هامّ. فهو يكشف عن **ان قراءتنا للكتاب المقدّس ، ولأي نصّ آخر ، لا تكون ابدًا** موضوعية . هذا وان المسيرة المقترحة هنا ليست ببريئة . لا أريد ان اعرض «عقائديتي» – مع العلم بأن العقائدية هي في الواقع ما يحرّك الانسان دون ان يشعر به . سأترك الصيغة اللاشخصية وانتقل ، بكل تواضع ، الى صيغة المتكلّم فأعبّر عن الفائدة التي جنيتها من درس الكتاب المقدس والتي أتمنّى ان يجنيها غيري .

مسيحي وذكيّ؟

أعتقد من كل قلبي أن الله أرادنا اذكياء وأنه لا يطلب منّا ان نضحّي بذكائنا عندما نطالع الكتاب المقدس . نحن أناس من القرن العشرين ، موسومون بطابع العلم ، بالعلوم المضبوطة والعلوم الانسانية على السواء ، وعلينا ان نكون مؤمنين بصفتنا أناسًا من القرن العشرين ، دون ان نُنكر أي شيء من الايمان والعلم .

والفائدة الأولى التي جنيتها من قراءة الكتاب المقدس أني اكتشفت أن في إمكان الانسان ان يكون مسيحيًا وذكيًّا ! وليس هذا بالأمر اليسير . إليك مثلاً (ويمكنك ان تجد امثالاً كثيرة) : أمام روايات خلق العالم ، كثيرًا ما كان (ما زال؟) المؤمن يتنازعه تيّاران : بصفته مسيحيًا ، كان يشعر بأنه مفروض عليه أن يقبل ما كانت تثبته هذه النصوص على ما يبدو (خَلْق مباشَر عن يد الله ، وفي ستة ايام...) ، وفي الوقت نفسه ولأنه من القرن العشرين ، كان يسمع صوتًا ناعمًا يتمتم في داخله : «لا أستطيع ان اصدّق هذا ! » . يتبيّن لنا من خلال بحث سليم في هذه الروايات وفي كثير من غيرها أن ليس هناك تعارض بين الايمان والعلم او التاريخ . فالانسان يستطيع ان يكون ابن زمانه تمامًا وان يكون مؤمنًا ، وذلك دون ايّ تعقّد .

مسيحي وحرّ

كثيرًا ما يبدو المسيحي مصابًا بالاغتراب مُحاطًا بالمعتقدات والتحريمات كشبكة من الأسلاك الشائكة ، مع أن هناك يقينًا ينبثق من صفحات الكتاب المقدس كلها ، وهو ان الله يريد الانسان حرًّا مسؤولاً .

صحيح أن طريقة الدخول في الكتاب المقدس ليست ببريئة . إليك نُكتة تساعدك على الشعور بذلك . كنتُ انا وطلاّب من بلدان مختلفة نفكّر في هذه المشكلة التربوية : في ايّ ترتيب يجب عرض نصوص الكتاب المقدس في بداية الدرس . وكانوا يقترحون إمكانيات مختلفة : تتبّع الرسم البياني لـ«التاريخ المقدس» (خلق العالم – الزلّة – ابراهيم – موسى ...) او الترتيب المتّبع حاليًا في التعليم المسيحي (ابراهيم – موسى – روايات خلق العالم ...) او ايضًا الانطلاق من الخروج على نحو ما فعلنا في هذه المسيرة ... فقالت لنا راهبة من اميركا اللاتينية : «الكتاب المقدس عندنا جزء من التعليم الذي يُلقى في الثانويات الرسمية . فهناك كتب مدرسية رسمية وهي تتّبع الرسم البياني للتاريخ المقدس . وقد أنشأنا مركزًا متواضعًا للتعليم المسيحي نعلّم فيه من شاء من الأساتذة ان يبدأوا بابراهيم قبل ان يتناولوا موضوع روايات خلق العالم» . وأضافت : «لم تشعر الحكومة بالأمر حتى اليوم . ولكننا على يقين من ان المتاعب ستنزل بنا يوم تطلع الحكومة على ما نفعله ...» . ارى بعد التفكير أن الأمر واضح ، فالرسم البياني «التاريخ المقدس» محافظ في جوهره : إنه يبدأ بإبراز شخصية إله قدير وسيّد مطلق وخالق انسان لا يُطلب منه إلاّ ان يطيع . اجل ، ان هذا الانسان يتمرّد بارتكاب الخطيئة ، ولكن الله يبقى السيّد ، اذ إنه يعاقب ويغفر ... ولا عجب ان تقبل بهذا الرسم البياني حكومة قائمة على السلطة : فقد يكون هناك تمثّل لاشعوريّ بين هذا الإله المطلق وسيّد البلاد . وأمّا الرسم البياني الآخر – وهو الذي سيَّر الله شعبه عليه – فهو هدّام ، فإنه يجعل الانسان يكتشف ان الله هو ، قبل كل شيء ، إله يحرّر ويريد ان يكون الانسان وجميع الناس احرارًا ومسؤولين .

ولذلك فطريقة الدخول في الكتاب المقدس قد يكون لها تأثير عظيم في عقليتنا الدينية . لا بل في موقفنا البشري أيضًا . وقد تساهم أيضًا في تنشئة مواطنين طيعين او أناس مسؤولين.

مروءة الله

يمكننا ان نقول الشيء نفسه ، اذا تكلّمنا ، كما يفعل سفر الحكمة ، على مروءة الله وتواضعه . ان الله هو الآخَر تمامًا . وسيّد التاريخ وخالق العالم والمتعالي . هو كل ذلك ولا يزال . ولكنه يريد ، قبل كل شيء ، ان يكون الإله القريب الذي يسير خطوة فخطوة مع شعبه . الإله الذي يحترم الانسان احترامًا فائقًا . ولا يتعدّى على ايمانه بالمعجزات ولا يسحقه ابدًا. إنه إله يريد ان يكون الانسان منتصبًا وحرًّا ويعطيه العالم ليبنيه والتاريخ ليصنعه.

وهذا الإله أمين. رأينا كيف أن الكتاب المقدس يعبّر عن التزامه نحو ابراهيم : لقد ألقى الله بدفعة واحدة في ميزان التاريخ ثقل أمانته . وذلك هو الضمان الأخير والنهائي للانسان والذي يجعله حرًّا على الاطلاق . فسواء أكان الانسان قديسًا ام خاطئًا ، فإنه يعرف أن الله الأمين يحبّه حبًّا لا يتلاشى . لا يخفى علينا ما أهمّ ان يعرف الانسان أنه محبوب لكي يعمل . اننا نحتاج الى ان يعتمد احد علينا ويجعل ثقته فينا . ذلك هو الضمان العظيم الذي لا يستغني عنه المؤمن : انه يعرف ان الله يحبّه وانه يثق به بالرغم من كل شيء .

فلا خوف ان تنزل انواع الانتفاض والفشل بالتاريخ ، بتاريخ العالم وبتاريخ الكنيسة على السواء . فليس في ذلك ما يقطع الأمل ، اذ ان الله يسير مع الانسان صامتًا غير منظور ويجعل فيه ثقته.

الحمد والشكر

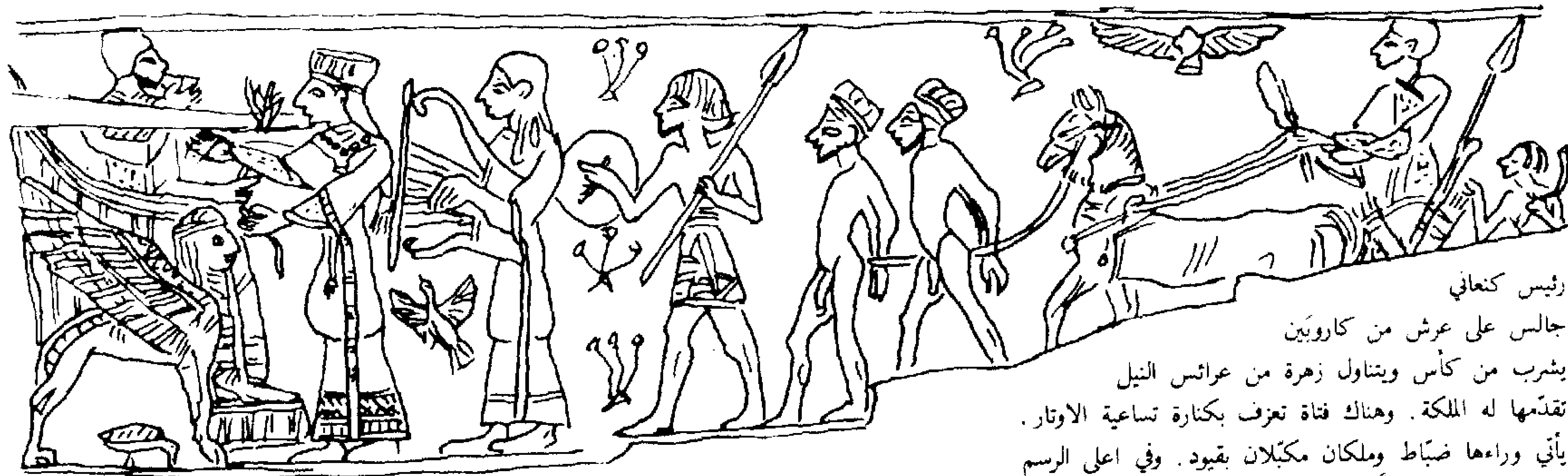
لو وجب عليّ أن أُوجز بكلمة الموقف الأساسي الذي من شأن مطالعة الكتاب المقدس ان ترسّخه فينا ، لقلت دون تردّد : موقف الحمد والشكر .

لخّص احد أهل الاختصاص ما أقوله تلخيصًا رائعًا في العنوان الذي أطلقه على شرحه لسفر يشوع : «هبة فَتْح». هذا كل ما يُقال . فلقد كان الدخول الى أرض كنعان فَتحًا . ولو لم يقاتل يشوع والشعب ، لما فتحوا هذه الأرض. هم الذين احتلّوها. ولكنهم كانوا يعترفون في الوقت نفسه بأنها هبة. حين درسنا أحد نصوص تثنية الاشتراع (الصفحة ٥٨) ، رأينا كيف أن مجرّد سرد حكاية يغيّر معنى غلال الأرض : كان الاسرائيلي في بدء الأمر يستطيع ان يُغلق يديه على الثمار التي أنبتها : «انّها غلالي». لكنّ رواية ما عمله الله من أجل شعبه كان يحمله على الاعتراف ، وهو مسرور ومفتوح اليدين ، بأن غلاله وحياته هي هبة من الله.

يبدو لي ان الكتاب المقدس يحملنا على الاعتراف بأن كلّ شيء من الانسان وبأن عليه ان يصنع نفسه ويصنع العالم والتاريخ ، وبأن الانسان ، في الوقت نفسه ، هو اجمل هدية اعطاه الله ايّاها.

أشكرك ، يا إلهي ، لأنك جعلت مني تلك العجيبة المدهشة التي هي انا (مز ١٣٩/١٤).

صنع الربّ إليّ أمورًا عظيمة... (لو ١/٤٩).



رئيس كنعاني
جالس على عرش من كاروبَين
يشرب من كأس ويتناول زهرة من عرائس النيل
تقدّمها له الملكة . وهناك فتاة تعزف بكنارة تساعية الاوتار .
يأتي وراءها ضبّاط وملكان مكبّلان بقيود . وفي اعلى الرسم
اسطوانة الشمس المجنّحة (تحفة عاجية عُثر عليها في مجدّو)



كان هذا الرسم الجداري (٢,٥٠م على ١,٧٥م.) يزيّن القاعة الكبرى من قصر ماري (دُمِّرت في السنة ١٧٦٠ ق.م.). وهو حاليًا في متحف اللوفر.

يسمَّى رسم التنصيب او، في بعض الاحيان، رسم الفردوس.

في المستطيل الاعلى الذي في الوسط، يتناول الملك (زِمرين لين على الارجح) العصا والخاتم، وهما من خواص السلطة، من يدي الإلاهة عُشتار، إلاهة الحرب، وهي تطأ الاسد شعارها. وهناك بعض الآلهة يحيطون بالإلاهة والملك.

وفي ادنى الرسم إلاهتان تحملان اناء تنبثق منه اربعة أنهار.

والى الجانبين شجرتان، الأولى مرسومة بطريقة تزيينية، والاخرى نخلة. يحرس الشجرة الأولى ثلاثة «كاروبيم»: ابو هول مجنَّح وقِشعام أكلف مجنَّح وثور برأس انسان.

في هذا الرسم كثير من الملامح الوارد ذكرها في روايات الفردوس الارضي، فلا شك ان اصحابها قد استقوا من اصلٍ مشترك واحد. نرى، على الاخص، الشجرتين والانهار الاربعة والكاروبيم. ولكن هناك فرقًا اساسيًا: ففي الكتاب المقدّس ليس المكان المركزي للملك، بل للانسان الذي أقامه الاله الواحد سيّدًا على الخليقة.

الأدب اليهودي خارج الكتاب المقدس

أُلّفت اسفار العهد القديم الأخيرة قبل المسيح بمئة سنة (ما عدا سفر الحكمة الذي لا يدخل في الكتاب المقدس اليهودي). فبين سفر الحكمة هذا (المعتمَد في الكتاب المقدس الكاثوليكي) والذي أُلّف في حوالى السنة ٥٠ ق.م.، والسفر الأول للعهد الجديد (وهو الرسالة الأولى لأهل تسالونيقي) والذي أُلّف في السنة ٥١ ب.م.، ليس عندنا ايّ كتاب. مئة سنة دون أدب؟ مع ان مئة السنة هذه تهمّ المسيحي بوجه خاص، اذ فيها عاش يسوع.

كان الانتاج الأدبي مكثّفًا في الواقع خلال هذه المدة، والاختصاصيون في الكتاب المقدس يعملون اليوم كثيرًا في هذا القطاع.

الشريعة المكتوبة والشفهيّة

أعطى الله شريعته لموسى على جبل سيناء. ولكن جزءًا منها فقط، في نظر الاسرائيليين، دُوِّن خطيًا، ونُقل الجزء الآخر شفهيًا (راجع الصفحة ٧٩).

ان الشريعة المكتوبة هي اسفار الشريعة الخمسة (او التوراة). أوضحها الأنبياء وتأمّل فيها كتّاب المؤلفات او الكتابات، والكتاب المقدس مُكوَّن من جميع هذه الأسفار.

على مثال المؤلّفات او الكتابات، أُلّفت كتب كثيرة في حوالى مطلع العصر المسيحي. بعضها معروف منذ زمن بعيد، وبعضها عُثِر عليها مؤخّرًا، منها كتابات نجع حمادي في مصر في السنة ١٩٤٥ وكتابات قُمران في السنة ١٩٤٧.

أمّا التقاليد الشفهية فان حصرها عمل شاقّ، ولمجرّد أنها شفهية. انها تنقل تقاليد موازية للشريعة المكتوبة، وتتأمّل في الكتب المقدسة وتجعلها حاليّة وتولّد تقاليد جديدة... وكثيرًا ما يصعب علينا ان نحدّد بدقة في اي زمن وُلد هذا او ذاك التقليد.

الكتابات اليهودية

كتابات من الفن الرؤيوي

كثير من هذه الكتابات معروف منذ زمن بعيد. منها، على سبيل المثل، كُتب أخنوخ وكتاب اليوبيلات ومزامير سليمان ووصايا موسى ورؤى ايليا ورؤى ابراهيم، وكتاب عزرا الرابع (الوارد ذكره في الكتاب المقدس اللاتيني)... ليست هذه الكتب رؤى بحصر المعنى، لكنها كلّها موسومة بطابع هذا التيّار.

كتابات قمران

عُثر على هذه المخطوطات في بعض المغاور بالقرب من البحر الميت ابتداءً من السنة ١٩٤٧، وهي تعرّفنا الى فكر الحسيديم، اولئك اليهود الاتقياء الذين لجأوا الى «دير» قُمران في أيام المكّابيين وعاشوا فيه حتى تدميره عن يد الرومانيين في السنة ٧٠ ب.م. (راجع الصفحة ٨٥).

ان مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران تساعدنا، انطلاقًا من بعض المقاطع المختارة، على اكتشاف حياة الحسيديم وفكرهم.

كتابات أخرى

لا بدّ على الأقل من الإشارة الى اعمال المؤرّخ اليهودي فلافيوس يوسيفُس (وُلد في حوالى السنة ٣٠ ب.م. وتوفي في اوائل القرن الثاني) الذي جدّد كتابة الكتاب المقدس في كتابه «العصور اليهودية القديمة»، والى اعمال الفيلسوف فيلون الاسكندري (وُلد في حوالى السنة ١٣ ق.م. وتوفي في السنة ٥٠ ب.م.) الذي حاول، في كتبه العديدة، ان يعبّر في ثقافته اليونانية عن ايمانه اليهودي. لقد كتب في الزمن الذي تكوَّنت فيه الأناجيل.

الأدب الشفهي

يدور الكلام أيضًا على الأدب الربّاني. والربّانيون هم اولئك الكتبة الفريسيون الذين ، بتضلّعهم من الشريعة وبالتعليقات التي كانوا يضيفونها اليها ، أقرّوا ، منذ ايام المسيح (الربّان جملئيل مثلاً : راجع رسل ٣٤/٥) ، طريقة ممارسة هذه الشريعة. وبعد سقوط اورشليم في السنة ٧٠ ، اجتمع اولئك الكتبة الفريسيون في يبّنِه (بالقرب من تل أبيب الحالية) وأعادوا تنظيم الدين اليهودي وجمعوا التقاليد. ليس الأدب الشفهي كلّه ربّانيًا ، ولكنه جُمع عن يد الربّانيين.

سنعدّد أهم المجموعات لمساعدتك اولاً على تحديد وضع بعض الأسماء التي سمعتَ بها (التلمود مثلاً) ولترى ايضًا الى ايّ عمل تفكيري في الشريعة انصرف اولئك المؤمنون اليهود. وهذا أمر مفيد لتتعرّف الى الدين اليهودي ، ولتدرك ايضًا كيف تكوَّن العهد الجديد. كان المسيحيون الأولون يهودًا مدرَّبين على الأساليب التي تُجعل بها الكتب المقدسة حالية. وعرفت الأناجيل حقبة تكوين وتناقل طويلة ، قبل ان تُدوَّن خطّيًا ، كما الأمر هو في ما يتعلّق بالتقاليد الربّانية.

لقد فضّلنا اسم «الأدب الشفهي» على «الأدب الربّاني» للتشديد على الأمر التالي : ان المجموعات التي سنتكلّم عليها وصلتنا بصورة كتابات. ولكنها كانت ، في ايام اليهود ، مجموعات شفهية محض. إليك هذا التشبيه : يكتب الموسيقي مجموعة اصوات سمفونيته ، مع أنها لم تؤلَّف لتُقرأ ، بل لتُعزَف وتُسمَع. وما كتابتها سوى سند يساعد الذاكرة.

التقاليد الشفهية

نقل الربانيون الى تلاميذهم ما سبق لهم ان تلقَّوه (راجع ١ قور ١/١٥ – ٣). هذه التقاليد من طرازين : «الهلكه» تأتي بتفسيرات للشريعة تفيد العمل وقواعد عملية للحياة (الأصل «هلك» يعني الطريق والسبيل) – و«الهجّاده» وهي تفيد بالأحرى بناء النفوس (راجع الصفحة ٨١).

ابتداءً من أواخر القرن الأول ، أخذت هذه التقاليد تُحرَّر نظاميًا. وأول مجموعة نتجت عن هذا التحرير الشفهي تُسمَّى المشنه. وأخذ الربانيون ، سواء أكان في فلسطين ام في بابل ، يعلقون على هذه المشنه ، ونتج عن تعليقاتهم ما يُسمّى «الجماره».

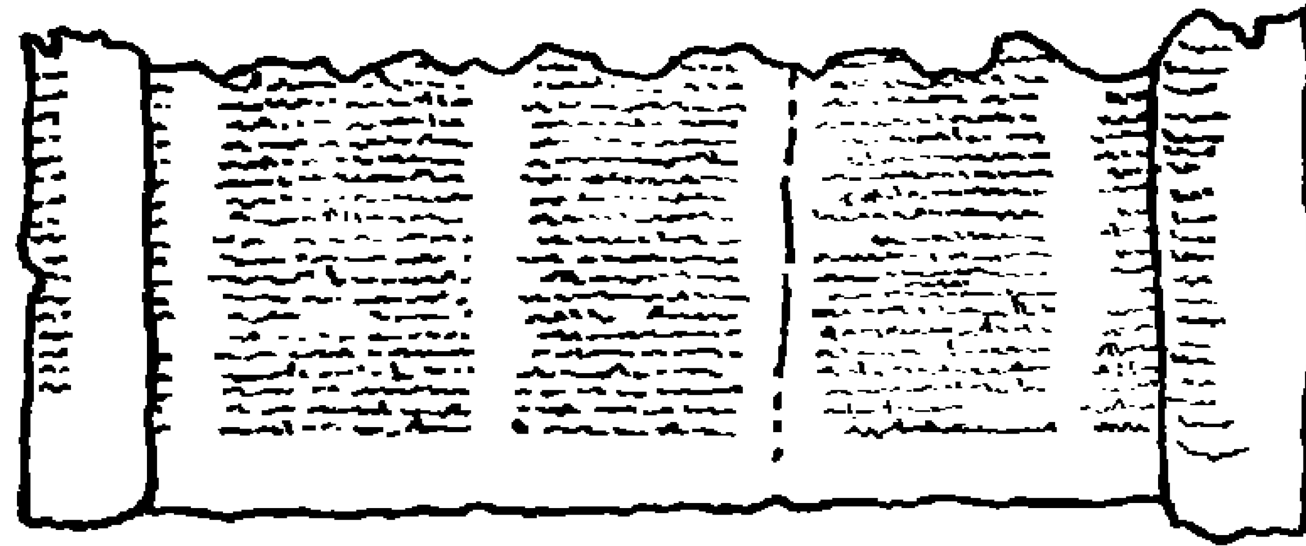
أمَّا التلمود (تعليم) فهو جمع كل هذه التقاليد : المشنه كنص أساسي ، تُضاف إليها الجماره وتقاليد أخرى لم يوجد لها مكان في المجموعات الشفهية. جُمع تلمود اورشليم او فلسطين في القرن الرابع ، وأُنجز تلمود بابل ، وهو في حال اكمل ، في اواخر القرن الخامس.

المدراش

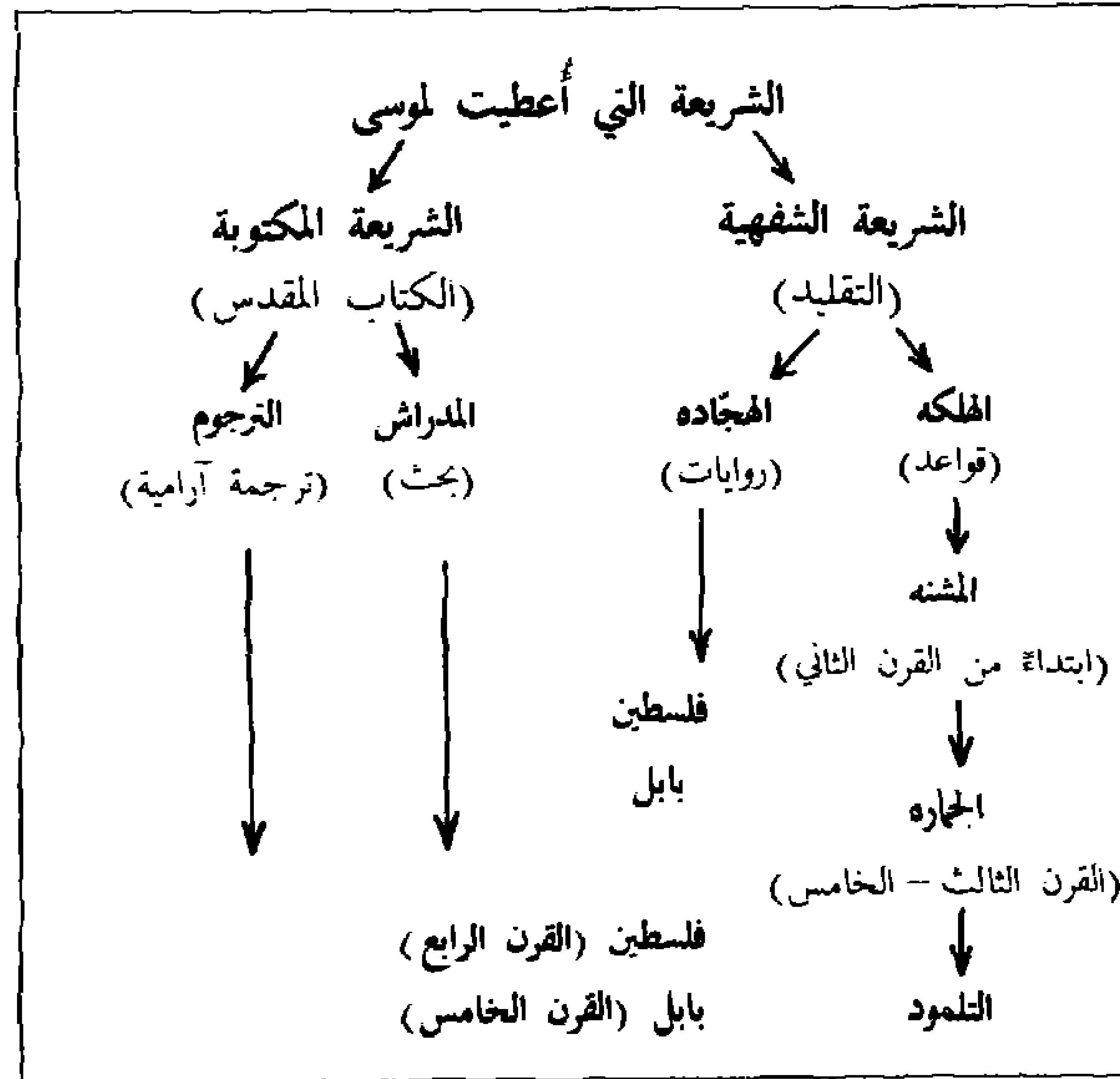
ان الأبحاث او التعليقات على الكتاب المقدس ، التي تمَّت في المدارس او المجامع ، ستؤدّي الى مجموعات مدراشيم (راجع الصفحة ٨١).

الترجوم

ان الترجوم هو ترجمة نص الكتاب المقدّس الذي يُقرأ بالعبرية في المجمع الى اللغة الآرامية. كانت هذه الترجمة الشفهية تكييفًا على الأوضاع الحالية. فهي اذًا مفيدة جدًا ، اذ انها تُطلعنا على طريقة تفسير الكتب المقدسة في ايام المسيح (راجع المثلين في الصفحتين ٣٨ و ٥٢).



مخطوطة من قمران. سفر الهيكل



الجزء الثاني

العهد الجديد

دليل الى العهد الجديد

«هل تفهم ما تقرأ»؟ – «كيف لي ذلك، ان لم يرشدني أحد»؟ ان هذا الحوار القصير الذي نسبه لوقا الى فيلبّس والوكيل الحبشي (رسل ٨/٣٠) يبيّن ما هو الهدف من هذا الكتاب: انه، وبكل تواضع، دليل الى القراءة.

دليل سياحي

حين تزور بناءً أثريًا بصحبة دليل، سواء اكان شخصًا ام كتابًا، فالمطلوب من الدليل ان يتوارى وأن يُريك ذلك البناء الأثري وأن يهديك الى الجوهر. والمُراد من هذا الكتاب أيضًا ان يرشدك في انحاء العهد الجديد وان يتوارى ليهديك الى النصوص.

من عادة الدليل السياحي ان يعرض عليك اكثر من امكانية: «ان لم يكن لديك سوى بضع ساعات، فاكتف بزيارة هذا او ذاك البناء الأثري... وان اردت أن تقضي ثلاثة ايام...». وذلك شأن هذا الدليل الى العهد الجديد. لا يمكننا ان نقول كل شيء في عدد قليل من الصفحات. سنحاول اذًا ان نهتدي الى الجوهر وان نلقي نظرة اجمالية، من دون ان نهمل التوقف عند النصوص الهامة. ان لم يكن لديك سوى القليل من الوقت، لا يمكنك ان تزور كل شيء: فعليك ان تختار! لا يُطلب منك ان تتعمّق في كل شيء، بل ان تتعرّف الى كل شيء. وستصبح، في أثناء هذه الزيارة، صديقًا للوقا ويوحنا وبولس... فتعود اليهم فيما بعد.

الجزء الثاني

من الأمور الطريفة ان يبدأ الانسان بالجزء الثاني من الكتاب، فإنه يستطيع بذلك أن يبتكر ويتصوّر ما يكون قد جرى فيما مضى... ولكن هذه الطريقة ليست هي أسهل الطرق لإدراك الغاية! ان العهد الجديد هو الجزء الثاني للكتاب المقدس المسيحي، والعهد القديم هو الجزء الأول منه، والأفضل ان تبتدئ به.

في إمكانك ان تبدأ بهذا الجزء الثاني، ولكن هناك أمورًا كثيرة لا تتّضح لك إلاّ ان بدأتَ بدرس الجزء الأول، مع العلم بأننا سنعود كثيرًا اليه.

كيف تستعمل هذا الدليل؟

حين تزور احدى المدن، تجد فيها أبنية أثرية خليطة: فكثيرًا ما أُضيف الى تلك الكنيسة او ذلك القصر او ذلك البيت القديم أجزاءٌ أُنجزت في أزمنة لاحقة... وتكون الزيارة عادةً لِكلّ بناء أثري على

حدة ، الواحد بعد الآخر ، وبعد ذلك فقط يأخذ الانسان فكرة اجمالية عن كلّ ما رأى...
تمَّ تصميم هذا الدليل بحيث أنك تستطيع ان تزور العهد الجديد بطريقة من الطرق...
كل فصل يقع في اثنتي عشرة صفحة وينقسم الى قسمين : في الصفحات الثماني الأولى عرض لأعمال أحد المحرّرين (بولس ومرقس ويوحنا...) ، وأمّا الصفحات الأربع الأخيرة ، ففيها درس لأحد مواضيع الجماعة ، من خلال تلك الاعمال كلها (اعلان البشارة ومعجزات وأمثال...) . هذان القسمان يشكّلان كُلاً مستقلاً ، ولكنه في امكانك ان تدرسها الواحد بعد الآخر . فيمكنك الدخول في هذا الدليل على وجهين :

- يُمكنك ان تدرسه صفحة بعد صفحة ، وهذا هو الوجه الأسهل.
- ويُمكنك أيضًا ، خصوصًا ان كان الى جانبك دليل كُفُؤ ، ان تبدأ بزيارة الجماعة الأولى : وفي هذه الحال تبدأ بدراسة الصفحات الاربع الأخيرة من كل فصل. ثم تستأنف المسيرة ، في مرحلة ثانية ، مع الصفحات الثماني الأولى. وستدرك معنى هذه الامكانية المزدوجة ، بعد ان تكون قد قرأت المقدمة حتى الصفحة ١٢٩ .

وأيًّا كان اختيارك من هاتين المسيرتين ، فمن المفيد ان تبدأ بقراءة الفصلين الأولين.

كيف يتمّ العمل؟

يُمكنك ان تستعمل هذا الدليل وحدك ، كما انه يمكنك ان تستعمله ان كنت تدرس مع فريق. ولذلك قُسم الى ثمانية فصول ، وذلك بأن الفريق ، ان اجتمع مرّة في الشهر ، استطاع ان يدرس العهد الجديد بكامله في سنة واحدة.

للفصلَين الأولين طابع خاص. أمّا الفصول الستة الأخرى ، فإنها تتضمّن الأقسام نفسها والترتيب نفسه : اي ، صفحة أولى كمدخل يحدّد وضع المؤلّف وصاحبه – ونظرة إجمالية الى المؤلّف – واقتراح لدرس نصوص معيَّنة – آلام يسوع (قسم خاصّ بالاناجيل الاربعة) – ووجه يسوع في هذا المؤلّف.

في إمكانك اذًا ان تقرأ مجمل الفصل ، ثم ان تعود الى هذا او ذاك القسم لما ترى فيه من فائدة. إلاَّ انك تستفيد من درس النصوص المشار إليها بالعلامة ◄ . اخترنا هذه النصوص لقوّة دلالتها على المؤلّف الذي تدرسه. ولقد اهتممنا أيضًا بأن يمكّنك اختيار هذه النصوص من قراءة اهمّ مقاطع العهد الجديد.

مع السلامة !

بقي لي ان اتمنّى لك سفرًا ميمونًا في انحاء العهد الجديد وان أشكر جميع الذين تمَّ تأليف هذا الدليل بفضلهم...

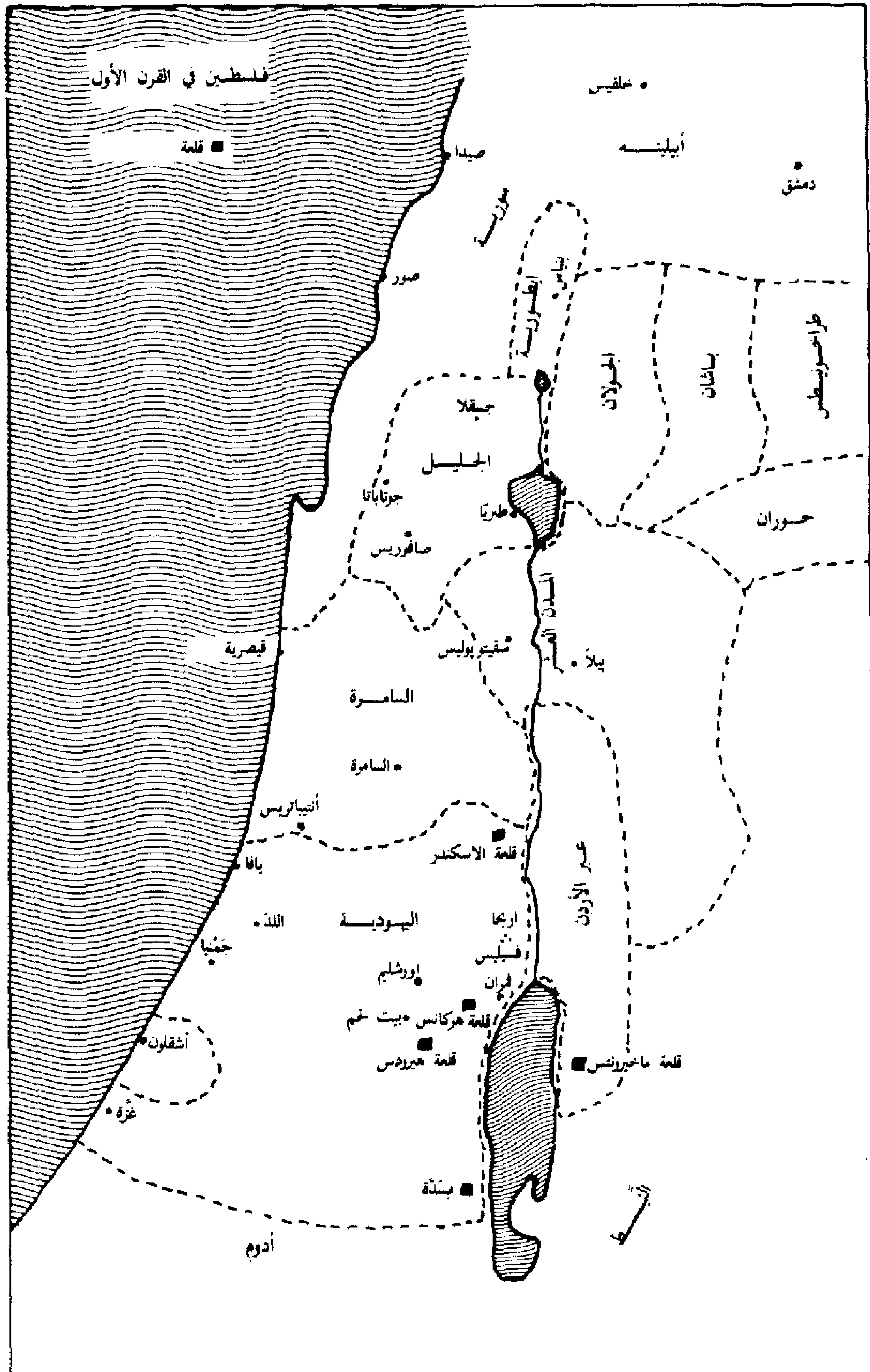
اسطفان شربنتييه

... اليهود : لا يَجوز لنا ان نقتل أحدًا. بذلك تمَّ ما قال يسوع مشيرًا الى الميتة التي سيموتها. فعاد بيلاطس الى دار الحكومة ، ثم دعا يسوع وقال له : أأنت ملك اليهود ؟...

... وانا ما وُلدت واتيت العالم إلاَّ لأشهد للحق. فكل من كان من الحق يصغي الى صوتي. قال له بيلاطس : ما هو الحق؟ قال ذلك ، ثم خرج ثانية الى اليهود فقال لهم : اني لا اجد فيه سببًا لاتّهامه...



عُثر على هذا الجزء من المخطوطة البَرديّة في رمال مصر ، وقد نُشر في السنة ١٩٣٥. وهو يحتوي ، في وجه الصفحة وظهرها ، على أول وآخر الآيات ٣١/١٨ - ٣٣ و ٣٣ - ٣٨ من انجيل يوحنا. والى جانب الصورة المنقولة في حجمها الطبيعي ، تجد ترجمة لتلك الآيات. يقول اهل الاختصاص بأن هذه المخطوطة يرقى عهدها الى ما قبل السنة ١٥٠ ، وهي اقدم نص معروف للعهد الجديد. وبما ان انجيل يوحنا قد وُضع في اواخر القرن الأول ، فهذه المخطوطة البَرديّة تشهد بأن انجيل يوحنا انتشر حتى في مصر بعد تأليفه بقليل.



استعــدادًا لــرحلتنــا

قبل الذهاب لزيارة بلد اجنبي ، نستعلم قليلاً عن اعرافه وعاداته وطريقة تفكيره ولغة سكّانه ، لئلاً يكون شعورنا بالغربة شديدًا ولِئلاً نقع في كثير من الهفوات. ونرجع الى الخريطة ونستخبر عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

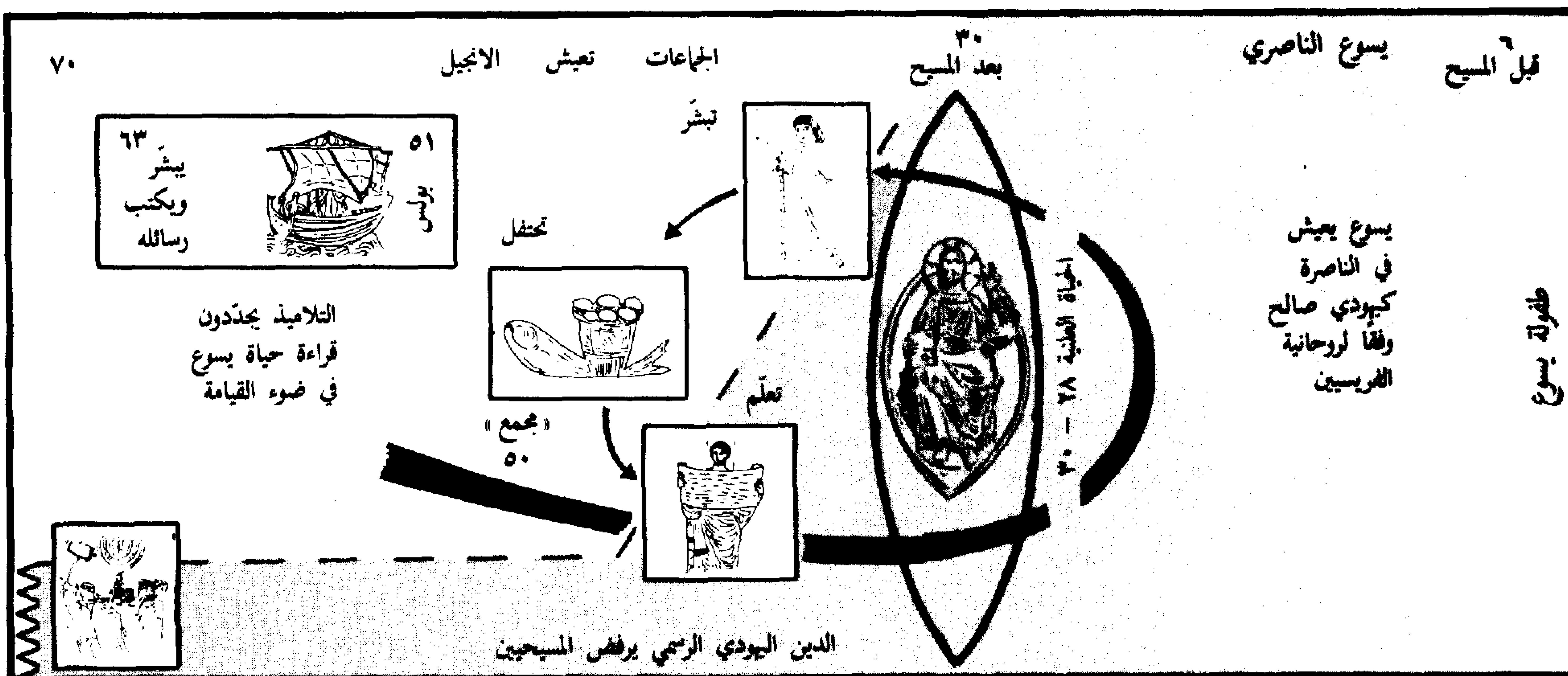
اجل ، اننا نعرف بعض مقاطع العهد الجديد معرفة جيدة ، ومع ذلك فنحن نشعر بأنه لا يزال غريبًا عنّا بعض الشيء. ستقوم مرحلتنا الأولى على قراءة اعمال الرسل لنكتشف ذلك العالم الذي عاش فيه المسيحيون الأوّلون.

ولكننا سنذكّر قبل ذلك ، ولو سريعًا ، بما هو العهد الجديد وكيف نشأ (**يمكنك ان تقرأ الصفحات ٨ – ١٠ في الجزء الأول ، من هذا الكتاب** ، لتعرف كيف نشأ الكتاب المقدس). سيضعنا ذلك في اطار مسيرتنا ويبيّن لنا لماذا اخترنا المراحل ، ويرينا كيف ان هناك طريقتين لاستعمال هذا الدليل.

اليك ما تجده في تلك الصفحات :

١. **المراحل الثلاث في تكوين العهد الجديد.** تُعرض هذه المراحل في لوحة يرافقها موجز قصير (الصفحتان ١٢٤ – ١٢٥) وتُشرح في الصفحات ١٢٦ – ١٣١ مع ما فيها من الأهمية.
٢. **الفن الأدبي «انجيل»** (الصفحتان ١٣٢ – ١٣٣). من حسن حظنا أنه ليس لدينا «صُور» ليسوع.
٣. **الفنون الأدبية في الأناجيل** (الصفحتان ١٣٤ – ١٣٥). أُلفة أُولى بالنماذج وأنواع الانشاء التي سنجدها في طريقنا.

١. المراحل الثلاث في



يسوع الناصري (٦ ق.م. – ٣٠ ب.م.)

وُلد يسوع على عهد هيرودس قبل عصرنا المسيحي بستّ سنوات على الأرجح. وعاش في الناصرة عيشة يهودي تقيّ، فمارس الشريعة بروح الفريسيين وكانوا أشدّ اليهود تديّنًا.

وفي حوالى السنة ٢٧ او ٢٨، اعتمد عن يد يوحنا المعمدان، وكان هذا الحديث بدء حياته العلنية وقد طالت سنتين او ثلاث سنوات. ثم اختار بعض التلاميذ وأخذ يُعلن معهم، بأقواله ولاسيّما بأعماله وحياته، مجيء ملكوت الله. لم يكتب شيئًا (بلى! فقد كتب مرّة على الرمل...).

حكم عليه المسؤولون الدينيون، فصلبه الرومانيون، في ٧ نيسان (ابريل) من السنة ٣٠ على الأرجح.

الجماعات (بين حوالى السنة ٣٠ والسنة ٧٠)

بعد قيامة يسوع من بين الأموات ونزول الروح القدس يوم العنصرة، أخذ التلاميذ يكتشفون سرّ يسوع. ما زال هؤلاء التلاميذ يهودًا، ولكنهم شكّلوا، في داخل الدين اليهودي، فريقًا مدهشًا هو فريق شهود يسوع الذي قام من بين الأموات. (يمثّل اللون الرمادي في هذه اللوحة الدين اليهودي الذي نشأت فيه المسيحية).

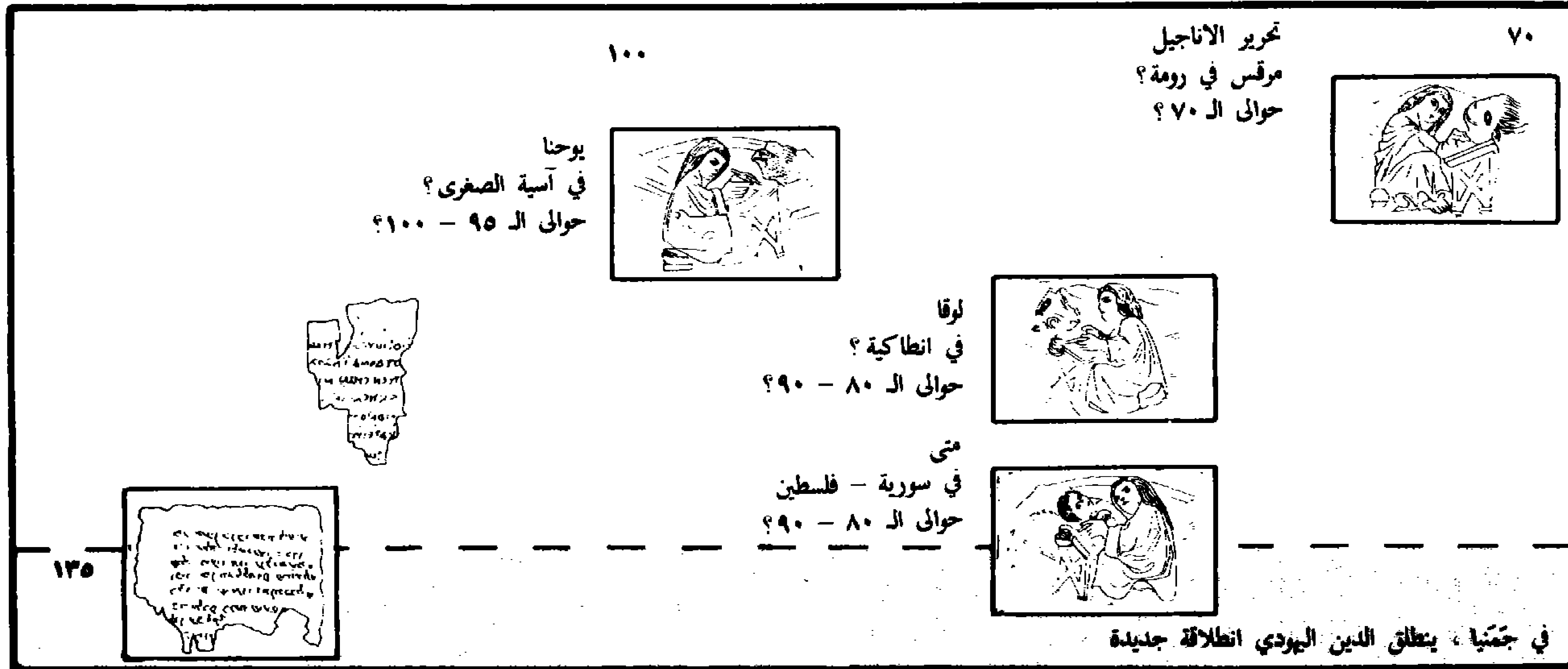
سيكونون مخلصين لأمانتين: الأمانة ليسوع – والأمانة للحياة التي تطرح عليهم العديد من الأسئلة.

وقد أدّى بهم الاهتمام بالإجابة عن الأسئلة الى التذكّر بأقوال يسوع واعماله: لكنهم فعلوا ذلك في ضوء القيامة. وستتمّ صياغة هذه الذكريات حول ثلاث مدارات رئيسية خاصة:

- يعظ التلاميذ ليبشّروا اليهود ثم الوثنيين بيسوع الذي قام من بين الأموات. هذا هو هتاف ايمان المسيحيين الأولين.
- يكرّم التلاميذ ذاك الذي قام من بين الأموات، في الليترجية، وخاصة في الافخارستيا. وفي هذه المناسبة تمّت صياغة كثير من الذكريات عن يسوع.
- يعلّم التلاميذ المعمَّدين الجدد، فيكرّرون لذلك اعمال يسوع وأقواله.

انضمَّ الى التلاميذ الأوّلين تلاميذ آخرون، منهم برنابا والسبعة مع اسطفانس وفيلبّس، ولا سيّما بولس. اهتدى بولس في حوالى السنة ٣٦ فحمل البشرى الى آسية الصغرى واليونان... حتى رومة. وبذلك اصبح ممكنًا للوثنيين ان ينضمّوا الى الكنيسة دون ان يُفرض عليهم ان يكونوا يهودًا أولاً: ذلك ما قُرِّر في «مجمع» اورشليم في السنة ٥٠.

وفي ما بين السنة ٥١ والسنة ٦٣، كتب بولس رسائل الى جماعات مختلفة.



وفي تلك الاثناء ، اخذ الدين اليهودي الرسمي ينبذ المسيحيين.

وفي السنة ٧٠ دُمِّرت اورشليم عن يد الرومانيين. فاجتمع بعض الفريسيين في جَمْنِيا (او يَبنة جنوبيَّ تل ابيب) ونفخوا في الدين اليهودي حياة جديدة استمرَّت حتى ايّامنا.

تحرير المؤلَّفات (بين السنة ٧٠ والسنة ١٠٠ على التقريب)

قام اربعة لاهوتيين بجمع التقاليد التي سبق ان حُرِّرت وبــالادلاء بشهادتهم في يسوع.

لا شك ان الانجيل بحسب القديس مرقس يُدوَّن ، في حوالى السنة ٧٠ ، كرازة بطرس في رومة. حاول إشعار الناس بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، لاسيّما عبرَ اعماله وبنوع خاص عبرَ معجزاته.

دُوِّن الانجيل بحسب القديس لوقا في حوالي السنوات ٨٠ – ٩٠ ووُجِّه الى جماعات مؤلَّفة خاصة من مسيحيين كانوا وثنيين. وبيَّن هذا الانجيل كيف أن الله هو الذي افتقد شعبه في يسوع وجاء ليُظهر له حنانه.

كتب لوقا مجلَّدًا ثانيًا ، وهو كتاب اعمال الرسل ، وبيَّن فيه كيف ان الرسل حملوا كلمة البشارة يؤيدّهم الروح القدس ، وكيف أن هذه الكلمة ستنتشر في العالم كله.

لا شك ان الانجيل بحسب القديس متى دُوِّن في حوالى السنين ٨٠ – ٩٠ في جماعة مؤلَّفة من يهود اصبحوا مسيحيين. جادل متّى في كتابه اولئك الفريسيين الذين اجتمعوا في جَمْنِيا وبيَّن كيف أن يسوع أتمَّ الكتب المقدسة.

يرجع متى ولوقا ، في البحث عن سرّ يسوع ، الى احداث طفولته ويصوّرانها في ضوء حياته وقيامته.

أمّا الانجيل بحسب القديس يوحنا ، فهو تأمُّل عميق جدًا في يسوع كلمة الله. لعلَّه دُوِّن في حوالي السنين ٩٥ – ١٠٠ ، وهو يبيّن كيف ان المصلوب حيٌّ حتى اليوم وأنه يهبنا روحه. وعلى الانسان ان يؤمن ، عبر الآيات التي صنعها يسوع ، لكي يرى.

وألَّف يوحنا – يوحنا هذا او أحد غيره – كتاب الرؤيا وصوَّر فيه يسوع غاية التاريخ.

وفي تلك الأثناء ، كتب يوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا وغيرهم من التلاميذ رسائل الى جماعات مختلفة.

في السنة ١٣٥ ، تمرّد اليهود مرَّة ثانية فقضى الرومانيون عليهم. وستنقضي قرون وقرون دون ان يستطيع اليهود ان يدخلوا الى اورشليم. أمَّا المسيحيون ، فكانوا قد غادروا اورشليم وأقاموا في حوض البحر المتوسط كله.

في لوحة الصفحة السابقة، عَرض بالخطوط العريضة للمراحل الأساسية الثلاث في تكوين العهد الجديد. ان في ذلك من الأهمية ما يحملنا على العودة اليه. سنستعين لذلك بصور وتشابيه. لا يخلو هذا من الخطر، ولكن الأمور تكون أقل جفافًا، وانت قادر على وضع النقاط على الحروف.

حادث طريف

صادفتُ ذات يوم اكثر نساء العالم تقتيلاً. كنتُ ازور ورشة آثار في العراق، فاستقبلتنا امرأة المشرف على الورشة. ولم نعرف إلا بعد فوات الأوان أنّ تلك المرأة هي اغاثا كريستي، الكاتبة الشهيرة للروايات البوليسية. لو عرفنا الأمر قبل ذلك، لكنّا أطلنا الحديث معها. أما الآن، فكان علينا أن نستعيد ذكرياتنا القليلة: بعض الكلمات التي نطقت بها، وكيف كان لباسها...

لعلّ مثل هذه القصّة قد جرى لكل واحد منا.

وهذه القصّة هي التي عرفها التلاميذ الأولون. لقد اتّبعوا يسوع، لمجرّد انّ معلمهم يوحنا المعمدان دعاهم الى اتّباعه، دون ان يعرفوا من هو في الحقيقة. أصغوا اليه بانتباه كما يُصغي الناس الى احد الانبياء. لا بل اعتقدوا بأنه قد يكون النبيّ والمشيح. ولم يكتشفوا إلاّ بعد العنصرة ان ذلك الانسان هو ابن الله! وكان أن ذكرياتهم عن تلك السنين التي قضوها معه اكتسبت عندئذٍ أهمية جديدة عظيمة، فأخذوا يستعيدون تلك الذكريات.

وكلّما انقضت السنون عظمت تلك الاهمية في نظرهم. في اواخر حياة يسوع، كانوا قد بدأوا يعتقدون بمجيء ملكوت الله في شخصه، او بنهاية العالم، وفقًا للاعتقاد السائد في ذلك الزمان. وكانت الأشهر والسنون تمضي، فلا بدّ من الاستمرار في الانتظار ومن التنظيم. وكل مجتمع يحتاج الى قواعد ليعيش ويدوم. والحال ان يسوع لم يترك أيّة كتابة.

> بعد وفاة زوجها، تذكّرت سميرة يوم أدركا أنهما يحبُّ احدهما الآخر: «اغتنينا، في دفعة واحدة، بمئات الساعات والأحداث التي عشناها معًا وحفظناها في ذاكرتنا، لانها جمعتنا».
>
> وكتب بعضهم: «لا تُكتب قصة الحب بالحبر الواحد، اذا حُرِّرت يومًا فيومًا او اذا عاشها الانسان مرّة ثانية بالذاكرة، بعد ان يكون الموت قد ختم على كل شيء. لا بدّ من بعض الوقت – وربما من الموت – لاستيعاب الغنى الفائض من تلك المئات من اللحظات التي عاشها الحبيبان معًا».

لم يكتب يسوع شيئًا

لم يكتب يسوع شيئًا إلاّ مرّة واحدة، على الرمل! لقد تكلّم، ولقد عاش. هذا كل شيء. وهذا أمر على جانب من الأهمية. أنظرْ الى سقراط الفيلسوف اليوناني والى تلميذه افلاطون. ان سقراط أيضًا لم يكتب شيئًا، وافلاطون هو الذي دوّن تعاليم معلّمه. ونحن ندرس الآن مؤلّفات افلاطون، ولكننا نهتمّ بشخصية سقراط.

والأمر ينطبق على يسوع وبصورة خاصة. في اصل البشرى الانجيلية، نجد يسوع وشخصيته. لو كان قد ترك كتبًا، لكنّا عددناه معلّم حكمة فقط. ولكن، لأنه عاش عيشة بسيطة وتامّة، فنحن نُحال الى شخصه هو.

والذي أثّر في تلاميذه هو هذا الشخص وما فيه من سرّ.

مختبر تصوير

«تأثّر» التلاميذ بشخص يسوع. هذه الكلمة تُستعمل أيضًا في التصوير: حين تؤخذ صورةٌ لغرضٍ ما، يُؤثّر في الفِلم ويُسجّل الغرضِ فيه، لكننا لا نرى شيئًا. ولكي تظهر الصورة التي سجّلها الفلم، ولكي تُكشف هذه الصورة، لا بدّ من تغطيس الفلم في حمّامٍ يُسمّى «حمّامًا كاشفًا».

يمكننا القول على الوجه نفسه إن التلاميذ «تأثّروا» بشخص يسوع وطريقة عيشه واقواله واعماله. ولكنهم لم يعلموا بالأمر في ذلك الوقت، وبعد العنصرة بقي كل ذلك سوادًا. ولكي تظهر تلك الصورة المتعدّدة التي احتفظوا بها، لا بدّ ان يُغطّسوا في حمّام كاشف وهو حياة الجماعات المختلفة.

من المعروف أن التظهير في المُختبر شيء هام: وبحسب مدّة العَرْض او المستحضرات المستعملة، تكون الصورة اكثر أو أقل تعارضًا، ويمكن تنويع الألوان وابراز بعض التفاصيل... وكذلك فان صور يسوع تختلف بعض الشيء باختلاف «الكاشف»، اي الجماعات التي تُعالَج فيها، وباختلاف الاسئلة المطروحة.

وبناءً على ذلك، فيمكننا ان نشبّه فلسطين وآسية الصغرى واليونان...، في السنوات التي بعد العنصرة، بمختبر تصوير ضخم نرى فيه الجماعات المختلفة تحمل التلاميذ على «كشف» صورٍ عديدة لمعلّمهم. وكانت تلك الجماعات مؤلَّفة بعضها من يهود أصبحوا مسيحيين وبعضها الآخر من وثنيين أصبحوا مسيحيين، وبعضها من عُمّالٍ وعبيد، وبعضها الآخر من تجّار وحِرَفيين واصحاب المِهن الحرّة...

الحياة بمثابة «حمّام كاشف»

ستكون اذًا حياة الجماعات «الحمّام الكاشف» الذي سيمكّن صور المسيح من الظهور. وسيتمّ كل ذلك بمناسبة ثلاثة نشاطات رئيسية.

١. الوعظ

أخذ التلاميذ منذ بدء امرهم يعلنون ايمانهم بيسوع الذي قام من بين الأموات، وكانوا يعبّرون عنه بجملٍ قصيرة تلخّص جوهر البشرى. يسمّي اهل الاختصاص هذا الوعظ بكلمة «كرازة» المشتقّة من اليونانية. وهي صراخ المنادي. كان التلاميذ يقولون: «ان يسوع، ذلك الذي صلبتموه، أقامه الله ورفعه وجعله ربًّا، ونحن شهود بذلك. انه يرسل اليكم روحه. آمنوا بالبشارة فتنالوا الخلاص».

وكانوا يجمعون أيضًا مختلف التطويبات التي نطق بها يسوع لاعلان تلك البشرى. فالفقراء لن يعودوا فقراء بعد اليوم، لأن الله جاء ليُقيم ملكوته. وكانوا يروون ما أجراه يسوع من المعجزات، وهي تدلّ على تغلّبه على الشر والألم والمرض والموت.

وكانوا يذكرون الأمثال أيضًا، وهي تعليم بالقصص يعبّر تعبيرًا جيدًا وبسيطًا عن السعادة التي جاء بها يسوع وعن ضرورة الاختيار.

٢. التكريم

كان التلاميذ يعيدون عشاء يسوع الأخير والذي يعطي لموته معناه. لم يكن في اول الأمر سوى التلاميذ الأولين، فلم يكونوا بحاجة الى الدخول في التفاصيل، اذ انهم يعرفون حق المعرفة ما معنى كل ذلك، مع العلم بأن كل واحد كان في امكانه ان يعبّر عمّا فهمه وان يضيف بعض التفاصيل. ومن السهل ان نتصوّر بطرس يروي كيف خان معلّمه ويوحنا يحدّث عمّا عاشه عند الصليب... ولكن، حين انضمّ اليهم تلاميذ آخرون لم يعرفوا يسوع، كان لا بدّ من شرح معنى كسر الخبز والشرب من الكأس. وهكذا نشأت في وقت مبكّر أول رواية للآلام.

ولم تكن روايتهم لآلام وموت يسوع رواية رجل مَيت، بل رواية رجل حيّ – وهذا أمر مختلف تمامًا. فنحن لا نروي ما أصاب شخصًا محبوبًا من مرض ثقيل، وهو في المستشفى بين الحياة والموت، كما نرويه بعد شفائه. ففي الاحتفال بالافخارستيا، يحضر يسوع لجماعته، وبحضوره معهم حيًّا يروي تلاميذُه موته. ان رواية الآلام، كسائر الروايات عن يسوع، تتمّ في ضوء القيامة.

وفي هذا الاطار الليترجي، كانوا يتذكّرون أيضًا بعض اعمال يسوع التي كانت تساعدهم على ادراك معنى ذلك العشاء، كمعجزة تكثير الارغفة، حيث أطعم يسوع الجموع.

٣. التعليم المسيحي

على المعمَّدين الجدد ان يعيشوا الآن كتلاميذ يسوع. فلكي يعرفوا كيف يعيشون في الجماعة ولكي يجيبوا عن الأسئلة العديدة التي تطرحها الحياة اليومية، أخذوا يرجعون الى حياة يسوع واقواله واعماله. فكانوا يرجعون الى الأمثال ويكيّفونها على الأوضاع الراهنة: يجب السهر والاستمرار في التيقّظ، يجب ان يكونوا التربة الصالحة... وكانوا يبحثون عن تعليم جديد في المعجزات: كانت تلك الجماعة الصغيرة تشعر بأنها سفينة ضعيفة تتقاذفها امواج العاصفة، وبأنها لا تستطيع الصمود إلاّ لأن يسوع الذي قام من بين الأموات ينهض في العاصفة عند طلب كنيسته: «خلّصنا، يا رب»... كيف يتصرّف المسؤولون؟ فكانوا يتذكّرون ان يسوع قال لهم: انتم في خدمة الآخرين. ولم يترك لهم سوى قاعدتين: الرحمة والغفران...

وهكذا، فحيثما كانت تتكوّن جماعات مسيحية، كانت تتكشف لذاكرة التلاميذ صورٌ عن يسوع. ستنضمّ هذه الصور بعضها الى بعض فتتحوّل الى مقاطع. ولكن، قبل ان نتوسّع في هذه الناحية، لا بدّ من التذكير بحدث هام، وهو أن اللاهوتي اليهودي شاول او بولس قد أصبح مسيحيًا.

اللاهوتي بولس

كان التلاميذ الأولون، بطرس ويوحنا... رجالاً ذوي ثقافة محدودة. أمّا بولس فهو من الربّانيين. قضى شبابه في درس الكتب المقدسة. على طريق دمشق، قبض القائم من بين الأموات على هذا اللاهوتي اليهودي ليجعل منه لاهوتيًا مسيحيًا ورجلاً يفكّر في سرّ يسوع ودوره في التدبير الالهي. فأخذ يعظ ويؤسّس الكنائس مدّة ١٥ سنة (من السنة ٣٦ الى السنة ٥٠). وفي السنوات ١٥ الاخيرة من حياته، كتب الى الجماعات التي أسّسها رسائل هي في الحقيقة مقالات لاهوتية. وسيساعد كل ذلك سائر التلاميذ على اعادة تفسير ذكرياتهم عن يسوع.

تركيب صُوَر شفّافة

قد يخطر في بالك ، في الليالي الشتوية ، ان تجمع الصور الشفّافة التي التقطتَها في عطلتك الصيفية وتجعل منها تركيبًا . لِنحاول ان نرى ما هي المراحل التي يجب المرور بها .

١. صور شفّافة

لقد ذهبتَ ، مدّة العطلة الصيفية ، الى شاطئ البحر او الى الجبل او الى الريف ، واخذت تلتقط ، دون تفكير واضح ، جميع ما كان يعجبك من الصور : مشاهد طبيعية ، ابنية أثرية ، مشاهد عائلية ... وهذه الصور ، بعد ان «كُشفت» في المُختبر ، أصبحت صورًا شفّافة . ولكي تركّب التركيب ، يجب عليك اولاً أن تجمعها الى مقاطع .

٢. مقاطع

ستتردّد هنا : كيف تجمع هذه الصور؟ في امكانك أن تجمعها بحسب الأماكن : صور للجبل ، للبحر ... او بحسب الأنواع : صور عائلية ، سواء التُقطَت في الجبل ام في البحر . وفي امكانك ان تراعي التسلسل الزمني ، وهكذا يتبعك المشاهدون في جميع تنقّلاتك المتعاقبة .

وكذلك فإن صور يسوع المختلفة ، بعد ان «كُشفت» في مختلف الجماعات ، جُمعت هي أيضًا الى مقاطع . فالمعجزات والأمثال مثلاً جُمعت ، واقوال يسوع المنفردة وُصلت بعضها ببعض وأصبحت خُطبًا . ومن جهة ثانية فإن مسيحيي كفرناحوم او اورشليم تذكّروا كل ما قاله وصنعه يسوع عندهم . حين نفتح الاناجيل ، نشعر بأن يسوع قال في نفسه ذات صباح : «ماذا اعمل اليوم»؟ فرجع الى مفكّرته فرأى فيها : «اليوم معجزات» ، فنرى يسوع في متّى يُجري عشر معجزات الواحدة بعد الأخرى . وفي اليوم الثاني ، رجع يسوع الى مفكّرته فرأى فيها : «اليوم أمثال» ... من الواضح أن الأمور لم تجرِ على هذا الوجه ، فنحن نشعر بأن «مقاطع» تكوّنت أوّلاً (الامثال والمعجزات والخطب) فأدخلها أصحاب الأناجيل في مؤلّفاتهم .

ومن جهة أخرى أيضًا ، فاننا نجد ، في مطلع انجيل مرقس ، ما يُسمّى «يوم كفرناحوم» : دعى يسوع فيه التلاميذ الأولين الأربعة على ضفّة البحيرة ودخل بهم الى كفرناحوم ووعظ في المجمع وطرد شيطانًا وشفى حماة بطرس . وعند المساء اجتمعت المدينة كلّها وأجرى يسوع بعض المعجزات ، وبعد هبوط الليل ، انفرد في مكان مُقفر ليصلّي ، فبحث بطرس عنه وذهبوا ثانية للوعظ ... فجميع الصور عن نشاط يسوع في كفرناحوم اجتمعت في مقطع واحد .

لقد جمعتَ صور العطلة الصيفية الى مقاطع ، وها انك الآن تركّب منها تركيبًا .

٣. التركيب

انك تصل مختلف المقاطع بعضها ببعض . ولعلك تضيف اليها هذه الصورة التي التقطتها في السنة السابقة او تلك الصورة التي اشتريتها في المكتبة (بناءً أثريًّا مثلاً) واستعددت لتقيم لنا «أمسية صور شفّافة» . من الواضح أنه ، من خلال هذا التركيب ، تظهر نظرتك الى تلك العطلة بعد انقضائها . فان أخذ غيرُك من الأهل والأولاد هذه الصور الشفّافة نفسها وركّب كلٌ منهم تركيبه ، كانت النتيجة مختلفة ولا شك . فالنتيجة تبيّن كيف عاش كل منهم تلك العطلة .

وعلى الوجه نفسه ، قام ، في أزمنة مختلفة وفي جماعات مختلفة ، اربعة تلاميذ (سمّاهم التقليد متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وأقدموا على القيام بـ«تركيب» عن يسوع . فجمعوا مختلف «المقاطع» التي سبق ان تكوّنت ، وأضافوا اليها احداثًا التقطوها من هنا ومن هنا وأخرجوا من كل ذلك «فلمًا» ، أربعة أفلام تعرض نظرتهم ونظرة جماعتهم الى يسوع . وهكذا فالأناجيل تحدّثنا عن يسوع ، ولكنها تحدّثنا بالقدر نفسه عن الجماعات التي نشأت فيها . إليك مثلاً يساعدك على إدراك ما نقوله .

كتابان في لوثر

لنأخذ كتابين ألّفهما كاثوليكيان في لوثر ، الواحد في السنة ١٩٠٠ والآخر في السنة ١٩٨٠ . كتب الأول ما يلي تقريبًا : لوثر ، ذلك الراهب الذي خلع ثوبه الرهباني وأفسد راهبة واعمل في اوروبا الحديد والنار ... وكتب الآخر : عرف لوثر الضعف ككل واحد منا . كان متطرّفًا ونقصه الصبر والتواضع ... ولكنه كان راهبًا متديّنًا جدًا ، مشغوفًا بحب الله وخلاص البشر . شعر بأن الكنيسة تحتاج الى إصلاح والى العودة الى الكتاب المقدس والى تقديم الايمان على الاعمال ... في هذين الكتابين ، نتعلّم أشياء عن لوثر ، قلّما تاريخ مولده وبعض احداث حياته . ولكننا نكتشف كيف كان الكاثوليك يعيشون النزعة المسكونية في السنة ١٩٠٠ وفي أيامنا ! وهذان الكتابان يُخبراننا عن لوثر بقدر ما يخبراننا عن زمنهما .

وكذلك، فالأناجيل تعرض لنا صورة ليسوع، ولكنها تحدّثنا بالقدر نفسه عن الجماعات التي نشأت فيها. نكتفي بالمثل التالي: حين نسمع الأقوال الهائلة التي وضعها متى على لسان يسوع ووجّهها الى الفريسيين، لا بدّ ان نتساءل هل نحن اولاً امام يسوع السنين ٣٠ والذي عارض فريسيي زمنه، أم نحن أمام يسوع الذي قام من بين الأموات والذي كان يعيش في جماعة متى في حوالى السنين ٨٠ – ٩٠ والذي كان يعارض يهود جَمْنيا.

سَير هذا «الدليل الى الكتاب المقدس»

ان في لوحة الصفحتين ١٢٤ – ١٢٥ والشروح التابعة لها (لا تَنسَ أننا في مقارنة!) محاولة لتحديد وضع المراحل الثلاث الكبرى في تكوين العهد الجديد: يسوع – الجماعات – المحرّرون. فكيف نتقدّم الآن في درسنا؟ يمكننا ان نتّبع طريقتين: طريقة البحث او طريقة العَرض.

لنأخذ مثل عالمٍ في الآثار يقوم بحفريات في احد المواقع. انه ينطلق في عمله من الأرض فيحفر ويكتشف شيئًا فشيئًا مختلف الحضارات التي تعاقبت في ذلك المكان، فهو يصعد التاريخ. لكنه، ان ألقى محاضرة، نزل التاريخ، واستند الى اكتشافاته ليرسم تطوّر مختلف التوطّنات من القِدَم حتى اليوم.

ونحن أيضًا كان في امكاننا ان نختار العَرض. فنعرضَ، في فصل اوّل، ما يُعرف عن يسوع ونحاول، في مرحلة ثانية، ان نستعيد مختلف «المقاطع» التي تكوّنت في الجماعات، ونختم بقراءة الأناجيل وسائر النصوص.

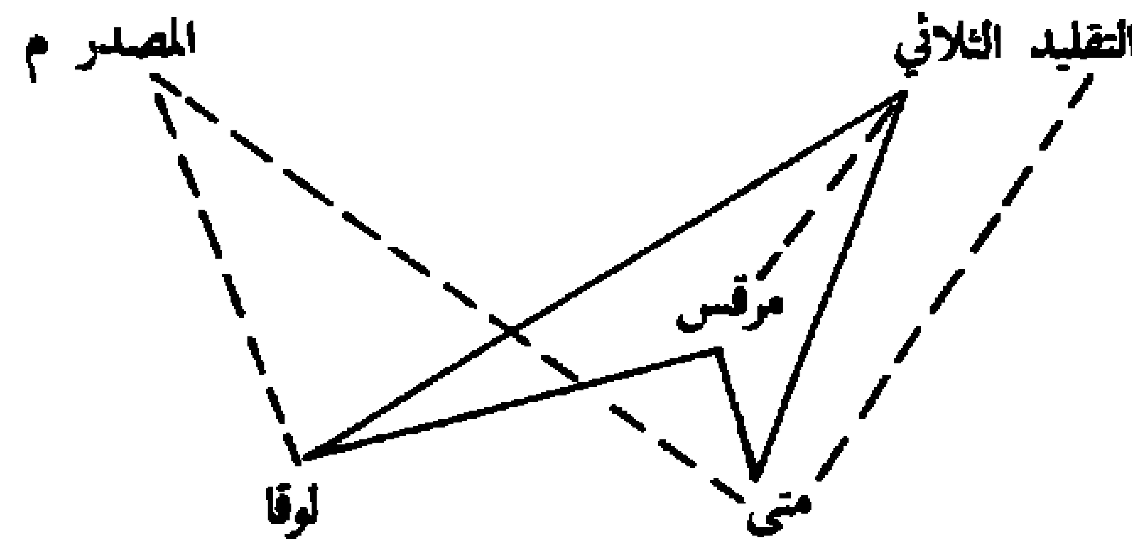
لكننا اخترنا بالأحرى ترتيب البحث. بين ايدينا نصوص: الأناجيل والرسائل... فمنها ننطلق وإيّاها نقرأ. لكننا سنحاول، في كل مرة، ان نكتشف المقاطع التي سبقتها. وستجد في كل فصل أربع صفحات (في حرف مختلف وفي داخل إطار، لكي تهتدي اليها بسهولة) تعرض لكَ كل مقطع من تلك المقاطع: المعجزات والأمثال والخطب والعبادة...

فيمكنك اذًا ان تدرس هذا الكتاب على طريقتين:
- **يمكنك ان تتبعه كما هو. فتتّبع في هذه الحال ترتيب البحث.**
- **يمكنك ان تبدأ بالختام (ما يُعرف عن يسوع) وتدرس الصفحات المخصّصة لـ «المقاطع»، ثم للكتب. فتتّبع في هذه الحال ترتيب العرض.**

المشكلة الازائية

الكتاب الازائي هو كتاب يعرض الاناجيل في أعمدة ليتسنّى قراءة النصوص المتماثلة بنظرة واحدة. والأناجيل الثلاثة الأولى لها من وجوه الشبه ما يحمل على عرضها في اعمدة. ولذلك يسمّونها الاناجيل الازائية. وهي اناجيل متى ومرقس ولوقا.

وقد أثار التشابه بينها هذا السؤال: أليست تستند الى مصدر او مصادر خطّيّة؟ منذ قرون واهل الاختصاص يأتون بحلول عديدة. تبقى افتراضية ولا تخلو أحيانًا من التعقّد. إن توخّينا التبسيط الى أبعد حد. (فتعرَّضنا بذلك الى التشويه)، أمكننا ان نقول ما يلي: كل شيء يتمّ كما لو كان في متناول المحرّرين «مَقلعا» وثائق. اقتبس متى ومرقس ولوقا من المقلع الأول (التقليد الثلاثي) واقتبس متى ولوقا من المقلع الثاني (ويسمّى المصدر م او مجموعة الأقوال). ويُلخَّص كل ذلك في الرسم البياني التالي:



من الصعب ان نعرف هل اقتبس متى ولوقا مباشرة من «المقلع» ام لم يعرفا هذا المقلع إلاّ بواسطة مرقس. من المسلّم به عادة ان متى ولوقا عرفا مرقس. ولكنهما مستقلاّن الواحد عن الآخر.

يبدو ان الذي ابتكر الفن الأدبي «انجيل» هو مرقس. وقد فرَضَ هكذا اطارًا جغرافيًا وزمنيًا لحياة يسوع – وتبعه متى ولوقا.

لقد عالج متى ولوقا بصورة مختلفة ما اكتشفاه في «المقلع» الثاني. فبينما «ذرّه» متى في جميع صفحات إنجيله. فضّل لوقا ان يُدخله. بشكل مقطعَين معترضين كبيرين. في اللحمة التي أخذها عن مرقس.

ولمتى ولوقا أيضًا نصوص ينفردان بها. وأمّا مرقس فليس له في ذلك إلاّ القليل.

سنطّلع في هاتين الصفحتين على العمل الازائي من خلال مثل بسيط .

نص : شفاء حماة بطرس

يرد هذا الشفاء في الأناجيل الثلاثة .

اول عمل نقوم به هو المقارنة بين النصوص . هناك طريقة بسيطة ، وهي ان تضع تحت كل كلمة خطًّا بلون مختلف . في الطبيعة ثلاثة ألوان اساسية : الأحمر والازرق والأصفر . ومزيجها يعطيك سائر الألوان : الأحمر + الازرق = البنفسجي - الأحمر + الأصفر = البرتقالي - الازرق + الاصفر = الأخضر - الاحمر + الأزرق + الاصفر = الكستنائي . وبما ان هناك ثلاثة اناجيل ازائية ، فيُنسب الى كلٍ منها أحد الألوان الأساسية !

حين ينفرد متى بكلمة ، نضع تحتها خطًّا احمر . وحين ينفرد مرقس بكلمة ، نضع تحتها خطًّا ازرق ، وحين ينفرد لوقا بكلمة نضع تحتها خطًّا أصفر .

والكلمة المشتركة بين متى ومرقس نضع تحتها خطًّا بنفسجيًا ، والكلمة المشتركة بين متى ولوقا نضع تحتها خطًّا برتقاليًا . والكلمة المشتركة بين مرقس ولوقا نضع تحتها خطًّا أخضر ، والكلمة المشتركة بين الثلاثة نضع تحتها خطًّا كستنائيًا .

قد يبدو لك هذا العمل عملاً مدرسيًا . حاوِل مع ذلك ، تر أنه يجعلك تكتشف بعض الاكتشافات ويساعدك على أن تقرأ النصوص عن كثب .

على صعيد النص بإجماله ، يمكّنك هذا العمل البسيط من اجراء بعض الملاحظات . من الواضح أن متى هو الأقصر ومرقس هو الأطول . لكنّ الروايات الثلاث تبدو متشابهة . والحال أنّك لم تضع خطًّا كستنائيًا إلاّ على كلمات قليلة (الكلمات المشتركة بين الثلاثة) . وبالعكس فهناك كثير من الأحمر والأزرق والأصفر ، اي من الكلمات التي ينفرد بها كلٌ منهم ، ومن الأخضر أيضًا ، اي من الكلمات المشتركة بين مرقس ولوقا . فيمكن الافتراض أن في الأساس روايةً مشتركة اعاد صيغتها كل من الانجيليين الثلاثة .

على صعيد كلّ من الروايات ، ستتّضح الملاحظات حين ندرس بالتفصيل كلاًّ من الأناجيل .

مرقس واقعي جدًا ، فكأننا ببطرس يتكلّم . هل الكلمات التي ينفرد بها مأخوذة من الرواية الأوليّة؟ أم هل أضافها مرقس الراوي الماهر؟ من الصعب أن يجاب عن هذين السؤالين .

لكن مرقس لاهوتي أيضًا . لا يذكر يسوعَ وحده ، بل مع تلاميذه ، وهذا من ميزات انجيل مرقس . لا شك أن عبارة «أنهضها» توحي بما في

يمكنك ان تقرأهما الآن ، كما أنه يمكنك ان تهملها ، ريثما تعود اليهما في وقت لاحق .

اليك الرواية كما تجدها في كتاب ازائي .

	متى ٨		مرقس ١		لوقا ٤
١٤.		٢٩.	ولمّا	٣٨.	ثم ترك
	و		خرجوا من المجمع		المجمع
	جاء يسوع		جاؤوا		ودخل
	الى بيت بطرس ،		الى بيت سمعان		بيت سمعان
			واندراوس .		
	فرأى حماته	٣٠.	وكانت حماة سمعان		وكانت حماة سمعان
	ملقاة على الفراش		في الفراش		مصابة
	محمومة		محمومة		بحمّى شديدة.
			فأخبروه		فسألوه
			بأمرها		ان يسعفها.
١٥.	فلمس يدها	٣٠.	فدنا منها	٣٩.	فانحنى عليها
	ففارقتها		فأخذ بيدها		وزجر الحمّى
	الحمّى		وأنهضها		ففارقتها
			ففارقتها		فنهضت
	فنهضت		الحمّى		من وقتها
	واخذت تخدمه		واخذت تخدمهم		واخذت تخدمهم.

يسوع من قدرة على القيامة من بين الأموات ، فالكلمة اليونانية نفسها تعني النهوض والقيامة من بين الأموات . ويستعمل مرقس مرتين عبارة «أخذ باليد» في رواية معجزات (٤١/٥ و ٢٦/٩ - ٢٧) .

يحسّن **لوقا** النص من الوجهة الأدبية ، ويشدّد على قدرة يسوع : «من وقتها» . ونجد خاصة عنده ان يسوع «يزجر» الحمّى ، وهي الكلمة المستعملة لطرد الشياطين . فيستعملها لوقا ثلاث مرات في فقرة مركبة من بضع آيات فقط (٣٥/٤ و ٣٩ و ٤١) . سنعود الى كل ذلك .

أمّا **متى** فانه لا يحفظ هنا ، كما في كثير من رواياته للمعجزات ، سوى شخصين : يسوع والانسان المعنيّ . وهو يحذف جميع التفاصيل الثانوية ، ليُبرز شخص يسوع . فان يسوع هو الذي أخذ المبادرة بالذهاب الى بيت بطرس وهو الذي رأى المريضة...

والمريضة نهضت او قامت من بين الأموات (الكلمة اليونانية واحدة) . واخذت تخدم يسوع . سنرى أنها أصبحت بذلك رمز الكنيسة التي تقوم بخدمة ربّها .

«تركيب» النصوص

لم نورد في هذه اللوحة إلاّ عناوين النصوص التي قد تجدها في «كتاب ازاني»، ولبعض الفصول فقط. وسترى بذلك كيف انّ الانجيليين، مع انه كان لديهم نصوص واحدة من التقليد، ركّبوا تراكيب مختلفة. والأسهم تلفت النظر الى المكان المختلف الذي تحتلّه بعض الفقرات التي سنعود اليها.

يدل الخطّ الأفقي (–) في احد الاعمدة على ان هذا الانجيل لم ترد فيه الحادثة التي وردت في غيره من الأناجيل. مثلاً: لا يروي متى ومرقس مجيء يسوع الى مجمع الناصرة، في حين ان لوقا يرويه (لو ٤/١٦ – ٣٠).

أما المرجع الوارد بين هلالين، فهو يدلّ على ان هذا الانجيل يروي الحادثة نفسها ولكنه اوردها في اطار آخر. مثلاً: ترد دعوة التلاميذ الأربعة عند متى (٤/١٨ – ٢٢) ومرقس (١/١٦ – ٢٠) قبل يوم كفرناحوم، في حين انها ترد عند لوقا (٥/١ – ١١) بعده. والمراجع الواردة بين هلالين عند متى ولوقا، والموضوعة إزاء لو ٥/١ – ١١، تذكّر بالأماكن التي اوردها فيها متى ومرقس.

نكتفي الآن بالنظر الى المكان الذي ترد فيه رواية شفاء حماة بطرس.

متى	مرقس	لوقا
١٢/٤ - ١٧ : ذهاب يسوع الى الجليل	١٤/١ - ١٥ : ذهاب يسوع الى الجليل	١٤/٤ - ١٥ : ذهاب يسوع الى الجليل
	–	١٦ - ٣٠ : الى مجمع الناصرة
–	–	١٦ - ١٢ : استقبال حماسي
(١٣/٥٣ - ٥٧)	(٦/١ - ٣)	٢٣ - ٣٠ : رفض
١٨ - ٢٢ : دعوة التلاميذ الاربعة	١٦ - ٢٠ : دعوة التلاميذ الاربعة	(٥/١ - ١١)
	يوم كفرناحوم	
(٧/٢٨ - ٢٩)	٢١ - ٢٢ : عظة في المجمع	٣١ - ٣٢ : عظة في المجمع
–	٢٣ - ٢٨ : ابراء رجل فيه روح نجس	٣٣ - ٣٧ : ابراء رجل فيه روح نجس
(٨/١٤ - ١٥)	٢٩ - ٣١ : شفاء حماة بطرس	٣٨ - ٣٩ : شفاء حماة بطرس
(٨/١٦ - ١٧)	٣٢ - ٣٤ : شفاء مرضى وممسوسين	٤٠ - ٤١ : شفاء مرضى وممسوسين
–	٣٥ - ٣٨ : يسوع يغادر كفرناحوم	٤٢ - ٤٣ : يسوع يغادر كفرناحوم
٢٣ - ٢٤ : موجز : اعمال يسوع	٣٩ : موجز : اعمال يسوع	٤٤ : موجز : اعمال يسوع
–	–	٥/١ - ١١ : صيد عجائبي
(٤/١٨ - ٢٢)	(١/١٦ - ٢٠)	دعوة التلاميذ الاربعة
(٨/١ - ٤)	٤٠ - ٤٥ : ابراء ابرص	١٢ - ١٦ : ابراء ابرص
(٩/١ - ٨)	٢/١ - ١٢ : شفاء مقعد	١٧ - ٢٦ : شفاء مقعد
	(٢/١٣ الى ٣/٣٠)	(٥/٢٧ الى ٦/١٩)
يسوع مقتدر بالاقوال	(جدال مع الفريسيين ومعجزات واختيار الاثني عشر)	
٥ الى ٧ : عظة على الجبل		٦/٢٠ - ٤٩ : عظة على الهضبة
٧/٢٨ - ٢٩ : ختام العظة	(١/٢٢)	(٤/٣٢)
يسوع مقتدر بالاعمال		
٨/١ - ٤ : أبرص (يهودي)	(١/٤٠ - ٤٤)	(٥/١٢ - ١٤)
٥ - ١٣ : قائد مئة (وثني)		٧/١ - ١٠ : قائد مئة
١٤ - ١٥ : الحماة (تلميذة)	(١/٢٩ - ٣١)	(٤/٣٨ - ٣٩)
١٦ - ١٧ : أشفية كثيرة		
(اش ٥٣/٤)	(١/٣٢ - ٣٤)	(٤/٤٠ - ٤١)
(١١/٢ - ١٦)		٧/١١ - ٨/٣ : يسوع و يوحنا المعمدان
(١٢/٤٦ - ٥٠)	٣/٣١ - ٣٥ : اسرة يسوع الحقيقية	(٨/١٩ - ٢٦)
(١٣/١ - ٥٣)	٤/١ - ٣٤ : امثال	٨/٤ - ١٨ : امثال
(١٢/٤٦ - ٥٠)	(٣/٣١ - ٣٥)	١٩ - ٢١ : اسرة يسوع الحقيقية
١٨ : **مدخل الى العاصفة**	٤/٣٥ : **مدخل الى العاصفة**	٢٢ : **مدخل الى العاصفة**
١٩ - ٢٢ : رجلان يريدان اتباع يسوع		(٩/٥٧ - ٦٢)
٢٣ - ٢٧ : تسكين العاصفة	٣٥ - ٤١ : **تسكين العاصفة** (مساء)	٢٢ - ٢٥ : **تسكين العاصفة** ([illegible])
٢٨ - ٣٤ : ممسوسان عند الجدريين	٥/١ - ٢٠ : ممسوس عند الجرسيين	٢٦ - ٣٩ : ممسوس عند الجرسيين
٩/١ - ٨ : مقعد	(٢/١ - ١٢)	(٥/١٧ - ٢٦)
٩ : دعوة متى	(٢/١٣ - ١٤)	(٥/٢٧ - ٢٨)
١٠ - ١٣ : دعوة الخاطئين	–	–
١٤ - ١٧ : العتيق والجديد - الصوم	(٢/١٨ - ٢٢)	(٥/٣٣ - ٣٩)
١٨ - ٢٦ : المنزوفة وابنة يائير	٥/٢١ - ٤٣ : المنزوفة وابنة يائير	٨/٤٠ - ٥٦ : المنزوفة وابنة يائير
٢٧ - ٣١ : اعميان		
٣٢ - ٣٤ : ممسوس اعمى	–	–
(١٣/٥٣ - ٥٧)	٦/١ - ٦ : رفض يسوع في الناصرة	(٤/٢٣ - ٣٠)
٩/٣٥ الى ١٠/٤٠ : رسالة الاثني عشر	٧ - ١٣ : رسالة الاثني عشر	٩/١ - ٦ : رسالة الاثني عشر
...	...	...
١٣ : امثال	(٤/١ - ٣٤)	(٨/٤ - ١٨)
...	...	...
–		٩/٥١ ت : الصعود الى اورشليم
(٨/١٩ - ٢٢)	–	٥٧ - ٦٣ : ثلاثة رجال يريدون اتباع يسوع
١٣/٥٤ - ٥٨ : رفض يسوع في الناصرة	(٦/١ - ٦)	(٤/٢٣ - ٣٠)

صاغ **مرقس** «يوم يسوع في كفرناحوم» كأنه موجز لأعمال يسوع (راجع الصفحة ١٢٨) والمعجزات جزء من هذه الاعمال. ومن هذه المعجزات شفاء حماة بطرس.

وأورد **لوقا** مقطع «يوم كفرناحوم»، ولكنه ادخله في مجموعة اوسع تبتدئ بـ ١٦/٤ وتنتهي بـ ٤٤/٤ : فامامنا موجز، لا لرسالة يسوع فقط، بل للاستقبال الذي تلقّاه أيضًا، فالاستقبال كان حماسيًّا في اول الأمر (٤/١٦ – ٢٢) ثم أمسى عدائيًّا (٤/٢٣ – ٣٠). وفي خطبته البرنامجية (٤/١٦ – ٢١)، اعلن ان يسوع اتى بالتحرير. لكنه لا يذكر ايّ تحرير. يقول لوقا ان يسوع يزجر الحمَّى. فهو يحوّل رواية الشفاء الى تعزيم. كما في الروايات السابقة والتابعة. وعليه فان هذه التعزيمات الثلاثة تبيّن لنا ان يسوع جاء ليحرّر من سلطان الشيطان.

أمَّا **متى** فإنه يُدخل رواية الشفاء هذه في مجموعة مؤلّفة من عشر معجزات، تلي العظة الكبرى على الجبل. وهو يدلّ بهذا التركيب على ان يسوع مقتدر بالأقوال والاعمال.

٢. الانجيل : فنّ أدبي

تعوّدنا الكلام على «الاناجيل» حتى لم نعد نشعر بأن ظهور هذا الفن الأدبي كان ظاهرة جديدة.

الانجيل والاناجيل

لم يكونوا يعرفون في أول الأمر إلاّ الانجيل (بالمفرد)، تلك البشرى التي اعلنها يسوع، وهي مجيء ملكوت الله والسعادة المعروضة على الفقراء. وبهذا المعنى أيضًا استعملها بولس في رسائله.

لا شكّ ان مرقس هو الذي ابتكر هذا الفن الأدبي الذي لا مثيل له في ايّ أدب آخر، وهو الذي حوّل الانجيل الى «نص»، الى قصّة، الى رواية لأعمال يسوع. الى ذلك الحين كان يسوع ذاك الانسان الذي ينادي بالبشرى، فأصبح مع مرقس ذاك الانسان المنادى به والبشرى نفسها.

لكن مرقس لا يتكلّم على يسوع بصيغة الماضي. وممّا يلفت النظر أنه قليلاً ما يستعمل الافعال بصيغة الماضي، فهو يتكلّم بصيغة الحاضر. ليس في ذلك قلة مهارة أدبية عنده، بل هناك بالأحرى اقتناع لاهوتي بأن يسوع الذي يتكلّم عليه في نص الانجيل لا يزال حاضرًا في جماعته وحيًّا بنوع خاص في الافخارستيا. فمن ذكر يسوع، عنى في الوقت نفسه، في نظره، أنه غائب (تاريخ حياته الارضية تنتمي الى الماضي) وأنه حاضر في آنيّة جماعته التي تؤمن به وتكرّمه. ان يسوع التاريخ لا يزال حيًّا، بشكل كلمة مكتوبة ومنادى بها، في المسيح الحيّ الذي تؤمن به الجماعة. ولا نلحق بيسوع التاريخ إلاّ عَبرَ المسيح الذي تؤمن به الكنيسة.

كانت كلمة «انجيل» (بشرى) معروفة عند الكتّاب غير الدينيّين، لا سيّما للاعلان عن الانتصار او عن اهم احداث حياة الامبراطور. فهناك كتابة ترقى الى السنة ٩ ق.م.، عُثر عليها في آسية الصغرى، وتكرّم على الوجه التالي ذكرى مولد اوغسطس (لعلّ لوقا استوحى منها للكلام على ميلاد يسوع: لو٢/١٠ - ١١):

«يجوز لكل واحد ان يعدّ بحق هذا الحدث مصدر حياته ووجوده... لقد أقامت العناية الإلهية الحياة البشرية وزيّنتها تزيينًا رائعًا فأعطتنا اوغسطس... لتجعل منه المحسن الى البشر ومخلّصًا. لنا وللذين يأتون بعدنا... كان يوم مولد الإله (اوغسطس) للعالم بداية البُشرَيات التي تلقّيناها بفضله...».

لا «صُوَر» ليسوع

مَن منّا لم يحلم، في يوم من الأيام، لو كان عنده «صُوَر» ليسوع وتسجيلات لأقواله؟ يُخيَّل الينا اننا لاستطعنا ان نعرفه حق المعرفة. والحال أنه ليس عندنا سوى نصوص ألّفها تلاميذه و«لوحات» او «أعمال فسيفسائية» عنه. لكنّ هذا من حسن حظنا، وان استغربنا الأمر. فلو لم يكن عندنا سوى صور ليسوع، لما عدنا نعرف شيئًا عنه. أرى عندك صورة تمثّل رجلاً ينظر الى امرأة. هذه صورة، فأعلم اذًا أن الأمر قد حدث (ما لم يكن هناك حيلة تصويرية)، ولكن ماذا أضيف الى ذلك؟ لا شيء. هل كان ذلك الرجل ينظر الى شيء غير محدود، حين التقطته الآلة؟ هل كان يحوّل وجهه لأنه لا يريد ان يرى هذه المرأة (يبدو حزينًا)؟ هل هو يحبّها؟ ... تَشرح لي فتقول: «هذه صورة خِطبة سمير. انه غير راضٍ في هذه الصورة! ومع ذلك فلو رأيته كم كان سعيدًا. مضت سنون وكلاهما...». وفيما أنت تتكلّم، اخذت الحياة تدبّ في هذه الصورة. ومن خلال هذين الوجهين اكتشف حياة انتظار وأمل، واتصوّرهما ذلك اليوم... كل ذلك، لأنك كنتَ شاهدًا لفرحها فأمكنك ان تفسّر لي هذه الصورة. بهذه الصورة وحدها، كنت عاجزًا عن معرفة اي شيء عنهما. وبفضل شهادتك، أصبحا حاضرَين لي وأصبحت أستطيع ان أحبّهما.

هذا من حسن حظّنا بالنسبة الى الاناجيل. نظنّ اننا نجد فيها «صُوَرًا» ليسوع وها ان فيها ما هو افضل بكثير. فتلاميذه الذين عرفوه يقولون لنا مَن كان وكيف انهم اكتشفوا سرّه شيئًا فشيئًا وأي شيء غيّر في حياتهم. لو كان عندنا تحقيق مباشر عن يسوع، لما أفادنا شيئًا عنه ولرسَم عنه صورة خارجية. أمّا شهادة التلاميذ فانها تساعدنا على اكتشافه من الداخل.

وربّ أحد يعترض فيقول: «نعم... ولكن لو كان عندنا تسجيل لأقواله، لعرفنا بالضبط ما أراد ان يقول!» هل هذا صحيح؟ كل منا قد اختبر هذا الاختبار: يقول لنا صديق جملةً نسجّلها عفويًا، دون ان ننتبه اليها. وبعد عدّة أشهر، نهتف: «آه! هذا ما أراد أن يقوله لي...». ان رويتَ اليوم تلك الجملة، هل تحاول ان تنقلها حرفيًا كما نطق بها ذلك

الصديق؟ ستؤوّلها بالاحرى مبيّنًا «ما أراد أن يقوله» والذي اكتشفه بعد زمن طويل. والجملة، كما ستوردها، لن تكون «مطابقة للاصل»، ولكنها ستكون «أصحّ» بكثير، اذ انّها تعبّر عما اراد في الحقيقة أن يقوله.

وهذا أيضًا من حسن حظّنا بالنسبة الى الاناجيل. فإنها لم تُكتب فور وقوع الاحداث ولكي تروي لنا أقوالاً لُغزيَّة المعنى، بل هي شهادة تلاميذ يقولون لنا، بعد سنين طوال، ما فهموه من سرّ يسوع وكيف ساعدتهم حياتهم على الاهتداء الى معناه.

اعمال فسيفسائية

وقصارى القول فانه ليس عندنا «صور» ليسوع، بل لوحات واعمال فُسَيفسائية. عندنا اذًا اقوال يسوع واعماله يفسّرها شهود صادقون.

تبقى اذًا حياة يسوع مفتوحة. لو ترك لنا مجموعة قواعد واقوال مُمْلاة، لما بقي علينا إلا ان نوردها كما هي ولحُكم علينا بتكرارها. وبما أن التلاميذ فهموا يسوع في ضوء حياتهم، فهذا يعني أن حياة جماعاتنا اليوم لا تزال المكان الذي نستطيع، انطلاقًا منه، ان نتقدم في فهم يسوع.

شرطَ ان نحترم تلك الشهادات. لو كان عندنا اربعة اعمال فسيفسائية تمثّل المشهد نفسه بأشكالٍ مختلفة، لما خطر لبالنا ان نقول: «هذه الأعمال الفسيفسائية جميلة حتى انّي لا اريد ان افقد شيئًا منها، فسأدمّرها واصنع، من كومة الحجارة، فسيفساء واحدة تضمّ الأربعة...». يا لها من مسخ! تختلف الاناجيل الاربعة بعضها عن بعض، فلا بدّ من درس كل منها في حدّ ذاته، دون ان نحلم بتدميرها لكي نبني، بكُسارها، حياة ليسوع او «الاناجيل الأربعة في انجيل واحد». وان قارنّا بعضها ببعضٍ وان قرأناها في «كتاب ازائي»، فلكي نمعن النظر في التفاصيل والفوارق التي ينفرد بها كل منها، ولكي نحسن الاهتداء الى ملامح وجه يسوع التي أثّرت في هذا او ذاك الانجيلي.

الايمان والروح القدس

قد تجيب: «موافق! ومع ذلك أكون مطمئنًا لو كان عندي صور وتسجيلات ليسوع! لا تخفى عليَّ فائدة ما تسمّيه الشهادة... ولكن من الذي يؤكّد لي أنّ اولئك التلاميذ لم يُخطئوا في تفسير ذكرياتهم»؟

نتمنّى ان نحصل على براهين. وهذا امر طبيعي. لأن الكلام يدور على احداث يعتمد عليها المؤمن ليربط حياته. ولكن. هناك من جهة ما يبعث فينا الطمأنينة (سنعود الى ذلك في ختام الكتاب): فالمؤرخ المؤمن او غير المؤمن الذي يدرس الاناجيل يجد فيها من الأمور الراسخة ما يمكّنه من تأمين التاريخ، وكثيرًا ما يودّ لو يجد هذا القدر من الأمور الراسخة في شأن سائر شخصيات العصور القديمة. ومن جهة أخرى، فلقد نتساءل هل المؤمن، الذي يطالب بالبراهين. لا يحاول فقط ان يستغني عن الايمان وعن الروح القدس!

فإنه يمكننا ان نقدّم البراهين عن اشياء ماديّة وأن نُثبت وجود هذا او ذاك الغرض، ولكن لا «براهين» للصلة بين الاشخاص. ما الذي يُثبت لي أني أحبّ وأني محبوب؟ لا بدّ لي هنا من الثقة، اي من الايمان. فالانضمام الى يسوع المسيح هو دائمًا من طابع الثقة، من طابع الايمان. نحن نؤمن بأن اولئك التلاميذ، حين فسَّروا أقوال يسوع وأعماله، كانوا تحت تأثير الروح القدس. قال لهم يسوع في مساء العشاء السرّي: «سأرسل اليكم الروح. فيذكّركم بكل ما قلته لكم ويرشدكم الى الحق كلّه» (يو ١٦/١٣).

«الورق الشفّاف»

اذا كان علينا ان نرسم رسمًا بيانيًا معقّدًا (رسمًا صناعيًا او تشريحًا للجسم البشري...) نستخدم احيانًا اسلوب الورق الشفّاف: ففوقَ رسم أوّل اساسي (الهيكل العظمي البشري مثلاً) نضع رسمًا او عدة رسوم أخرى لها مقياس واحد، على ورق شفّاف (العضلات او مختلف الاعضاء). فيمكننا بعد ذلك ان ننظر الى كل رسم وحده ويمكننا، ان وضعنا الرسوم بعضها فوق بعض، ان نلقي الى الكل نظرة اجمالية.

هذا شأن الاناجيل أيضًا. على وجه يسوع الناصري الذي حفظ التلاميذ ذكره، ركّبوا ملامح الذي قام من بين الأموات كما اخذوا في اكتشافها بعد الفصح وبهاء طلعة الرب الذي يعيش في جماعاتهم. وان قرأنا الاناجيل بطريقة ساذجة، اتّضح لنا كل شيء: يسوع يقدّم نفسه كابن الله. وبطرس وقائد المئة يعلنان ذلك فنتعجّب من عدم اعتراف اليهود به... كل شيء واضح لنا. لأننا ننظر الى جميع الرسوم نظرة واحدة! وأمّا معاصرو يسوع، فكان في نظرهم سؤالاً ودعوة على الأخصّ. لا بدّ من الايمان ومن نور الفصح وإنارة الروح القدس للشعور بشيء من غنى سرّه.

ولكي نحسن الشعور بهذا الغنى، سننظر، في هذا الدليل، تارةً الى الرسوم مجتمعةً، وتارةً الى كلّ منها، مجتهدين أن نميّزها.

٣. الفنون الأدبية في الاناجيل

لا نروي حادث سيّارة بشكل واحد لصديق لنا ولخبير في التأمين: فـ «الفن الأدبي» يكون مختلفًا. في الحالة الثانية، نُدخل رواية الحادث في نموذج وفي «قالب» (هوية الاشخاص والشهود والظروف...). وأمّا في الحالة الأولى، فنتصرّف بحريّة. وقد يختلف «الاسلوب»، فمنهم من يبقى بسيطًا جدًا في اسلوبه، ومنهم من يروي هذا الحادث كأنّه حدث قومي.

هذا التمييز بين «القالب» و«الاسلوب» تمييز اختباري تمامًا، ولكنه قد يساعدنا على الاهتداء في قراءتنا للاناجيل.

«قوالب» مصنوعة مُسبقًا

كان هناك عدد من النماذج او القوالب يستعملونها للحصول على مفعول معيَّن. نكتفي هنا باكتشافها، ثم نعود الى اهمّها في سياق الدرس.

ان **رواية المعجزة** تتضمّن خمس نقاط عادةً:

- مدخل يعرض المسألة.
- طلب تدخّل يُظهر ثقة الطالب او ثقة محيطه.
- تدخّل من طُلبت اليه المعجزة.
- النتيجة الحاصلة.
- ردّ فعل المشاهدين: خوف، اعجاب...

سنرى مثلاً (الصفحة ١٨٠) أن مرقس يروي بطريقة واحدة وبألفاظ واحدة ابراء ممسوس وتسكين العاصفة.

كانوا يستعملون **المثل** عادةً لإلقاء تعليم يُفهم بسهولة او لحمل السامع على الحكم في نفسه دون الشعور بالأمر.

ان **روايات دعوة** التلاميذ من قِبَل يسوع تكون وجيزة عادةً (مجرَّد نظرة احيانًا – الدعوة – الجواب) ومطابقة لنماذج الدعوة في العهد القديم: فإن يسوع يدعو بسيادة مطلقة شأن الله!

من **الخطب**، هناك نموذج على الاقل معروف جدًا، وهو خطبة الوداع: شخصية نافذة تعلم بدنوّ موتها، فتلقي وصاياها لتلاميذها.

كانت **المناظرة** او الجدال بين اهل الاختصاص فنًّا يتدرَّب عليه الربّانيّون. كثيرًا ما نجد فيها الرسم البياني التالي:

- حركة او قول ليسوع يثير تعجّب السامعين، وكثيرًا ما يكون هذا التعجّب مُصطنعًا.
- يبدأ النقاش: «ألا تؤمن بأن...؟ ألم تقرأ في الكتاب أن...؟»
- في الختام، يظهر النقاش الحقيقي. لا بدَّ عندئذٍ من الاختيار، وكثيرًا ما ينقسم الشهود.

تقوم **الحِكمَة المحاطة بإطار** على وضع قولٍ يُعدُّ هامًّا في رواية تكون له بمثابة علبة مَصاغ. فالرواية (معجزة او مناظرة او نكتة) تكون مجرّد إطار لإبراز القول.

الأقوال العائمة، بحسب تعبير اهل الاختصاص، هي أقوالٌ ليسوع حُفظت، ونُسيت الظروف التي نطق فيها يسوع بها. فهي تُعلَّق، على قدر الامكان، بإحدى الخطب او الروايات.

«اساليب» مختلفة

يعني لفظ «اسلوب» هنا طريقة في التعبير للحصول على مفعول معيَّن. والمهمّ هو الانطباع المطلوب احداثه. ويستخدمون لذلك أساليب او صورًا قد تُدهشنا. اليك بعض هذه الاساليب:

ان **اسلوب التجلّي الالهي** يهدف الى اظهار حضور الله. يستوحون خاصة من تجلّي الربّ في جبل سيناء، حيث تُظهر النار والبروق وتزعزعُ الجبل، كما ورد في سفر الخروج، أن الله حاضر هنا، وهذا الأمر يثير الخوف عند الانسان.

فحين تُستعمل هذه الصُوَر وأمثالها، فللتعبير عن حضور الله. فليس مفروضًا علينا ان نعتقد بأن ما يوصف هنا حدثَ هكذا. حين نقول: «ان رؤية هذا البؤس تمزّق قلبي»، فالعبارة «تمزّق قلبي» صورة تعبّر عن شعوري بالشفقة، فلا نستشير طبيبًا ليخطّط القلب! وكذلك، فألسنة النار في

العنصرة وملاك البشارة او ملاك القبر المفتوح قد تكون أيضًا صُورًا للتعبير عن حضور الله. وعندما نرى أشخاصًا كمريم او النساء او المستمعين الى يسوع «يخافون»، فهذا مجرّد تنبيه الى أنهم يشعرون بوجودهم في حضرة الله.

«والاسلوب الرؤيوي» هو أشدّ تحييرًا. وجدناه في درس دانيال (الجزء الاول، الصفحة ٩٠). لقد نشأ في أيام قلق واضطهادات، فعلقت فيه رائحتها الكبريتية. هدفه التعبير عن وجود يقين في قلب هذا القلق، وهو ان الله هو سيّد التاريخ وأنه سيتدخّل في النهاية، حين يبلغ الشرّ أشدّه. فالكواكب تتساقط والأرض تنهار والسموات تتمزّق... كل ذلك صورٌ للإشعار بالمشاعر الباطنية، كما حين نقول: «ظننتُ ان كل شيء ينهار وان السماء تهبط على رأسي...».

«ترويه الأفكار»: هذا التعبير البربري يعني فقط أنّك، بدلاً من ان تعرض فكرة بصورة مجرَّدة، تروي قصَّة. اليك حكاية مفجعة تشرح لك ما أريده. قبل بضع سنين، كان راهب مقيم في فلسطين نازلاً في سيارة جيب الى العقبة. وعند وصوله الى جنوب البحر الميت، صدم بدويًا فقتله. أثبت الحكم أن البدوي كان مخطئًا، ولكن، نظرًا الى وقوع الموت، فلا بدَّ من دفع «ثمن الدم» لقبيلته وفقًا للتقاليد. كُلِّف خوري الرعيَّة بالمفاوضات. أمام زعماء القبيلة، روى الحادث على طريقته هو، فدفع الراهب الثمن وافترقوا أصدقاء. وفور انصرافهم، سأل الراهب خوري الرعيَّة: «ماذا رويت لهم؟ انت عالم بأن الأمور لم تجرِ على هذا الوجه!» أجاب خوري الرعية: «اسمع! أليس البدوي هو المخطئ؟». قال الراهب: «نعم». قال خوري الرعية: «وهذا ما قلته لهم...». لو كنَّا في مكان خوري الرعية، لربَّما اتّبعنا أسلوبًا مختلفًا وعرضنا فكرة مجرّدة مفادها ان البدوي مخطئ. أمّا خوري الرعية، فقد بيَّن ذلك في قصّة اختلقها. وكان الزعماء الحاضرون يعرفون حق المعرفة أن الأمور لم تجرِ على هذا الوجه، ولكنهم فهموا الفكرة من خلال القصّة. هل يبدو لنا هذا غريبًا؟ حين نقول لصديق أبطأ في وصوله: «أنتظرك منذ مئة سنة»، نفعل نحن أيضًا كذلك. فـ«المئة سنة» قصة لا نعيرها اهتمامنا، بل نفهم الفكرة، وهي أنه أبطأ في وصوله.

لا بدّ أن نتذكّر كل ذلك حين نقرأ بعض الروايات وان نتساءل: هل يروون لنا تاريخًا أم قصة ليُفهمونا فكرة؟

أما **«روايات طفولة يسوع»** فإنها تشابه «أسلوبًا» آخر وجدناه في العهد القديم، وهو «المدراش» (الجزء الأول، الصفحة ٨١). نُجري بحثًا (هذا معنى «مِدراش») في الكتاب المقدس لنرى كيف أنه يعنينا اليوم ونسعى لجعله حاليًا. وقد تُكشَف فيه قواعد للعمل او قصص تحمل على الصلاح. وهناك نوع خاص في المِدراش («پشر») يحاول ان يبين كيف أن احداثًا او أشخاصًا حاليّة تحقّق نص الكتب المقدسة. سنرى ان المسيحيين قد استعملوا هذا النوع من التفسير، بعد ان قلبوه: فهم لا ينطلقون اولاً من الكتاب المقدس، بل من شخص يسوع، ليروا ما هو وضعه بالنسبة الى الكتاب المقدس والى التدبير الإلهي.

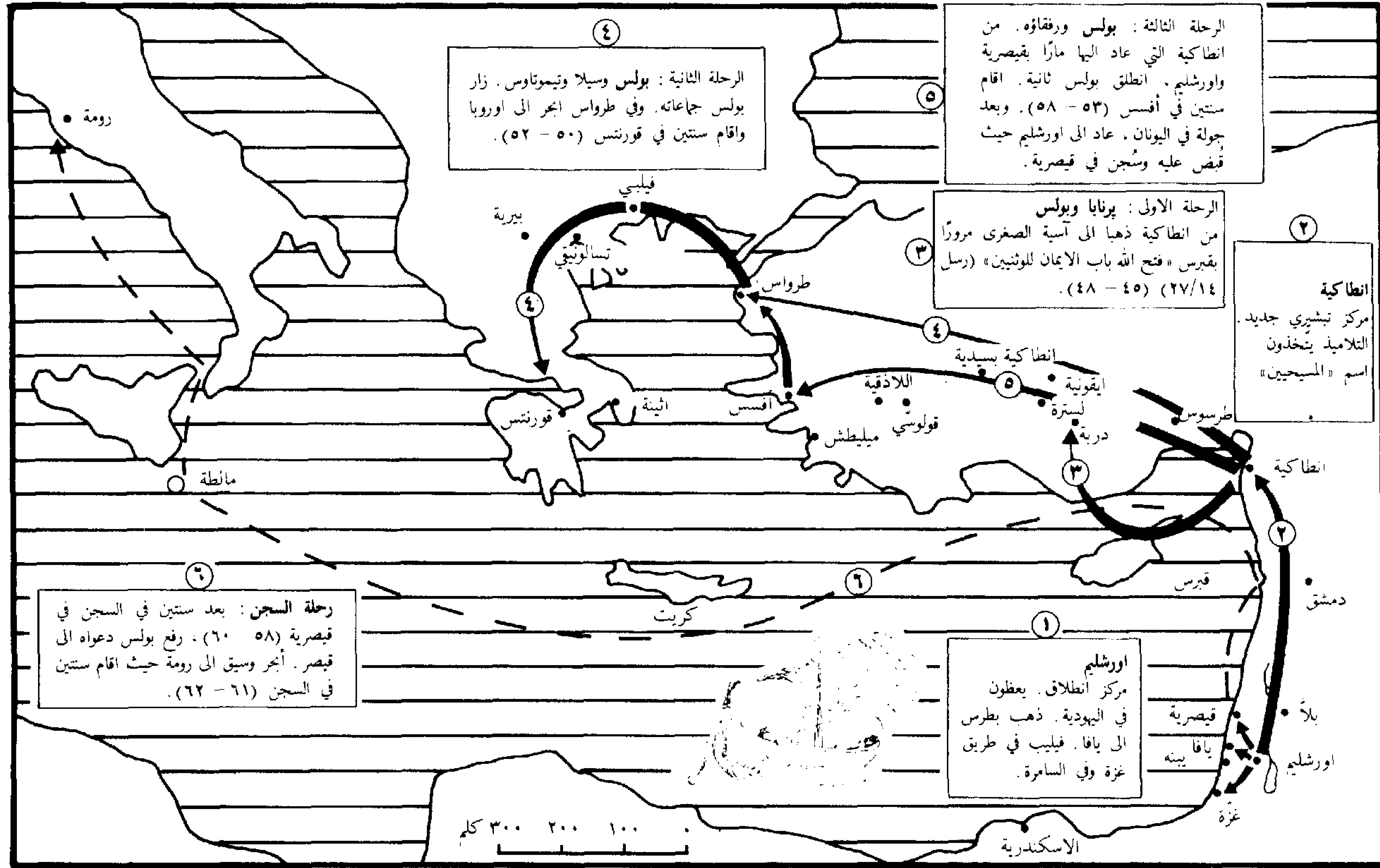
ماذا نحفظ من كل ذلك؟

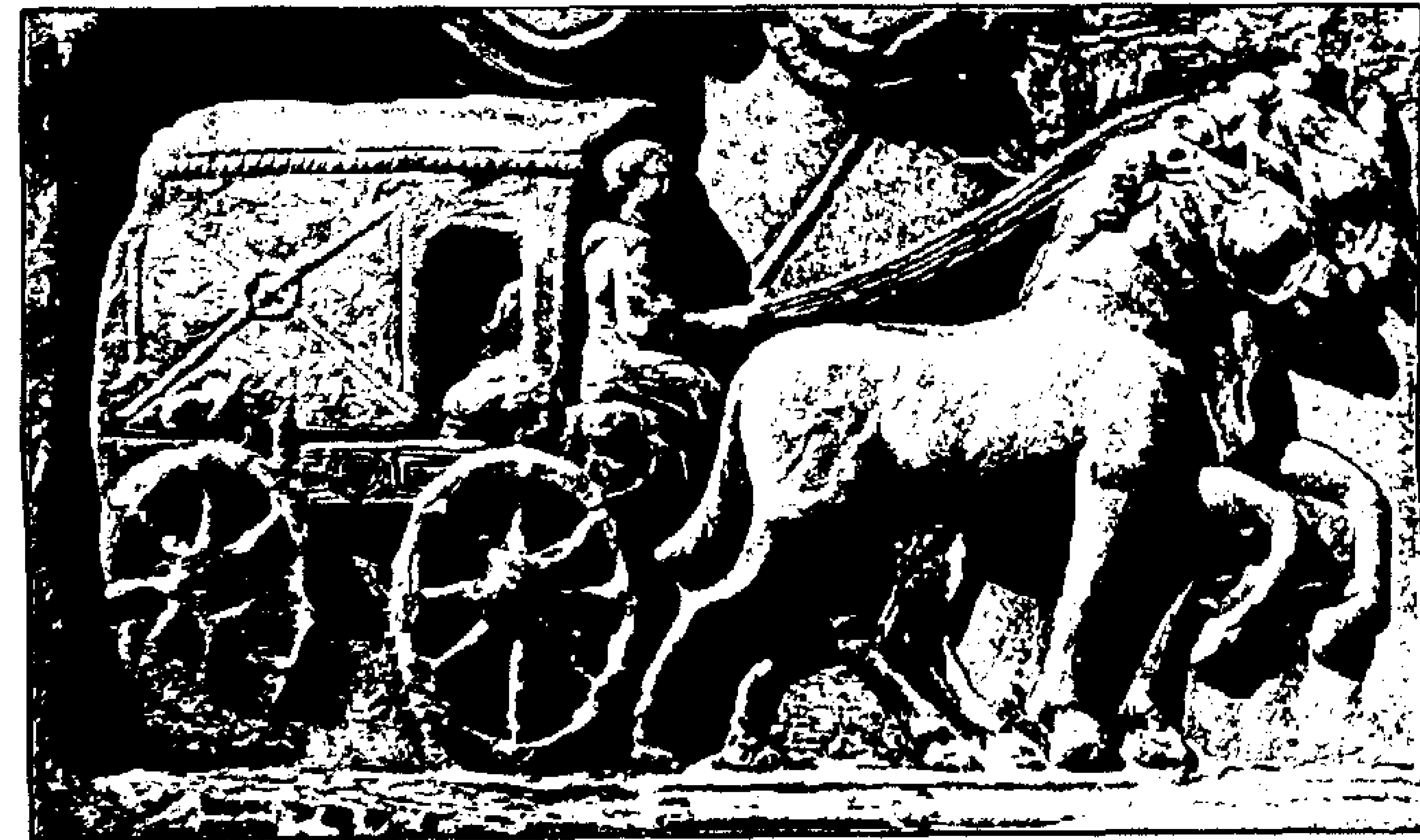
لعلَّ كل ذلك يبدو شديد التعقّد! لا تخف، فستتّضح الأمور كثيرًا حين ندرس بعض النصوص ونجد بعد الأمثال.

المهم في هذه الساعة ان ننتبه الى امر واضح، وهو أن الالفاظ تعني احيانًا غير ما تعنيه في الظاهر! هذا امر واضح، لأننا نستعمل كل يوم هذا النوع من اللغة. فحين يسمعنا أجنبيّ نقول: «يا عيني عليك»، و«على الرأس والعين» و«باع سمكًا في البحر» الخ، لا شكّ أنه يتساءل في اي عالم وقع! كل هذه العبارات وغيرها صحيحة، لا بما تقوله، بل بما تعنيه. ونحن نفهم ذلك عفويًا، لانه جزء من ثقافتنا.

أمَّا الصعوبة بالنسبة الى الكتاب المقدس، فكونه لا ينتمي، بالقدر نفسه، الى ثقافتنا. لكنَّ الاكثار من مطالعته يساعدنا على التمييز بين ما هو صورة وما هو تعليم.

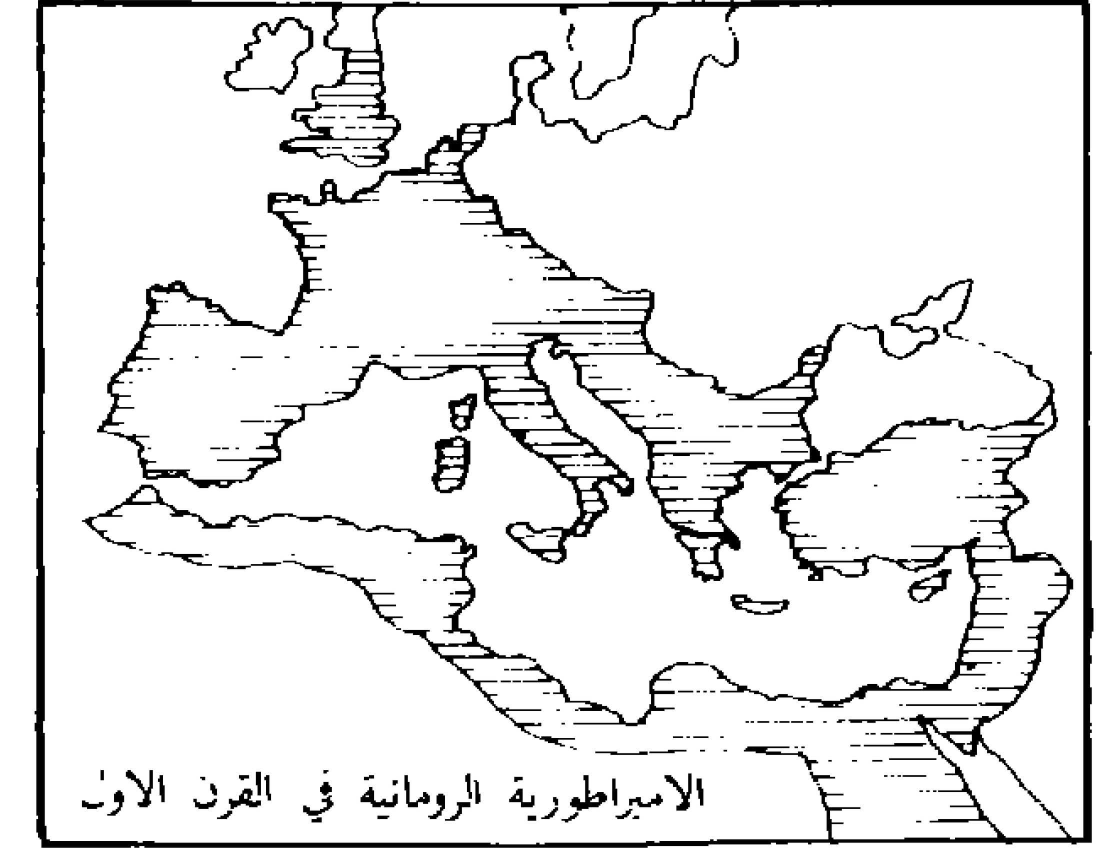
> **«علبة أدوات عمل»**
>
> تجد في الجزء الأول (الصفحة ١٤) «علبة ادوات عمل» لفك نصّ، اي بعض الاسئلة التي يمكن طرحها على النفس لدرس احد النصوص. راجعها، فإنها تفيدك على طول هذه المسيرة.





مركبة سفر رومانية،
نقش عُثر عليه في
كارنتية (النمسا)

١. عالم المسيحيين الأولين



ها إننا انطلقنا الى اكتشاف العهد الجديد. سنحاول في هذه المرحلة الأولى ان نتعرّف الى عالم المسيحيين الأوّلين. ولئلاً يتشتّت انتباهنا، سنتّخذ كتاب اعمال الرسل «دليلاً سياحيًا» (وسندرس في وقت لاحق ما في هذا الكتاب من تفكير لاهوتي).

◀ طالعْ اعمال الرسل صفحة بعد صفحة كأنها تحقيق قام بها أحد المسافرين. ستجد كثيرًا من الألفاظ الجديدة والمؤسّسات والمجموعات والعادات التي لا علم لك بها. حاوِل ان تكتشف ما تمثّله، مستعينًا بحواشي كتابك المقدس او بمصوَّر جغرافي. سنعود الى كل ذلك بصورة منتظمة في الصفحات اللاحقة.

اليك مخطّطًا لاعمال الرسل وبعض نقاط مهمّة تساعدك على تلك المطالعة.

مخطّط لاعمال الرسل

رسل ١ – ٥: الجماعة في اورشليم

رسل ١/٦ – ٣٥/١٥: النشاط الرسولي

- عند المستهلنين: اسطفانس وفيلبّس (٦ – ٨)
  دعوة بولس في دمشق (١/٩ – ٣١)
- عند بطرس (٣٢/٩ – ١٨/١١)
- في كنيسة انطاكية (١٩/١١ – ٤/١٥)
  رحلة بولس الرسولية الأولى (١٣ – ١٤)
  «مجمع» اورشليم (١٥)

رسل ٣٦/١٥ – ٣١/٢٨: بولس مُرسَل

- رحلته الرسولية الثانية في ٥٠ – ٥٢ (٣٦/١٥ – ٢٣/١٨)
- رحلته الرسولية الثالثة في ٥٢ – ٥٨ (٢٤/١٨ – ٣٨/٢٠)
- سجين في قيصريّة في ٥٨ – ٦٠ (٢١ – ٢٦)
- سيق الى السجن في رومة في ٦١ – ٦٣ (٢٧ – ٢٨)

اعمال الرسل في بعض وجوهه

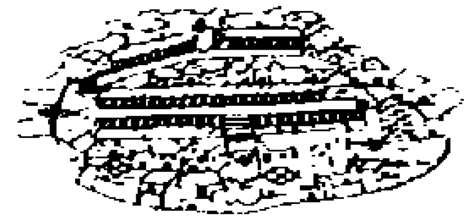
- **الأماكن**. فلسطين في الامبراطورية الرومانية. ما هي المدن الكبرى؟ ما هو عدد السكّان في اورشليم، في رومة، في انطاكية، في طرسوس...؟

- **الامبراطورية الرومانية**. إكتشف التلميحات الى المؤسّسات (الامبراطور والحاكم والعدل...) وطرق المواصلات والاوضاع الدينية والاجتماعية (المواطن الروماني والعبيد) والاقتصادية (المِهَن والمجاعة... وتنقّلات الزوجين اقيلا وبرسقلّة)...

- **الدين اليهودي**. مؤسّساته (الهيكل والمجلس والمجتمع...) وفئاته الدينية (الفريسيون والصدوقيون...). ظهر المسيحيون زمنًا طويلاً بمظهر شيعة من شيع الدين اليهودي.

- **الممثّلون**. عددهم كثير في هذا الكتاب المليء بالحيوية! ان كان عندك كتاب مقدس للبحث، يمكنك ان تضع تحت اسمائهم خطوطًا مختلفة الالوان. هناك الممثّلون الإلّهيون: الله – يسوع القائم من بين الاموات، الغائب في الظاهر والحاضر في كل مكان – والروح القدس – والكلمة التي تبدو احيانًا شخصًا (انتبه الى المفردات اللغوية: الكلام والوعظ والصوت...). وهناك التلاميذ: مَن هم؟ ماذا يعملون؟ (لاحِظْ دور «العلمانيين» والنساء...). وهناك المعارضون، من يهود ووثنيين...

- **حياة الجماعة المسيحية**. المطلوب في الوقت الحاضر ان تكتشف وجوه هذه الحياة وسنبحث فيها في وقت لاحق. **الوعظ**: أنظرْ الى عدد الخُطب (لِمن والى مَن: يهود ووثنيين وتلاميذ؟). **الحياة الطقسية**: كسر الخبز (الافخارستيا) والمعمودية والصلاة (في أيّة أماكن؟). **التعليم** المُلقى الى المعمَّدين الجدد. **اتحاد القلوب** وتقاسم الخيرات...



اورشليم، عن فسيفساء ميدَبا (بالقرب من جبل نَبو، في الاردن، القرن السادس ب.م.)

الامبراطورية الرومانية

في هذه المرحلة الأولى لرحلتنا، نكتفي بـ «نَصبِ الإطار» الذي سنرى فيه تنقّلات يسوع ثم المسيحيين الأولين. ولكي لا نبتعد عن النصوص، فقد اخترنا كتاب اعمال الرسل «دليلاً سياحيًا». وان أنجزت العمل المقترح عليك في الصفحة السابقة، فقد أصبح لك عدد محترم من المعلومات، تضاف اليها حواشي كتابك المقدس.

وان لم يتوفّر لك الوقت للقيام بهذا العمل، يمكنك ان تكتفي «بزيارة موجّهة»: وستجد هنا أهمّ العناصر مجمّعة في وَحَدات، ولكننا سننطلق، كلّما أمكن الأمر، من بعض فقرات اعمال الرسل تبدأ بقراءتها قبل كل شيء.

لم تكن فلسطين سوى اقليم صغير من الامبراطورية الرومانية الواسعة. كانت العبارة «بحرنا» تدلّ عند الرومانيين على البحر المتوسط الذي امتدّ سلطانهم حوله في قليل من القرون. ففي السنة ٦٣ ق.م.، استولى القائد بمبيوس على سورية وفلسطين، وكان هذا الفتح مطلع احتلال عسكري كانت ذروته الاستيلاء على اورشليم عن يد طيطس في السنة ٧٠ ب.م. وتدميرها في السنة ١٣٥. ومنذ ان ملك اوغسطس (٣٠ ق.م. — ١٤ ب.م.) ساد «السلام الروماني».

◄ وقبل مواصلة طريقنا، يمكنك ان تقرأ بعض نصوص اعمال الرسل، وهي توحي ببعض وجوه الحياة في الامبراطورية: ١٢/١٠ و ٦/١٣ ـ ٧ و ١٢/١٤ و ١٦/١٦ — ٤٠ و ٦/١٧ و ١٦ و ١/١٨ — ٤ و ١٢ و ٢٦ و ٢٨ و ٩/١٩ و ٢٤ و ٣١/٢١ و ٢٥/٢٢ — ٢٨ و ٢٣/٢٣ و ٣٥ و ٢٢/٢٤ — ٢٣ و ١٢/٢٥ و ١/٢٧ — ٤٤ و ١٦/٢٨ ولو ١/٣ — ٣. وفيما تقرأ هذه النصوص، انتبه الى المؤسّسات والالقاب والاوضاع.

امبراطورية في طريق الاشتراكية

في ذلك الزمان كانت رومة تنظّم امبراطوريتها الواسعة الغنية والتي لا منافس لها. وبعد ثلاثة قرون من الفتوحات، كانت تسعى لتوحيدها. وهناك بضعة عناصر قد ساعدتها على ذلك.

اللغة. بقيت اللاتينية اللغة المتكلّم بها غربيَّ الامبراطورية (ايطاليا وغاليا واسبانيا). لكنَّ اليونانية، اي اليونانية الشائعة، احتلّت شرقًا محلَّ معظم سائر اللغات المحليّة، وكان الناس يفهمونها في جميع انحاء الامبراطورية. أمَّا في سورية وفلسطين، فكانوا لا يزالون يتكلمون بالآرامية، في حين ان العبرية بقيت لغة الطقوس.

الشؤون الادارية. كانت الامبراطورية منقسمة الى اقاليم تختلف شدّة ارتباطها برومة. كان على رأس بعضها ولاة (سرجيوس بولس او غاليون)، وعلى رأس بعضها الآخر مفوَّضون (كويرينس). وكان بعضها في عهدة حكّام (بنطيوس بيلاطس وفيلكس وفستس) وقليل منها يتمتّع بشبه حكم ذاتي. وهذا شأن فلسطين في ايام هيرودس الكبير وبنيه.

طرق المواصلات. كان السير مكثّفًا. وكانت الطرق الرومانية (بمحطّاتها الوسيطة ونُزُلها) مقصورة على السعاة الامبراطوريين والجيش وبعض المحظوظين. فكانت تساعد على الوصول بسرعة الى جميع اماكن الامبراطورية. وكانت هناك سفن كثيرة، تنقل البضائع والركّاب (٢٧٦ شخصًا على سفينة بولس (رسل ٣٧/٢٧)، سواء على الانهار ام لا سيّمَا على البحر المتوسط ما دام قابلاً للملاحة (من اذار (مارس) الى تشرين الثاني (نوفمبر) (راجع رسل ٩/٢٧).

وكان **العدل** واحدًا لجميع المواطنين. فكان من حقّ ايِّ واحد منهم ان «يرفع دعواه الى قيصر» فتتوقف فورًا كل سلطة قضائية ويساق صاحب الدعوى الى محكمة الامبراطور (١٢/٢٥ و ٣٢/٢٦).

وكانت **الضرائب** أيضًا تصيب جميع السكّان! كانت الضرائب المباشرة تُجبى عن الأملاك ومن كل شخص (راجع متى ١٧/٢٢). وأما الضرائب غير المباشرة والجمارك فكان يُعهد بها الى وكلاء عامّين يدفعون ثمنها الاجمالي، على ان يستوفوه (مع ربح كبير) عن يد الجُباةِ او العشّارين.

وكان **اختلاط السكّان** أمرًا مألوفًا، وهناك مثل الزوجين اقيلا وبرسقلّة. كان اصلهما من آسية الصغرى فقدما رومة ومنها طُردا بسبب الأمر الذي صدر عن الامبراطور قلوديوس في ٤٩ — ٥٠، فأقاما في قورنتس. عمل بولس عندهما (٢/١٨) وبعد ثلاث سنين عاد فوجدهما في افسس (٢٦/١٨)!

امبراطورية في طريق التمدّن

يصعب تحديد عدد سكّان الامبراطورية فيُقدَّر بخمسين مليونًا. أمَّا المدن الكبرى، فالارقام المقترحة هي: مليون او مليونان لرومة او الاسكندرية، ونصف مليون لأنطاكية وطرسوس وقورنتس وأفسس... لم يكن في اورشليم اكثر من خمسين الف ساكن (أمَّا في الاعياد الكبرى فكان فيه ثلاثة او أربعة أضعاف).

لم يكن لجميع اولئك السكّان أحوال شخصية واحدة. كان بعض الرجال الأحرار مواطنين رومانيين، وكانوا يحصلون على هذه الجنسيّة المرغوبة

إمّا بحكم الشرع (في ايطاليا)، وإمّا بالولادة (خَلَف مستوطنين رومانيين مثلاً) او بدفع ثمنها غاليًا (ليسياس، رسل ٢٨/٢٢). وكانوا يُعفَون من بعض الضرائب ويتمتّعون بالحماية (٣٧/١٦ – ٣٩ و ٢٥/٢٢). وكان سائر الرجال الاحرار من المغتربين، اي انهم غرباء عن الأمّة الرومانية واقلّ حقوقًا. وكانت أوضاع العبيد (ساكنان على ثلاثة في بعض المدن الكبرى) تختلف جدًّا باختلاف مزاج سيّدهم او احوالهم. كانت هذه الاحوال شاقّة في الارياف، واكثر احتمالاً في المدن، ولا سيّمَا بالنسبة الى العبيد الاختصاصيين، كالحِرَفيين والطبّاخين والأطباء... وكان إعتاقهم مُمكنًا: إمّا عن يد سيدّهم، وإمّا بدفع الثمن.

سعيًا وراء «مزيد من الروح»

كان الشعور في هذه الأقاليم المستولى عليها أن الآلهة القوميّين فشلوا، اذ لم يستطيعوا ان يدافعوا عن شعبهم ضدّ رومة. فكان «الالحاد» ينتشر، فلم يعودوا يؤمنون بالآلهة إلاّ قليلاً، وإن كانوا «يمارسون» دينًا رسميًا هو بالأحرى رابط ثقافي. وكانوا يبحثون عن معنى للحياة خارجًا عن ذلك الدين، اي في التفكير الفلسفي والحكمة (١٦/١٧) او في الديانات السريّة حيث كانوا يأملون الحصول على الخلاص بالاطّلاع على الأسرار.

فنمت جميع أنواع الجمعيّات، لا لأسباب دينية فقط، بل للهرب أيضًا من فقدان الشخصية الناتج عن النزعة الاشتراكية.

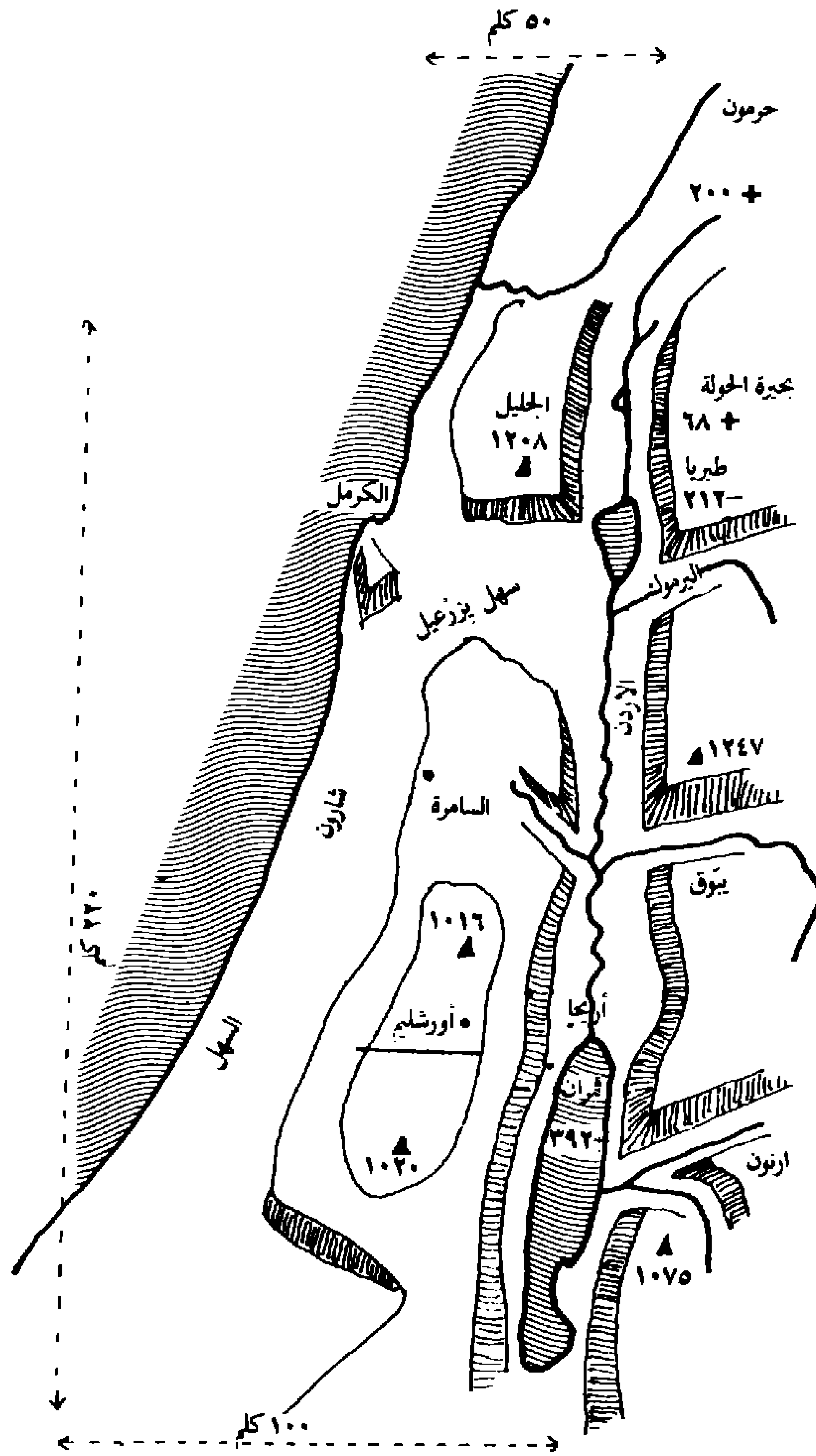
اليهود والمسيحيون في الامبراطورية

كان **الدين اليهودي** قبل كل شيء اورشليم، مركز الدين الرسمي حول الهيكل، والممتدّ على «ارض اسرائيل»، على اليهودية كما كانت تدعى في ذلك الزمان (ولم يسمّوها «فلسطين» او «أرض الفلسطينيين» إلاّ بعد السنة ١٣٥). وكانت مساحة هذه الارض ثلاثة اضعاف مساحة لبنان الحالي، وعدد سكانها نصف مليون فقط.

وكان الدين اليهودي يمتدّ الى الشتات أيضًا. طالما أقام بعض اليهود خارج اليهودية، وبقي بعضهم في بابل بعد الجلاء، واستوطن بعضهم في الاسكندرية حيث كانوا يشكّلون خمس سكّانها. في جميع المدن التي مرَّ بها بولس، فقد وجد جماعات يهودية مزدهرة (مثلاً ١٤/١٣ و ١/١٤ و ١٣/١٦ و ٢/١٧ و ٤/١٨ ...). ويقدَّر أن من ثمانية الى عشرة في المئة من سكّان الامبراطورية كانوا يهودًا، اي من سبعة الى ثمانية ملايين. وكانت التبشيرية، او الرغبة في هداية الناس الى الدين، نشيطة جدًّا (١٣/١٩ وراجع متى ١٥/٢٣).

وكان اليهود يتمتعون في الامبراطورية بنظام خاص: اعفاء من الخدمة العسكرية ومراعاة السبت وامكانية دفع ضريبة سنوية للهيكل. فكانوا يخضعون رسميًا لِسُلطتين: سلطة الامبراطور وسلطة مجلس اورشليم.

أَمَّا **الدين المسيحي**، فلم يكن في اول أمره سوى شيعة نشأت داخل الدين اليهودي. فكان يتمتّع بتلك الامتيازات نفسها. ويومَ يتمّ انفصاله عن الدين اليهودي، سيصبح، في نظر الشرع الروماني، «دينًا غير مشروع» و «خرافة»، فيمكن ملاحقته أمام القضاء.



الاقتصاد

ان الخريطة الطبيعية في الصفحة السابقة تساعدك على تحديد مكان السهول الخصبية (يزرعيل وشارون والسهل) وانجاد الجليل والسامرة واليهودية حيث كانوا يفلحون، في حقول مسطّحة احيانًا، أرضًا حَجِرة، ووادي الاردن بجزيرته الصغيرة النضِرة وهي أريحا.

كانت الامطار غزيرة. ولكنها لا تنزل إلاَّ بين تشرين الاول (اكتوبر) وآذار (مارس) والماء يُحفظ بعناية في الصهاريج.

كانت **الزراعة** المورد الرئيسي. يُزرع الشعير والقمح، وهو اساس التغذية، في كل مكان على التقريب. يبتدئ اوان البذر بعد الأمطار الأولى. ويتمّ حصاد الشعير قبل عيد الفصح، وحصاد القمح بين الفصح والعنصرة.

كان شجر الزيتون يعطي زيتًا كثيرًا وكانوا يصدّرونه الى مصر وسورية. وكانوا يصدّرون التين أيضًا الى رومة.

كانوا يزرعون الكروم ولا سيّما في اليهودية، وكان في الكروم معاصر العنب والبروج التي يراقبون منها اللصوص والثعالب.

والى جانب الفواكه والبقول العادية كالعدس والحمّص والسَّلَطة، كانت هناك محاصيل فاخرة تصل الى مائدة الامبراطور، كرمّان وبَلَح أريحا او الجليل، وكمأة اليهودية والورد الذي كانوا يستخرجون منه عطرًا ولا سيّما بلسم اليهودية الذي يُدفع ثمنه ذهبًا والذي كانت تجارته رائجة جدًّا.

كانت ارض فلسطين مكسوّة بالاشجار... قبل مرور المعَز!

وكانت تربية الحيوانات واسعة الانتشار. وكانت الخراف والمَعَز تعطي اللحم والحليب والجلد والصوف. وكان الهيكل، نظرًا لذبائحه الكثيرة، يستهلك كثيرًا من البَقَر. وكانوا يربّون أيضًا حميرًا صغيرة قويّة تستخدم لأعمال الزراعة وللتنقّلات. وأما النقليّات الثقيلة، فكانوا يستخدمون فيها الجمال. وكان الحصان مقصورًا على الأغنياء.

كانت بعض قطاعات الصناعة مزدهرة.

كانوا يمارسون الصيد في الانهار ولا سيّما في بحيرة طبريّا التي كانت تسوّق السمك المدخّن او المجفّف في جميع أنحاء فلسطين.

كان البناء مزدهرًا. من السنة ٢٠ ق.م. الى السنة ٦٤ ب.م.، قاموا بأعمال تجميل كبرى في الهيكل، استخدمت حتى ١٨٠٠٠ عامل. وقام هيرودس انتيباس ببناء طبريّا وتحصين سفّوريس وبولياس. وأقام أغريبا سورًا شماليًّ اورشليم وبنى بنطيوس بيلاطس قناطر ماء جديدة.

وكانت الصناعة اليدوية تلبّي حاجات الحياة اليومية، من صناعة الملابس (حياكة وغَزل وصباغة ودعك) وآنية الطعام (صناعة الفخّار) ومجوهرات.

كان الهيكل «مجموعة صناعية» كبيرة. ينهمك فيها الكهنة واللاويون، ويُعنى بصيانتها النحّاتون. ويُذبح فيها كل سنة ألوف الحملان والبَقَر، وتُدبغ فيها الجلود (وهي ملك الكهنة) ثمّ تُحوَّل وتُصدَّر. وكانوا يستعملون في الهيكل أخشابًا كريمة وعطورًا. وكان ازدحام الحجّاج يشجّع تجارة المأكولات، وتجارة «التذكارات»، اذ كان على الحجّاج ان يُنفقوا محليًّا مقدار العُشر الثاني.

كانت **التجارة** الداخلية تقوم على المبادلة خاصة. أمّا فيما يتعلّق بالتجارة الخارجية، **فكانوا يستوردون الكماليات بنوع خاص، كأرز لبنان والبخور** والاطياب وذهب جزيرة العرب وحديدها ونحاسها، وتوابل الهند وأقمشتها... وكانوا يصدّرون المأكولات (الفواكه والزيت والخمر والسمك) والعطور والجلود وزفت البحر الميت. وكانت هذه التجارة تُمارس عن يد كبار التجّار.

وكان من شأن كل ذلك ان تكون فلسطين أرضًا «تدرّ اللبن والعَسَل»، لولا الضرائب والتوزيع غير المتساوي للخيرات.





نقد روماني اكرامًا لفتح اليهودية. على الوجه الاول طيطس، وعلى الوجه الثاني طيطس واقفًا، وعند أسفل النخلة اليهودية الاسيرة تبكي.

الأغنياء والفقراء

كانت هناك اقليّة تعيش عيشة ترف في اغلب الاحيان، فيها الملك وحاشيته، وفيها أيضًا ارستقراطية اورشليم الكهنوتية وكبار التجّار ورؤساء جُباة الضرائب والملاّكون (في الجليل خاصة).

كانت الطبقة الوسطى مؤلّفة من الحرفيين وكهنة القرى. وأمّا صغار المزارعين، وهم غالبًا مثقلون بالديون، فكانوا أقرب الى الفقراء.

وكان اعوز الناس العمّال والمُياومين والبطّالين، **وكثيرًا ما يُضطرّون الى الاستعطاء، والعبيد طبعًا.**

وكان المرضى (ويبدو ان أمراض الجلد و «البَرَص» كانت شائعة) وذوو العاهات يعيشون من الصدقة، وكانت الصدقة واجبًا دينيًّا هامًّا. ولا ننسى اللصوص وكانوا كثيرين.

الفئات الاجتماعية

سنقدّم بالتتابع المجموعات الاجتماعية والدينية والسياسية. من المستحيل في الواقع ان نميّز بينها بهذا الوضوح، فإنها تتشابك.

الى جانب الاغنياء والطبقات الوسطى والفقراء، يمكن الانفراد ببعض الفئات الخاصة.

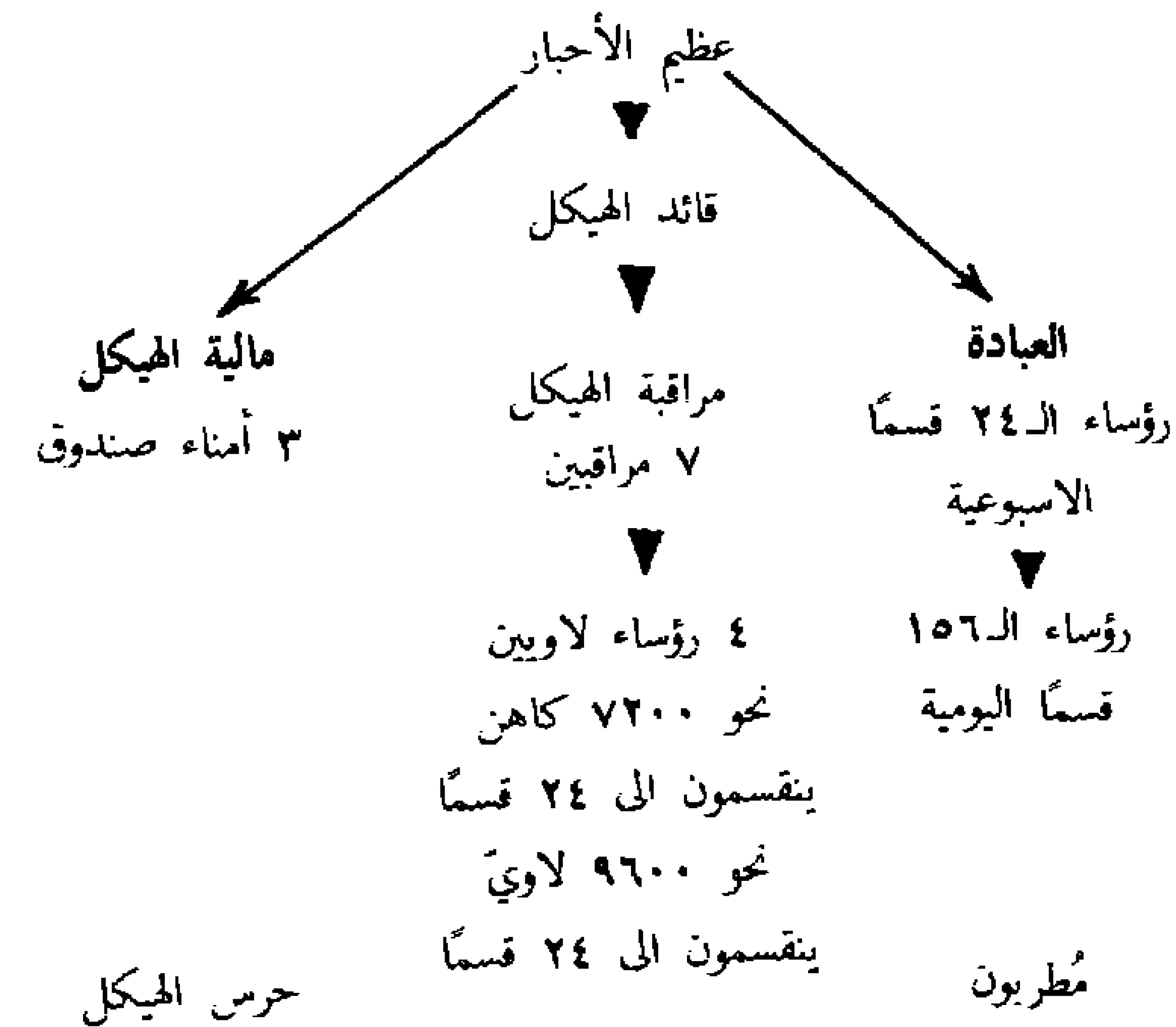
◄ إقرأ رسل ١/٤ – ١٧ و ١٧/٥ – ٤٢ ودوّن الفئات المذكورة: ماذا تمثّل؟

الكهنة

هناك فرق شاسع بين ارستقراطية اورشليم الكهنوتية وسائر الكهنة.

على رأس التسلسل نجد عظيم الكهنة. كان مسؤولاً عن الشريعة وعن الهيكل ورئيسًا للمجلس والوحيد الذي يجوز له ان يدخل قدس الأقداس مرّة في السنة. فكان رئيس الشعب. كان يُعيَّن فيما مضى لمدى الحياة. ولكن الملوك اليهود ثمّ الرومانيين أخذوا يعيّنونه ويخلعونه على هواهم. فكان عظيم الكهنة يسعى لإرضاء السلطات المدنية. ومن جهة أخرى، كانت هذه الوظيفة تدرّ مالاً طائلاً: نصيبًا من التقادم وربحًا من بيع الحيوانات... وبما أن عظماء الكهنة كانوا ينتمون الى اربع عائلات، فلا يخفى أيًّا كان نفوذهم السياسي والاقتصادي.

وكان مختلف المسؤولين عن الهيكل ينتمون أيضًا الى تلك الارستقراطية وفي اغلب الاحيان الى تلك العائلات. جميع اولئك الكهنة كانوا صدّوقيين.



وكان عدد كهنة القرى يبلغ سبعة آلاف. ولمّا كانوا قريبين جدًا من عامة الشعب، فقد كانوا يقاسمونه عيشته ومهنته وفقره. وكانوا ينقسمون الى ٢٤ قسمًا ويمارسون وظيفتهم في الهيكل بالتناوب اسبوعًا في السنة وفي أعياد الحج الثلاثة. وكانوا يقترعون على من يقدّم البخور. وبما أنه لا يجوز له ان يعيَّن ثانية لهذا العمل الشريف قبل أن يتناوب عليه الجميع، فكان هذا الأمر فرصة الحياة (لو ١/٥ – ٩). وكان بعض المثقّفين منهم كتبة. وكثير منهم فريسيين.

وأمّا اللاويون، فكانوا نوعًا من صغار الكهنة الذين فقدوا كل سلطة. كان عددهم عشرة آلاف ينقسمون هم أيضًا الى ٢٤ قسمًا ويمارسون في الهيكل، اسبوعًا في السنة، وظائف ثانوية: اعداد الذبائح وجبي العشور والموسيقى وشرطة الهيكل.

الشيوخ

كان الشيوخ نوعًا من الارستقراطية العلمانية غير الواضحة المعالم. وهنا أيضًا فرق شاسع بين رؤساء القرى والمجموعة الصغيرة للتجار او المزارعين الاغنياء، التي كان لها مقاعد في مجلس اورشليم. كانوا حريصين على سلطانهم ولذلك فكانوا مرتبطين بالمحتلّين الرومانيين وبعظماء الكهنة. ويبدو انهم كانوا من الصدّوقيين.

الكتبة أو معلّمو الشريعة

كانوا اساسًا اختصاصيي الشريعة. يُعترف لهم بهذه الصفة في اعقاب دروس طويلة، في سن الاربعين تقريبًا. وكان لهم تأثير بعيد بكونهم المفسّرين الرسميين للكتب المقدسة، في ما يتعلّق بالحياة الجارية وامام المحاكم على السواء. كان بعضهم كهنة، ولكن معظمهم علمانيون وفريسيون. كانوا ادمغة الشعب. وكثيرًا ما كانوا يشاطرونه فقره. أشهرهم في ذلك الزمان هلّيل وشمّاي (ق.م.) وجملئيل، استاذ بولس (٣٤/٥ و ٣/٢٢) ويوحانان بن زكّاي، رئيس مدرسة يبنه بعد السنة ٧٠ (راجع الصفحة ١٤٥) وعقيبة الذي قتله الرومانيون في السنة ١٣٥.

احاط الكتبة الشريعة بـ«سياج» من الاحكام. تبدو لنا هذه الاحكام نير عبودية، مع انها كانت، في الواقع، وسيلة تحرّر. اذ انها، بتعميم قواعد الطهارة، المحصورة في الاصل بالكهنة، على كل الشعب، كانت تمكّن جميع الناس من التقرب الى الله.

العشّارون

ليس هؤلاء الجباة بالوكلاء العامين، بل هم معاونوهم. مع أنهم كانوا يهودًا، فقد كانوا يجبون الضرائب لحساب المحتلّ الروماني. فلهذا السبب ولأنهم كانوا يميلون الى زيادة الضرائب لحسابهم الخاص، كانوا يُعدّون خاطئين جهرًا.

الفئات الدينية

يُطلق عادة على هذه الفئات اسم «الشيَع» وليس لهذه الكلمة ايّ معنى تحقيري. والشيَع الثلاث نشأت في ايام المكّابيين (راجع الجزء الأول، الصفحة ٨٥).

◀ إقرأ ١/٤ – ١٧ و٥/١٧ – ٤٢ و١٨/٢٤ – ٤٨ و٢٢/٢ و٢٣/٦ – ٩. ما هي الشيع البارزة؟ ما هي عقيدتها؟

الفريسيون

لهم سمعة سيّئة، وهذا أمر مؤسف وغير عادل. فالفريسيون رجال اتقياء. لقد «انفصلوا» (هذا معنى الكلمة) عن الحشمونيين المُعَدّين غير اوفياء وكانوا ينفصلون عن الخطيئة. فكانوا حريصين قبل كل شيء على قداسة الله ويواظبون على التأمّل في شريعته. وكانوا يعلمون بأنه يصعب عليهم أن يعيشوا دائمًا في حضرة الله القدوس، فكانوا يحيطون انفسهم بشبكة من المارسات، ولم يكونوا مرائين، فعندما يصرّح الفريسيّ في مثل الفريسي والعشار (لو ١٨/٩ – ١٣) بأنه يصوم مرتين في الاسبوع ويعطي الفقراء عُشرَ امواله... فذلك أنه يفعل ما يقول!

كانوا شهودًا صادقين على الايمان الصحيح. وقد أخذ عنهم يسوع تربيته وطريقته في الصلاة الى الله، فكان يشعر بأنه قريب منهم. كان خطأهم الوحيد اعتقادهم بأنهم يستطيعون ان يعتمدوا على قداستهم للتقرّب من الله وبأنهم قد ربحوا السماء باستحقاقاتهم. فاذا قاومهم يسوع تلك المقاومة العنيفة، فلأنه ربّما خاب امله عندما رآهم يُفسدون قداستهم، ولأنهم كان لهم تأثير شديد في عامة الشعب الذي كان يعجب بهم. وكان هذا التأثير يعود الى قداستهم اكثر ممّا يعود الى عددهم، فلم يكن يتجاوز الستة آلاف. وقد اتّخذ بعضهم إزاء يسوع وتلاميذه موقفًا منفتحًا جدًا (يو ٣ ولو ٧/٣٦ و١٣/٣١ ورسل ٥/٣٤ و١٥/٥ و٢٣/٩). وهم الذين سينقذون الدين اليهودي بعد السنة ٧٠.

الصدّوقيون

كانوا يؤلّفون طبقة ارستقراطية، ولا سيّمَا كهنوتية. لا نعرف شيعتهم معرفة جيّدة. يبدو أنهم كانوا لا يعترفون بشريعة غير التوراة (بمعزل عن الأنبياء)، ولا يؤمنون بالقيامة ولا بالملائكة (٢٣/٨). كانوا يمارسون سياسة انتهازية، فيتعاملون مع المحتلّ الروماني للمحافظة على سلطانهم. سيعاملون يسوع والمسيحية في نشأتها معاملة قاسية. لم يكن لهم من الحيوية الدينية ما يمكّنهم من الصمود لكارثة السنة ٧٠ فتواروا عن التاريخ.

الحسيديم

كانوا نوعًا من النسّاك يعيشون عيشة جماعية على شاطئ البحر الميت. زدنا معرفة لهم مذ ان عُثِر على مخطوطات قمران في السنة ١٩٤٧. كانوا بقيادة كاهن يسمّونه معلّم البرّ، فانفصلوا عن سائر اليهود، معتبرين ايّاهم مقصّرين جدًا في الورع. كانت حياتهم حياة صلاة وتأمّل في الكتب المقدسة وتمهيد الى مجيء ملكوت الله. دمّر الرومانيون ديرهم في السنة ٧٠.

الحركات المعمدانية

بين السنة ١٥٠ ق.م. والسنة ٣٠٠ ب.م.، قامت، في داخل فلسطين وخارجها، حركات معمدانية كثيرة. كانت هذه الحركات تتّسم بالأهمية المعلّقة على المعمودية كرتبة قبول او غفران، وبموقفهم العدائي للهيكل والذبائح. كان الناصريّون (يختلفون عن النصارى، راجع ادناه) يرفضون كل ذبيحة دمويّة. تدخل حركة يوحنا المعمدان في إطار هذا التيّار، ولكنها تخلو من كل تعصّب، فقد كانت منفتحة للجميع ولا تنبذ أيّ أمر من أمور الايمان التقليدي. يبدو ان هذه الحركة بقيت بعد موت يوحنا المعمدان، كما يشهد على الأمر الفريق الذي كان يعيش في أفسس في حوالى السنة ٥٤ (١٩/١ – ٧).

«شعب الأرض»

كان الفريسيون يطلقون هذا اللفظ التحقيري على عامة الشعب الذين يجهلون الشريعة فيعجزون عن مراعاة جميع احكامها وينجّسون انفسهم (راجع يو ٤٩/٧ ورسل ١٣/٤).

النصارى

أطلق اليهود مرّة واحدة هذا الاسم على المسيحيين (٥/٢٤). أصل هذه الكلمة موضع جدال على كل حال. تدلّ هذه التسمية على امر لا يقبل الجدل، وهو ان تلاميذ يسوع ظهروا مدّة طويلة بمظهر شيعة جديدة في داخل الدين اليهودي.

السامريون

لا يشكّلون شيعة بحصر المعنى. كانوا من أصل خليط (راجع الجزء الأول، الصفحتان ٤٥ و ٧٩) فانفصلوا عن الدين اليهودي الرسمي. يشاركون اليهود في التوراة، ولكنهم شيّدوا هيكلهم في جبل جرزيم. كانت العلاقات متوتّرة بينهم وبين اليهود (راجع لو ٩/٥٢ ويو ٤/٩ و٨/٤٨). وكانت معاملة يسوع لهم حجر عثرة لمعاصريه (يو ٤/٥ – ٤٠ ولو ١٠/١٣ و١٧/١٠ – ١٧). وكانوا أوّل من امتدّت اليهم الرسالة المسيحية (رسل ١/٨ و٨/٥ – ٢٥ و٩/٣١ و١٥/٣).

الوثنيون الملحقون بالدين اليهودي

ينقسم العالم، في نظر الدين اليهودي، الى قسمين: اليهود (المختونون) والوثنيون (او الأمم او القُلْف). ولكنّ الوثنيين يستطيعون الانضمام الى اليهود.

الدُخلاء هم الوثنيون الذين يقبلون كلّ ما في الشريعة اليهودية: الايمان وحتى الختان وسائر المارسات (١١/٢ و٥/٦ و٤٣/١٣ وراجع متى ١٥/٢٣).

وعباد الله او متّقو الله يقبلون الايمان اليهودي، لا الختان، فيبقون وثنيين (٢/١٠ و٢٢ و١٦/١٣ و٢٦ و٤٣ و٥٠ و١٤/١٦ و٤/١٧ و١٧ و٧/١٨).

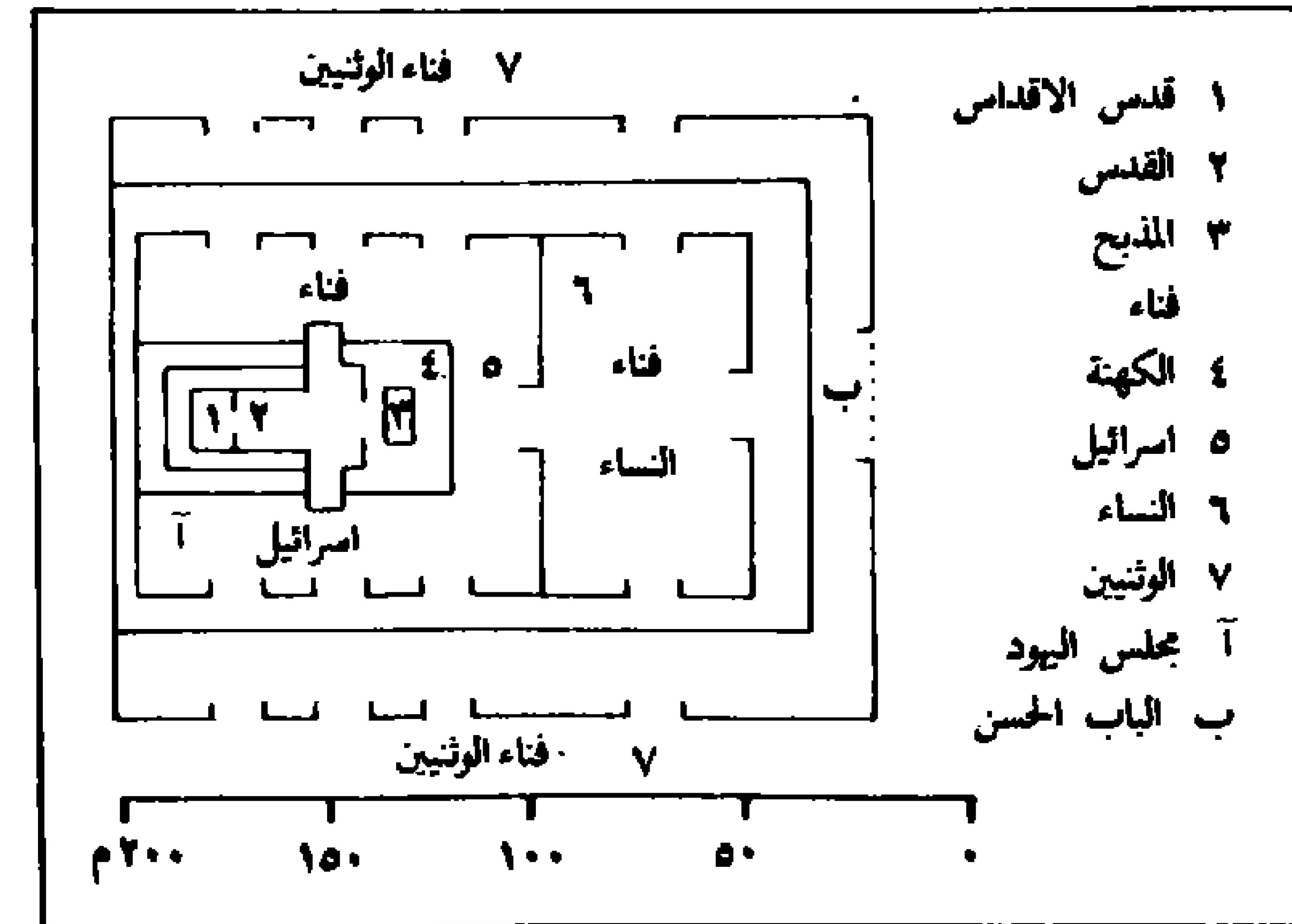
الكتل السياسية

تجاه المحتلّ الروماني، كان اليهود ينقسمون الى متعاملين ومقاومين.

وكان الأغنياء وكبار الكهنة يتعاملون معه للمحافظة على سلطانهم. منهم الهيرودسيون وكانوا، ولا شك، من انصار هيرودس انتيباس، مع اننا لا نعرفهم معرفة جيّدة. وقد أظهروا عداءهم ليسوع (متى ١٦/٢٢ ومر ٦/٣ و١٣/١٢).

وبالعكس، فقد دعت «الغيرة» على الشريعة الأشدّ تديّنًا منهم الى المقاومة، وكانت هذه المقاومة سلمية عند الفريسيين وعنيفة عند الذين سيُطلق عليهم ابتداء من السنة ٦٦ لقب «الغيورين» وعلى البعض منهم لقب «أصحاب المُدى» (لأنهم كانوا يحملون المُدى تحت ثيابهم). وهم أكبر المسؤولين عن التمّرد الذي أدّى الى كارثة السنة ٧٠. وعرف التاريخ قبلهم عدّة تمّردات حبطت وعلى رأسها أناس ادّعوا أنهم «المشيح» (٣٦/٥ و٣٨/٢١).

كان من المهمّ ان نتذكّر هذا الإطار التعصّبي لنتفهّم مختلف المواقف التي سيتّخذونها حيالَ يسوع المشيح (مثلاً لو ١٥/٦).

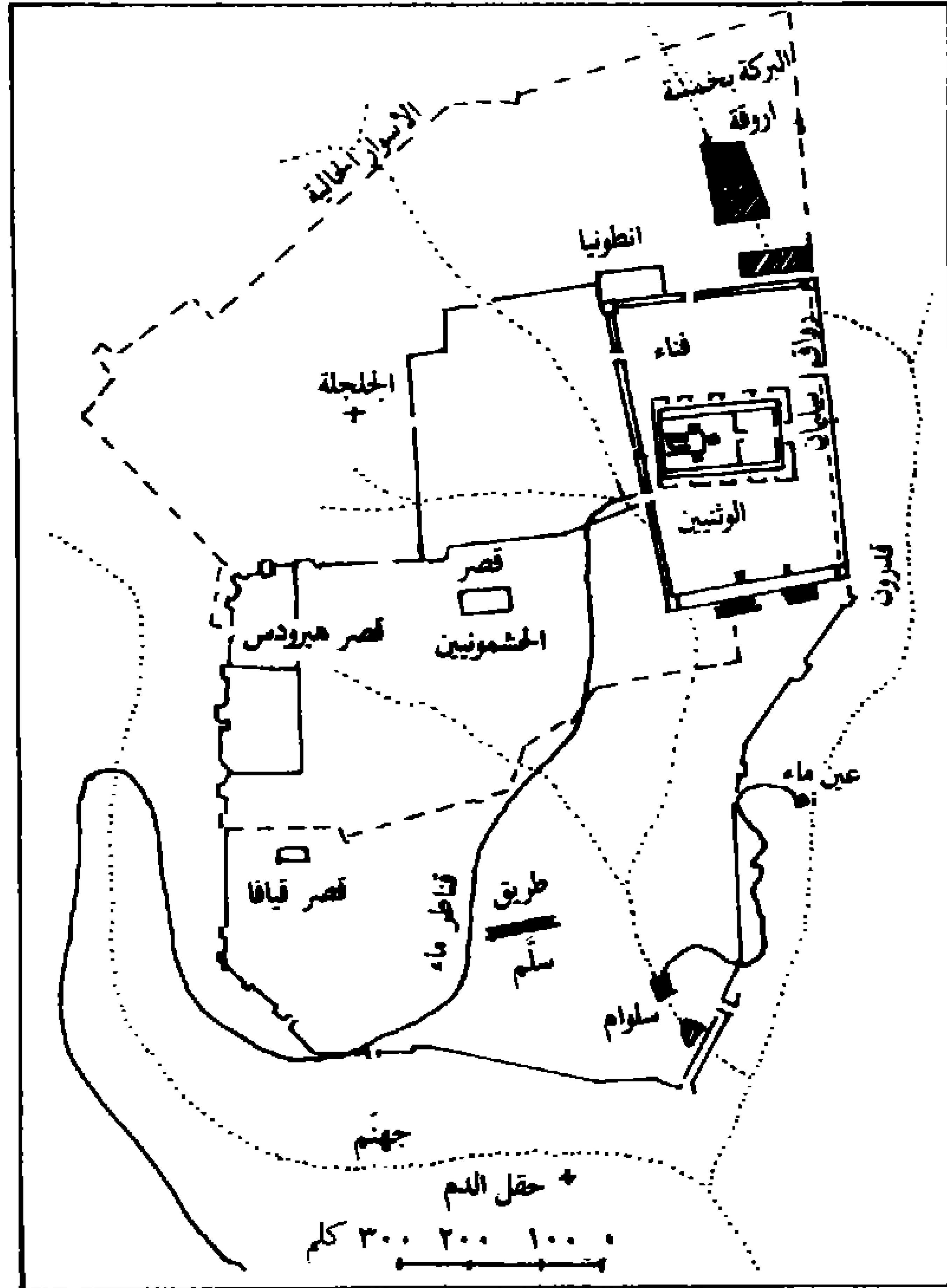


◀ إقرأ بعض النصوص: ١/٣ - ٢ و١/٦ - ١٥ و١/٩ - ٢ و١٣/١٣ - ١٥ و٤٤ - ٥٢ و١١/١٦ - ١٥.

الهيكل

كان الهيكل، بعد أن رمّمه هيرودس، ينتصب في وسط ساحة تقارب مساحتها ٣٠٠ × ٥٠٠ متر. إنه المكان المقدس الذي يحضر الله فيه والذي نُظّمت مداخله تنظيمًا دقيقًا. كان فيه قدس الأقداس، وهو عبارة عن غرفة مفصولة بستار الهيكل وكانت تحتوي فيما مضى على تابوت العهد. ولا يدخلها إلاّ عظيم الكهنة مرّة في السنة يوم الكيپور. وكان حول المذبح فناء أوّل مخصّص للكهنة، ثمّ يأتي فناء اسرائيل (للرجال) وفناء النساء المفصول عن فناء الأمم بدرابزين لا يجوز لأيّ وثني ان يجتازه تحت طائلة الموت.

على المذبح الواسع الذي يبلغ ضِلعه ٢٥ مترًا وعلوّه ٧٫٥٠ مترًا، كانوا يذبحون صباحًا ومساءً حَملاً «ذبيحةً دائمة» إلى جانب الذبائح الخاصة التي لا يُحصى عددها. وكان عدد الذبائح يرتفع في ايام الاعياد، فينهمك اللاويّون وتزدحم الجموع...



كان حمل الفصح يُذبح على المذبح قبل أن يؤكل في البيت . ولذلك ، فمنذ ان دُمِّر الهيكل في السنة ٧٠ . يتمّ الاحتفال بالفصح اليهودي من دون حَمَل .

لم يكن الهيكل مركز الدين فقط . بل كان ايضًا مركز الأمة السياسي (فيه تتمّ جلسات المجلس) والاقتصادي بكل ما كان يولّده من النشاط .

المجمع والعبادة

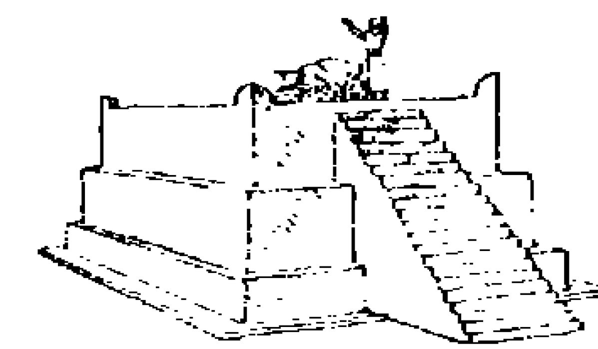
كانت كلمة «مجمع» تدلّ اولاً على تجمّع المؤمنين . فأصبحت تدلّ ، شأن كلمة «كنيسة» عند المسيحيين ، على البناية التي تجتمع فيها الجماعة . كان المجمع ذلك المكان الذي ينصهر فيه ايمان الشعب وتقواه . اكثر ممّا كانا ينصهران في الهيكل ، في ذلك المكان الذي كان بعيدًا بالنسبة الى كثير من اليهود والذي كانوا يصعدون اليه (نظريًا) في الاعياد فقط .

كانت العبادة تُمارس ثلاث مرّات في اليوم ، وتتضمّن تعليمًا . وكان عبارة عن قراءة للشريعة يوضحها نص من كتب الأنبياء وتليها العظة . كان يجوز لكل مؤمن ان يقوم بهذه القراءة (راجع لو ٤/١٦ ت) . ولكنها كانت مقصورة في الواقع على الكتبة والفريسيين . فكانوا يصوغون ايمان الجماعة بحسب مذهبهم . وكانت الصلاة ، الى جانب ترتيل المزامير . تقوم أساسًا على ثلاث بركات كبرى تحيط بقراءة «إشمَع» وهي موجز لايمان اسرائيل (انظر الى احدى هذه الصلوات وبعض التفاصيل في الصفحتين ٢٢٢ و ٢٢٣) . وكانت تُختم بالبركات الثمانية عشرة على عجائب الله نحو شعبه .

الأعياد

كانت أعياد الحج الثلاثة على جانب كبير من الاهمية ، فإنها كانت تجمع الشعب حول الهيكل فتقوّي ايمان الجماعة .

كان عيد الفصح يحتفل بالتحرّر عند الخروج من مصر (راجع الجزء الأول ، الصفحة ٢٤ ت) . كان عدد القادمين الى اورشليم في هذه المناسبة يبلغ المئتي ألف . وبعد ظهر ١٤ نيسان ، كانوا يذبحون الحِملان في الهيكل ويأكلونها في البيت بعد غروب الشمس . كان العيد يدوم ثمانية أيام . وكان الغَلَيان الشعبي شديدًا حتى ان السلطة الرومانية كانت تخشى الفِتن . فكان الوالي ، المقيم عادة في قيصرية ، يصعد هو ايضًا الى اورشليم .



اعادة وضع تصميم مذبح المحرقات في هيكل اورشليم

وبعد عيد الفصح بخمسين يومًا ، كان عيد العنصرة . كانت العنصرة قديمًا عيد الحصاد او عيد الأسابيع (خر ٢٣/١٦ و ٣٤/٢٢) فأصبحت ، في مطلع العصر المسيحي ، احتفالاً بإعطاء الشريعة في جبل سيناء وعيدًا للعهد ولتجديد العهد .

كان عيد الأكواخ أروع الأعياد . كانت كل عائلة تتذكّر الإقامة في البريّة فتنصب كوخًا من أغصان الشجر عند مداخل المدينة (في ايّامنا في شرفة المنزل او في قاعة الاستراحة) . كان لبعض الأعياد شعبية كبيرة ، كتطواف الكهنة عند بركة سِلوام ، يرافقهم الشعب حاملاً السعف (راجع يو ٧/٣٧ ت وربّما اغصان الشجر الوارد ذكرها في دخول يسوع الى اورشليم) وإضاءة الشماعد الأربعة التي تنير المدينة كلها (راجع يو ٨/١٢) .

كان يوم كيبور او يوم الغفران عيد تكفير . وكانت المرّة الوحيدة التي يدخل فيها كل سنة عظيم الكهنة الى قدس الأقداس ليقرّب دم الضحايا تكفيرًا عن الخطايا (راجع الرسالة الى العبرانيين في الصفحة ١٦٨) ،وكان رأس السنة تمهيدًا لهذا العيد . أمّا عيد التدشين فكانوا يقيمونه احتفالاً بتطهير الهيكل في السنة ١٦٤ ق.م. عن يد يهوذا المكّابي (راجع يو ١٠/٢٢) . وأخيرًا كان عيد فوريم او الأنصبة تذكارًا لخلاص الشعب عن يد استير ، فأمسى شبيهًا بعيد المساخر عند المسيحيين .

السبت

كان السبت ، ومثله الختان ، أقدس الممارسات ، فلم يكن مسموحًا فيه إلاّ بعض الاعمال النادرة والمدوّنة تدوينًا دقيقًا ، وكان الهدف من هذه الراحة المطلقة ان يستريح الانسان ويسبّح الله . ونحن نعلم أنه أمسى نيرًا لا يُحتمل (راجع مر ٢/٢٧) .

المجلس

كان مجلس أورشليم الأكبر مؤلّفًا من ٧١ عضوًا : شيوخ وعظماء الكهنة (صدّوقيون) وبعض الكتبة (فرّيسيون) ، برئاسة عظيم الكهنة. أُنشئ قبل المسيح بقرن واحد . وكان يقيم جلساته في الهيكل مرّتين في الاسبوع . وكان له سلطة سياسية ، مع شرطة خاصة ، فيسنّ القوانين ويحكم بالاعدام ، ولكنه فقد القدرة على تنفيذ الحكم في أيام المسيح . وكانت المحكمة الدينية العُليا هي التي تحدّد المذهب وتضع التقويم الطقسي وتنظّم الحياة الدينية . توارى عن الوجود كسلطة سياسية في السنة ٧٠ . وعاد الى الحياة في جَمْنيا كسلطة دينية .

كان في جميع أنحاء فلسطين مجالس صغرى مؤلّفة من ٢٣ عضوًا (راجع متى ١٠/١٧) .

جَمْنِيا او الدين اليهودي بعد السنة ٧٠

تمرّد اليهود على الرومانيين في السنة ٦٦. وفي نهاية حرب دمويّة، استولى طيطس، ابن الامبراطور وسبسيانس والذي خلفه، على اورشليم في السنة ٧٠. فدُمِّر الهيكل وقُتل ألوف من اليهود او بيعوا كعبيد. أكانت هذه آخرة الدين اليهودي؟

اجتمع قبل المأساة بعض الفريسيين، منهم يوحنا بن زكّاي، في جَمْنيا (يَبْنِه في ايامنا، جنوبيَّ تل أبيب). وقد نجحوا في تزويد دينهم بانطلاقة جديدة ورثها الدين اليهودي الحالي. وبعد أن زالت سائر التيّارات (الصدّوقيون والحسيديم) في العاصفة، أصبح الدين اليهودي فَرّيسيًا. ولكن وجب عليه ان يدافع عن نفسه على جبهتين.

في الداخل، كان لا بدّ من وضع حدّ للانقسامات بين اليهود. فوُضع تقويم طقسي واحد، ووُحِّدت عبادة المجمع، وحُدِّد خاصةً «قانون الكتب المقدسة» او لائحة الكتب التي تُعدّ قانون ايمان. ولم يُحفظ في هذا القانون إلاّ الأسفار المكتوبة بالعبرية، في حين ان يهود الاسكندرية كانوا يعترفون بأسفار أخرى كُتبت او عُرفت باليونانية (نجد هذا الفرق بين الكتب المقدسة الكاثوليكية والبروتستانتية: راجع الجزء الأول، الصفحة ٨٦).

في الخارج، كان الدين اليهودي يجابه المسيحية التي تأصّلت في فلسطين (هرب المسيحيون من اورشليم قبل السنة ٧٠ وأقاموا في بلاد شرقيَّ الأردن وفي الجليل) وفي آسية الصغرى أيضًا واليونان ومصر... وفي جَمْنيا اتُّخذت تدابير لمنع المسيحيين من الاشتراك في الصلاة اليهودية، وأُدخل في البركات الثماني عشرة طَلَب ضدّ «الهراطقة والمرتدّين والمتكبّرين»، اي ضدّ المسيحيين. وهكذا تمَّ الانفصال، وأصبحت المسيحية «شيعة يهودية منبوذة» في نظر الدين اليهودي.

المسيحيون وجَمْنيا

لا ذكر لجمنيا في العهد الجديد. ومع ذلك فإن هناك بعض التفاصيل التي لا مبرّر لها إلاّ بتأثير ذلك الدين اليهودي العائد الى الحياة. لا سيّما في انجيل متّى الذي جمع تقاليد جماعات كانت تعيش في سورية وفلسطين. اي كانت أوثق الجماعات علاقةً بفريسيّي جَمْنيا. في انجيل متى اشارة الى وجوه الاختلاف والائتلاف بينه وبينهم.

ان الاختلاف هو الأبرز. يظهر يسوع في انجيل متى قاسيًا جدًا على الفريسيين (متى ٢٣)، فهو يقارن بين الصلاة المسيحية وصلاتهم (٦/٥ – ٦). و«النير» الذي يعرضه على الناس هو خفيف بالنسبة الى المارسات التي لا تُحصى والتي يفرضونها (١١/٢٩ – ٣٠). والجموع تعترف بأن سلطته ليست كسلطة الكتبة (٧/٢٩)... فحين نقرأ انجيل متى، لا بدّ لنا ان نتساءل من الذي يتكلّم: أهو يسوع السنين ٣٠ أم يسوع القائم من بين الأموات والذي يتكلّم في السنين ٨٠ – ٩٠ ويهاجم فريسيي جَمْنيا؟

إلاّ ان متى حريص أيضًا على الاشارة الى اتّفاقه العميق مع أفضل ما في المذهب الفريسي. فالعظة على الجبل تظهر بمظهر تعليم مسيحي كبير يوازي تعليم جمنيا ويستند الى اركان الدين اليهودي الثلاثة نفسها، اي الى البرّ والاعمال الصالحة التقليدية والعبادة. هذا وان يسوع في انجيل متى فقط يستشهد بهوشع ٦/٦ (متى ٩/١٣ و١٢/٧). والحال ان هذا النص عزيز على يوحنا بن زكّاي، مؤسّس جَمْنيا. يُروى أن أحد تلاميذه كان ينوح ذات يوم أمام الهيكل المدمَّر، لأنه لم يعد ممكنًا ان تُقرَّب الذبائح تكفيرًا عن الخطايا. فأجابه يوحنا: «لا تحزن يا بُنيَّ، فلدينا تفكير يعادلها، وهو اعمال الرحمة، فقد ورد في الكتاب: «أريد المحبة، لا الذبائح».



نقش لقوس نصر طيطس في رومة. المنارة ذات الشعب الست التي كانت في هيكل اورشليم.

سنرى ، على طول مسيرتنا ، من هم المسيحيون وكيف يعيشون . في إمكاننا ان نجمع بعض العناصر التي تأتينا من قراءة اعمال الرسل .

إليك بعض النصوص : ١٣/١ – ١٥ و٤١/٢ و٤٢ – ٤٦ و١/٣ و٢٣/٤ – ٣١ و٣٢ – ٣٧ و١/٦ – ١٥ و١/٩ – ٢ و٢٧/١٤ و١/١٥ – ١٢ و٢٤/١٨ – ٢٨ و١٧/٢٠ – ٣٨ و٨/٢١ – ١٠ ...

حاوِل ان تصف حياة اولئك المسيحيين الأولين .

شيعة يهودية منبوذة

ظهر تلاميذ يسوع في أول أمرهم ومدّة طويلة بمظهر شيعة داخلَ الدين اليهودي . ولم يتّخذوا اسم «المسيحيين» إلاّ بعد القيامة ببضع سنوات ، وكان ذلك في انطاكية (٢٦/١١) . فكان بطرس ويوحنا يذهبان الى الهيكل للصلاة ، وكان بولس يعظ في المجامع ويذهب الى الهيكل للقيام بنذر (٢٦/٢١) ... كانت بينهم اختلافات في المذهب ، ولكن الممارسة كانت واحدة .

وبدأ النبذ حين أقدم المستهلنون – وهم يهود من الشتات يقيمون في اورشليم ويتكلّمون اليونانية – على إثارة الجدال حول تلك الممارسة (تكريم الهيكل خاصة والذبائح) ، وقد اتّسعت الحفرة حين قُبل الوثنيون في الكنيسة («مجمع» اورشليم) .

حياة الجماعة

كانت هذه الكنيسة ، او جماعة الذين سمعوا دعوة الله ، تجتمع باسم يسوع ، المسيح والربّ ، ويُنعشها الروح القدس .

تميِّزها ثلاثة وجوه ، بحسب القديس لوقا :

- كان التلاميذ يواظبون على تعليم الرسل . وفي هذا التعليم الذي يُلقى على المعمَّدين الجدد ، كانوا يفسّرون الكتب المقدسة في ضوء المسيح الذي قام من بين الأموات . وكانوا يتذكّرون اقوال يسوع وأعماله ليجدوا فيها قاعدة حياة . وهكذا تجمَّعت شيئًا فشيئًا مواد الأناجيل .
- كان التلاميذ يواظبون على المشاركة ، على اتّحاد القلوب المعبَّر عنه بمقاسمة الأموال . لم يكن بينهم معوزون ، فلا يقول احد منهم إنه يملك شيئًا من امواله ، بل كان كل شيء مشتركًا بينهم .
- كان التلاميذ يواظبون على كسر الخبز ، اي الافخارستيا . وعلى الصلوات . فكانوا يصلّون في الهيكل والبيوت او في غيرها من الأماكن (٥/٢١) .

الروح القدس والخدَّام

أعطى الذي قام من بين الأموات روحه للجماعة لكي ينعشها . واعطاها أيضًا خدَّامًا ليكونوا في خدمة المؤمنين ، ستنشأ هذه الخدمات ويتميّز بعضها عن بعض شيئًا فشيئًا .

لا بدّ من إفراد الاثني عشر . بصفتهم أسس الكنيسة لن يُستبدَل بهم أحد .

أقاموا في اورشليم شيوخًا (من لفظ يوناني اشتُقَّت منه كلمة كاهن) ، وهذا ما سيفعله بولس في جماعاته . وهو سيُقيم أيضًا مسؤولين او مشرفين (من لفظ يوناني اشتُقَّت منه كلمة أسقف) . وأُقيم المستهلنون للخدمة ، وسيُجعل منهم في وقت لاحق سبّاق الشمامسة (مع انهم ليسوا بشمامسة ، بل بمسؤولين عن كنائس) . وظهر أيضًا معلّمون وأنبياء ونبيّات (٩/٢١) ...

ولكن لا نظُنَّ أن كانت هناك في ذلك الزمان تلك الدرجات الكنسية التي عُرفت في القرن الثاني ، بل ما زال كل شيء في حالة التكوّن .

جماعة مرسلين

كان التلاميذ يشعرون بأنهم مسؤولون عن تبليغ جميع الناس ما اكتشفوه . قال بطرس للمجلس : «لا نستطيع السكوت على ذكر ما رأينا وسمعنا» (٢٠/٤) . قامت جماعة انطاكية ، بإيعاز من الروح القدس ، بإيفاد برنابا وبولس الى الرسالة (١/١٣ – ٣) . وأخذ ابلّس ، وقد ملأه ايمانه حميّة ، يلقي التعليم المسيحي ، قبل ان تتمّ ثقافته الدينية (٢٤/١٨ – ٢٨) .

جماعة واحدة ومتنوّعة

هذه الكنيسة الواحدة هي ايضًا كنيسة اورشليم والكنيسة التي أُنشئت في انطاكية وفي أفسس ... وتتسم كل جماعة بطابع ما تعيشه ، بأوضاعها التاريخية والاقتصادية وبماضيها . فالتي تؤلَّف من يهود أصبحوا مسيحيين لا تشعر بشعور التي نشأت في بيئة وثنية . وسنرى ، عندما ندرس الأناجيل ، كيف ان وجه يسوع المسيح يتّخذ لون حياة هذه الجماعات .

وهي تسألنا : ايُّ وجه للمسيح الذي قام من بين الأموات تُظهره جماعتنا اليوم في العالم ... ؟

٢. حَـدَث الفصـح



المسيح الشمس.
اقدم فسيفساء مسيحية معروفة
(الفاتيكان، في اواسط القرن الثالث)

سبق لنا أن باشرنا مسيرتنا في انحاء العهد القديم بالخروج من مصر. فإن هذا الحدث وما أثاره من تفكير هو أساس ايمان اسرائيل. وكذلك الآن، فقبل ان نقرأ كتب العهد الجديد، سنتوقّف على الحدث الذي هو أساس الايمان المسيحي، اعني قيامة المسيح.

لهذه المرحلة أهمية على الصعيد العقائدي وعلى الصعيد التربوي.

فهي تساعدنا على التحقّق من ان الايمان المسيحي مؤسّس على هذا الحدث، وهو سرّ غنيّ حتى ان التلاميذ استخدموا عدّة صور لمحاولة التعبير عنه.

على الصعيد التربوي، تكون لنا هذه المرحلة مدخلاً الى المراحل التالية: فإنها تحملنا، بصحبة هذا الموضوع، على الإسراع في اجتياز المراحل الكبرى لتكوين العهد الجديد. سبق ان لُخّصت هذه المراحل في اللوحة الواردة في الصفحتين ١٢٤ و ١٢٥. أما الآن فسنرى عمليًا كيف تُصاغ الروايات.

اختبار الطابع البريدي

اقترحت بعض المجلاّت على قرّائها هذا الاختبار الصغير: «خُذْ طابعًا بريديًا واكتب على قفاه ما تؤمن به». حتى لو اخترتَ طابعًا بريديًا كبيرًا وكتبتَ كتابة ناعمة... فليس هناك متّسع من المكان ويجب عليك ان تكتفي بما هو جوهري! فلو اقتُرح هذا الاقتراح على المسيحيين الأولين، ماذا كانوا كتبوا على طابعهم البريدي؟ هذا ما سنحاول ان نكتشفه. وبعبارة أخرى، سنرى ما هي البشرى، ما هو البلاغ الجوهري الذي كانوا ينادون به عندما كانوا يلقون الكلام على مستمعين جدد لِحملهم على الايمان.

سواءً أكان بلاغًا جوهريًا أم مناداة ام إعلانًا، فإن أهل الاختصاص يسمّون ذلك «كِرازة»، وهي كلمة مأخوذة عن اليونانية وواردة في نصوص الأناجيل، وتدلّ على صراخ المنادي الذي تعوّدناه في بلادنا.

سَيرنا

ستتقدّم على ثلاث مراحل:

١. التلاميذ ينادون بإيمانهم. الكرازة. سنحاول ان نعرف، انطلاقًا من بعض خطب اعمال الرسل، ما هو هذا النداء، ما هي هذه الكرازة، التي يطلقها التلاميذ لإعلان ايمانهم لغير المؤمنين.

٢. التلاميذ يحتفلون بإيمانهم. قانون الايمان. الأناشيد. سنرى، من خلال درسنا لأحد قوانين الايمان ولأحد الأناشيد التي استشهد بها بولس، ان المسيحيين كانوا في اجتماعاتهم يعلنون او ينشدون ايمانًا واحدًا.

٣. التلاميذ يروون ايمانهم. الروايات. سيمكننا عندئذ ان نتناول احدث النصوص وهي روايات الأناجيل عن تراثيات يسوع وصعوده. سنرى أنها لا تضيف شيئًا الى ما تقوله الكرازة او قوانين الايمان والأناشيد، ولكنها تعبّر عنه بصورة مختلفة، اي بصيغة تاريخية.

وقبل ان تخوض في هذا الدرس، إليك تمرينًا صغيرًا (ان شئت).

- حين تُلفظ أمامك كلمة «قيامة»، ما هي الكلمات او الصُوَر او التشابيه (مثلاً الربيع والنور...) التي تخطر لبالك؟ (حاوِل ان تجيب دون الامعان في التفكير).
- حين تفكّر في قيامة المسيح (تأمُّل أو صلاة...)، ما هي نصوص الكتاب المقدس التي تختارها عفويًا؟
- ما هو المهمّ في الحياة عندك؟

تنتقل الآن الى الدرس المقترح، من دون ان تهتمّ بأجوبتك، فإننا سنجدها مرّة اخرى في وقت لاحق.

١. التلاميذ ينادون بإيمانهم. الكرازة

حين قرأت كتاب اعمال الرسل، لا شك أنك لاحظت أننا نجد فيها خطبًا كثيرة: ثمانٍ لبطرس وتسع لبولس وسبع لأشخاص مختلفين. سنقرأ بعضًا منها لنهتدي الى الأمور الجوهرية التي كان المسيحيون يُعلنونها.

خطبة بطرس... او لوقا

هناك سؤال مطروح: ان الصوت الذي نسمعه، أهو صوت بطرس او بولس ام صوت لوقا؟ من الواضح أن لوقا، وهو كاتب اعمال الرسل، قد أعاد كتابة هذه الخطب. فليست مجرد مذكّرات سامع او ملخّصات. فقد فعل لوقا ما اعتاد المؤرخون ان يفعلوه في ذلك الزمان، اي انه ألّف «خطبًا مصغّرة»، بما فيها من استهلال وتوسيع وخاتمة.

ومن جهة أخرى، فقد أجمع اهل الاختصاص على ان لوقا لم يختلقها اختلاقًا، بل انطلق من موادّ قديمة. ولاحظوا، على سبيل المثل، ان بعض الألقاب المطلقة على يسوع (طفل وربّ...) لم تعد تُستعمل في أيام لوقا. فالكلام على المسيح «الذي أيّده الله بما أجرى عن يده من المعجزات» يدل على ان التفكير في سرّ يسوع ما زال في نشأته.

فبإمكاننا اذًا ان نستند الى هذه الخطب لنرى كيف ان المسيحيين الأولين يعلنون ايمانهم.

بعض خطب اعمال الرسل موجّه الى تلاميذ، مثلاً وداع بولس للمسؤولين عن كنيسة أفسس (رسل ٢٠/١٧ – ٣٥)، ولكن أكثرها موجّه الى يهود او الى وثنيين لِحملهم على الاهتداء الى الايمان. ففيها سنحاول ان نكتشف البلاغ الجوهري الذي اعلنه المسيحيون، اي الكرازة.

الكرازة في الخطب

◄ لنقرأ بعض الخطب الموجّهة الى اليهود. خمس خطب لبطرس: رسل ٢/١٤ – ٤١ (يوم العنصرة) و٣/١٢ – ٢٦ (بعد شفاء المُقعد) و٤/٩ – ١٢ و٥/٢٩ – ٣٢ (امام المجلس) و١٠/٣٤ – ٤٣ (أمام الضابط الروماني قرنيليوس) وخطبة واحدة لبولس: ١٣/١٦ – ٤١ (في مجمع انطاكية بسيدية). فنضيف اليها الحوار الذي قام بين قلاوبا ويسوع على طريق عمّاوس: لو ٢٤/١٩ – ٢٧.

واذا قرأت هذه الخطب، لاحظت أن فيها ثلاثة عناصر:

• انَّ الحدث يسوع... فيه تذكير بوقائع حياة يسوع. اذكرْ ما هي الوقائع المذكورة والوقائع غير المذكورة والوقائع المشدَّد عليها.

• الذي تفسّره الكتب المقدسة... لعلَّ الشواهد عن الكتب المقدسة مطبوعة في كتابك المقدس بأحرف مختلفة، فترى فورًا ما أكثرها في بعض الخطب. وهي تهدف الى تحديد وضع حياة يسوع في التدبير الالهي لاكتشاف معنى فيها. ويمكنك أن تدوّن الأسماء او الألقاب المطلقة على يسوع، وهي مأخوذة عادة من الكتب المقدسة.

• ينادينا. فان هذه الخطب ليست أبدًا مجرد عَرَضٍ لأستاذ يعلّم تلاميذه تعاليم جديدة. فالواعظ يشعر بأنه معنيّ بما يعلنه ويعي أن اعلانه يفرض على سامعيه أن يختاروا.

ان كنتَ تدرس مع فريق، فإليك طريقة بسيطة وسهلة للسير. ترسم على لوح او على ورقة أعمدة عمودية، واحدًا منها عريضًا تدوِّن فيه مختصر اكتشافاتك، وسبعة أخرى، بعدد الخطب، تدوّن فيها الآيات. يتناول كلّ من اعضاء الفريق خطبةً يقرأها بانتباه، ثم تتمّ المشاركة بين جميع الأعضاء. فيدوّن الواحد في الهامش ما وُجد (مثلاً معجزات يسوع وتعليم...) ويُشير كل واحد الى الآية التي يأتي فيها ذِكر تلك الأمور في خطبته.

تجد في الصفحة ١٥٨ تحقيق هذه اللوحة. ولكن لا تنظر اليها الآن، بل حقّقْها بنفسك لتستفيد من هذا العمل.

وبعد إنجاز هذا العمل، فكِّر في هذه اللوحة: ما هي عناصر حياة يسوع التي تجدها في جميع الخطب؟ والتي لا تجدها إلاّ في بعضها؟ والتي لا تجدها أبدًا؟ حاول ان تلخّص الكرازة، ان تلخّص صرخة الايمان التي أطلقها المسيحيون الاولون. قارِن بينها وبين ما كتبتَه على طابعك البريدي...

صور للتعبير عن حدث الفصح

يبيّن درس خطب أعمال الرسل، وان كان سريعًا، أن حدث الفصح هو في صميم الايمان المسيحي.

ولكن كيف عبّر التلاميذ عن هذا الحدث. هذا السرّ؟ لقد اعتدنا نحن ان نعبّر عنه بكلمة «القيامة» فقط. فهل كان ذلك شأنهم أيضًا؟ ما هي الصور الإضافية التي كانوا يستعملونها لإشعار مختلف وجوهه؟ سنرى هذا انطلاقًا من بعض الملخّصات.

◄ أعد قراءة بعض الآيات في خطب اعمال الرسل: ٢/٢٣ - ٢٤ و٣٢ - ٣٣ و١٣/٣ و١٥ و٥/٣٠ - ٣١ و١٠/٤٠.

إليك بعض الملخّصات المأخوذة من كتب مقدسة أخرى:

«فإذا شهدت بفمك أن يسوع ربّ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات، نلتَ الخلاص» (روم ٩/١٤).

«قد مات المسيح وعاد الى الحياة» (روم ٩/١٤).

«رفعه الله ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الأسماء» (فل ٩/٢).

«المسيح بِكر من قام من بين الأموات» (قول ١٨/١).

«أُميت المسيح موت الجسد، ولكنه أُحيي حياة الروح» (١ بط ١٨/٣).

«لماذا تبحث عن الحيّ بين الأموات» (لو ٥/٢٤)؟

«كان بين بولس واليهود مجادلة في امرئ اسمه يسوع قد مات. وبولس يزعم أنه حيّ» (رسل ١٩/٢٥).

• ما هي الصور المستعملة؟ ان كلمة «قيامة» تُترجم في الواقع كلمتين يونانيتين: إمّا «انبثق ثانية»، وإمّا «أُوقِظ» (من رقاد الموت). هاتان صورتان، وهناك صُوَر أخرى.

• يمكن جمع هذه الصور المختلفة بحسب محورين كبيرين: بعضها يعبّر خاصة عن استعادة الحياة المفقودة بالموت، وفيها «البَعْد» كـ«القَبْل». وبعضها يشير الى أن هناك «زيادة»، وأن «البَعْد» ليس كـ«القَبْل». حاول ان تجمعها.

• يذكّرك بعض هذه الصور بنصوص او استعارات وردت في العهد القديم: ما هي؟ كيف ينوّرك ذلك؟

• قُل من هم الممثّلون الذين يلعبون دورًا؟

• وفي الختام يمكنك ان تعود الى الصور التي خطَرت لك عفوًا (راجع الصفحة ١٤٧). هل تجد فيها هذين المِحورَين الكبيرين؟ أو احدهما خاصة؟ وأيًّا هو في هذه الحال؟

صورتان

شعر المسيحيون بأن صورة واحدة لا تكفي للتعبير عن سرّ الفصح. فاستعملوا بضع صور يمكننا، إن بسّطنا الأمور، ان نجمعها الى صِنفين كبيرين:

قبل/بعد أو العودة الى الحياة

ان الذي يموت يقع في «الحُفرة» (مثوى الأموات) او في «الرقاد». والقيامة هي الانبثاق منها ثانية او الاستيقاظ. وفي هذه الحال، تُستعاد بعد الموت الحياة التي كانت قبل. كتب يوحنا أن لعازر قام من الموت.

حسنات هذا الصنف من الصُور واضحة: فإنه يحدّد الوضع في التاريخ ويشير بوضوح الى الاستمرار: فالحالة بعد الموت كالحالة قبله، والذين عرفوه قبل موته يمكنهم ان يعرفوه بعده.

ولكنّ لهذا الصنف سيّئات، وهي أنه لا يذكر شيئًا عن ماهية تلك الحياة المُستعادة: يُقال ان لعازر قام من الموت (وعاد فمات ثانية) كما يُقال إن يسوع قام من بين الأموات.

تحت/فوق او الدخول في المجد

بما أن الانسان يفكّر عفويًا بأن الله هو فوق، في السماء، فإنه يُقال ان الذي مات أُدخل الى مقربة من الله، وإنه رُفع ومُجِّد وصَعد الى السماء. لا شك أن هذه الصورة اغتنت بالتفكير في ابن الانسان، رمز الذين يثبتون في أمانة الله حتى الاستشهاد، في ابن الانسان الذي ذكر دانيال أنه أُدخل على الغمام الى حضرة الله (دا ٧. راجع الجزء الاول، الصفحة ٩١).

حسنات هذه الصورة هي القول بوضوح إننا لسنا أمام مجرد عودة الى الحياة السابقة، بل ان هناك «زيادة». يمكن التصريح بأن لعازر قام من الموت، لا بأنه رُفع او مُجِّد.

سيّئاتها، في حال استعمالها وحدها، أنها قد تدعو الى الاعتقاد بأن شيئًا ما من الانسان (روحه، نفسه) يذهب الى السماء، لا بأن الانسان كلّه، بما فيه جسده، يُمجَّد.

القائم من بين الأموات قد رُفع

شعر التلاميذ بالحاجة الى استعمال هذين الصنفين من الصور: قام يسوع وهو هو كما كان سابقًا وكما هو حيّ الآن، مع العلم بأن أصدقاءه قد عرفوه. ومن جهة أخرى، فإنه رُفع ومُجِّد وصعد الى السماء: فلم يستعد مجرد الحياة السابقة، بل أُدخل الى حياة جديدة، الى حياة الله نفسها.

٢. التلاميذ يحتفلون بإيمانهم. قانون الايمان. الأناشيد

كل مجموعة ترغب في التعريف عن نفسها بإعلانها، في عبارات وجيزة، جوهر ما تؤمن به. التلاميذ ينادون بإيمانهم.

ولكن كل مجموعة تحتاج أيضًا، عندما تجتمع، الى مخاطبة نفسها بما هو أساسها: برنامج الأحزاب السياسية، دستور الجمعيات... وكذلك كان التلاميذ في اجتماعاتهم يحتفلون بايمانهم. فيعبّرون عنه في قانون ايمانهم ويتغنّون به في الأناشيد او يتأمّلون فيه في التعليم.

قانون ايمان: ١ قور ١ - ١١

وصلنا من حسن الحظ احد قوانين الايمان القديمة هذه، يستشهد به بولس في رسالته الاولى الى اهل قورنتس.

إبدأ بقراءة هذا النص.

إليك بعض الملاحظات على هذه الفقرة. هناك تغيّر في الانشاء، فإننا نجد، في سياق الرواية، بعض الجُمل الوجيزة (ويقول اهل الاختصاص بأنها ليست من انشاء بولس الذي اعتدناه). هذا وان بولس يقول صراحة إنه لا يتكلّم من عند نفسه، بل يستشهد. يقول ذلك مستعملاً الألفاظ التي كانت تستعمَل عند الربانيين في ذلك الزمان: التلميذ يتلقّى من معلّميه، ثم يبلّغ بدوره الى تلاميذه.

كاتب بولس اهل قورنتس في حوالى عيد الفصح من السنة ٥٧. فيذكّرهم بما بشّرهم به في السنة ٥١ حين أنشأ جماعتهم. فقانون الايمان هذا كان مصوغًا بعد حدث الفصح بعشرين سنة.

يصرّح بولس بأنه هو نفسه قد تلقّاه. متى؟ ربّما على لسان حَنّنيا عند اعتماده في دمشق في حوالى السنة ٣٦ (راجع رسل ٩/١٠ ت)؟

في اللغة اليونانية تدلّ صيغة الأفعال خاصة على وجوه الأفعال: فالحاضر يدلّ على ما يدوم، والماضي البسيط يدل على ما جرى مرة واحدة في وقت محدّد. والماضي المركّب يدل على نتيجة حاضرة لفعلٍ جرى في الماضي: جرى حدث مرة واحدة، لكنّ عمله لا يزال حتى الآن. والحال أننا نلاحظ ان جميع افعال قانون الايمان هذا هي في صيغة الماضي البسيط، ما عدا واحدًا «قامَ من بين الأموات» وهو في صيغة الماضي المركّب: هناك حدَث جرى مرّة واحدة في التاريخ، ولكن نتيجته تدوم الى الآن، فالمسيح لا يزال حيًّا.

◄ أعد قراءة قانون الايمان هذا بانتباه.

- دوِن الأحداثَ التي جرَت مرّة واحدة.
- حاول ان تميِّز بين الأحداث التي تعود الى التاريخ (ما ايّ انسان كان يمكنه ان يلاحظ ذلك) والأحداث التي لا تُرى إلاّ بعين الايمان. هل العبارة «في اليوم الثالث» ملاحظة تاريخية أم تأكيد صادر عن الايمان؟
- ما هي الصورة المستعملة للتعبير عن سرّ الفصح (راجع الصفحة ١٤٩)؟
- قارن بين قانون الايمان هذا وقانون الايمان الحالي؟ ما هي الفوارق التي تجدها؟

اليوم الثالث كما جاء في الكتب

يُجمع أهلُ الاختصاص على أن نقطة انطلاق هذه العبارة هي في هوشع ١/٦ - ٢. اهتزّ بنو اسرائيل لوعظ النبيّ هوشع. فارتجلوا رتبة تكفيرية. إقرأ هذا النص. العبارة «بعد يومَين وفي اليوم الثالث» تدلّ هنا على زَمنٍ قريب.

لكنّ هذه العبارات قد اتّخذت، في ايام المسيح، معنًى لاهوتيًا. إليك كيف يفسّر الترجوم (راجع الجزء الاول، الصفحة ٨١) آية هوشع هذه:

«سيُعيدنا الى الحياة في يوم التعزيات الآتية، وفي اليوم الذي يعيد الأموات الى الحياة. سيُقيمنا فنحيا أمامه».

وهناك تفسير لربّانيين في تك ٤/٢٢ يقول:

«اليوم الثالث، اي اليوم الذي تُردّ الحياة الى الأموات، كما ورد في هوشع: في اليوم الثالث يُقيمنا فنحيا أمامه».

فحين كانوا في أيام المسيح يتكلّمون على «اليوم الثالث كما جاء في الكتب»، لم يكونوا يقصدون بذلك ملاحظة زمنية (غداةَ اليوم الثاني)، بل ملاحظة لاهوتية: فهذا يدلّ على ما نسميه «يوم القيامة العامّة» في نهاية العالم.

فحين كان التلاميذ يتكلّمون على «اليوم الثالث كما جاء في الكتب»، لم يكونوا يقصدون بذلك تاريخًا معيَّنًا (لا نعرف متى جرى الحدث، فالنصوص تصرّح فقط بأن النساء لاحظن، يوم الأحد صباحًا، أن القبر فارغ)، بل كانوا يُعلنون إيمانهم، اي أن يوم القيامة العامّة (اليوم الثالث) قد أتى مع قيامة يسوع، وأن قيامتنا نحن هي وراءنا، فقد تمّت في يسوع.

نشيد: فل ٦/٢ – ١١

نجد في الرسائل او الأناجيل او الرؤيا أناشيد ألّفتها الجماعات الأولى. ويذكّر بولس أهل فيلبّي بواحد منها ليدعوهم الى ممارسة التواضع على مثال المسيح.

إقرأ هذا النص في كتابك المقدس.

◀ كيف يُعبَّر فيه عن حدث الفصح؟ هل يستعملون صورة القيامة؟ أي صنف من الصُوَر يستعملون؟ (ان الاسم المطلق على يسوع هو اسم «الربّ»). فيمكن التعبير اذًا عن هذا السرّ بلغة غير لغة القيامة.

• من هم الممثّلون وما هي أدوارهم؟

• ليس هناك ذِكرٌ صريح للتفسير بواسطة الكتب المقدسة، مع ان هذا التفسير حاضر في هذا النشيد. فالنشيد مبنيّ على التعارض: لم يفعل يسوع ما فعله آدم عندما أراد ان يسلب مساواته لله (راجع تك ٥/٣)، بل صار بالعكس كالعبد الوارد ذكره في أشعيا (راجع الجزء الأول، الصفحة ٦٧): قارِن بين الآية ٧ (تجرّد من ذاته) واش ١٢/٥٣، وبين الآية ٩ (رفعه الله) واش ١٣/٥٢. كيف يمكّننا هذان النصّان من تحديد وضع مصير يسوع في التدبير الإلهي؟ كيف يرتبط مصيرنا، بفضل هذين النصّين، بمصير المسيح؟

تأمّل في مزمور: اف ٧/٤ – ١٠

يريد بولس أن يبيّن ان الله يعطي كنيسته ما تحتاج اليه للقيام برسالتها التي تهدف الى بنيان جسد المسيح، وهو يهب للمؤمنين مختلف الخدّام: الرُسُل والأنبياء والانجيليون... وملقّنو التعليم المسيحي وموجّهو الجماعات... يستند بولس لذلك الى المزمور ١٩/٦٨، كما كانوا يفسّرونه في تلك الأيّام (بحسب الترجوم). لنقارنْ أولاً هذه الآية في

النص العبري	الترجوم
صعدتَ الى العلى	صعدتَ الى السماء
	يا موسى النبيّ
وسبيتَ السَّبْي	وسُقتَ السَّبْي مَسبِيًّا
(= سبيت أناسًا).	اي تعلّمت اقوال الشريعة
ونلت أناسًا جزيةً	واعطيتها لبني البشر.
بل متمرّدين	بل على المتمرّدين
	ان تابوا
ليكون لك سُكنى	يحلّ الحضور المقدس
ايها الرب الإله	حضور الرب الإله.

فبحسب الترجوم، ليس الله هو الذي يصعد الى السماء ليقيم في سكناه، بل ان موسى هو الذي يصعد الى جبل سيناء ويتلقّى الشريعة ليعطيها للبشر.

يتأمّل بولس في هذا المزمور، فيرى فيه، لا موسى، بل يسوع، موسى الجديد، الذي صعد الى السماء، بعد ان نزل الى الأرض والى مثوى الأموات. فسرّ الفصح كله مَعروض هكذا في صورة النزول والتمجيد هذه.

(سنرى ان لوقا يستعمل هذا المزمور نفسه لتفسير العنصرة – راجع الصفحة ١٩٨).

تراءى

في قانون الايمان الوارد ذكره في ١ قور ١٥ يُستعمل فعل «تراءى» عدّة مرات. وقد اعتدنا الكلام على «تراثيات» يسوع الذي قام من بين الأموات. لعلّ في هذه الكلمة بعضَ الالتباس. فقد تشير الى وجود شَبَح او توحي على عكس ذلك، بنوع من الحضور الذي يمكن التقاطه بآلة تصوير.

وصيغة الفعل اليوناني المستعملة هنا تعني بالأحرى «أرى نَفسه». فالتشديد هو اذًا على ان يسوع هو صاحب مبادرة الكشف عن نفسه لمن شاء ومتى شاء. وقد بيَّن ذلك الفيلسوف اليهودي فيلون، وهو معاصر لبولس، عندما تكلّم على رؤية ابراهيم لله. فقد كتب: «ليس ابراهيم هو الذي رأى الله، بل ان الله هو الذي أرى نفسه لابراهيم».

ان استعمال هذه الصيغة اليونانية في الكتاب المقدس استعمالٌ ذو معنى. فهي مستعملة في العهد القديم في الكلام على تجلّيات الله (مثلاً: تك ٧/١٢ و١/١٧ وقض ٢١/١٣...) حيث التشديد على المهمّة الموكولة اكثر مِمَّا هو على ما قد أمكن «رؤيته». وهذه طريقة للتعبير عن أن اللامنظور يُشعِر بنفسه.

أمّا في العهد الجديد، فان متى ومرقس ولوقا يستعملون هذه الصيغة في رواية التجلّي: أرى موسى وايليا نفسيهما (ربما باطنيًّا) للتلاميذ. وكثيرًا ما يستعملها لوقا: أرى ملاك نفسه للرعاة (١١/١) او ليسوع المنازع (٤٣/٢٢)، وظهرت ألسنة نار يوم العنصرة (رسل ٣/٢). وتراءى يسوع لبولس في الطريق (لم يَرَ مرافقوه شيئًا! ١٧/٩) او في الحلم (٩/١٦) الخ. وهناك نشيد قديم يتكلّم على يسوع الذي يُري نفسه للملائكة (١ طيم ١٦/٣)...

كل ذلك يدعونا الى التروّي: فالتلاميذ لا يدّعون، باستعمال هذه الكلمة، أن يسوع يتجلّى بصورة منظورة يمكن التقاطها بآلة تصوير، بل انهم يشدّدون على مبادرة يسوع ويتركون الباب مفتوحًا أمام إمكانية ان تكون هذه التراثيات اختبارات باطنية أولاً.

٣. التلاميذ يروون ايمانهم. الروايات

سمعنا التلاميذ ينادون بايمانهم الى غير المؤمنين (الكرازة) ويحتفلون به في جماعاتهم (قانون ايمان وأناشيد). ويبقى مركز هذا الايمان أن الله أقام يسوع الذي صُلب ومجّده وجعله ربًّا.

وهم يعبّرون أيضًا عن هذا الايمان نفسه بفن أدبي آخر، اي الروايات. وهذه المرة لا يُثبتون بعبارات وجيزة، بل يروون ويُرون. وهذا الفن الأدبي يوافق حاجات جماعة تمَّ إنشاؤها وترغب في مزيد من الاطّلاع على معنى الحدث ولها اختبار طقسي. سنعود الى ذلك. ولكن لا بدّ من التأكيد، في بدء هذه القراءة، على ان الروايات لا تضيف الى الحدث نفسه ما لا تقوله عبارات الكرازة الوجيزة. لكنّها تقوله بصورة مختلفة وتتوسّع في معناه.

نقلت إلينا الأناجيل مثل هذه الروايات. ويمكننا ان نقسّم الروايات الى ثلاث فئات، يلبّي كلّ منها حاجة من حاجات الجماعة:

- الجماعة تحتفل بايمانها في مكان الحدث: روايات في القبر الفارغ (متى ومرقس ولوقا ويوحنا).
- الجماعة تبيّن أن الاختبار الذي اختبره الرسل للقائم من بين الأموات قد أقامهم شهودًا رسميين: روايات التراأي للأحد عشر (متى ولوقا ويوحنا).
- الجماعة تستند الى الاختبار الذي اختبره المؤمنون في الليترجية او في داخل الكنيسة: تراأيات لتلاميذ عمّاوس (لوقا) او لمريم المجدلية (يوحنا).

سنتناول بسرعة فئات الروايات الثلاث هذه.

آ) روايات احتفال اثناء الحج. القبر الفارغ

حين يذهب حُجَّاج مؤمنون الى الأراضي المقدسة، يُحبّون أن يحتفلوا في بعض الأماكن بالأحداث التي جرت فيها: ففي القبر المقدس مثلاً، يتذكّرون الحدث ويتأمّلون ويصلّون...

لقد افترض أهل الاختصاص افتراضًا يستند الى درس النصوص، وهو أن روايات القبر الفارغ قد نشأت على الوجه التالي: فان المسيحيين الأولين كانوا يحجّون الى قبر يسوع، الى قبر فارغ، ويحتفلون فيه بإيمانهم.

من هنا نشأت رواية أولى أعاد كل من الانجيليين النظر فيها على طريقته للتعبير عن فكره اللاهوتي.

سنكتفي بقراءة رواية مرقس.

◄ القبر المفتوح. مرقس ١٦/١ – ٨

إقرأ هذا النص. إكتشف المعلومات الزمنية والمكانية والممثلين والأعمال (راجع «علبة أدوات العمل» في الجزء الأول، الصفحة ١٤). حاول ان تدوّن هذه النقاط المختلفة في عمودَين، واضعًا الملاحظات التي تتناقض، الواحدة تجاه الأخرى.

ما هو التحوّل الذي تمَّ من بدء الرواية الى آخرها؟

توحي المعلومات الزمنية بالانتقال من الظلام الى النور (الصباح والشمس والنور)، ومن القديم الى الجديد، ومن زمن اليهود المقدس والديني (مع العلم بأن السبت – لا يوم السبت – قد مضى) الى الزمن الكوني والدنيوي (اليوم الأول من الاسبوع).

في الأماكن تناقض بين القبر المُغلق الذي يحفظ أمواته والقبر المنفتح على الحياة. وفيها ايضًا تناقض بين اورشليم (هنا) وهي، عند مرقس، رمز الذين ينغلقون على افكارهم ويقتلون الذين عندهم أفكار غير افكارهم، وجليل الأمم، وهي أرض الانفتاح على العالم.

أحد الممثلين غائب، وهو يسوع. أمَّا الشابّ فهو يوحي بالوجه الجديد الذي يحضر عليه يسوع: عليه حلّة بيضاء (نقيض سواد القبر)، جالس عن اليمين، مثل المسيح الممجَّد. وهو الذي يحوّل بَحث النساء. أتت النساء الى القبر لِمسح جسد يسوع، اي للمحافظة عليه في الموت، لكنه لم يعد هنا. جاءت تلمس جثّة، فتلقَّت بلاغًا. «سترى» هي والرسل يسوع القائم من بين الأموات حين يُبشرون به حتى في الجليل، اي حتى آخِر العالم والتاريخ (راجع الصفحة ١٧٦).

ب) روايات تراءٍ لإقامة شهود رسميين

يختم متى ولوقا ويوحنا أناجيلهم برواية تراءٍ او عدة ترائيات للمسيح. سننظر، في هذه الفقرة، الى ترائيات المسيح للأحد عشر، تاركين للفقرة التالية ترائياته لبعض التلاميذ، فإن هذه الترائيات هي من نوع آخر.

لا شك ان انجيل مرقس كان ينتهي بهرب النساء الى خارج القبر، فالآيات ١٦/٩ - ٢٠ قد أُضيفت في وقت لاحق وهي مجرّد ملخّص مأخوذ من متى ولوقا (راجع حاشية كتابك المقدس على هذه الآيات).

المراد من روايات التراأي للأحد عشر أن تبيّن أنّ يسوع هو الذي أقامهم شهودًا له. لن نقرأ جميع الروايات ولن ندرسها درسًا عميقًا (سنعود فنرى بعضًا منها في وقت لاحق). فالمطلوب هنا ان نتحقّق من ان هذه الروايات تتناول بدورها وباستعمال الصور ذلك التأكيد الذي أُعلن في الكرازة (راجع في الصفحة ١٣٣ «تروية الأفكار»).

◄ المسيح يُمجَّد ويُعبَد. متى ١٦/٢٨ - ٢٠

إبدأ بقراءة هذا النص. تذكّر صِنفَي الصور المستعملة في عَرضِ حدث الفصح: ما هو الصنف المستعمل هنا؟

لِنقرأ هذا النص مرَّة ثانية. ذهب الاحد عشر، كما في تطواف، الى الجبل الذي اعطاهم فيه يسوع، موسى الجديد، شريعته الجديدة (متى ٥/١). وسجدوا (هذه الكلمة تُستعمل حتى اليوم في الليترجية البيزنطية للدلالة على العبادة). نُفاجأ بعبارة «فأتى إليهم يسوع»، اذ ان التلاميذ ساجدون عند قدميه! لكن لقب «الآتي» يُطلق احيانًا على الله في الكتاب المقدس. ثمّ ان يسوع يستشهد بجملة دانيال (دا ٧) (راجع الجزء الاول، في الصفحة ٩١)، وبذلك يَظهر كابن الانسان آتيًا الى الله على غمام السماء. فقد تمَّ اذًا رَفعه وتمجيده، ولذلك فقد أصبح في إمكانه ان يوفد تلاميذه الى الرسالة في العالم.

يتناول هذا النص بدوره، لكن بشكل رواية، احدى الطرق التي كان المسيحيون يستعملونها في الكرازة لِيُشعِروا الناس بحدث الفصح: الرسم البياني تحت/فوق او الرَّفع. والعنصر الوحيد الذي ينتمي الى الرسم البياني الآخر (القيامة) هو ذكر الشكّ (الآية ١٧). ولكن هذا الذكر في غير محلّه ولعلّه أُضيف في وقت لاحق.

◄ يسوع يتراءى للرسل ويبدّد شكوكهم: لو ٢٤/٣٦ - ٥٣

إقرأ الآيات ٣٦ - ٤٣: على ايّ رسم بياني بُنيت هذه الرواية؟ ثم اقرأ الآيات ٥٠ - ٥٣: على ايّ رسم بياني بُنيت هذه الرواية؟

من الواضح ان لوقا يستعمل صورة «القيامة». ويسوع هو الذي يبادر ويري نفسه. وأمّا الشكّ فالمراد به أننا لسنا أمام وهم جماعي. يُظهر يسوع أنه الآن كما كان فيما قبل: له جسم ويستطيع ان يأكل. يمكن تطبيق كل ذلك على وضع العازر بعد ان أقامه يسوع من بين الأموات (ما عدا ان يسوع حاضر في وسطهم دون ان يدخل).

ثم ان لوقا يتوسّع في موضوع عزيز عليه. وهو أننا لا نستطيع ان نعرف يسوع حق المعرفة إلاّ بتفسيره بواسطة الكتب المقدسة. ولكننا لا نستطيع ان نفهم الكتب المقدسة إلاّ إن قرأها لنا القائم من بين الأموات نفسه (الآيات ٤٤ - ٤٩).

وأخيرًا يروي لنا لوقا صعود المسيح (مساء الفصح!). هذه طريقة للتعبير، بواسطة رواية، عن رفع يسوع وتمجيده. سنرى، عندما ندرس انجيل لوقا وأعمال الرسل، أن للوقا رواية أخرى عن الصعود. وهو يضعه بعد الفصح بـ ٤٠ يومًا على الأقل. فللكاتب الواحد روايتان لحدثٍ واحد يضعه في أوقات مختلفة: في ذلك إشارة الى أنه لا يبتغي التسلسل الزمني والتاريخ، بل التفكير اللاهوتي.

وَجْها قطعة نقود

لقطعة النقود وَجهان. ولكن يستحيل النظر اليهما في آن واحد. ما لم تُنشر الى قطعتين! ومن المستحيل كذلك ان ننظر في آن واحد الى جانبَيْ وجه انسان: يبعثر بيكاسو، الرسّام المشهور، وجه الانسان، في بعض لوحاته، لتُرى جميع جوانبه في آن واحد.

هذا ما فعله لوقا الى حدّ ما. كان يعلم بأن هناك طريقتين للتعبير عن الفصح: التصريح بأنه «قام» او بأنه «رُفع». وهما وجهان غير منفصلين لسرّ واحد. وبما أن الوجهين كانا جوهريَين في نظره، فقد اختار ان يضعهما جنبًا الى جَنب: فيسوع قد «قام» وقد «صعد الى السماء». لعلّنا أسرعنا في الاعتقاد بأننا أمام حدثَين يتعاقبان في الزمن (كما لو اعتقدنا ان هناك قطعتَي نقود)، بينما نحن أمام وجهَين لسرّ واحد.

ان روايتي ترائي يسوع لمريم المجدلية في انجيل يوحنا ولتلميذَي عمّاوس في انجيل لوقا هما من نوع خاص. فليس المراد بهما الدلالة على ان يسوع قام او رُفع او أقام شهودًا رسميين، بل المراد بهما إشراكنا في فرح تلاميذ وجدوا ربّهم وجدّدوا معه روابط محبّة، وإعلامنا بأننا نستطيع اليوم ان نختبر الاختبار نفسه.

سنكتفي بقراءة رواية عمّاوس (لو ١٣/٢٤ – ٣٥) وبالمقارنة بينها وبين رواية اخرى للوقا، وهي رواية اعتماد موظّف حَبَشي (رسل ٢٦/٨ – ٤٠). وتسهيلاً للمقارنة، ستجد في الصفحة التالية ترجمة لهذين النصّين.

◄ وان كان لديك متّسع من الوقت، فابدأ بدرسها مستعينًا بـ«علبة أدوات العمل». فسترى ان الأسئلة التي تحت عنوان «النصّ نفسه» تؤدّي عملها و«تفكّ» لك هذين النصّين.

يحاول لوقا الإجابة عن هذا السؤال: كيف نهتدي اليوم الى الرب يسوع؟ وهو يبيّن ما هو دور ثلاثة عناصر جوهرية: معرفة حياة يسوع الأرضية – الكتب المقدسة – الأسرار. إقرأ النصّين مكتشفًا هذه العناصر الثلاثة ودورها.

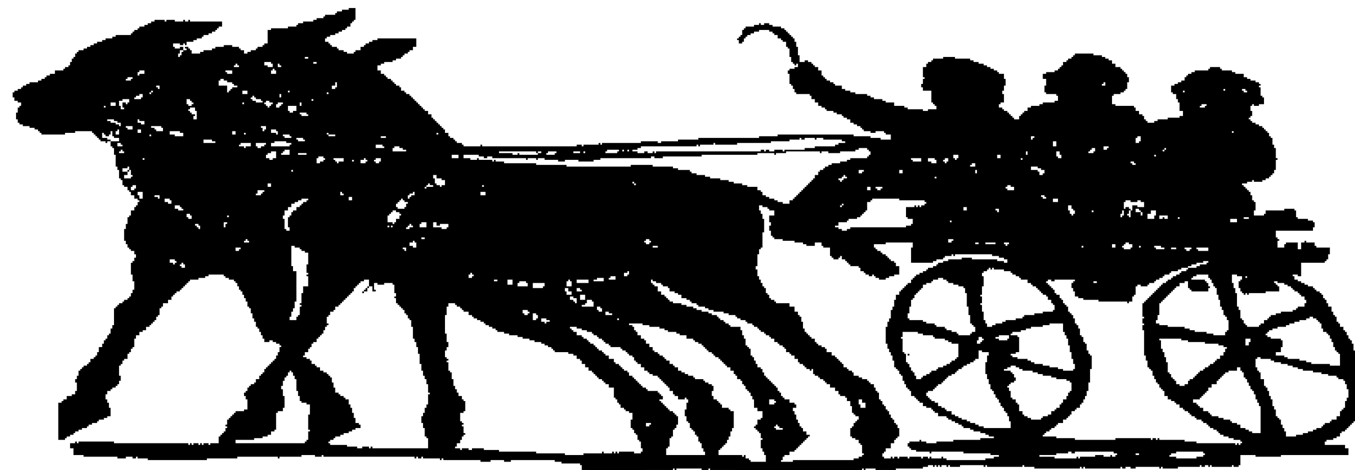
ان قلاوبا ورفيقه مطّلعان على حياة يسوع، وهما يتحادثان بها ويبحثان، وليس حديثهما أقلّ كمالاً ودقّة من خطب بطرس. ولكن الفرق بين بطرس وبينهما أن الأمر لم يعد له معنى في نظرهما. ولكي يكون لحياة يسوع ايّ معنى، فلا بدّ أن تفسَّر في ضوء الكتب المقدسة (ما نسمّيه العهد القديم)، ولكنّ القائم من بين الأموات هو الوحيد الذي يستطيع ان يقوم بذلك التفسير. فيمكن عندئذ معرفة القائم من بين الأموات عَبرَ الأسرار. وإذا توارى يسوع في اللحظة التي عرفاه فيها، ففي ذلك تنبيه الى اننا سنجد المسيح الحيّ بعد اليوم في سرّ الافخارستيا.

أمّا الموظّف الحبشي فهو في وضع مختلف. بعد أن اهتدى الى الدين اليهودي (دخيل)، اطلّع على الكتب المقدسة، ولكنه لم يجد فيها معنى. فلا بدّ ان يكون لها علاقة بحياة يسوع. وفي هذه الحالة أيضًا، فالقائم من بين الأموات وحده يستطيع ان يفعل ذلك بواسطة شهوده. فمن الواضح أن لوقا يصوّر فيلبس كما يصوّر يسوع. فكلاهما يظهران ويتواريان خفيةً ويفسّران الكتب المقدسة (قارن بين لو ٢٧/٢٤ ورسل ٣٥/٨). من ذلك الحين فصاعدًا، لن يعمل يسوع نفسه في الكنيسة. او بالأحرى هو نفسه يواصل العمل، ولكن بواسطة خدّامه، بقدر ما يُنعشهم الروح القدس (رسل ٢٦/٨ و٢٩ و٣٩). وسيختبر الموظّف الحبشي هو ايضًا اختبار اللقاء الشخصي بيسوع عَبرَ أحد الأسرار، اي المعمودية. (ولقد وضعنا الآية ٣٧ بين هلالين، لأن لا وجود لها في جميع المخطوطات. والأرجح أنها عبارة من عبارات رتبة المعمودية دخلت النص في وقت لاحق).

وتجد جناسًا يستحيل نقله الى العربية ولا بدّ من الانتباه اليه في قراءة هذين النصّين. فهناك ثلاثة افعال تتشابك ولها أصل واحد (وقد أشرنا إليها بالأرقام الصغيرة ١ و٢ و٣ لكي تهتدي اليها).

ويجب خاصة ان تكتشف تقلّبات الوضع من البداية الى النهاية. في البداية كانت اعين التلميذين محجوبة عن معرفته (الآية ١٦)، فليس يسوع هو الذي تغيّر او تنكّر في زيّ بائع جوّال، بل التلميذان هما اللّذان تغيّرا وأقفلا على نفسيهما في خيبة رجاء، حتى أصبحا عاجزَين عن معرفة هذا الرجاء الذي حُقّق في يسوع، وان حُقّق على وجه يختلف عن وجه تفكيرهما. وهذا شأن مريم المجدلية في انجيل يوحنا، فهي كانت تفكّر في يسوع – في يسوع الذي كانت تحلم به – حتى أصبحت عاجزة عن معرفته حين ظهر لها! وعند كسر الخبز انفتحت اعينهما: ان تحوّل القلب هذا، والذي بفضله عرفا القائم من بين الأموات، لا يأتي من الانسان، فإن يسوع هو الذي فتح اعينهما لمّا شرح لها الكتب المقدسة.

حين ذهب بطرس الى القبر (الآية ٢٤)، لم يرَ يسوع. ومع ذلك فقد أعلن في النهاية ان يسوع أرى نفسه لبطرس (الآية ٣٣). وكذلك فالتلميذان لم يعرفا يسوع وهما في الطريق، بل عرفاه عند كسر الخبز (الآية ٣١) وصرّحا بأنّه عرّفهم عن نفسه (الآية ٣٥). فالمبادرة ليسوع دائمًا.



فسيفساء اوستي (ايطاليا)

١٣واتّفق أن اثنين منهم كانا ذاهبين، في ذلك اليوم، الى قرية اسمها عمّاوس، تبعد نحو ستّة أميال من اورشليم. ١٤وكانا يتحدّثان بجميع هذه الأمور التي جرت. ١٥وبينما هما يتحدّثان ويتجادلان، اذا يسوع نفسه قد دنا منهما وأخذ يسير معهما، ١٦على أن اعينهما حُجبت عن معرفته[٢].

١٧فقال لهما: «ما هذا الكلام الذي يدور بينكما وأنتما سائران؟» فوقفا مكتئبين.

١٨واجابه أحدهما واسمُه قلاوبا: «أانت وحدك نازل في اورشليم ولا تعلم الأمور التي حدثت فيها هذه الأيام؟» ١٩فقال لهما: «ما هي؟» قالا له: «ما حدث ليسوع الناصري، وكان نبيًّا مقتدرًا على العمل والقول عند الله والشعب كلّه، ٢٠كيف أسلمه أحبارنا ورؤساؤنا ليُحكم عليه بالموت، وكيف صلبوه. ٢١وكنّا نحن نرجو أنه هو الذي سيفتدي اسرائيل. ومع ذلك كلّه فهذا هو اليوم الثالث مذ حدثت تلك الأمور.

٢٢غير أن نسوة منّا قد حيّرننا، فإنهنّ بكّرنَ الى القبر ٢٣فلم يجدن جثمانه، فرجعن وقلن انهنّ أبصرن في رؤيةٍ ملائكة قالوا إنه حيّ. ٢٤فذهب بعض أصحابنا الى القبر، فوجدوا الحال على ما قالت النسوة. أمّا هو فلم يروه».

٢٥فقال لهما: «يا قليلَي الفهم وبطيئَي القلب عن الايمان بكل ما تكلّم به الأنبياء، ٢٦أما كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام فيدخل في مَجده؟» ٢٧فبدأ من موسى وجميع الأنبياء يفسّر لهما ما ورد في شأنه في جميع الكتب.

٢٨ولَمّا قربوا من القرية التي يقصدانها، تظاهر أنه ماضٍ الى مكان أبعد. ٢٩فألحّا عليه قالا: «آمكثْ معنا، فقد حان المساء ومالَ النَّهار». فدخل ليمكث معهما. ٣٠ولمّا جلس معهما للطعام، أخذ الخبز وبارك ثم كسره وناولهما. ٣١فانفتحت اعينهما وعرفاه [٢]فغاب عنهما. ٣٢فقال أحدهما للآخر: «أما كان قلبنا متّقدًا في صدرنا، حين كان يحدّثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟»

٣٣ثم قاما في الساعة نفسها ورجعا الى اورشليم، فوجدا الأحد عشر وأصحابهم مجتمعين، ٣٤وكانوا يقولون إن الربّ قام حقًّا وتراءى لسمعان. ٣٥فرويا ما حدث في الطريق، وكيف عرفاه عند كسر الخبز.

٢٦وكلّم ملاك الرب فيلبّس قال: «قمْ فامضِ نحو الجنوب في الطريق المنحدرة من اورشليم الى غزّة، وهي مقفرة». ٢٧فقام ومضى.

واذا امامه رجل من الحبشة، خصيٌّ ذو منصب عالٍ عند قنداقة ملكة الحبش، وخازن جميع أموالها. ٢٨وكان راجعًا من اورشليم بعدما زارها حاجًّا، وقد جلس في مركبته يقرأ [٣]النبي أشعيا.

٢٩فقال الروح لفيلبّس: «تقدَّمْ فالحقْ هذه المركبة». ٣٠فبادر اليها فيلبّس، فسمع الخصيّ يقرأ [٣]النبيّ أشعيا، فقال له: «هل تفهم [١]ما تقرأ[٣]؟» ٣١قال: «كيف لي ذلك، ان لم يرشدني أحد؟» ثم سأل فيلبس ان يصعد ويجلس معه. ٣٢وكانت الفقرة التي يقرأها [٣]من الكتاب هي هذه:

«كنعجة سيق الى الذبح
وكحمل صامت بين يدي من يجزّه
هكذا لم يفتح فاه.
٣٣في ذُلّه أُلغي الحكم عليه.
تُرى من يصف ذرّيته؟
لأن حياته أُزيلت عن الأرض».

٣٤فقال الخصيّ لفيلبّس: «أسألك: من يعني النبيّ بهذا الكلام: أنفسه أم شخصًا آخر؟» ٣٥فشرع فيلبّس من هذه الفقرة يبشّره بيسوع.

٣٦وبينما هما سائران، وصلا الى ماء. فقال الخصيّ: «هذا ماء. فما يمنع أن اعتمد؟»

(٣٧فقال فيلبّس: «يجوز ذلك ان كنت تؤمن من كل قلبك». فأجاب: «إني أؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله»).

٣٨ثم أمر بأن تقف المركبة، ونزلا كلاهما في الماء، اي فيلبّس والخصيّ، فعمّده. ٣٩ولما خرجا من الماء خطف روح الربّ فيلبّس. فغاب عن نظر الخصيّ، فمضى في طريقه فرحًا.

٤٠وأمّا فيلبّس فقد وُجد في أزوت، ثم سار يبشّر في كل مدينة، حتى وصل الى قيصريّة.

والآن...؟

حين دخلنا في هذه المرحلة، حدّدنا لأنفسنا هدفَين رئيسيَّين: ان نتحقّق من ان قيامة المسيح هي مركز ايمان المسيحيين، وان نكتشف على وجه افضل كيف تكوَّنت كتابات العهد الجديد.

ومن المحتمل أن مدار اهتمام آخر ظهر في اثناء الطريق، وهو: كيف تمَّت قيامة المسيح؟ وكيف تتمّ قيامتنا؟ من الواضح أن هذا السؤال مهمّ، ولكنه يتجاوز ما قصدناه من هذه المسيرة. فلا يسعنا إلاّ ان نضع بعض المعالم لنساعدك على التفكير. ونحيلك الى كتب أخرى.

◄ يحسن بك أولاً ان تحاول، أنت وحدك، وبالأفضل مع فريق، ان تتبيَّن الوضع:

- كيف كان المسيحيون الأولون يعبّرون عن حدث الفصح هذا؟ من أيّ وجه كان مهمًّا أن يستخدموا عدة صُوَر؟
- كيف يعبَّر عن هذا الايمان بحسب مختلف الفنون الأدبية: إعلانه لغير المؤمنين – الاحتفال به – روايات...؟ وهل هذه الروايات خاصة تضيف الى السرّ ما لا تعلنه الكرازة أو ما تعلنه بصورة مختلفة؟

◄ وسبق لنا ان اقترحنا تمرينًا صغيرًا (الصفحة ١٤٧). من المفيد ان تعود إليه الآن.

- نستخدم صُوَرًا للكلام على القيامة: ما هي هذه الصُوَر؟ هل هي تعبّر خاصة (او فقط) عن الوجه «قيامة»، عن العودة الى الحياة السابقة؟ وهل تدلّ أيضًا على تلك «الزيادة» التي يوحي بها الرَّفع والتمجيد؟
- لدينا نصوص كتابية مفصَّلة، وهذا أمر طبيعي. ولكن سبق لنا أن رأينا ان كل نصّ لا يعبّر إلاّ عن وجه من وجوه الحدث. عن أيّ وجه تعبّر النصوص التي نفضّلها؟ هل نهتمّ بأن تُستكمَل بغيرها من النصوص؟
- لعلّنا قد فوجئنا بهذا السؤال: «ما هو المهمّ عندك في الحياة؟».

ولكن، اذا كان الايمان بالقيامة أمرًا أساسيًا، فلا يمكن ان يكون غريبًا عمّا هو مهمّ عندك. يمكنك ان تعود الى أجوبتك: ما هي الصلة القائمة بين ايمانك بالقيامة وهذه الأجوبة؟

بعض الأمور الراسخة

لنلخّص اولاً بعض الأمور الراسخة التي ظهرت أثناء العمل.

لم يقل أحد قط إنه رأى يسوع يقوم من بين الأموات (خلافًا لما نراه في كثير من اللوحات، فهي خَطِرة من هذا القبيل). يُثبت التلاميذ أنهم رأوا يسوع قد قام من بين الأموات. وهم يشدّدون، بحسب الأحوال، على هذا او ذاك الوجه، او على الوجهين في آن واحد. عرفوا أنه هو، وهذا يعني أنه هو هو الذي عرفوه قبل موته. ولكننا لسنا أمام مجرد عودة الى الحياة، بل نحن أمام دخول في الحياة النهائية: رُفع ومُجِّد وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله وجُعل ربًّا...

لا يمكن للانسان ان يشعر بهذا الحدث إلاّ في الايمان. فهو لا يرى القائم من بين الأموات متى شاء، كما يستطيع ان يرى اليوم صديقًا له. ان القائم من بين الأموات هو الذي يُري نفسه لمن شاء وحيث ومتى شاء. والشهود يختبرون حينئذ اختبارًا حقيقيًا (يعبّرون عنه بهذا الشكل مثلاً: يسوع قادر على الأكل: راجع لو ٢٤)، وان انفردوا بهذا الاختبار: وهكذا فإن رفقاء بولس شعروا بأن أمرًا ما يجري لبولس، ولكنهم لم يروا المسيح. ان استعمال عبارة «أرى نفسه» من شأنه ان يوجّه نحو اختبار حقيقي، ولكنه باطني تمامًا.

يستند ايماننا في آخر الأمر الى الاثبات الذي يُشعرنا الله به. سبق لنا ان ذكرنا ان انجيل مرقس لم تكن فيه روايات تراءٍ قبل ان تُضاف اليه في وقت لاحق. فالشاب (اي الله) أكّد ان يسوع قد قام. فهذا يكفي لترسيخ الايمان.

ان الكتب المقدسة (اي العهد القديم بالنسبة إلينا) أساسية لكي نؤمن ونفهم شيئًا من السرّ. رأينا ذلك في كلامنا على روايات عمّاوس والموظّف الحبشي. وكان في إمكاننا ان نقرأه ايضًا في المشهد الذي يرينا فيه انجيل يوحنا بطرس والتلميذ الآخر آتيَين الى القبر (يو ٢٠/٣–٩): «دخل التلميذ الآخر الى القبر، فرأى وآمن، ذلك بأنّهما لم يكونا قد فهما بعد

الكتاب الذي يقول إنه يجب ان يقوم من بين الأموات» (الآيتان ٨ – ٩). فلو سبق لهما أن فهما الكتاب المقدس، لما احتاجا الى رؤية (بأعين الجسد) القبر فارغًا لكي يؤمنا، ولآمنا ورأيا (بعين الايمان) القائم من بين الأموات (يو ٢٠/٢٩).

ان الكتب المقدسة تعطي معنى لحياة يسوع الأرضية، وان هذه الحياة تعطي الكتب المقدسة معناها.

لكن القائم من بين الأموات وحده، بنفسه (لو ٢٤/٢٧ و٤٥) او بواسطة تلاميذه (رسل ٨/٣٥) يستطيع ان يعطي معنى الكتب المقدسة.

ان مشهدي عمّاوس والموظّف الحبشي، الى جانب كثير من غيرهما، يلفتان نظرنا الى ان المؤمن الذي عاش في السنة ٨٠ أو المؤمن الذي يعيش في السنة ١٩٨٠ ليس محرومًا بالنسبة الى التلاميذ الأولين: يمكنهم ويجب عليهم هم أيضًا ان يختبروا اختبار اللقاء بالربّ الحيّ، فهو لا يزال حاضرًا بالفعل في الأخ المجهول الذي يصادفونه في الطريق وفي الأسرار، وفي الافخارستيا أولاً.

وقد يحملنا ذلك على طرح هذا السؤال: هل الاختبار الذي يختبره المسيحي في ايامنا يختلف أساسًا عن الاختبار الذي اختبره توما وسائر الرسل؟ لهذا السؤال أجوبة مختلفة. إليك واحدًا منها. هذا الاختبار هو واحد أساسًا. فإن دخل انسان غير مؤمن ولا يعرف شيئًا عن المسيحية الى مكان يؤدي فيه مسيحيون شعائر العبادة، شعر، من خلال موقفهم، ان أمرًا ما يجري. وإن سألهم عنه أجابوا: ان الرب يسوع حاضر بيننا وهو يدعونا الى مائدته، ونحن نأكل معه ونستمع اليه ونخاطبه... والحال ان هذا الجواب يشبه روايات الانجيليين شبهًا مدهشًا.

لكنّ هناك فرقًا: يُقال في هذه الروايات إن الرسل عرفوا أنه يسوع. سبق لهم ان تعرّفوا إليه مدة حياته الأرضية، فبإمكانهم أن يتحقّقوا من أن اختبار القائم من بين الأموات الذي يختبرونه الآن يطابق اختبار يسوع الأرضي الذي اختبروه فيما قبل. وهذا الأمر لا نقدر عليه نحن. فلكي نتحقّق من صدق اختبارنا، لا بدّ لنا أن نقارنه باختبار الرسل. لا شكّ ان الاختبار نفسه لا يختلف أساسًا. لكنّ الرجوع الى الماضي الذي يصدّق عليه يختلف: حياة يسوع بالنسبة الى الرسل، واختبار الرسل بالنسبة إلينا.

ملحوظة

رأينا ان المسيحيين الأولين كانوا يستخدمون صِنفَين كبيرَين من الصُوَر للإشارة الى سر الفصح: القيامة والرَّفع. واكتشفنا ما في كل صنف، إذا أُخذ وحده، من حسنات وسيّئات (راجع الصفحة ١٤٩).

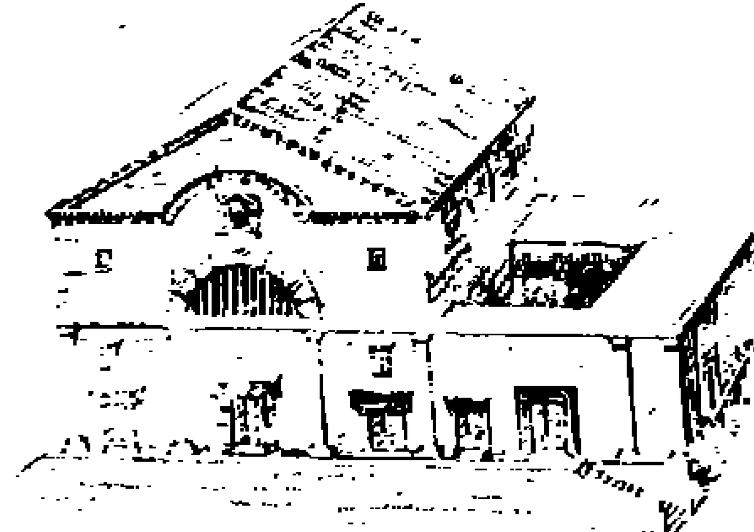
يجوز لنا ان نتساءل – وهذا مجرّد افتراض – هل بعض صعوباتنا لا تأتي من أننا فصلنا بين هاتين الصورتين:

• بالنسبة الى يسوع، لم نحفظ في الواقع سوى لغة «القيامة». وهذا ما يؤدي الى أسئلة عن الـ«كيف»: أيّ جسمٍ كان جسمه؟ هل كان في إمكانه ان يأكل...؟ ان لغة «الرَّفع» من شأنها ان تذكّرنا بأنه رجل حقيقي – بجسمٍ اذًا – ولكنه «مرفوع»، اي آخرَ. فهو الآن في جسم روحاني، بحسب تعبير بولس.

• بالنسبة إلينا، لا نحفظ في أغلب الأحيان، دون ان نشعر بالأمر، سوى صورة «الرَّفع»: بعد موتنا، يتحوّل جسدنا الى تراب. ولكنّ شيئًا منّا، نفسنا، يذهب الى السماء. فلم يعد هناك حاجة، والحالة هذه، الى استعادة الجسد! من شأن لغة «القيامة» ان تذكّرنا بأننا لا نستطيع ان نوجد إلاّ ككائنات جسدية.

أمر أكيد

من الباطل والمستحيل ان نتصوَّر كيفية القيامة. ان الشيء الوحيد الذي يتأكّد منه المؤمن هو التمسّك بأمرين: يسوع قام ومُجِّد – سنكون معه. حين نأتي الى قراءة بولس في مرحلتنا الثانية، يمكننا ان ننتبه الى جميع الكلمات التي استعملها او ابتكرها مستعينًا بالظرف «مع»: تألّم مع، مات مع، قام مع، مُجِّد مع، عاش مع... سنكون معه للأبد.



اعادة وضع تصميم
مجمع كفرناحوم
(حوالى السنة ٢٠٠ ق.م.)

أعمال الرسل	٢ ١٤ ٤١	٣ ١٢ ٢٦	٤ ٩ ١٢	٥ ٢٩ ٣٢	١٠ ٣٤ - ٤٣	١٣/١٦ ٤١	لوقا	
الحدث يسوع	العنصرة	المقعد	أمام المجلس		قورنيليوس	بولس	١٤/٢٤ ٢٧	نصوص اخرى للوقا
حياة يسوع الأرضية								
وعظ يوحنا المعمدان						٢٤ ٢٥		لو ١٥/٣ ١٦
يسوع الناصري	٢٢		١٠		٣٨		١٩	
اعتماده عن يد يوحنا					٣٧ - ٣٨			يثير الشعب بتعليمه في اليهودية كلها - من الجليل الى ههنا (لو ٥/٢٣).
موت								
حكم عليه الرؤساء اليهود	٢٣ و ٣٦	١٣و١٥و١٧	١٠	٣٠	٣٩	٢٧	٢٠	لو ٢/٢٣ و ٤ و ٥ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٥١ · رسل ٥٢/٧
أعدمه الوثنيون	٢٣ و ٣٦	١٣ و ١٤				٢٨		
بحسب التدبير الالهي	٢٣ و ٣٦	١٨	٢٨			٢٧	٢٥ - ٢٧	لو ٣١/١٨ جميع ما كتب
بريء		١٣				٢٨		لو ٤/٢٣ و ١٤ و ١٥ و ٢٢
دفن						٢٩		
الفصح								
أقامه الله	٢٤ ٣٢					٣٣		
ايقظه		١٥	١٠	٣٠	٤٠	٣٠ و ٣٧	٣٤	
نحن شهود بذلك	٣٢	١٥		٣٢	٣٩ و ٤١	٣١	٤٨	رسل ٨/١ و ٢٢ ولو ٤٨/٢٤ ورسل ٣/١ - ٤
رُفع بيمين الله	٣٣	١٣ ٢١		٣١				لو ٥١/٢٤ ورسل ٩/١ - ١١
يهب الروح	٣٣							
متممًا الكتب المقدّسة								
ألقاب								
قبل: طفل عبد		١٣ و ٢٦	٢٧ و ٣٠					
قدوس - بار	(٢٧)	١٤						
بعد: امام الحياة. مخلّص		١٥		٣١				
ديان الاحياء والأموات								
قبل وبعد: رب	٣٦				٣٦			
مسيح	٣١ و ٣٦	١٨ و ٢٠						
الكتاب المقدس. عامةً								
الكتاب أنبأ								
بأيامه		٢٤			(٤٣)	(٢٧ و ٤٠)		
بآلامه		١٨					٢٦و٢٧و٤٦	
بمجيئه الأخير	٢٠	٢٠						
اليهود الورثاء الأولون	٣٩	٢٥				٢٦ و ٣٣		شواهد في نصوص أخرى
بواسطتهم: خلاص الوثنيين	٣٩	٢٥						
نصوص خاصة								
مز ١٠/١٦ . قدوسك يرى الفساد	٢٥ و ٣١					٣٥ - ٣٧		
مز ٧/٢ انت ابني. اليوم...	٣٠					٣٣ و ٢٠		رسل ٢٠/٩ وعب ٥/١ و٥/٥
مز ١/١١٠ الجلس عن يميني	٣٤							مر ١١/١ ولو ٢٢/٣ مر ٣٦/١٢ وعب ١٣/١ ومر ٦٢/١٤ ورسل ٥٥/٧ روم ٣٤/٨ واف ٢٠/١ وقول ١/٣ و ١ بط ٢٢/٣ وعب ٣/١ و ١/٨ و ١٢/١٠ و ٢/١٢
مز ٢٢/١١٨ حجر مرذول/مرفوع			١١	٣١				مر ١٠/١٢ و ١ بط ٧/٢
اش ٣/٥٥ ما وُعد به داود						٣٤		
يوء ٣ الروح المفاض	١٧ و٢١ و٣٩							
تث ١٨ نبي كموسى		٢٢						رسل ٣٧/٧ ويو ١٤/٦
حب ٥/١						٤١		
ينادينا								
الخلاص بالايمان					٤٣	٣٨		
الخلاص باسم يسوع وحده	(٢١ و ٣٩)		١٢		٤٣			
التوبة	٣٨	١٩		٣١				
المعمودية من اجل الخطايا	٣٨	١٩ و ٢٦		٣١	٤٣	٣٨		
هبة الروح	٣٨							

٣. بـــولس ورسائلـــه

ΠΑΥΛΟϹ ΑΠΟϹΤΟΛΟϹ ΧΡΥ ΙΗΥ ΔΙΑ ΘΕΛΗΜΑΤΟϹ
ΘΥ ΚΑΙ ΤΕΙΜΟΘΕΟϹ Ο ΑΔΕΛΦΟϹ ΤΟΙϹ ΕΝ ΚΟΛΑϹϹΑΙϹ
ΑΓΙΟΙϹ ΚΑΙ ΠΙϹΤΟΙϹ ΑΔΕΛΦΟΙϹ ΕΝ ΧΡΩ ΧΑΡΙϹ ΥΜΙΝ
ΚΑΙ ΕΙΡΗΝΗ ΑΠΟ ΘΥ ΠΑΤΡΟϹ ΗΜΩΝ ΕΥΧΑΡΙϹΤΟΥΜΕΝ

مطلع الرسالة الى اهل قولوسي.
مخطوطة بردية ترقى الى حوالى السنة ٢٣٠.

اشتهر بولس بأنه كاتب معقَّد. وهذا صحيح. ولكن ما أشدّه جاذبية! من خلال رسائله يظهر كما هو، قدِّيس مليء بالعيوب: يتكلّم دائمًا على نفسه. عاطفيّ يحتاج الى اصدقاء اوفياء بالقرب منه. محافظ في الدين اليهودي لم يفقد، عند تنصّره، طبعه المتصلّب، وكثير من زملائه او من المؤمنين سيتعلّمون ذلك على حسابهم: بطرس («قاومتُه وجهًا لوجه لأنه لم يكن يسير سيرة قويمة» (غل ١١/٢) وبرنابا الذي كان يريد ان يستصحب الى الرحلة الرسولية ابن عمه يوحنا مرقس الشاب وكان بولس لا يريده (كتب لوقا: «وقع بينهما خلاف شديد حتى فارق احدهما الآخر»: رسل ٣٩/١٥) واهل قورنتس الذين عرض عليهم بولس ان يذهب اليهم ليعيد النظام الى نصابه باستعمال العصا (١ قور ٢١/٤ وراجع ١٦/١١)... وفي الوقت نفسه شخص منصرف كليًّا الى رسالته، لا يهمّه سوى محبّة ربّه وخدمة جماعاته وأبنائه الاعزاء الذين يشعر نحوهم بحنان الأم...

كثير من فقرات رسائله يبدو لنا غامضًا (وحتى لكاتب ٢ بط ١٦/٣!). لن نتوقف عليه، بل في امكانك أن تعود اليه في وقت لاحق. سنحاول خاصة ان نكتشف ملامح تفكيره اللاهوتي الكبرى وسنقرأ بعض تلك الفقرات الرائعة التي نكتشف فيها الايمان المسيحي في اوّل شبابه، والتي نشعر فيها، من خلال بولس، ما تستطيع نعمة الله ان تعمله في قلب انسان.

تُقسم حياة بولس الى قسمين يتساويان تقريبًا: مدة ثلاثين سنة (لعلّه وُلد في حوالى السنة ٥ ب.م. وظهر له المسيح في طريقه الى دمشق في حوالى السنة ٣٦) عاش عيشة الفريسي، ثم مدّة ثلاثين سنة اخرى (مات شهيدًا في رومة في السنة ٦٧ على الأرجح) أصبح مسيحيًا فعاش عيشة المرسل الذي لم يعرف التعب والذي أنشأ جماعات في حوض البحر المتوسط كله وراسل الذين هداهم الى الدين المسيحي.

بولس الفريسي

وُلد بولس في طرسوس، عاصمة قيليقية، في آسية الصغرى. وكانت مدينة جامعية ربّما يبلغ عدد سكّانها ثلاثمئة ألف. فكان بولس على مفترق حضارتين.

كان يهوديًا فرّيسيًّا فدرس في اورشليم على جملئيل وكان من اكبر ربّانيي ذلك الزمان (راجع رسل ٣/٢٢ و ٣٧/٥). وكان قد عاد الى طرسوس في السنوات التي بشّر فيها يسوع. ويبدو أنه لم يعرفه. وتعلّم (في عائلته؟) حياكة ذلك القماش الخشن المصنوع من شعر المعز. وهو المسح، الذي يشتق اسمه من قيليقية. من المحتمل أنه كان ربّانيًا وبالتالي متزوّجًا.

ولكنه حصل من عائلته، في الوقت نفسه، على جنسيّة المواطن الروماني الذي سيستغلّها أحيانًا بافتخار (رسل ٢٥/٢٢ – ٢٨). من المحتمل أنه دخل الجامعة، فقد استخدم أساليبها الأدبية واستشهد بالشعراء عند سنوح الفرصة (رسل ٢٨/١٧). هذا وان اسمه المزدوج، شاول (الاسم اليهودي) وبولس (الاسم اليوناني) يدل على انتمائه الى هاتين الحضارتين.

كان بولس فرّيسيًّا صادقًا، فلم يكن له سوى حبّ واحد: خدمة الله بممارسة الشريعة ممارسة دقيقة. كان في استطاعته ان يقول: «حياتي هي الشريعة». وحين عاد الى اورشليم في حوالى السنة ٣٦، ذُعر من تبشير بطرس والآخرين. فلأنه كان لاهوتيًا، فقد شعر اكثر من بطرس، ولا شك، بأن خطب الرسل تهدّد بقلب اوضاع الدين اليهودية، لأنها تجعل يسوع، مع ان السلطات حكمت عليه كمجدّف، على قدم المساواة مع الله. ولمّا كان فريسيًّا غير متساهل في أمور صحة الايمان، فقد عزم على محاربة هذه الشيعة الجديدة. فوافق على اعدام اسطفانس وذهب الى دمشق ليطارد تلاميذ اسطفانس الذين لجأوا اليها.



نقد من طرسوس

في الطريق الى دمشق

ان الرب الممجَّد الذي ظهر له هو ملعون الصليب : يقوم كل تفكير بولس اللاهوتي على هذا الانقلاب . حُكم على يسوع باسم الشريعة التي كانت في عهدة السلطات الدينية ، وكان ملعونًا من الله فهو لم يفعل شيئًا لِيُنقذه ، كما ورد في الكتاب : «ملعون (من الله) من عُلِّق على خشبة» (تث ٢٣/٢١ وغل ١٣/٣) . والحال ان الله مجَّد هذا «الملعون» ! فهذا يعني أنه صرّح باتّفاقه معه ، وان الشريعة التي حكمت عليه حكمَ الله عليها ! فلم يعد من قيمة للشريعة . في نظر بولس . قد انهار معنى حياته... فلا عجب أن يكون قد بقي ثلاثة أيام في دمشق ، خائر القوى ، أعمى البصيرة . يقيّم كل ما انهار . ولكن يسوع قد احتلّ ذلك الفراغ الواسع المؤلم . يستطيع بولس بعد اليوم ان يقول : «حياتي هي المسيح» .

هنا نشأ تفكيره اللاهوتي نشأة بديهية سيكرّس حياته كلها في جَرْدها . وسنقوم باكتشاف بعض نقاطها الراسخة .

التبرير بالايمان . لمَّا كان بولس فريسيًا ، ظنَّ أنه يُبَرَّر بممارسته الصادقة للشريعة ، ظنَّ أن كل ما كان يقوم به من جهود و«اعمال» يجعله بارًا أمام الله . فلم يعد للانسان ان «يصنع» خلاصه ، بل ان «يناله» مجّانًا من يد الله بالايمان . فإن آمن الانسان بالله وانضمَّ من صميم كيانه الى المسيح واتّكل عليه اتكالاً تامًا ، نال منه الخلاص وأصبح بارًا . من الواضح أن هذا لا يعني ان يكتفي الانسان بالايمان وأن يسير بعد ذلك على أيّ طريق كان . فالذي يؤمن بالله ويحبّه لا بدّ ان يسعى ليعيش بناءً على هذا الايمان وهذا الحب . ولكن الاعمال التي يعملها عندئذٍ لا يعملها لإجبار الله على حبّه ، بل لأنه يعرف أنه محبوب من الله .

أصبحت **نعمة الله** كلمة تفكير بولس اللاهوتي الاساسية . فقد اكتشف أن الله يحبّه حبًّا مجّانيًا رحيمًا . ان الله يحبنا ، لا لأننا صالحون ، بل لنكون صالحين . وهذا هو مصدر فرح وطمأنينة بولس وكل مؤمن . فانهما لا يعتمدان على ما يفعلان او على ما هما عليه (فقد يؤدي ذلك غالبًا الى إضعاف المعنويات) ، بل على محبة الله ، فهو أمين .

يسوع المسيح المصلوب. مُجِّد ملعون الصليب... حاول بولس ان يفهم : اذا مجّده الله ، فذلك ان هذا الموت كان من صُلب تدبيره الالهي ، فلا بدّ من تجديد قراءة الكتب المقدّسة . وقد أتاه الجواب من قصائد العبد المتألم خاصة (راجع الجزء الأول ، الصفحة ٦٧) : فإن يسوع لم يُحكَم عليه بسبب خطاياه هو ، بل «سُحق بسبب خطايانا وفي جروحه كان شفاؤنا» (اش ٤/٥٣ — ٥) . فأصبح الصليب ، المستنير دائمًا بالقيامة ، في صميم تفكير بولس اللاهوتي .

وعند قدمَي المصلوب وجد نفسه خاطئًا ، ولكن خاطئًا مَعفوًا عنه . ان عودة الانسان الدائمة الى خطاياه والتفكير فيها باستمرار لا يؤدّي إلاّ الى وَخزٍ عقيم للضمير . فعلى وجوه الآخرين وفي الاساءة اليهم يشعر الانسان بخطيئته . ورأى بولس خطيئته في المعذَّب على الصليب ، ولكنه رأى فيه الغفران قبل كل شيء . وقد أصبح شعورنا بخطيئتنا شكرًا وحمدًا لله الذي يطهّرنا منها بيسوع المسيح .

الكنيسة جسد المسيح . سأل يسوع من كان يضطهد المسيحيين : «لماذا تضطهدني ؟» ... فرأى بولس في هذا ذلك الاتّحاد الوثيق بين يسوع وتلاميذه : فهم يكوّنون جسدًا واحدًا هو الكنيسة . أصبح ذلك أساس الاخلاقية عند بولس : بالايمان والمعمودية ، أصبحتم جسده ، فسيروا اذًا بناءً على ذلك .

رسول يسوع المسيح . كان الرسل يقولون : لا نستطيع السكوت عن الكلام . متى اكتشف الانسان أنه محبوب ذلك الحبّ العظيم وان ذلك أصبح معنى حياته ، لا يسعه إلاّ ان يرغب في التعريف به الى الآخرين . وكذلك فقد أصبح التبشير بيسوع المسيح ، في نظر بولس ، ضرورة حيويّة (١ قور ١٦/٩) وأصبحت المناداة به الى جميع الناس ، من يهود وغير يهود ، حاجة من حاجات الحبّ .

الدخول في تقليد . كان لبولس كل ما يلزم ليصبح زعيم احدى الشيع : كان ذكيًا متحمّسًا ومختارًا مباشرة من قِبل الله... ومع ذلك ، فقد تمّ اعتماده عن يد حَنَنيا ، وكان رجلاً لا يمتاز ، على ما يبدو ، لا بعلمه ولا بشجاعته (رسل ١٣/٩) . ومع أن دعوته في دمشق قد اتّسمت بطابع الشذوذ عن القاعدة ، فقد حملته على الدخول ، بكل تواضع ، في تقليد الكنيسة . ولم تنفتح عيناه إلاّ في الساعة التي اقتبل فيها المعمودية .

قد نُخطئ ان اعتقدنا بأن بولس حصل في دمشق على تفكير لاهوتي جاهز اقتصر فيما بعد على استغلاله . لقد «استولى» الربّ عليه في تلك الساعة (فل ١٢/٣) ، او ، بعبارة سبق شرحها (الصفحة ١٢٦) ، «أثّر فيه» . ولكي تنكشف له صورة القائم من بين الأموات انكشافًا تامًا ، فلا بدّ من الحياة اليومية مع الجماعات المختلفة التي ستحمل اسئلتها بولس على التعمّق في معرفة المسيح . سنجد فيها اربع مراحل رئيسية . ولكن ، قبل الخوض فيها ، لنقرأ رسالته الى اهل فيلبّي حيث يفتح لنا قلبه .

إن رسائل بولس هي عادة مؤلّفات وليدة الظروف: فهو يجيب الى أسئلة احدى الجماعات او يعارض بعض الانحرافات المعيّنة، سواء أكانت عقائدية ام اخلاقية. امّا رسالته الى أهل فيلبّي (وهي قد تضمّ ثلاث رسائل صغيرة)، فيبدو أنها ليست وليدة بعض الظروف، بل انها كُتبت لمجرّد حب بولس لأهل فيلبّي، ومنهم وحدهم قبل مساعدة مالية فقد حملته ثقته بحبهم النزيه له على الاعتقاد بأن هذه المساعدة لن تقيّده بالنسبة إليهم. وفي هذه الرسالة، يفتح بولس قلبه ويكلّمهم عن سروره وعذاباته (وهو سجين الرومانيين وقد اختبر المرض وفتور الهمّة) ويُشعرهم بحبّه المتّقد ليسوع وبالمعنى الذي يعطيه لحياته. على الأرجح أنه كتب هذه الرسالة وهو في أفسس، في حوالى السنة ٥٧.

◄ الفصل الثالث من الرسالة

يُمكنك ان تبدأ بهذا الفصل.

كان بولس عرضة لتهجّمات بعض اليهود، او بالأحرى بعض المسيحيين المتهوّدين، اي أنهم يرجعون الى الممارسات اليهودية، ظنًّا منهم أنهم يجدون في ممارستهم أمانًا أمام الله (٣/١ – ٣ و ١٨ – ١٩).

لبولس من الأسباب ما يدعوه الى الثقة بنفسه (٣/٤ – ٦): كيف ينظر الى هذه الأسباب (٣/٧ – ١٣)؟ كيف يمكنك ان تعبّر عن الآية ٩ بكلمات عصرنا؟

دوِّن ما يعبّر عن مفعولية المسيحي (المسيح يعمل كل ذلك) وفاعليته (ما عليه ان يعمل): كيف يرتبط هذان الوجهان؟

دوّن العبارات التي تدلّ على الاتحاد بالمسيح. ما هو الايمان في نظر بولس؟

◄ قراءة اجمالية

لا نجد في هذه الرسالة صعوبات كبرى. هناك طريقة جيّدة لدرسها، وهي ان تقرأ نصّها سطرًا بعد سطر، واضعًا خطوطًا متعدّدة الألوان تحت الكلمات (او العبارات المترادفة): يسوع (انتبه الى احرف الجر التي ترافق هذه الكلمة: ل وعن وب وفي ...) – بشارة – فرح – عذاب.

الرب يسوع. تتّسم الرسالة كلّها بطابع من الحنان نحو الذي «استولى عليه» (٣/١٢) والذي يسمّيه، مرّة واحدة، «ربّي يسوع» (٣/٨). سِرّه

موجزٌ في النشيد القديم (٢/٦ – ١١) الذي سبق لنا أن قرأناه (الصفحة ١٥١).

الحياة المسيحية هي من عمل الله (١/٦ و ٢/١٣ ...) وهي حياة في المسيح. وهذه المعرفة (٣/٨: ما هو المقصود؟) هي في آن واحد اتّحاد بآلام المسيح وموته (انتبه الى العبارات التي تبيّن ذلك بالنسبة الى بولس – بالنسبة الى ابَفرَديطس – بالنسبة الى المسيحيين) وبحياته بعد قيامته. الحياة المسيحية هي من عمل المسيح. فهو الذي يعمل كل شيء في المؤمن. فلا فائدة في أعمالنا (٣/٤ ت).

ولكن لا بدّ ان تظهر هذه الحياة المسيحية بالأعمال: صلاة (٤/٦...) وتمجيد الله في أجسادنا (١/٢٠ و ٣/٢١ ...) ووحدة بين المسيحيين (٢/١ – ٤). وان تظهر أيضًا بحالة توجزها كلمة فرح (دوّن أسبابه).

وفي آخر الأمر فإن فرح المسيحي يقوم على اعلان البشارة بالكلام. بل بالسيرة أيضًا وبوضع النفس في خدمة الآخرين. لأن الاتحاد بيسوع يولّد الاتحاد بين الاخوة: انتبه الى الحب المتّقد الذي يكنّه بولس لمسيحيي فيلبّس.

اربع مراحل

يُمكن تقسيم رسائل بولس الى اربع فئات تدلّ على اربع مراحل في تفكيره.

الأولى والثانية الى اهل تسالونيقي (في ٥١)

يتناول بولس المواضيع الكبرى للكرازة، ويعيش راجيًا ان يأتي المسيح قريبًا.

الأولى والثانية الى اهل قورنتس. الى اهل غلاطية – الى اهل فيلبي – الى اهل رومة (في ٥٦ – ٥٨).

هناك مسألة مركزية: كيف يصبح الانسان بارًّا وينال الخلاص؟ لا يُبرَّر الانسان بما يعمله (اعمال وممارسة الشريعة)، بل بالايمان بالمسيح. يرى بولس خاصة عمل المسيح في كنيسته.

الى اهل قولوسي. الى اهل أفسس. الى فيلمون (ف ٦١–٦٣).

تسمّى هذه الرسائل «رسائل بولس وهو في السجن» لأنّه أرسلها من سجن رومة. يكتشف بولس فيها المكانة التي يحتلّها المسيح في التاريخ والعالم.

الى طيطس. الأولى والثانية الى طيموتاوس

كتب بولس هذه الرسائل الرعائية قبل ٦٧، او كتبها تلميذ بعد موته متناولاً وصيته الروحية. هناك اهتمام واحد: تنظيم الكنائس والمحافظة على صحّة وديعة الايمان.

١. الرسالتان الأولى والثانية الى اهل تسالونيقي

أُرسلت هاتان الرسالتان من قورنتس. وهما مؤلَّفا العهد الجديد الأَوَّلان. انهما تعرِّفاننا بكنيسة حديثة العهد نشأت على أرض وثنية، فكانت بمثابة جماعة صغيرة جدًا في داخل مدينة قد يبلغ عدد سكّانها ثلاثمئة ألف. نكتشف فيها ما ولّده التبشير بيسوع المسيح من حميّة وايمان حديث جدًا ورجاء فيه شيء من الجموح ومحبّة متّقدة.

يتناول بولس فيهما مسألة علم الآخرة او التفكير في نهاية الأزمنة. وكان يعتقد في تلك الأيام بأن مجيء المسيح الأخير قريب جدًا. فاستخلص بعض مسيحيي تسالونيقي هذه النتيجة: ما الفائدة في العمل؟ ان بولس، شأن سائر المسيحيين، لم يقتنع إلاّ بعد زمن طويل بأن المدّة السابقة لذلك المجيء – زمن الكنيسة – قد تكون طويلة (وهي لا تزال!). من هذه النصوص التي لا تخلو من الصعوبة في بعض الأحيان، نستخلص بعض الأمور الهامّة: ان الرجاء لا يصرف المؤمن عن العمل: فلا بدّ له ان يعيش كما لو كانت الأبدية أمامه. مع العلم بأن الرب قريب. والأسئلة عن كيفية الآخرة اسئلة باطلة: يكفينا ان نعلم بأننا، بعد الموت، «سنكون مع الرب دائمًا أبدًا» (١ تس ٤/١٧). يستوحي بولس، للاشارة الى مجيء المسيح، من بعض المظاهرات المعروفة عند اهل تسالونيقي: دخول الامبراطور ظافرًا في مدينته.

ونجد أيضًا في هاتين الرسالتين تفكيرًا أوّليًا في «خدمة الرسول»: وهي تقوم أساسًا على التبشير بالكلمة. وهذا التبشير يتطلّب رباطة جأش وأمانة. والأمانة تُعرف من علامتين: الصدق والنزاهة. سيعود بولس مطوَّلاً الى هذه المواضيع في رسالته الثانية الى اهل قورنتس.

◄ **الحياة المسيحية**

لو كان لدينا متّسع من الوقت، لأمكننا ان نتوقّف طويلاً عند الطريقة التي يعرض بها بولس الحياة المسيحية. وهي تقوم على الدخول في القصد الذي قصده الله في نفسه منذ الأزل، ليحقّقه بيسوع المسيح: فنحن نُقدَّس في يسوع بالروح القدس لنكوّن الكنيسة.

اليك بعض الأمور التي يمكنك ان تدرسها.

عند الله قصدٌ قائم على الحب. لاحِظ العبارات التي تعبّر عن هذه الدعوة، عن هذا الاختيار. لأي شيء يدعو الله؟

يحقّق الله هذا القصد **بيسوع المسيح**. والانسان منادًى ومدعوّ الى الدخول في هذا القصد، حين يُبشَّر بكلمة الله. لاحِظ العبارات التي تدل على دينامية وقدرة هذه الكلمة العاملة في المؤمن. ما هو مضمون هذه الكلمة؟ قارن بينه وبين الكرازة. وهذه الكلمة، اذا أُعلنت، اوجبت على سامعها ان يختار: إمّا الرفض (وما هي نتيجته؟) وإمّا القبول.

ان **قبول الكلمة** ايمان ورجاء ومحبة. هذه الفضائل نراها منذ الآن مجتمعة بعضها الى جانب بعض. ما هي النعوت (الافعال والصفات) التي ترافقها؟

الايمان قبول الكلمة (١ تس ٢/١٣ و ٢ تس ٢/١٣). ما هو دور الروح القدس وما هو دور الانسان؟ حاول ان تصف هذا الايمان. كثيرًا ما ترافقه افعال تدلّ على «السير»: ليس المطلوب ان يكون لنا الايمان، بل ان نسير ونتقدّم في الايمان. وما **الاخلاقية** أو السلوك المسيحي سوى نتيجة للايمان.

الرجاء انتظار: لأي شيء؟ لاحظ ميزتَيه: الصبر (الثبات) والسهر. ما هو دور الرجاء تجاه «رقاد» الموت؟

المحبة. الحياة المسيحية محبة او حياة في المسيح. لاحِظ العبارات التي تدلّ على هذا الاتحاد – الحاضر او المستقبل – بالمسيح.

ان **الروح** هو الذي يكرّس ويقدّس. لاحظ الفقرات التي يدور فيها الكلام عليه. ما هو دوره؟

الكنيسة جماعة الذين لبّوا الدعوة. ليست مجموعة اناس اختاروا بعضهم بعضًا، بل هم اناس اختارهم الله فلبّوا دعوته. كيف يُعبَّر عن ذلك؟ ما هي النتائج التي يمكن ان تؤثّر في جماعات عصرنا؟

كل ذلك عمل **نعمة الله** ويولّد في المؤمن **الحمد والشكران**. كيف يعبَّر عن ذلك؟ كيف تُعرض الصلاة؟

وهكذا فالحياة المسيحية علاقة شخصية بكل اقنوم من أقانيم **الثالوث**: ما هي علاقة كلٍ من الأقانيم بالمؤمن وما هي علاقة المؤمن بهم؟

٢. الرسائل الكبرى

الى اهل قورنتس. الى اهل فيلبي. الى اهل غلاطية. الى اهل رومة

بين السنة ٥٣ والسنة ٥٨ أمضى بولس ثلاث سنين في أفسس. وكتب عدّة رسائل: الى اهل قورنتس والى اهل غلاطية وعلى الأرجح الى اهل فيلبّي. ومن قورنتس، حيث قضى شتاء ٥٧ – ٥٨، كتب الى اهل رومة.

كانت هذه الفكرة تتسلّط عليه: ما معنى «الخلاص بيسوع المسيح»؟ فتعمّق في دور المسيح في تاريخ الخلاص، في داخل الجماعة المؤمنة حيث هو حاضر بالكلمة والأسرار والحياة التي يعيشها كتقدمة.

المسيح في تاريخ الخلاص

لمّا كان بولس يهوديًا، كان يعتقد بأنه يجد الخلاص في ممارسة الشريعة. والحال ان يسوع المسيح قد حكم على الشريعة، مع أنها مقدسة لكونها صادرة عن الله! فأخذ بولس يجدّد قراءة الخلاص على طريقته، محاولاً ان يفهم.

قطع الله عهدًا وحيد الطرف مع ابراهيم، قبل موسى بزمن طويل: فلقد التزم وحده، دون شرط مِن قِبَل الانسان (إقرأ تك ١٥ وراجع الجزء الأول، الصفحة ٦٠). فإن كان الله عادلاً، أي أمينًا، وجب عليه ان يعطي السعادة لإبراهيم ولذريّته، أيًّا كانت سيرتهم.

والحال ان الشعب سار سيرة سيئة. فأعطاه الله شريعة سيناء، وهي عهد ثنائي الطرف، فالتزم بأن يعطي السعادة لشعبه، شرط ان يراعي الشعب وصايا الله (اقرأ خر ١٩ – ٢٠ وراجع الجزء الأول، الصفحة ٥١ و ٦٠). قد خطئ الشعب، فأعطاه الله الشريعة كحاجز: وبما أنه لم يستطع ان يطيع الله عن محبّة، وجب عليه ان يطيعه بسبب الشريعة. يتصرّف الله تصرّف الأب مع ابنه، فلا وجود لعقدٍ بينهما، بل ان الأب يثق بابنه والابن يطيع أباه عن محبة. وإن زالت هذه المحبة، وجب على الأب ان يضبط ابنه بيد من حديد وإن يفرض عليه شريعة، الى أن يعود الى شعور أفضل. وهكذا فالشريعة قد أُعطيت لِحفظ الشعب في محبة الله. انها مقدسة لأنها صادرة عن الله. ولكنها في الواقع تزيد الخطيئة، لأنها تقول ما يجب عمله، دون ان تعطي القدرة على العمل به، وبالتالي فإن الشعب يخطأ بكامل وعيه. وها هوذا الله في طريق مسدود: بصفته عادلاً وصادقًا في عهده مع ابراهيم، عليه ان يعطي السعادة، وبصفته عادلاً بحسب العهد المقطوع في جبل سيناء، عليه ان يترك الشعب يُساق الى الموت الذي استوجبته اعماله...!

فخطرت عندئذٍ لبال الله هذه الفكرة البارعة: بما أن طريق الشريعة يؤدي الى الموت، فسيعاني هو نفسه هذا الموت عن يد ابنه. ومن جهة أخرى، فان موت المسيح هو أيضًا موت جميع الخاطئين عن يده. وبذلك أصبح الله أمينًا لِعقد سيناء. لكنه جعل ذلك الموت يؤدّي الى الحياة. ففي المسيح القائم من بين الأموات، يستطيع جميع الناس ان يصلوا الى الحياة والسعادة. وأصبح الله أمينًا لوعده لإبراهيم.

فالمهمّ للانسان ان يكون «في المسيح»: فإن اتّحد به المؤمن بالايمان والمعمودية، انتقل معه من الموت الى الحياة. وهو يجد الخلاص. لا في الاعمال التي يعملها. بل في يسوع.

فقد سقطت الشريعة، في نظر المؤمن. والمهمّ هو ان يُخلق ثانية في يسوع المسيح وان ينتعش بروحه القدوس.

تصميم رسائل بولس

كان بولس يكتب كما كانوا يكتبون في أيامه

- **العنوان**. كانوا يستهلّون الرسالة بهذه العبارة: من فلان الى فلان. سلام! وهكذا فإن بولس يسمّي نفسه ومعاونيه. ويسمّي مراسليه ويسلّم عليهم.

◀ إقرأ جميع هذه العناوين واحدًا بعد الآخر: ما هي الطريقة المسيحية لأداء التحيّة؟

- **الصلاة**. كانوا يرفعون صلاة وجيزة الى الآلهة.

◀ إقرأ جميع صلوات الشكر الواحدة بعد الأخرى: على أيّ شيء يبارك بولس الله؟

- **صُلب الرسالة**. تتضمّن رسالة بولس عادةً قسمين:

قسم تعليم: يتوسّع بولس في احد الأمور العقائدية نظرًا لأهميته او لأن مراسليه أساؤوا فهمه.

قسم ارشاد: يستخلص بولس نتائج عملية من العقيدة التي ذكّر بها. فالأخلاقية او السيرة المسيحية مبنية على العقيدة.

- **التحيات**. يُنهي بولس رسائله بالاخبار عن معاونيه وبالسلام على المسيحيين. ويختتمها ببركة وجيزة.

الرسالة الأولى الى اهل قورنتس

قورنتس : مرفأ نشيط ومدينة جامعة لأجناس مختلفة . لعلَّ عدد سكّانها يبلغ ستمئة ألف . ثلثاهم من العبيد . أمّا سمعتها فكانت راسخة ، حتى كنّوا عمن يسلك طريق الفجور بقولهم : «سار سيرة اهل قورنتس» ... هناك ، مع جماعة مسيحية صغيرة من الفقراء الذين انضمّوا الى المسيح بحماس ، «ابتكر» بولس الاخلاقية المسيحية . ففي الرسالة التي كتبها اليهم ، يحاول ان يكتشف كيف أن الايمان بالمسيح والمعمودية يجعلان المؤمنين يعيشون اوضاعهم البشرية بطريقة جديدة تمامًا . سنعود الى ذلك مطوّلاً في الصفحتين ١٦٩ و ١٧٠ .

يمكنك أن تقرأ بعض النصوص على الأقل : النشيد في المحبة (١٣) وأقدم رواية وصلتنا عن العشاء السرّي (١١/١٧ – ٣٤) وقانون الايمان القديم الذي سبق لنا ان درسناه (١٥/١ – ١١ – راجع الصفحة ١٥٠) والايمان بقيامة المسيح وقيامتنا (١٥) .

الرسالة الثانية الى اهل قورنتس

كثيرًا ما مرَّت علاقات بولس بجماعته بظروف عاصفة : فقد قام شكٌّ حول سلطته وبالتالي حول الايمان الصحيح . في هذه الرسالة ، يدافع بولس عن نفسه ، والقسم الاكبر منها يدور حول الخدمة الرسولية كما كان بولس يعيشها (١/١١ – ٧ و١٦) . انه يشعر بمسؤوليتها الهائلة ، عالمًا بأنه ، حين يعرض كلمة الله ، يترك لسامعيه الخيار بين مناصرة المسيح او مقاومته (٢/١٤ – ٤/٤٤) . هناك فقرة يبيّن فيها بولس ان المسيحي ، بفضل يسوع ، يقرأ الكتب المقدسة قراءة جديدة ويفهم اخيرًا معناها الحقيقي . قد تبدو لك هذه الفقرة على جانب من التعقّد ، ولكنك ستكتشف فيها على الأقل هذا التأكيد الرائع ، وهو أن المسيحي الذي يقبل المسيح يتغيّر بفعل مجد الله الذي كان يسطع على وجه يسوع ، ويستنير به لينير بدوره إخوته (٣/٥ – ٤/٦) .

ان الله صالحنا في يسوع الذي مات من جرّاء الخطيئة والذي جعله الله خطيئة من اجلنا (٥/٢١) ، فأصبحنا ، في المسيح ، خليقة جديدة (٥/١١ – ٢١) .

ان اردت ان تعرف ما هي العذابات التي عاناها بولس ، بل النعم التي نالها أيضًا ، يمكنك ان تقرأ ١١/١٦ – ١٢/١٠ .

الرسالة الى اهل غلاطية

كان أهل غلاطية متهوّرين وجذّابين ومولعين بالحرّيّة ، فقبلوا بحماس تبشير بولس ووهبوا انفسهم للمسيح . ولكن مرَّ بهم مبشّرون آخرون وأخذوا «يتهوّدون» ، اي يضيفون الى ايمانهم المسيحي ممارسات يهودية . فمع أن اهل غلاطية كانوا وثنيين فيما قبل ، فقد جعلوا انفسهم تحت نير الشريعة اليهودية ! كانت نيّتهم صالحة ، لكنَّ بولس شعر بالخطر : فإن كان لا بدّ من اضافة شيء (الممارسات اليهودية ، هنا) الى الايمان المسيحي ، فهذا يعني أن الايمان بيسوع غير كافٍ لخلاصنا . شنَّ بولس هجومًا معاكسًا حارًّا ، واستعمل كل تفكيره اللاهوتي ، فلم يخلُ كلامه من التعقّد ! ولكن بولس طرح عليهم ، في آخر الأمر ، هذا السؤال : «تذكّروا ما صرتم عليه بانضمامكم الى يسوع المسيح ! فهل أنتم مخلصون للالتزامات التي التزمتم بها يوم اعتمادكم ؟» .

بعد مستهلّ شديد اللهجة ، يُدافع بولس عن البشارة التي يُعلنها ، على ثلاث مراحل :

من أين أتت البشارة ؟ تلقّاها مباشرة من المسيح في الطريق الى دمشق (١/١١ – ٢/٢١) .

ما هو مضمون بشارته ؟ جدَّد قراءة تاريخ شعب الله ، فبيَّن ان الشريعة كانت مجرَّد مربٍّ ليذهب بنا الى المسيح . وبعد أن وصلنا إليه ، لم نعد في حاجة اليها (٣ – ٤) . ستجد ، وأنت تقرأ هذه الفقرات ، بعض العبارات الرائعة في الايمان بالمسيح (٢/١٦ و ٢٠) وفي إبراهيم (٣/٦ – ١٤) وفي المساواة بين الجميع في يسوع المسيح (٣/٢٦ – ٢٩) وفي الروح البنوي (٤/٦ – ٧) .

الى أين تؤدّي بشارته ؟ الى الحريّة (٥ – ٦) ! في نظر المسيحي ، لم يعد هناك من وصايا ، ولم يبق إلاّ تلك الشريعة الباطنية – الروح القدس – التي تقيم في قلب كل مؤمن والتي تقول له ما يجب عليه ان يعمل : «إنّكم ، في المسيح ، خليقة جديدة ، فكونوا احرارًا» (٥) .

ان الرسالة الى اهل غلاطية مؤلَّف قتال . فيها كثير من الفقرات الغامضة ، لكنَّ حدَّة بولس تضفي عليها نفحةً عجيبة . إقرأها دون الاهتمام بالجمل العويصة : ستتّضح في وقت لاحق (ان شاء الله !) .

سيتناول بولس ، بعد هذه الرسالة ببضعة أشهر ، تلك الأفكار نفسها ، في عرضٍ اوسع لا يزال ذروة من ذروات فكره : الرسالة الى اهل رومة :

الرسالة الى اهل رومة

لقد اقتُرح العديد من التصاميم للرسالة الى اهل رومة . إليك واحدًا منها يمكّنك على الأقل من الاهتداء في قراءتها .

في **القسم العقائدي** (١ – ١١) يتوسّع بولس في فكرة واحدة على اربعة اوجه مختلفة .

على الصعيد الاحصائي، ينظّم إثبات الحال هذا: جميع الناس، سواء أكانوا يهودًا ام لا، هم خاطئون، فهم يحتاجون جميعًا الى ان يخلّصهم يسوع المسيح (١٨/١ – ١١/٥).

على صعيد الايمان، يفكّر انطلاقًا مِمَّا اصبحنا عليه عندما اعتمدنا: لقد اتّحدنا في المعمودية بيسوع الذي مات وقام، بيسوع «آدم الجديد»، الانسان الأول الثاني. فنحن فيه خليقة جديدة (١٢/٥ – ٦/٧) (فيما يتعلّق بالخطيئة الاصلية، راجع الجزء الأول، الصفحة ٤١).

على الصعيد النفساني، يبيّن أن الانسان منقسم باطنيًا بين الخير الذي يريد ان يعمله ولا يعمله، والشر الذي لا يريد ان يعمله ويعمله (٧/٧ – ٢٥). والروح يعيد وحدة المؤمن بمصالحة الله له، فيستطيع بعد ذلك ان يسمّي الله «بابا»، مع سائر الناس ومع الكون بأسره (٨).

على الصعيد التاريخي أخيرًا، يجدّد قراءة تاريخ اسرائيل، فيبرز شقاء اسرائيل في رفضه المسيح. وينبئ بخلاصه متى اعترفت جملة الشعب بيسوع مشيحًا (٩ – ١١).

في القسم الاخلاقي (١٢ – ١٥)، يستخلص انعكاسات هذا الايمان على الحياة اليومية (راجع الصفحة ١٦٨).

يُمكنك ان تقرأ على الأقل روم ٦ – ٨، متوقّفًا عند بعض الفقرات.

◄ المعمودية (روم ١/٦ – ٦/٧)

يجيب بولس على اعتراض قد ينشأ عن الشروح السابقة، فيبيّن أنه يجب على المسيحي ان يكفّ عن الخطيئة، بانيًا كعادته هذه الاخلاقية على العقيدة.

لاحِظ بعض الكلمات الهامّة التي تضفي ألوانًا على هذا النص (والتي تفقد معناها في بعض الترجمات): عمَّد (الكلمة اليونانية تعني: غطَس في) وعَبَدَ وعبّد (٦/٦ و ٩ واقرأ ١ تس ٩/١، وفيما يتعلّق بالانتقال من العبودية الى الخدمة، راجع الجزء الاول، الصفحة ٣١) وقرَّب نفسه (او جَعَلَ من ......: في الكتاب المقدس اليوناني، كثيرًا ما تدلّ هذه الكلمة على تقريب النفس لله في العبادة، مثلاً: تث ٨/١٠ و ١٢/١٧ و ٥/١٨ و ٧ و ٥/٢١ وفي روم ١٣/٦ (مرّتين) و ١٦/٦ و ١٩ و ١/١٢) وأطاع (تعني انقاد وخضع واذعن: ١٢/٦ و ١٦ (ثلاث مرّات) و ١٩: وهذا الفعل يحدّد أحيانًا معنى المسيحي: روم ١٦/١٠ و ١ بط ٢/١ و ١٤ و ٢٢).

لاحِظ التناقضات: فيما مضى / الآن. الجديد / القديم (٤/٦ و ٦/٧)، موت / حياة. أجر / مجانيّة.

لاحِظ المقارنات بين مصير المسيح ومصير المؤمن. لاحِظ خاصة العبارات التي تدلّ على وجه الشبه: مِثل وكـ... من الذي أقام المسيح (راجع ١٤/٦ و ١١/٨ وقول ١٢/٢)؟

لاحِظ أيضًا صيغ الأفعال: ما هو في الماضي؟ في المستقبل؟

انطلاقًا من كل هذه الملاحظات. ما هو المعنى المنسوب الى المعمودية في هذه الفقرة؟

وان كان لديك متّسع من الوقت، يمكنك ان تنظر الى صُوَر أخرى للمعمودية في رسائل بولس:

- استحمام، غسل: ١ قور ١١/٦ واف ٢٦/٥ وطي ٥/٣.
- دُفِن مع المسيح: غل ٢٧/٣ وقول ٩/٣.
- خَتِم: ٢ قور ٢١/١ ت واف ١٣/١ و ٣٠/٤.
- أضاء: اف ١٤/٥...

◄ الحياة في الروح القدس (روم ٨)

رأينا في الفصل السابع من الرسالة أن الانسان منقسم على نفسه. لا يصعب علينا أن نهتدي الى الطريق في ذلك الوصف المأسوي. وان كانت هناك بعض الفقرات الغامضة (باستنادها الى الفردوس الأرضي والى الشريعة). فهل لنا من أمل...؟ (انتبه الى كلمة «جسد» عند بولس: فهي لا تدلّ على الأمور الجنسية، بل على الانسان بكامله، بقدر ما يرفض الله، على الانسان القديم).

أمَّا الفصل الثامن، فاننا نرى فيه كيف ان الروح القدس يعيد الى المؤمن وحدته. أُنظرْ كيف يقيمه في اتّحادٍ بالله – وبنفسه – وبالآخرين – وبالكون كله.

يُمكنك ان تدرس النشيد في محبّة الله الذي يُختَم به هذا القسم كله (روم ٣١/٨ – ٣٩):

لاحِظ كيف ان المفردات المستعملة مفردات دعوى: الى ماذا يمكننا ان نستند لنخرج منها منتصرين؟ انستند إلى انفسنا؟ أنستند الى الله؟

ما هو دور الله؟ دور المسيح؟

ما هو ضمان المؤمن النهائي؟

نقد لأغريبا الثاني
على الوجه الاول ڤسپازيانس متوّجًا
وعلى الوجه الثاني إلاهه
تحمل سنبلة وقرن الوفرة.

٣. رسائل بولس وهو في السجن
الى اهل قولوسي. الى أهل افسس. الى فيلمون

بين السنة ٥٨ والسنة ٦٣، أمضى بولس اربع سنين في السجن، في قيصرية ثم في رومة. فكان له متّسع من الوقت للتأمل. سَنحت له فرصة في ما بلغه عن أهل قولوسي. فانتهزها ليتعمّق في سر المسيح. ذلك بأن اهل قولوسي كانوا يميلون الى وضع المسيح في عداد القوّات السماوية الكثيرة التي كان بعض الناس يضعونها بين الله والبشر. وقد توصّل بولس الى تفكير متماسك بوضعه المسيح في صميم الكون والكنيسة. وهو يعبّر عن ذلك في رسالته الى اهل قولوسي ورسالته الى اهل أفسس (لعلّها من قلم أحد تلاميذه) ورسالته الى فيلمون.

ان **الرسالة الصغيرة الى فيلمون** هي اكثر رسائل بولس تلميحًا الى مشاعره الشخصية، فإنه يكشف عن نفسه كما هو. نستشفّ من خلال الرسالة ما كانت عليه احدى الكنائس التي نشأت في العالم الوثني. لقد عجب الناس من أن بولس لم يطالب بإلغاء العبودية. ولكنه فعل ما هو أفضل: لقد أقام المساواة، لا بل الأخوَّة بين جميع الناس، بين السادة والعبيد، فألغى العبودية من الداخل.

في **الرسالة الى اهل قولوسي**، نجح بولس، خاصة بفضل ما اكتشفه في الكتاب المقدس عن حكمة الله (راجع الجزء الأول، الصفحتين ٩٢ – ٩٣)، في تحديد وضع المسيح بالنسبة الى الله – فهو الابن الذي حلَّ فيه كمال الالوهية – وبالنسبة الى العالم: فهو الذي به وله خلق كل شيء وحياتنا البشرية تستمد منه معنى جديدًا: بما أنه لا يُستثنى شيء من عمل المسيح فيه، فإننا، حين نبني المدينة الأرضية، نبني أيضًا، بصورة خفيّة، ملكوت الله. وعلينا ان نحيا بعد اليوم كأناس قاموا مع المسيح من بين الأموات (١/٣ – ٤).

◀ **ربّ العالم** (قول ١/١٥ – ٢٠)


هيكل ارطميس في افسس، عن نقد روماني (القرن الثاني ب.م.).

هناك مقطعان حول آية هي بمثابة نقطة اتّصال: فالآيتان ١٦أ – ١٧أ توجزان المقطع الأول، والآيتان ١٧ب – ١٨أ توجزان المقطع الثاني.

إبدأ بملاحظة العبارات المتناسبة واحرف الجر المستعملة (في وب ول) والألقاب المطلقة على المسيح: ورد بعضها في العهد القديم، فما معناها؟ (في ما يتعلّق بكلمة «صورة»، راجع الجزء الأول، الصفحة ٩٣).

في المقطع الأول عرض لمكان المسيح ودوره في العالم: ما هما؟ وفي المقطع الثاني عرض لمكان المسيح ودوره في البشرية بعد ان صالحها الله في الكنيسة: ما هما؟

في **الرسالة الى اهل افسس** عرض لتفكير بولس المتماسك. ليس فيها صعوبات كبيرة. واذا قرأتها، وجدت فيها فقرات رائعة. اليك بعضًا منها: النشيد المُهيب في قصد الله ان يجمع في ابنه كل شيء (١/٣ – ١٤) ومصالحة جميع الكائنات في يسوع المسيح (٢) والصلاة الجميلة للتأصّل في محبة المسيح (١٤/٣ – ٢١) وتنظيم الكنيسة (١/٤ – ١٦، وهو نص قد سبق لنا ان درسناه في الصفحة ١٥١) والنشيد القديم الوارد ذكره في ١٤/٥، والكنيسة عروس المسيح والزواج (٢١/٥ – ٣٣).

> **صورتان للكنيسة**
>
> يستخدم بولس صورتين متكاملتين للتعريف عن الكنيسة، وهاتان الصورتان لا غنى عنهما.
>
> الكنيسة هي الجسد الذي رأسه المسيح، وهي تستمدّ منه واقعها الحيوي (١ قور ١٨/١ و ١٢/١٢). من حسنات هذه الصورة أنها تُبرز الوحدة القائمة بين الكنيسة والمسيح.
>
> الكنيسة عروس المسيح (٢٣/٥ – ٢٥). من حسنات هذه الصورة أنها تبيّن أنهما اثنان: ليست الكنيسة مقدّسة كالمسيح، ولكنها تستمدّ محبتها دون انقطاع من محبّة المسيح.

٤. الرسائل الرعائية
الى طيموتاوس. الى طيطس

سواء اكانت هذه الرسائل من يد بولس او من يد احد تلاميذه بعد موته، فإنها تكشف عن اهتماماته في المدة الأخيرة من حياته، وهي المحافظة على سلامة الايمان بيسوع المسيح الذي تلقّاه من الرسل. تظهر فيها الكنيسة وقد تمَّ تنظيمها وتنوَّعت خدماتها وأُقيم فيها الأسقف والشمامسة. وهي تمكّننا من الاتّحاد بتسبيح الكنيسة القديمة، بفضل ما ذكرته من اناشيد: ١ طيم ٥/٢ – ٦ و ١٦/٣ و ١٥/٦ – ١٦ و ٢ طيم ٨/٢ – ١٣.

الرسالة الى العبرانيين والرسائل العامة

رسالة يعقوب

كنتُ ذات يوم في كنيسة في احدى القرى. قامت احدى بنات الرعية بقراءة الرسالة في اثناء القداس، وكان النصّ مأخوذًا من رسالة يعقوب، حيث يتكلّم عن الغنى. لم أرَ فائدة في التعليق عليها، فقد انقطعت انفاسنا أمام حاليّة هذه الكلمات. كان الكاتب يقول (في حوالى السنة ٦٠ او ٨٠): «أتؤمن؟ مثل هذه الأمور يكون ظاهرًا! أرِني الأعمال التي يأتي بها ايمانك وأوّلها احترامك وحبّك للفقراء. وإلاّ فليس ايمانك صادقًا...».

الرسالة الى العبرانيين

ليست في الواقع برسالة، بل انها عظة وجّهها أحد تلاميذ بولس، في حوالى السنة ٧٠، الى بعض المسيحيين الحائرين في امرهم. كانوا من اليهود فانضمّوا بحماس الى المسيح، وها هم الآن قد فتر حماسهم وأخذوا يتوقون الى ما في العبادة اليهودية من احتفالات رائعة. وبعد ان أصبحوا مسيحيين، تعذّبوا بسبب ايمانهم، وهم مهدَّدون بمصاعب جديدة. فيوبّخهم الكاتب قائلاً: «ان عذابكم يفوق ايمانكم! لقد مضى زمن «لَبَن حليب» التعليم المسيحي الصالح للاطفال: فلا بدّ من التعمّق في ايمانكم. أأنتم بلا حيلة أمام التطوّر الحاضر وما فيه من مصاعب؟ ولنجعلْ نُصبَ اعيننا راس ايماننا وهو المسيح عظيم كهنتنا».

يجمع الكاتب دون انقطاع بين التعليم والارشاد فيتأمّل في المزمور ٢ والمزمور ١١٠ ويستند الى الاحتفال بـ «يوم كيبور» او «يوم التكفير» المعروف عند سامعيه، وهو اليوم الوحيد الذي كان يدخل فيه عظيم الكهنة الى قدس الاقداس حيث يقيم الله، وكان يمثل امام الله ومعه دم لنيل غفران الخطايا.

ليس ذلك سوى صورة: فلقد وجب على المسيح، وهو عظيم الكهنة، ان يدخل الى الله ويمثل امامه بدمه الخاص، اي بحياته التي قرّبها. كان على عظيم الكهنة اليهودي ان يكرّر دخوله كل سنة. أمّا المسيح فقد دخل مرّة واحدة في حضرة الله وفتح لنا السبيل نهائيًا. فعلينا الآن ان نجعله نصب اعيننا ونسير الى ارض الميعاد في الايمان والرجاء، من دون ان تخور قوانا.

يُمكنك ان تقرأ بعض الفقرات على الأقل: ١/٥ – ١٠ (مروءة المسيح) و ٢٠/٧ – ٢٨ (يسوع الكاهن الاوحد) و ٩ – ١٠ (العهد الجديد) و ١١ (السير في الايمان).

رسالة بطرس الأولى

قليلاً ما تُقرأ هذه الرسالة التي أُرسلت على الارجح من رومة في حوالى السنة ٦٤، وهذا أمر مؤسف، فإنها، بغض النظر عن بعض التعاليم التي تجاوزها الزمن، تناسب تمامًا اوضاعنا الحاضرة. يوجّه بطرس كلامه الى المسيحيين المشتّتين في العالم. لم يعودوا مجموعة قومية او عرقية، بل أصبحوا إخوانية منتشرة في العالم (٩/٥)، يربطهم ايمان واحد وسلوك اجتماعي واخلاقي لا بدّ ان يمتاز عن سلوك معاصريهم.

يتوسّع القسم العقائدي (١/١ – ١٠/٢) في بعض مواضيع الكتاب المقدس الكبرى التي تساعد على العيش في هذه الأوضاع: الخروج، والعبد المتألّم الوارد ذكره في أشعيا والذي يقرّب نفسه لخلاص جميع الناس، والحجر الذي رذله البنّاؤون والذي جعل الله منه حجر الأساس، وهو صورة ليسوع الذي نبذه شعبه، فرفعه الله، والذي يبني عليه المسيحيون، وهم كالحجارة الحية، بيتًا روحيًا.

والقسم الثاني من تعليم المعمودية هذا يستخلص بعض النتائج العملية: مفادها ضرورة حسن السلوك بين غير المؤمنين (راجع الصفحة ١٦٨). ما أروع التحديد الذي يحدّد به بطرس الشهادة! (٩/٣).

يُولد هذا الشعب الجديد كشعبٍ مشتّتين، وهو مدعوّ من وسط الأمم التي يعيش فيها مع الاستمرار في الانتماء اليها. إنه شعب يعيش عيشة الخروج، وهدفه ان يعلن، بتسبيحه وحسن سلوكه، مآثر ذاك الذي «دعاه من الظلمات الى نوره العجيب» (١٥/٣).

رسالة يهوذا

كُتبت هذه الرسالة في حوالى السنة ٨٠ – ٩٠، وهي محيِّرة احيانًا وتقتبس بعض النصوص اليهودية المعاصرة. إنها تحذّر المسيحيين من التعاليم الكاذبة.

رسالة بطرس الثانية

كُتبت هذه الرسالة في أوائل القرن الثاني فوضعت تحت رعاية بطرس. وهي تدعو المسيحيين الى الاخلاص لدعوتهم بالرغم من المبشّرين الكاذبين ومن إبطاء مجيء المسيح. نحفظ منها على الأقل تفسيرها للتجلّي (١٦/١ – ١٨) وتحديدها لالهام الكتب المقدسة (٢٠/١ – ٢١).

المسيح في تفكير بولس



رسم جداري لمونج
(دوالا كامرون)

سنحاول ، في كل مرحلة ، ان نعرض صورة المسيح : كما يراها بولس ، ثم مرقس ، ثم لوقا...

هذه مجازفة ، لأن مثل هذه التلخيصات الوجيزة لا ينجو من عدم الموضوعية . لكنه يُشعرنا على الأقل بأننا لا نجد في العهد الجديد صورة واحدة للمسيح ، فانَّ شخصيته أغنى من ان تُرسم بخط ملامحي واحد ، وكل واحد منا يشعر بها انطلاقًا مِمَّا هو ومِمَّا يعيشه . فكل مسيحي في ايامنا وكل جماعة تعكس وجهًا ليسوع يختلف عمَّا يعكسه غيرهما . عسى ان تساعدنا جميع هذه الوجوه على التعرّف قليلاً الى ذاك الذي يبقى لنا غير منظور .

في حياة بولس «قبلاً» و «بَعدًا» ، ودمشق هي محطّة انطلاق . «قبلاً» ، كان بولس فرّيسيًا يقاوم يسوع ويطارد تلاميذه . «بَعدًا» ، كرّس نفسه كليًا للذي استولى عليه في الطريق . ان بطرس ويوحنا والتلاميذ الأولين اكتشفوا ببطء شخصية معلّمهم ، ولم يأخذوا يشعرون بأن صديقهم هو ابن الله إلاّ بعد الفصح والعنصرة . فهم يشبهون بعض مسيحيي أيامنا الذين ، بعد ان عُمِّدوا عند ولادتهم ، يجب عليهم ان يكتشفوا من الداخل ذلك الايمان الذي حصلوا عليه . أمّا بولس فهو شبيه بأولئك المهتدين الذين انقلبت اوضاع حياتهم بين ليلة وضحاها .

ويختلف أيضًا بولس عن الانجيليين بأنه لم يكتب كتابًا نجد الانسان فيه أين وصل تفكيره ، بل حرّر رسائل بحكم الظروف ، ومن الممكن ان نلاحظ تطوّر اكتشافه للمسيح .

تمجيد الملعون

ان الذي كان يظنه ملعونًا من الله ، بعد ان حكمت عليه السلطات الدينية والشريعة ، تراءى له مُمجَّدًا عند الله . وهو ، كما رأينا ، مصدر فكر بولس اللاهوتي . وقد وضع بولس في مرتبة واحدة تراأي يسوع له وتراأياته لتلاميذه ، فأصبح ، بفضل هذا التراأي ، رسولاً مثلهم (راجع مختلف عناوين الرسائل حيث يكتب أنه «رسول بالدعوة» و ١ قور ٩/١٥ و ٩/١ وغل ١/١ ...) .

من الراجح أن بولس لم يعرف يسوع مدة حياته الارضية ، ولكنه من اول مرّة رآه رؤيته للقائم من بين الأموات الممجَّد والربّ .

الرب الآتي

يصوّر بولس اختباره في طريقه الى دمشق بصورة تجلٍّ (غل ١٦/١) . فكانت المرحلة الأولى من حياته كمسيحي مرحلة الحميّة والاعجاب اللذين شعر بهما ذلك المهتدي الذي استولى عليه المسيح . وقد وعى لحياة المسيح فيه ولجدَّة ذلك العالم الذي دخل فيه بالمعمودية ، حتى لم يبق له إلاّ رغبة واحدة : أن يأتي يوم الرب بسرعة ويضع حدًا للتاريخ . ولذلك فان بولس بدأ خدمته عائشًا وحاملاً المسيحيين على العيش في انتظار مجيء الرب القريب .

المصلوب الذي يخلّص

لكن مجيء الرب قد أبطأ ، ولا بدّ من الاستمرار . لقد تقدّم بولس في اكتشاف الفكر اليوناني ورغبته في الحكمة البشرية (١ قور ١ – ٢) . لا شكّ أنه تأثّر بفشله في آثينة (رسل ١٧) فأخذ يركّز يومًا بعد يوم على لاهوت الصليب الذي كان قد اهمله في بدء أمره : «إني لم أشأ ان اعرف شيئًا ، وأنا بينكم ، غير يسوع المسيح ، بل يسوع المسيح المصلوب» (١ قور ٢/٢) . وازداد وَعيًا لفشل الشريعة ، وتيقّن من عدم وجود البِرّ الآتي من الشريعة ومن كل ما نعمله : فنحن ننال الخلاص بالنعمة وبالانضمام بلا قيد ولا شرط الى المسيح بالايمان والمعمودية . وآدم الجديد هو الانسان الأوّل الثاني لعالم جديد .

وفي رسائله الى اهل قورنتس وفيلبي وغلاطية ورومة ، يبيّن ما هي ، عمليًا ، الحياة اليومية مع المسيح ، وفي المسيح ، وما معنى الخلاص بالصليب .

ربّ العالم والتاريخ

انّ تفكير بولس طوال اربع سنوات في السجن ، وتأمّله في الكتب المقدسة ، ولا سيّما في النصوص الحِكَمية ، وازمة اهل قولوسي ، قد حملته على الاعتراف للمسيح بمكانه الحقيقي في العالم . فليس هو مخلّص جماعته فقط ، بل انه رب التاريخ وصورة الله غير المنظور وبكر كلّ خليقة وخالق الكون ، والذي به وله خُلق كل شيء . إنه الذي شاء الله ان يجمع فيه كل شيء . إنه ربّ لمجد الآب .

السلوك المسيحي او الاخلاقية المسيحية

ان طريقة العيش المسيحية، او ما يسمّونه الاخلاقية، لا تظهر في العهد الجديد بمظهر وصايا وتحريمات. فمن خلال الرسائل والأناجيل، نشعر بوجود تعليم مشترك: باتحادنا بيسوع عن طريق الايمان والمعمودية، نصبح كائنًا جديدًا. فلا بدّ لنا ان نعيش بعد اليوم بناءً على ذلك، اي ان نقتدي بالآب الذي أصبحنا ابناءه بابنه، وننقاد للروح القدس. وان عشنا هكذا حياتنا اليومية نؤدّي لله عبادة روحية.

تعليم مسيحي مبني على المعمودية

يبدو ان المعمودية قد رافقها، في وقت مبكّر، تعليم مسيحي وارشادات توسّعت في انعكاساتها على الحياة اليومية. فإننا نجد، في مؤلّفات مختلفة وفي إطار عمادي واحد، رسمًا بيانيًا واحدًا يتناول المواضيع نفسها.

◀ ان كان لديك متّسع من الوقت، فاقرأ ١ بط ١/٢ – ١٠ حيث نرى الكاتب يصوّر لنا المعمودية كولادة جديدة (الآية ٢). وهؤلاء المواليد يُبنَون على المسيح الحجر الحيّ فيصبحون جماعة ويستطيعون بعد ذلك ان يؤدّوا لله عبادة روحية (الآية ٥). ثم يتوسّع الكاتب في بعض وجوه هذه العبادة التي تقوم على حسن السيرة بين الوثنيين (الآية ١١): الموقف تجاه السلطات (١٣/٢ – ٦٧) وموقف العبيد تجاه سادتهم (١٨/٢ – ٢٥) والنساء تجاه ازواجهنّ والرجال تجاه زوجاتهم (١/٣ – ٧) والاخوة في الجماعة (٨/٣ – ١٢)...

ونرى يعقوب يلخّص التعليم نفسه: ولادة جديدة (يع ١٧/١ – ١٨) والانعكاسات على الحياة اليومية (٢٦/١ – ٢٧).

ويذكّر بولس اهل قولوسي بأن المعمودية موت وحياة مع المسيح (قول ٢٠/٢ و ١/٣) ويواصل قوله: عيشوا اذًا بناءً على ذلك (٥/٣). يقول هذا بصورة عامة أولاً (٥/٣ – ١٧) ثم يطبّقه على كل فئة من فئات المؤمنين (١٨/٣ – ١/٤).

وفي الرسالة الى اهل أفسس، يذكّرهم بولس بالمعمودية (اف ١٤/٥) ويواصل كلامه على طريقة السلوك (١٥/٥) ويتوسّع في المواضيع نفسها (٢١/٥ – ٩/٦).

◀ وان لم يكن لديك إلاّ قليل من الوقت، فيمكنك ان تكتفي بقراءة ١ بط ١/٢ – ٥ وروم ١/١٢ – ٢. في روم ٦، ذكّر بولس بتعليمه في المعمودية، ثم بيّن في روم ٧ – ٨ كيف يعيش المسيحي متنعشًا بالروح القدس. وفي روم ١٢ يتوسّع في الانعكاسات العملية: فالعبادة الحقيقية التي يجب تأديتها لله هي تقدمة أنفسنا، هي الحياة اليومية ان عشناها بطريقة معيّنة وفي روح معيّن. وامّا بقية الفصل الثاني عشر، ففيها رسم للخطوط العريضة لما يجب ان يكون السلوك المسيحي الصحيح.

مقاييس السلوك المسيحي

في نظر المسيحي، لم يعد هناك من شريعة. فليس عليه إلاّ ان ينقاد للروح القدس ويعيش كمن اتّحد بالمسيح، مقتديًا بالآب.

الروح القدس «شريعة» المسيحي. كان ارميا قد أنبأ بأن الله سيقطع عهدًا جديدًا فيضع الشريعة في اعماق قلب كل مؤمن (ار ٣١/٣١ – ٣٤) وكان حزقيال قد أطلق على هذه «الشريعة» اسمها: الروح (حز ٢٦/٣٦ – ٢٧). يتناول بولس هذا التعليم ويتوسّع فيه. ولا سيّما في رسالته الى اهل غلاطية: لقد حرّركم المسيح، فانقادوا للروح! (راجع غل ٥ ولا سيّما ١/٥ و ١٣ و ١٨ و ٢٢ – ٢٥).

الحياة في المسيح. تقوم الأخلاقية المسيحية على العيش وفقًا للكائن الجديد الذي أصبحناه حين اتّحدنا بالمسيح عن طريق الايمان والمعمودية. كونوا ما أصبحتموه: على هذا النحو يمكننا ان نلخّص الفكرة التي يكرّرها بولس بوجوه كثيرة. يمكننا ان نكتشف ذلك انطلاقًا من كثير من النصوص. ولكننا سنقتصر على الرسالة الى اهل قورنتس.

نستطيع ان نقول إن بولس يبتكر الاخلاقية المسيحية في علاقاته مع اهل قورنتس. لقد انضمّ اولئك الوثنيون الى المسيح بحماس. ولكن الانسان لا ينتقل بين ليلة وضحاها من نمطٍ حياتي معروف («سار سيرة اهل قورنتس») الى الحياة في المسيح. سيحاول بولس معهم ان يعرف أيّ تغيير

لا بدّ ان تدخله هذه الحياة الجديدة على سلوكهم. فلا يقول لهم: يجب عليكم... يُحرَّم عليكم... بل يذكّرهم: ماذا أصبحتم بإيمانكم؟ ماذا ينتج عن ذلك؟ وهكذا فان رسالته سلسلة قضايا عمليّة.

◄ إقرأ بعض النصوص وانظر ما هي القضية العملية المطروحة واعرف الى ماذا يستند بولس لبناء اخلاقيته.

منازعات محلية (١ قور ١/١٠ – ٤/٢١). يتّخذ المسيحيون معلّمين ويجعلون الواحد ضدّ الآخر (١/١١ – ١٢). الى ماذا يستند بولس لإحلال الوحدة؟ راجع ١/١٣ و ٣/١٦ – ١٧.

مسيحي قليل الذوق يساكن امرأة ابيه (٥). إلى ماذا يستند بولس؟ راجع ٥/٧ – ٨.

مسيحيون يجرّون بعضهم بعضًا الى المحاكم (٦/١ – ١١). الى ماذا يستند بولس؟ راجع ٦/١١.

مسيحيون يعدّون أنفسهم فوق الاخلاقية (٦/١٢ – ٢٠)! الى ماذا يستند بولس ليذكّر بالشعور المسيحي بالجسد؟ راجع ٦/١٥ و ١٩ – ٢٠.

هل المسيحي محكوم عليه بالانعزال عن العالم (٨ – ١٠)؟ وراء مسألة الأكل من لحم ذبائح الأوثان يستتر موضوع حالي حامٍ: ما هي حال المسيحي في العالم؟ في ذلك الزمان. كانت فضلات اللحوم المقرّبة الى الأوثان في المعابد تُباع في السوق: فكان كل مسيحي مُعرضًا للشراء منها. فللتأكّد من عدم الوقوع في هذا الخطأ، هل يجب العدول عن اكل اللحم ام ان يكون هناك ملحمة مسيحية؟ أمحكوم على المسيحيين ان يعيشوا في مكان معزول وأن يُنشئوا مؤسسات مسيحية (من النقابة الى المدرسة)؟ في نظر بولس، المبدأ الوحيد هو المحبة (٨/١ – ٣): «كلّ ما خلق الله حسن، اذا تناوله الانسان وهو شاكر» (١ طيم ٤/٤ – ٥). فالمسيحي حُرٌّ اذًا في اكل تلك اللحوم، وفي الاستفادة من تلك المؤسسات. إلاَّ أن هناك شيئًا فوق الحق، وهو المحبة. فإن كان عملنا حجر عثرة لأخينا، فالامتناع أفضل (١ قور ٨/٩ – ١٣).

مثل الآب. بما اننا نتّحد بيسوع عن طريق الايمان والمعمودية، وبما ان الروح يجعل منّا ابناء الله (روم ٨/١٥ – ١٦) فالقاعدة الوحيدة هي ان نكون قدّيسين كما ان الآب قدّوس. يشدّد متّى على ذلك في «تعليمه المسيحي» الذي يضعه على لسان يسوع – العظة على الجبل.

◄ يُمكنك ان تقرأ العظة على الجبل (متى ٥ – ٧) واضعًا خطًّا تحت كلمة «الآب». أيّ معنى يضفي ذلك على جميع هذه «الشرائع»؟

إقرأ مثل العبد القليل الشفقة (متى ١٨/٢٣ – ٢٥). كيف يجب على التلميذ ان يكون سلوكه باقتدائه بالمولى (الله)؟ أن يغفر الانسان لأنه يعرف أنه مغفور له. هذا هو موقف المسيحي الأساسي.

في حكم النعمة

«لم تعودوا في حكم الشريعة، بل في حكم النعمة». هذا ما يكرّره بولس (روم ٦/١٤ ...). سأل المولى: «أفما كان يجب عليك أنت أيضًا ان ترحم صاحبك كما رحمتك أنا»؟ (متى ١٨/٣٣). ذلك هو اساس الاخلاقية في نظر المسيحيين الأولين.

ليس المطلوب ان «يعمل» الانسان شيئًا، وأن يستحقّ خلاصه، بل ان «يناله» في الحمد والشكر (راجع الصفحة ١٦٠ التبرير بالايمان). ولأن الانسان يعرف أنه محبوب مجّانًا ومغفور له، فإنه يشعر بالحاجة الى محبة الله والى محبة الآخرين والمغفرة لهم، وليشركهم في ما ناله. لا يمارس الانسان الاخلاقية لأنه مسيحي، بل لأنه انسان. ولا يعمل «اعمالاً» للحصول على خلاصه، لأنه موهوب له مجّانًا. إن ما نعمله، اي «أعمالنا»، لا يشبه باقة الزهر التي يقدّمها ولد لأمه لتأذن له في اللعب مع صديقه، بل يشبه باقة الزهر التي يقدّمها لها في عيد الامّهات، لأنه يعرف أنه محبوب ويريد ان يعبّر عن ذلك. ليس الوجه المسيحي للاخلاقية أولاً في ما يعمله الانسان، بل في المعنى الذي يعطيه لما يعمله: فالزوجة التي تكوي قميص زوجها ليست أقل أو اكثر إتقانًا لهذا العمل من الكوّاءة المحترفة. ولكنّ القميص عندها قميص زوجها...

ان المسيحي، وهو مُعجب بكونه محبوبًا الى حدّ بعيد ومغفورًا له مجّانًا ومنتعشًا في يسوع بالروح، يرغب ان يكون مثل أبيه السماوي وان ينقل الى جميع الناس الفرح الذي يناله منه تعالى.

٤. الانجيل بحسب القديس مـرقس



مرقس والأسد.
حجر زاوية منبر كنيسة شارتر. فرنسا
(القرن الثالث عشر)

يُنسب عادةً الى مرقس فضل ابتكار هذا الفن الأدبي الجديد، اي الانجيل. اعلن يسوع الانجيل، اي البشرى بأن ملكوت الله آتٍ بفضله. وكتب مرقس كتابًا يعرض فيه البشرى الخاصّة بيسوع. فالمبشِّر، اي يسوع، اصبح المبشَّر به، وأقواله واعماله هي التي أُعلنت الآن كبشرى، كإنجيل. والعنوان الذي أُطلق على هذا النوع من المؤلَّفات، ابتداءً من القرن الثاني، لا يخلو من المعنى: الانجيل بحسب مرقس، بحسب لوقا... أعلن يسوع انجيلاً واحدًا، والانجيليون عرضوا حياة يسوع كما شعروا بها، بحسب ما اكتشفوه. فهم يؤدّون شهادتهم.

اجل، لم يبتكر مرقس كل شيء، فقد حُرِّر قبله كثير من اقوال يسوع واعماله، شفهيًا أولاً، ثمّ خطيًا. كانت هناك عدّة مجموعات: مجموعة أقوال ورواية للآلام، من القبض على يسوع الى دفنه، ومقاطع غيرها ولا شك (راجع الصفحة ١٢٩). ومرقس هو أول من وضع كتابًا جمعها فيه، ففرض ان تُحاط حياة يسوع بإطار جغرافي وزمني، وهذا الاطار قد تبنّاه بعدئذٍ متى ولوقا (لا يوحنا). إنه اطار عملي، ولكنه، كما سنراه، من النوع اللاهوتي اكثر منه من النوع التاريخي: فإن مرقس لا يدّعي استعادة الاحداث بدقتها الحرفية، بل يعرض نظرة معينة الى حياة يسوع كما رآها هو والجماعة التي هو لسان حالها.

جماعة مرقس

يسلَّم عادة بأن انجيل مرقس كُتب في رومة في حوالى السنة ٧٠ وبأنه تناول تبشير بطرس. فمنذ السنة ١١٠ تقريبًا، كتب المطران پاپياس: «هذا ما اعتاد الشيخ ان يقول: ان مرقس، الذي سبق له ان كان ترجمان بطرس، كتب بدقة، لا بترتيب، كل ما ذكره من اقوال الرب واعماله. فإنه لم يسمع هو الربّ ولا تبعه، ولكنه، كما قلت، تبع بطرس فيما بعد. وكان بطرس يُلقي الارشادات بحسب الحاجات ولكن دون ان يرتّب اقوال الرب».

فالأدلّة التي نلاحظها في مؤلَّفه تطابق هذا التقليد. كانت جماعته مؤلَّفة من مسيحيين جاؤوا من الوثنية: فكان لا بدّ لمرقس ان يترجم الألفاظ الآرامية وان يشرح بعض العادات اليهودية. لا تخفى على احد الاهمية المعلّقة على تبشير الوثنيين. ولا عجب ان نجد أجمل شهادة ايمان على لسان قائد المئة الروماني عند قدم الصليب.

كانت هذه الجماعة معرّضة للاضطهادات. فالايمان الذي يعرضه مرقس ليس بايمان في غاية الراحة، فقد كان هدفًا للمعارضات فكان يُجبر على المخاطرة. كل ذلك يطابق ما نعرفه عن كنيسة رومة على عهد نيرون. وقد استُشهد بطرس في السنة ٦٤.

فوضع جماعة مرقس وضع جماعة «مشتّتة بين الأمم»، كما ورد في رسالة بطرس.

المؤلِّف

من المؤكّد تقريبًا أنه الشاب يوحنا مرقس الذي ورد ذكره في اعمال الرسل (١٢/١٢). رافق برنابا عمَّه وبولس في رحلتهما الرسولية. ولكنه فارقهما عند إبحارهما الى آسية الصغرى وفضَّل الرجوع الى بيته (رسل ١٣/٥ و ١٣)! وقد رفض بولس ان يرافقهما في الرحلة الرسولية الثانية. فكان السبب في افتراق بولس وبرنابا (رسل ١٥/٣٦ ت). ولا شكّ ان بولس عاد فصالحه، إذ اننا نجد مرقس الى جانب بولس مدّة سجنه في رومة (قول ٤/١٠). هذا وان بطرس يشير في رسالته الى ان مرقس «ابنه» معه في رومة (١ بط ٥/١٣).



رحًى يسدّ
مدخل احد القبور

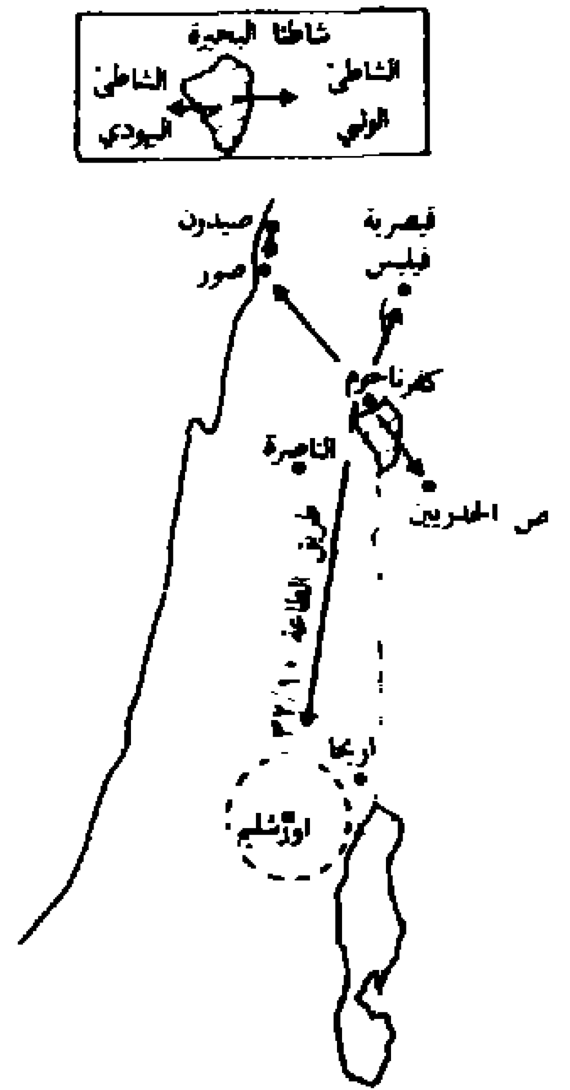
من الأناجيل كثيرًا ما لا نعرف إلاّ بعض المقاطع المتفرّقة. ولذلك فانت مدعوّ قبل كل شيء الى قراءتها قراءة متواصلة (قراءة انجيل مرقس تستغرق ساعة واحدة فقط). ولا شك انك ستُدهش من الاهتمام الذي تثيره عندك هذه القراءة.

ان كان لديك متّسع من الوقت، فخذ انجيل مرقس واقرأه لمجرّد التمتّع به. وفي الآخِر، لخّص انطباعاتك: ما اعجبك وما أدهشك وما اكتشفته... وإن استرعى انتباهَك وجهٌ من الوجوه (الالقاب المطلقة على يسوع ونظرات يسوع...)، يمكنك عندئذٍ ان تُعيد القراءة مهتمًا بهذا الموضوع.

وان لم يكن لديك من الوقت إلاّ القليل واردت ان تقوم بـ «زيارة موجَّهة»، فإليك بعض المعالم.

الجغرافية

احاط مرقس حياة يسوع بإطار بسيط جدًا. فبعد أن اعتمد يسوع في الاردن (١/١ – ١٣)، أخذ يبشّر في الجليل (١٤/١ – ٥٠/٩)، ثم صعد الى اورشليم (١٠) وبشّر ومات في اورشليم (١/١١ – ٨/١٦). وفي الختام، نرى ملاك القيامة يُخبر بالتجمّع في الجليل (٧/١٦).



لكنَّ الاناجيل ليست بخرائط جغرافية، فإن جغرافيتها هي تفكير لاهوتي قبل كل شيء. فان قارنتَ بين الخريطتين الهامشيتين، ترى ما أشد اختلاف الواحدة عن الأخرى.

فالجليل عند مرقس عكس اورشليم

كان **جليل الأمم او الوثنيين**، كما كانوا يقولون في ذلك الزمان، قد عرف اجتياحات كثيرة، ولم يكن الايمان فيه صافيًا في نظر المسؤولين الدينيين. لم يكن ممكنًا ان يخرج منه شيء صالح، ولا سيّما نبي (راجع يو ٤٦/١ و٥٢/٧). ولكن أشعيا (٢٣/٨) كان قد أنبأ بأن الله سيتجلّى في الجليل للوثنيين: فكان اذًا رمز رجاء وانفتاح. والحال أن فيه وُلد يسوع وعاش وبشّر، واستقبلته الجموع بحماس. كانت تلك المنطقة منفتحة، ومنها ذهب يسوع الى الوثنيين، الى صور وصيدا (٢٤/٧ و٣١).

وأمّا **اورشليم** فانها تظهر بالعكس بمظهر المدينة المنغلقة على نفسها وملجأ التقليديي التفكير الواثقين بحقيقتهم وغير الراضين بأن تكون مثار نزاع. فمنذ بدء تبشير يسوع في الجليل، أتته من اورشليم أرهب التهجّمات (٢٢/٣).

لم تكن بحيرة طبرية هي ايضًا حيادية: فضفّتها الغربية يهودية وضفتها الشرقية وثنية. فكان يسوع يقود تلاميذه بدون انقطاع الى الضفة الوثنية، فيعدّهم هكذا الى رسالة سيصعب عليهم فهمها.

سرّ يسوع

منذ الكلمات الأولى، يُدخل مرقس القارئ في السرّ: بشارة يسوع المسيح ابن الله. والى جانب اسمه يسوع، الذي يحدّد وضعه كانسان، يظهر لَقَبان: المسيح وابن الله. فيوحنا المعمدان يُعلن أنه يسبق المشيح، والآب يُعلن ليسوع بأنه ابنه (١/١ – ١٣). فالقارئ مطّلع، ولكنه مدعوّ، ابتداءً من تلك الساعة، الى ان يكتشف من جديد وببطء مع التلاميذ سرّ يسوع. ويتمّ هذا على مرحلتين.

في قسم اوّل (١٤/٦ – ٢٦/٨)، يُعلن يسوع مجيء ملكوت الله القريب ويدلّ على علاماته: المعجزات. ولكنه يرفض ان يقول من هو، وينهى الشياطين عن إفشاء سرّه، فهناك سرّ سُمّي «السرّ المشيحي». **واللقب الوحيد الذي يطلقه يسوع على نفسه هو لقب ابن الانسان، وهو لقب خفيّ.**

يبتدئ القسم الثاني (٢٧/٨ – ٨/١٦) باعلان بطرس: «أنت المسيح»! يُخيَّل الينا ان يسوع أخذ يتنفّس: فقد شعر تلاميذه بشيء من سرّه، وهذه مرحلة أولى قد تخطّوها. ولكنه قلق في الوقت ذاته، لأنه يخشى ان يخطئَ تلاميذه أيضًا في هوية المسيح ويروا فيه المحرّر الذي سيقيم مملكة اسرائيل بقوّة السلاح. ولذلك نراه ينهى بطرس عن اذاعة اكتشافه ويقود تلاميذه الى المرحلة الثانية: على ابن الانسان ان يتألّم ويُقتل!

وفي سلسلة من المناظرات في اورشليم (١١ – ١٣)، صرف يسوع عن اذهانهم لقبًا آخر، لا يخلو هو أيضًا من الخطورة، لقب ابن داود. فنتج عن ذلك تصلّب في مقاومة المسؤولين الدينيين ليسوع. نحن هنا في قلب المأساة. فقد كان هؤلاء المسؤولون ينتظرون المسيح وكانوا طبعًا اكثر الناس أهلية ليعرفوه متى ظهر. ولكنّهم كوّنوا لأنفسهم فكرة واضحة، فكرتهم.

والحال ان يسوع يعرّف نفسه كالمشيح، ولكنه لا يوافق فكرتهم. وقد اشتدّ التناقض بين هذين التصوّرين حتى وجب ان يموت أحد: او أن يموت المسؤولون عن الفكرة التي كوّنوها لانفسهم فيقبلوا هذا المشيح المحيِّر، او ان يتشبثوا بفكرتهم وان يموت يسوع! وفي مشهد المحاكمة المأسوي أمام المجلس، كان يسوع عالمًا بأنهم سيحكمون عليه بالموت وبأنه لم يعد يُخشى ان يعدّوه مشيحًا زمنيًا، فصرّح بوضوح بأنه المسيح. فحُكم عليه بالموت.

ولكن وثنيًّا حلَّ محلَّ اليهود عند قدم الصليب واعترف بأن يسوع هو ابن الله. يدلّنا يسوع المحكوم عليه وقائد المئة امام جثمان المصلوب على الطريق الذي لا بدّ من سلوكه ليصدق الاعتراف بالايمان المسيحي.

ومن خلال تلك المأساة، لا يزال مرقس يطرح علينا هذا السؤال: ان يسوع محيِّر! فهل أنتم مستعدّون ان تموتوا عن الفكرة التي كوّنتموها لأنفسكم في شأنه، لتقبلوه كما هو...؟

► يُمكنك، في أثناء القراءة، ان تضع خطوطًا متنوعّة الألوان تحت الألقاب المطلقة على يسوع والأشخاص الذين يعترفون به...

مأساة انسانية

أمام يسوع لا يبقى أحد غير منحاز. فحالَ ما يظهر يسوع، تتكوّن المجموعات المصادِقة والمعادية وتتساءل. ومن اوّل يوم، اختار يسوع تلاميذ، ولاسيّما الرسل، ليكونوا معه: كانت هذه مجموعة اولى، ولكن عدم التفهّم قد يوتّر أحيانًا هذه الرِّفاقة. قليلاً ما نرى عائلة يسوع، ولكنّها معادية بالأحرى. والجمع حاضر دائمًا، ويسوع يحبّه ويضع تلاميذه في خدمته. لكنّ هذا الجمع متقلّب. والأعداء يأتون من اورشليم، وهم ظاهرون منذ البدء ولا ينزعون السلاح.

► يُمكنك ان تخصّ كل مجموعة بلون من الألوان وترى كيف تتلاقى المجموعات وتتجابه... وكيف يمكن الانتقال من حزب الى حزب.

في هذه القراءة، يمكن تمييز ست مراحل.

– ١٤/١ – ٦/٣: كل مجموعة من المجموعات تحدّد وضعها.

– ٧/٣ – ٦/٦: تمّت القطيعة بين يسوع وخصومه وقرابته. يسوع يُخرج التلاميذ من الجمع ويعلّمهم على انفراد (امثال ومعجزات).

– ٦/٦ – ٢٦/٨: ارتسم انقسام بين يسوع وتلاميذه. فهم لا يفهمون معنى رسالته ورسالتهم. ويسوع يوفدهم الى الرسالة ويُظهر لهم أن مائدته مفتوحة للجميع (تكثير الارغفة) ويضعهم في خدمة الجمع. ويذهب بهم الى الضفّة الوثنية للبحيرة. أمّا هم فإنهم يبقون صُمًّا وعُمياناً. وهذا ما ترمز اليه معجزتان.

– ٢٧/٨ – ٥٢/١٠: لا يفهم التلاميذ الى أيّ طريق مؤلم يذهب بهم يسوع (راجع ٣٢/١٠).

– ١/١١ – ٣٧/١٣: في اورشليم، يجابه يسوع خصومه (مثل الكرّامين). وقصة التينة التي يبست ترمز الى وضعهم.

– ١/١٤ – ٨/١٦: يعدّ يسوع تلاميذه الى المأساة. ولكن عبثًا. فيموت وحيدًا. غير انّ ملاك القيامة يسيّرهم: ولن «يروا» القائم من بين الأموات إلاّ عند وصولهم الى «الجليل»، اي الى اقصى العالم والتاريخ، حيث سبقهم يسوع اليه. وأمّا الخاتمة، فقد أُضيفت في وقت لاحق.

بعض ملامح انجيل مرقس

انشاء مرقس شعبي، فهو كثيرًا ما يستبدل «و» و«من ساعته» بروابط النسق، وفي بعض جمله شيء من الركاكة. فيكتب، على سبيل المثل: «فأخذ الاعمى يُبصر وقال: أبصر الناس، فكأنّهم اشجار أراها تمشي» (٢٤/٨). ويستعمل كلمات كانوا يعدّونها سوقيّة، ولا يتردّد أمام التكرارات...

مرقس راوية رائع. يحتوي إنجيله على قليل من الخُطب. ورواياته واقعية دائمًا ومزخرفة بصُور مأخوذة على طبيعتها. والأفعال في صيغة الحاضر في اغلب الاحيان، ولكنه يخلط صيغ الفعل. وهناك عدد من «فإنّ» يعود الى منطق يحيّرنا (... «فإنها كانت ابنة اثنتي عشرة سنة» في ختام رواية إحياء ابنة يائير ٤٢/٥). وهو يؤثّر، لا بتحريك المشاعر، بل بالأحرى برواية جافّة للوقائع. وهذا ما نلمسه خاصّة في رواية الآلام.

سُمّي انجيل مرقس «انجيل ما قبل الفصح». فهو يساعدنا على اكتشاف يسوع بعيني بطرس السائر وراء يسوع على طرق فلسطين. ولكنّ مرقس هو لاهوتي عميق أيضًا، وهو يجدّد قراءة حياة يسوع في ضوء الفصح.

بعض النصوص من انجيل مرقس

قمنا بقراءة اجمالية لانجيل مرقس. أما الآن، فسنقرأ بعض النصوص. لا يمكنك ان تدرسها جميعها: فلا بدّ من الاختيار!

◄ **العنوان: ١/١**

يُعلن مرقس الايمان المسيحي في جملة مقتضبة؛ ويكشف أيضًا عن المراحل التي مرَّ بها (وسيمرّ بها) التلاميذ للوصول الى هذا الايمان. وفي هذا العنوان، كما في فاتحة انجيل يوحنا وفي روايات الطفولة عند متى ولوقا، دليل على العمق اللاهوتي الذي بلغه المسيحيون بعد الفصح بأربعين سنة.

بدء. رسالة يسوع افتتاح شيء جديد في التاريخ، بل خَلقٌ جديد (هذه أول كلمة لسفر التكوين)، وبدء يفتتح كامل زمن تاريخنا. هذه مُهمَّة يجب القيام بها!

بشارة. هذه البشارة أو البشرى إحالة الى الاعلان الوارد ذكره في أشعيا الثاني (راجع الجزء الأول، الصفحة ٦٧). قارِن بين بشارة مرقس هذه وبشارة يسوع (مر ١٤/١ – ١٥). فالفرق المذكور في الصفحة ١٧١ واضح كعين الشمس: كان يسوع يبشّر بمجيء ملكوت الله، وأمّا مرقس فإنه يبشّر بيسوع. فالمبشِّر أصبح المُبشَّر به! ومجيء ملكوت الله جزء لا يتجزأ من شخص يسوع.

يسوع. يوحي مجرّد هذا الاسم بالمظهر الانساني الذي يتّسم به «النجّار، ابن مريم واخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان» والذي تعرف اخواته أيضًا (مر ٣/٦). إنّه انسان، بل مختلف تمامًا...

المسيح. يسوع هو المشيح الذي أنبأت به الكتب المقدسة، والذي مسحه الله وولاّه مهمّة اقامة ملكوته. رأينا كيف أن يسوع في انجيل مرقس يحذّر من هذا اللقب وينهى عن اطلاقه عليه («السرّ المشيحي»). أعلنه بطرس في قيصريّة، ولكن يسوع أجبره على السكوت وأنبأ بآلامه (٢٩/٨ – ٣٠). وهو لا يوافق على هذا اللقب إلاّ عند الحكم عليه (٦١/١٤ – ٦٢).

ابن الله. كان هذا اللقب، في ايام يسوع، يعادل لقب «ابن داود». ولكنه اتّخذ شيئًا فشيئًا، بعد العنصرة، المعنى القويّ الذي نعرفه اليوم. وتمّ اعلانه على لسان الوثنيّ الذي كان واقفًا الى جانب الصليب.

◄ **اعتماد يسوع: ٩/١ – ١١**

كلمة واحدة تُشير الى **الاعتماد** (يذكره متى ولوقا في جملة معترضة، وأمّا يوحنا فلا يذكره). والأمر الجوهري هو تجلّي الله بالأعمال والأقوال.

انفتاح السموات. هذا موضوع من مواضيع الرؤى. فالسماء «مُغلقة» منذ أن انقرض جيل الانبياء. والروح لم يعد ينزل لهداية الشعب: فالتاريخ مسدود. ولكنهم كانوا ينتظرون انفتاح السموات في آخر الأزمنة (راجع النص المُحاط بإطار). وحين يستعمل مرقس كلمة «انشقّ»، فلا شك أنه يرى فيها جوابًا عن نداء أشعيا (٦٣ – ٦٤). إقرأ هذا النص ولاسيّما ١٠/٦٣ – ١٣ و ١٩. كيف ترى أن هذا النص يلقي ضوءًا على مشهد الاعتماد؟

لا تزال رمزيّة الحمامة غامضة. في هوشع ١١/١١ وفي سفر عزرا الرابع (وهو مؤلَّف أُدرج ردحًا من الزمن في الكتاب المقدس اللاتيني) يشبَّه الشعب بالحمامة. فاذا صحّ ذلك، يكون المعنى أن نزول الروح على يسوع تأسيس لشعب الله الجديد.

يجمع **الصوت** بين عدّة نصوص: «ابني» (مز ٢)، و «الحبيب» (تك ٢/٢٢ و١٢ و١٦: ذبيحة اسحق). (هذه هي المرّة الوحيدة التي تضاف فيها كلمة «الحبيب» الى «الابن» في العهد القديم) و «رضي عن» (اش ١/٤٢ و ١/٤٢ الذي يذكره متى في ١٧/١٢). ما هو المعنى الذي تتّخذه الكلمة في هذا الضوء؟

يبدو اننا أمام اختبار انفرد به يسوع: فالمقصود هو تنصيب يسوع مشيحًا، وربّما مشيحًا مصيره الذبيحة كإسحق.

> «ستنفتح السموات، ومن هيكل المجد ينزل التقديس على الكاهن الجديد، في صوت أبويّ كصوت ابراهيم لاسحق. مجد العليّ يتدفّق عليه وروح الفطنة والتقديس يستقرّ عليه» (وصية لاوي ٦/١٨ – ٨).
>
> «حينئذٍ يرتفع رجل من ذرّيتي، كشمس عدل، سائرًا مع بني البشر في رِفقٍ وعدل. ولن توجد فيه خطيئة. وستنفتح السّموات عليه لتفيض الروح. وسيفيض عليك روح النعمة وفيه تصبح ابنًا في الحق» (وصية يهوذا ١/٢٤ – ٦).
>
> تنتمي وصية لاوي ووصية يهوذا الى مجموعة رؤى معروفة باسم وصايا الآباء الاثني عشر. لا شك أنها سبقت المسيحية ولكنها نُقِّحت عن يد بعض المسيحيين.

خمس مناظرات : ٢/١ – ٣/٦

ان هذه المجموعة من المناظرات الخمس بين يسوع وخصومه تساعدنا على التعرّف الى الفنّ الأدبي «المناظرة» (راجع الصفحة ١٣٤). سندرس مناظرتين منها.

◄ شفاء مُقعد : ٢/١ – ١٢

إهتدِ الى الممثّلين : ماذا يفعلون؟ ماذا يقولون؟

هذه الرواية غريبة : لم يكن المقعد ينتظر ذلك الكلام (الآية ٥). الرواية مؤلّفة من «تركيب» رواية معجزة ومناظرة : حاوِل ان تميّز بينهما.

المعجزة (٣/٥ و ١١ – ١٢). إهتدِ الى مختلف العناصر (راجع الصفحة ١٣٤). من رجل مضّجع ومساعَد يجعل يسوع رجلاً واقفاً ومسؤولاً عن نفسه. كيف يمكن ان يعني هذا مجيء ملكوت الله؟ ما هو ردّ فعل الجمع؟ فعل «قام» وفعل «قام من بين الأموات» هما فعل واحد في اليونانية : فمساعدة المسيحي للآخرين على الوقوف يمكن أن تكون في نظره طريقة لتحقيق قيامة يسوع في أيّامنا.

المناظرة (٥/– ١٠). الكتبة جالسون ومتربّعون في موقفهم (راجع الصفحتين ١٧٢ و ١٧٣). يفكّرون منذ هذه الساعة ما سيصرخون به في الدعوى (١٤/٦٤) : «إنه ليجدّف!». والعبارة «غُفرت لك خطاياك» تعني ان الله غفرها. لكن يسوع يُظهر بأقلّ ما يكون ان غفران الله مرتبط بعمله هو يسوع. ويظهر بمظهر ابن الانسان الوارد ذكره في دانيال ٧، الذي أولاه الله كل سلطان ولا سيّمَا الدينونة، بحسب التقليد اليهودي.

التركيب. كيف ترى ان هذين الشفائين، شفاء الجسد وشفاء القلب، يوضّح الواحد الآخر؟ ماذا يعلّمنا هذا عن الخلاص الذي اتى به يسوع؟ أليس هذه هي الكلمة التي ألقاها يسوع (الآية ٢)؟

• دعوة لاوي : ٢/١٣ – ١٧

كتب مرقس : كان يسوع يعلّم الجموع. لكنّ هذا التعليم سيُلقى هنا أيضًا بالاعمال خاصة.

نقطة انطلاق المناظرة رواية دعوة الى الانضمام الى يسوع، وهناك كثير من امثالها في الانجيل. وهذا النوع من الرواية يتضمّن عادة ثلاثة عناصر : نظرة يسوع – العبارة «اتبعني» – تلبية الدعوة.

لاوي جابي ضرائب، فكان يُعدّ، بهذه الصفة، خاطئًا. وأراد ان يحتفل بدعوته فأقام مأدبة : هذه هي نقطة انطلاق المناظرة، فإن يسوع يجالس الخاطئين الى المائدة...

• الصوم والعريس : ٢/١٨ – ٢٢

تتّسع هذه المناظرة بمثلين صغيرين، كما الأمر هو غالبًا في التعليم. يصف مرقس يسوع بالعريس، بالشريك الالهي للعهد (راجع الجزء الأول، الصفحتين ٤٧ و ٦١). ويحلّ خمر العرس محلّ الصوم.

• سيّد السبت : ٢/٢٣ – ٢٨

في هذه المناظرة التقليدية، بما فيها من استشهاد بالكتاب المقدس، يطرح يسوع مبدأً ثوريًا : فالسبت – ووراء السبت كل مؤسّسة دينية وانسانية – في خدمة الانسان.

◄ شفاء يوم سبت : ٣/١ – ٦

١. ودخل ثانية بعض المجامع وكان فيه رجل اشلّ اليد.
٢. وكانوا يراقبونه ليروا هل يشفيه في السبت ومرادهم ان يشكوه.
٣. فقال للأشلّ اليد : «قم في وسط الجماعة».
٤. ثم قال لهم : «اعمل الخير يحلّ في السبت ام عمل الشرّ ؟ اتخليص نفس أم قتلها؟».
فظلّوا صامتين.
٥. فأجال طرفه فيهم مُغضبًا مغتمًّا لقساوة قلوبهم.
ثم قال للرجل : «امدُدْ يدك». فمدّها.
فعادت يده صحيحة.
٦. فخرج الفريسيون وتآمروا عليه لوقتهم مع الهيرودسيين، ليروا كيف يُهلكونه.

ابحث عن الممثّلين : يسوع / الخصوم، والمريض مجرّد عِبرَة. لاحِظ التوافقات المعبَّر عنها بترتيب النص. المجمع هو مكان الشريعة، فالمسؤولون الدينيون هم فيه كفي بيتهم.

• يسوع يدخل في البدء، وهم يخرجون في النهاية.

تتناول هذه المجابهة الرئيسية معنى الشريعة : الخصوم منغلقون على فكرتهم (سوف يُوبِّخ التلاميذ على هذه القساوة : ٦/٥٢ و ٨/١٧). المُطلق في نظر يسوع ليس هو ممارسة احدى الشرائع، بل الانسان. من هو المنتصر في هذه المجابهة؟ لكن عبارة «ليُهلكوه» تخلق تشويقًا لا ينتهي إلاّ بالآلام (في ما يتعلّق بكلمة «يشكونه»، راجع ١٥/٣ – ٤). ويُظهر الله، حين يُقيم يسوع من بين الأموات. أنه حقًا سيّد الشريعة.

ايّ معنى يُعطى لهذا النص في ايّامنا؟

◄ **أعمى اريحا : ١٠/٤٦ – ٥٢**

من هم الممثّلون وما هي اعمالهم وأقوالهم؟ لاحظ التحوّل الذي تمّ من البداية الى النهاية : أعمى – جالس – على جانب – الطريق / أبصر – تبعه – في – الطريق . ما هو هذا التحوّل (هل هو «الطريق» نفسه) وكيف تمّ؟

ابحث عن العناصر المألوفة في رواية المعجزات (راجع الصفحة ١٣٤). ان طلب تدخّل يسوع (الآيات ٤٧ – ٥٠) طوله يتجاوز الحدّ. وليس هناك من ردّ فعل في الختام. لا شكّ ان هذه الرواية قد استُخدمت لغير مجرّد رواية معجزة.

أُنظُرْ الى الاطار السابق : ١٠/٣٢ – ٣٤ : التلاميذ سائرون في الطريق الى اورشليم : ما هو هذا الطريق؟ وهل التلاميذ يرونه؟ ١٠/٣٥ – ٤٥ : أليس يعقوب ويوحنا أعمَيين؟ لاحِظ التقارب بين هذه الرواية والرواية التابعة (السؤال نفسه في الآيتين ٣٦ و ٥١).

أُنظُرْ الى الاطار اللاحق : ١١/١ت : وصلوا الى اورشليم. يُحَيَّا يسوع كابن داود (الآية ١٠). ولكن هل الجمع ينظر بوضوح الى هذا اللقب الذي سيكون موضوع نقاش في مر ١١ – ١٣؟

ما معنى هذه الرواية في حدّ ذاتها في نظرك؟ وفي اطار انجيل مرقس؟

نصل هنا الى نقطة تحوّل في انجيل مرقس. لا يخفى على يسوع الى اين يؤدّي به طريقه الى اورشليم: فقد أنبأ به التلاميذ ثلاث مرّات (٨/٣١ – ٣٣ و ٩/٣٠ – ٣٢ و ١٠/٣٢ – ٣٤). لكنهم يخافون ولا يبصرون. وأمّا عدم تفهّم يعقوب ويوحنا فإنه واضح ، فهم يخطئون في هوية المشيح! والمعجزة ، في نظر مرقس ، هي ما بذله يسوع من جهود ليفتح عيون تلاميذه. لقد أصبح برطيماوس مثال المؤمن الحقيقي ، فهو قد «أبصر» ، لا بعيني الجسد فقط. وتبع يسوع في ذلك «الطريق» الذي هو طريق لاهوتي اكثر من ان يكون طريقًا جغرافيًا : اي الصعود نحو الصليب. والى طلبه «أن أبصر». يجيب يسوع ، لا بـ«أَبصِر» كما في انجيل لوقا (لو ١٨/٤٢) . بل بـ«إذهَب»! فايمانه هو الذي ساعده على اتّباع يسوع.

ومن اجل ذلك فقد فعل ما لم يَقوَ الرجل الغني على فعله (١٠/١٧ – ٣١) : ترك كل شيء. فمع انه لم يزل أعمى (جسديًا) ، فقد ألقى عنه رداءه ، كل ما يملكه ، ووثب وجاء الى يسوع (الآية ٥٠).

في نظر الناس ، ليس يسوع إلاّ الناصري (الآية ٤٧) ، وأمّا في نظر الأعمى ، فإنه ابن داود ، لا كما كان يحلم به يعقوب ويوحنا ، بل كما يعرّف يسوع نفسه : المشيح المتألّم.

◄ **القبر المفتوح : ١٦/١ – ٨**

هذه خاتمة الانجيل ، وأمّا الآيات ٩ – ٢٠ فقد أُضيفَت في وقت لاحق.

حاوِل ان تضع في عَمودين التناقضات المذكورة او الملمَّح اليها : الزمان : انقضاء السبت (الزمان الديني) ، يوم الأحد (الزمان الدنيوي) ، الظلام / النور ، الصباح – المكان : مُغلق / مفتوح ، هنا (اورشليم) / الجليل – الاعمال : طيَّب جثمانًا / سمع بلاغًا – الممثّلون : جثمان في العَتمة ، مضَّجع ، عريان / شابٌ ، ابيض ، جالس الى اليمين ، لابس... بماذا توحي اليك هذه التناقضات؟ ما هو التحوّل الذي تمَّ من البداية الى النهاية؟ عن يد مَن تمَّ؟

كانت هذه الرواية خاتمة لانجيل مرقس : فلا يحتاج الانسان ان «يرى» يسوع لكي يؤمن بقيامته ، بل يكفي ان يصدّق الله الذي يثبت الأمر. جاءت النساء ليطيّبنَ جثمانًا ، فرجعن ببلاغ. أتين ليُغلقن يسوع في الموت ، فوجب عليهنّ ان يبشّرن بأنه حيّ. لم يعد يسوع جسدًا يُلمس ، بل أصبح كلمة يجب اعلانها. وإحدى الطرق التي يبقى بها حاضرًا في التاريخ هي التبشير. انه الآن جالس عن يمين الله ، كما تُشير الى ذلك جِلسة الشاب. ولن «يراه» التلاميذ إلاّ عند وصولهم الى الجليل (حيث سبقهم) ، اي الى اقصى العالم ونهاية التاريخ (راجع : الجغرافية، الصفحة ١٧٢). يقول لنا متى : قيامة يسوع هي آخِر الأزمنة ، فلقد تمَّ كل شيء. امّا مرقس فإنّه يشدّد على الوجه الآخَر : كل شيء قيد العمل.

ان كنت قد وضعتَ التناقضات في عمودَين، فقد رأيت أن كل ما ينتمي الى العالم القديم (الظلام والجثمان والسبت والزمن اليهودي والقبر المُغلَق على امواته ...) قد أُبعد ، وتمَّ الدخول في عالم جديد : هذا بدء خلق جديد (راجع مر ١/١).

نصوص اخرى دُرست

مر ١/٢٩ – ٣١	حماة بطرس	الصفحة ١٣٠
٤/٣٥ – ٤١	تسكين العاصفة	١٨٠
١٢/ ١ – ١١	الكرّامون القتلة	٢٠٥
١٤/٢٢ – ٢٥	الافخارستيا	٢١٧

رواية الآلام بحسب مرقس

لا شكّ أن قد وجُدت ، في وقت مبكّر ، رواية لآلام يسوع ، تبدأ باعتقاله وتنتهي بدفنه . الانجيليون الأربعة يتناولون هذه الرواية ، ولكنّ كلاًّ منهم يضفي عليها طابعه الخاص .

يوجّه مرقس كلامه الى غير مؤمنين او الى شبه مؤمنين ، ومراده ان يحملهم ان يعلنوا ، مع الوثني عند قدم الصليب : يسوع ابن الله حقًّا !

انه يروي الوقائع دون تكلّف ، فكأنه يحاول ان يَصدِمنا . فنحن نشعر معه ما أشدَّ تحقيق قصد الله تحييرًا للانسان . الصليب حجر عثرة ، ومع ذلك ففيه يتجلّى ابن الله !

ولصمت يسوع أثناء آلامه وقع بعيد . كان يسوع عالمًا بأن الناس غلاظ الذهن أمام سرّه وأنهم قد يسيئون فهمه . ولذلك فقد رفض طيلة القيام برسالته ان يقول من هو . أمّا الآن وقد حُكم عليه ولم يعد هناك خطر لأن تُفسَّر ألقابه كرغبة في القدرة ، فقد رضي بشيء من رفع الستار ، بعد اعتقاله . وبالرغم من الالحاح عليه بالأسئلة ، لم يفتح فمه إلاّ ثلاث مرّات : امام عظيم الكهنة صرّح بأنه المسيح وابن الانسان ، وامام بيلاطس اعترف بأنه ملك اليهود ، وعلى الصليب ردَّد شكوى العبد المتألّم الوارد ذكره في أشعيا ، حاملاً على عاتقه عذاب العالم وقلقه : «يا رب ، لماذا تركتني؟» .

تنكشف عزلة يسوع في كل مرارتها في انجيل مرقس : انه يتقدّم وحيدًا في ظلام الصليب ، بعد ان هجره الجميع وانكره بطرس . ولا يستطيع التلميذ ان يعلنه ابن الله إلاّ اذا قبل ان يتبعه الى هنا .

وبالتآمر على يسوع (١٤/١ - ٢) يبلغ النزاع بينه وبين عظماء الكهنة ذروته : فمنذ ذلك الوقت تمّ الحكم على يسوع بالموت . ويسوع يعرف ذلك . ففي أثناء الطعام عند سمعان (١٤/٣ - ٩) ، أفاضت امرأة طيبًا على رأسه . ورأى يسوع في ذلك احتفالاً بدفنه . فبكل وعي وادراك دخل يسوع في آلامه .

يسبق روايةَ عشاء الوداع (١٤/٢٢ - ٢٥) الإنباءُ بخيانة يهوذا (١٤/١٧ - ٢١) ويليها الإنباء بإنكار بطرس (١٤/٢٦ - ٣١) . كان يسوع مطّلعًا على الاحداث اذًا ، فهو الذي يقود آلامه (١٤/١٠ - ١٦) . ففي اثناء العشاء الاخير ، قرّب جسده ودمه في عوز تامّ ، عالمًا بأنه لا يتوقّع من قِبَل الانسان لا عرفان جميل ولا اخلاصًا... وأمّا رواية تأسيس الافخارستيا ، فإنها قريبة جدًّا من رواية متّى ، وهي تردّد النص الطقسي الذي كان مستعملاً في كنائس فلسطين.



مصلوب بربنيان. فرنسا
(القرن الرابع عشر)

في **بستان الزيتون** ، نرى يسوع قلقًا خائر القوى (١٤/٣٢ - ٤٢) . بصفته انسانًا ، يخاف من الموت . والاسم الذي يرسله الى الله كنداء «يا ابتاه» يلقي ضوءًا على هذا المشهد المأسوي . وحين قُبض عليه ، تركه الجميع (١٤/٤٣ - ٥٢) ، حتى ذلك الشاب الذي حاول ان يتبعه ، والذي هرب عريانًا . وهذه الكلمة التي يختم بها مرقس روايته تضعنا في الأجواء ، اي ان يسوع ينغمس عريانًا في آلامه . والتلميذ الذي كان ، عند الاعتماد ، ينزل عريانًا الى البِركة ، يعلم بأن ذلك هو أيضًا الطريق الذي يجب ان يسير عليه .

وفي اثناء **الدعوى اليهودية** (١٤/٥٣ - ٦٤) ، أعلن يسوع - المرّة الوحيدة في انجيل مرقس - من هو : المسيح ، ابن الانسان المجيد . ولكنّ الظواهر كانت تكذّب هذا القول : فالحرس يهزأون به (١٤/٦٥) وبطرس ينكره (١٤/٦٦ - ٧٢) . ولكن يسوع بقي صامتًا .

وفي أثناء **الدعوى الرومانية** (١٥/١ - ١٥) ، يعترف يسوع بأنه ملك اليهود ، فيُطالب عظماء الكهنة بموته... وملكهم يُكلَّل بالشوك (١٥/١٦ - ٢٠) !

وفي **مشهد الجلجلة** (١٥/٢١ - ٤١) عودة الى موضوع الدعوى المزدوجة : يذكَّر بلَقب ملك اليهود بين الذكر الأول والذكر الثاني للصليب (الآيات ٢٥ - ٢٧) ، فيسخر عظماء الكهنة من ادّعائه أنه المسيح . ولكن يسوع لا يُظهر كيف أنه مسيح وملك إلاّ بموته مهجورًا من الجميع ، حتى من الآب كما يبدو ، وحاملاً على عاتقه العذاب البشري كلّه ، على مثال العبد المتألّم . يدعونا الوثني الى الاعتراف بأنه ابن الله .

أمّا رواية الدفن فهي رواية هادئة (١٥/٤٢ - ٤٧) . تؤدّى ليسوع المراسم الأخيرة ، وتصبح ليلة الدفن ليلة الانتظار .



المسيح في جلالته على ناووس
روماني (القرن الرابع)

يسوع في انجيل مرقس

انسان

ان يسوع انجيل مرقس هو يسوع كل يوم وانسان مثلنا. يخيَّل الينا اننا نكتشفه يومًا بعد يوم بعيني بطرس. طوال سنتين من الحياة المشتركة، رآه بطرس يعيش على طرق فلسطين واستقبله في بيته في كفرناحوم ورآه يأكل وينام ويتكلّم ويصلّي. بل رآه مُغضبًا في المجمع او في الهيكل، ساخطًا على أحد البُرص او على تلاميذه، مُشفقًا على الجمع، متعجّبًا من أنهم لم يؤمنوا به في الناصرة. شاركه حياة المبشّر الجوّال المُنهكة، التي لم تترك له في بعض الاحيان وقتًا لتناول الطعام. رآه ينام من شدّة تعبه في وسط العاصفة...

تأثّر بطرس بنظر يسوع، بنظر الغضب والسؤال والمحبة، وأثار سرّ يسوع فضوله، كما في تلك الليلة التي قضاها يسوع عنده والتي رآه فيها ينهض قبل الفجر ليصلّي في مكان مُقفر (١/٣٥).

لم يتردّد مرقس في رواية بعض المشاهد التي كانت تدهش سامعيه وقد اعتادوا ان يروا في يسوع ابن الله: فيسوع لا يعلم بكل شيء، ويجهل بماذا يتكلّم تلاميذه فوجب عليه أن يسألهم عن ذلك (٩/١٦ و ٣٣)، ويجهل في اي يوم تنتهي الأزمنة (١٤/٣٣) ويرتعب امام الموت (١٤/٣٣) ويموت يائسًا (١٥/٣٤). كان محيِّرًا حتى أن اقاربه لم يؤمنوا به: «إنه ضائع الرشد» (٣/٢١).

«إنسان مع» — انسان منعزل

ان يسوع في انجيل مرقس هو، قبل كل شيء، يسوع مع تلاميذه. كان عمله الأول أن دعاهم، ثم اختار منهم اثني عشر ليكونوا معه. حاول خصومه ان يدمّروا هذا الفريق بالتهجّم على يسوع لدى تلاميذه وبالتهجّم على التلاميذ لدى يسوع (٢/١٨ – ٢٧). وأعدّ يسوع هؤلاء التلاميذ لرسالتهم المستقبلة بوضعه اياهم في خدمة الجمع، في خدمة تتقدّم على الراحة وتناول الطعام (٦/٣١ت)، وبالذهاب بهم الى الوثنيين...

ولذلك فإن عزلة يسوع تبدو أشدّ مأسوية. إنه منعزل، لأنه لم يتوصّل الى اشعار رفاقه بسرّه، فهم غلاظ الذهن (٦/٥٢ و ٨/١٧) يشكّون وقد تركوه وانكروه ساعة اعتقاله...

المعلّم

أخذ يسوع، فورًا بعد اعتماده، يعلن فيقول: «لقد اقترب ملكوت الله»! ان يسوع، في نظر مرقس، هو الذي يعلّم الجمع (عشرين مرّة تقريبًا). ولمّا رأى الجموع التي تبعته الى البرّيّة وليس لها ما تأكل، أشفق عليها وأخذ يعلّمها، عالمًا بأن هذا هو جوعها الأهمّ (٦/٣٤).

والحال أن انجيل مرقس لا يتضمّن إلاّ خطبًا قليلة! لعلّه يريد ان نفهم أن يسوع يعلّم خاصة بطريقة عيشه وعمله. فالمعجزات تحتلّ في انجيل مرقس مكانًا كبيرًا نسبيًّا، فهي تبيّن بالاعمال ان ملكوت الله قد اقترب وأن يسوع اقوى من الشر (٣/٢٧).

المشيح المصلوب

رفض يسوع ان يُعلن الناس أنه المشيح، وفرض السكوت على الذين اكتشفوه، سواء أكانوا مشفيّين بمعجزة أم شياطين. هذا ما سمّوه «السرّ المشيحي». كان معظم اليهود ينتظرون من المشيح ان يعيد مملكة اسرائيل الارضية. لم يرد يسوع ان يُخطئ الناس في هوية المشيح. انه المشيح، ولكن لا بهذا المعنى. فلم يطلق على نفسه هذا اللقب إلاّ عند زوال إمكانية الوقوع في هذا الخطأ، أي بعد ان حُكم عليه بالموت: فبالعذاب والموت يُنشئ ملكوتًا روحيًا. وحاول ان يذهب بتلاميذه في هذا الطريق (٨/٣٤ – ٣٨).

ابن الانسان

اكثر الألقاب ورودًا (١٤ مرّة) هو لقب ابن الانسان. لعلّ يسوع يفضّله لأنه يكشف عن سرّه مع حَجبه. فالعبارة في حد ذاتها تعني الانسان، لا أكثر، ولكنها، اذا أُحيلت الى رؤيا دانيال ٧ (راجع الجزء الأول، الصفحة ٩١)، اتّخذت معنًى قويًا جدًا لكائن إلهي اولاه الله الدينونة.

ابن الله

هذا اللقب نادر، ولكنه يبدو ذروة الايمان التي يرغب مرقس في رفع سامعه اليها. يقول هذا منذ البدء (١/١). وقائد المئة يعلنه عند قدم الصليب (١٥/٣٩)، مردِّدًا صوت الآب عند الاعتماد والتجلّي.

المعجزات وملكوت الله

«حان الوقت واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالبشارة» (مر ١٥/١). يضعنا نداء يسوع هذا فورًا بعد اعتماده في اجواء اعلان البشارة: فبمناسبة خدمته الرسولية، يأتي ملكوت الله.

ملكوت الله

في زمن كانت فيه الملكية النظام السياسي الشامل، كان من الطبيعي أن يستعمل اسرائيل كلمة «ملك» للدلالة على قدرة إلهه، فكان الله في نظره الملك الأوحد، اذ ان الملك الارضي لم يكن إلاّ قائمًا مقامه. وسيتطوّر هذا الاعتقاد، حين يختبر اسرائيل فشل الملكية الأرضية. وفي اثناء الجلاء الى بابل، أنبأ اشعيا الثاني بأن الله سيتجلّى أخيرًا كملك (راجع الجزء الأول، الصفحة ٦٧).

هذا وان المشيحية قد أغنت هذا الانتظار على مرّ القرون. كانوا يعتقدون بأن الله سيُنشئ ملكوته بواسطة مشيحه. وكان هذا المشيح يتّسم في أغلب الأحيان بصورة ابن داود وراعي اسرائيل (٢ صم ٧ وحز ٣٤ وزك ٩ - ١٤ ومز ٢ - راجع الجزء الاول، الصفحات ٤٢ و ٦٦ و ٨٦ و ١٠٣). أمّا الرؤى، بما فيها من صورة ابن الانسان الوارد ذكرها في دانيال ٧، فقد أتت بمركّبة أخرى، وهي أن ذلك الملكوت ملكوت شامل وأنه يأتي في آخر الأزمنة.

كانوا ينسبون وظيفتين رئيسيتين الى الملك، وكم بالأحرى الى الله الملك:

• عليه ان يؤمّن الحرّيّة لشعبه، فهو قائد حرب يسحق اعداءه. وهذه الفكرة ستغذّي، في ايام المسيح، رجاء بعض المجموعات اليهودية: فإن الله، اذا ما أنشأ ملكوته، حرّر اسرائيل من الاحتلال الروماني (راجع لو ٢١/٢٤). من الأمور المميَّزة أن يسوع لا يتناول في كلامه هذا الوجه.

• على الملك الحقيقي ان يُحلّ العدل في الشعب، فإنه قبل كل شيء ملك المساكين والمظلومين والذين لا صوت لهم. وأشعيا الثاني يعلن هذه البشرى: «سيملك الله! فطوبى للمساكين والمرضى والمظلومين، فقد انتهى بؤسهم بعد اليوم!». وهذه البشرى نفسها يعلنها يسوع، ويُتمّ ذلك بأعماله وأقواله. في المرحلة التالية، سنستمع الى اقواله، ولا سيّمَا التطويبات. أمّا الآن، فسننظر الى أعماله: المعجزات.

يسوع يعلن ملكوت الله

يُمكنك ان تبتدئ فترى أيّة بشرى (لو ١٨/٣) أعلنها يوحنا المعمدان (مر ٢/١ - ٨ ومتى ١/٣ - ١٢ ولو ١/٣ - ١٨) وكيف أوجز الانجيليون تبشير يسوع (مر ١٤/١ - ١٥ ومتى ١٧/٤ ولو ١٦/٤ - ٢١).

◄ سؤال يوحنا المعمدان

أنبأ يوحنا المعمدان بمجيء المشيح لينشئ ملكوت الله ويطهّر شعبه ويهلك الخاطئين. واعتقد بأن يسوع هو ذلك المشيح. والحال ان يسوع كان يستقبل الخاطئين ويرفض ان يدين ويترك سابقه يموت في السجن... ومن هنا ارتياب يوحنا المعمدان وسؤاله. إقرأ لو ١٨/٧ - ٢٣ (= متى ٢/١١ - ٦).

• ماذا فعل يسوع قبل ان يجيب (الآية ٢١)؟ راجع لوقا أيضًا ١١/٧ - ١٧. بأيّة أقوال نبويّة استشهد يسوع في جوابه (راجع حواشي كتابك المقدس)؟

• ايّ معنى يُضفي ذلك على معجزات يسوع وعلى التطويبات «طوبى للفقراء»؟

هذا أمر هام لفهم المعجزات خاصة. إنها أولاً في نظرنا وقائع خارقة. فنطرح هذا السؤال: ماذا جرى؟ هل هو تاريخي؟ أمّا في نظر يسوع وفي نظر معاصريه، فالمعجزات هي علامات، لأنها تعبّر عن شيءٍ ما وتتكلّم عن احدٍ ما. انّ تغيير وجهة السؤال أمر جوهري. اليك مثلاً عاديًا: هناك استاذ للعلوم الطبيعية يعرض زهرة على تلميذة من تلميذاته. السؤال هو طبعًا: ما هذا؟ وهناك فتى يقدّم هذه الزهرة للفتاة نفسها. يصبح السؤال: ما معنى هذا؟ في الحالة الأولى، نهتمّ بحقيقة الشيء، وفي الحالة الثانية، نهتمّ برسالة الشيء، وتنتقل حقيقته الى المرتبة الثانية. هذا امر هام وسنعود اليه.

ان كان لديك متّسع من الوقت، يمكنك ان تبحث، في الأناجيل، عن عبارة «الملكوت» او «ملكوت الله» او ان ترى على ماذا تتكلّم الأمثال في متى ١٣.

سندرس رواية معجزة، معجزة تسكين العاصفة. وهذا الأمر يُساعدك على ان ترى كيف يُركَّب هذا النوع من الرواية وماذا يعني.

◄ رواية معجزة: تسكين العاصفة

متى ٨/١٨ – ٢٧

١٨ ورأى يسوع
جموعًا كثيرة حوله
فأمر بالعبور
الى الشاطئ المقابل.

١٩ فدنا منه كاتب وقال له: «يا معلّم،
اتبعك حيث تمضي». فقال له يسوع:
«إن للثعالب اوجرة. ولطيور السماء
اوكارًا. وأمّا ابن الانسان فليس له ما
يضع عليه رأسه».
٢١ وقال له آخرُ من التلاميذ: «يا رب،
ايذنْ لي أن أمضي فأدفن أبي».
٢٢ فقال له: «اتبعني ودعِ الموتى يدفنون موتاهم».
٢٣ وركب السفينة
فتبعه تلاميذه.

٢٤ واذا البحر
قد اضطرب
اضطرابًا شديدًا

حتى كادت الامواج
تغمر السفينة.
وأمّا هو
فكان نائمًا.
٢٥ فدنوا منه
وايقظوه وقالوا له:
«يا ربّ. نجّنا!

لقد هلكنا».
٢٦ فقال لهم:
«ما لكم خائفين،
يا قليلي الايمان؟».
ثم قام
فزجر الرياح
والبحر

فحدث هدوءٌ تامّ.

٢٧ فتعجّب الناس من ذلك
وقالوا:
«من هذا
حتى الرياح والبحر
تطيعه؟»

مر ٤/٣٥ – ٤١

٣٥ وقال لهم في ذلك اليوم نفسه
عند المساء:
«لنعبر الى الشاطئ
المقابل».

٣٦ وتركوا الجمع وساروا به
وهو في السفينة

وكان معه سفن أخرى.

٣٧ فعصفت
ريح شديدة
واخذت الأمواج
تندفع على السفينة
حتى كادت تمتلئ.

٣٨ وكان هو في مؤخرها
نائمًا على الوسادة.

فأيقظوه وقالوا له:
«يا معلّم،
أما تبالي؟
أنّنا نهلك؟»

٣٩ فاستيقظ
وزجر الريح
وقال للبحر: «اسكت! إخرَسْ!»
فسكنت الريح
وحدث هدوءٌ تامّ.
٤٠ ثم قال لهم:
«ما بالكم خائفين هذا الخوف؟
أإلى الآن لا ايمان لكم؟»
٤١ فخافوا خوفًا شديدًا
وقال بعضهم لبعض:
«من ترى هذا
حتى الريح والبحر
يطيعانه؟»

لو ٨/٢٢ – ٢٥

٢٢ وفي احد الأيام
ركب سفينة هو وتلاميذه.
فقال لهم: «لِنعبُر الى
شاطئ البحيرة المقابل».

(لو ٩/٥٧ – ٥٨)

(لو ٩/٥٩ – ٦٠)

فأقلعوا.

٢٣ وبينما هم سائرون

نام يسوع. فهبّت على البحيرة
عاصفة.

فكاد الماء يغمرهم
واصبحوا على خطر.

٢٤ فدنوا منه
فأيقظوه وقالوا:
«يا معلّم! يا معلّم!

لقد هلكنا».

فاستيقظ
وزجر الريح
والموج
فسكنا
وعاد الهدوء.
٢٥ فقال لهم:

«أين ايمانكم؟»
فخافوا وتعجّبوا،
وقال بعضهم لبعض:
«من ترى هذا؟
حتى الرياح والأمواج يأمرها
فتطيعه!»...

إقرأ هذه النصوص بانتباه وقارن بعضها ببعض، وضع تحت الكلمات خطوطًا متنوّعة الألوان (راجع الصفحة ١٣٠).

أُنظُرْ الى ما عند كل واحد من زيادة او نقصان، والى الكلمات المختلفة، والى محلّ الآية ٤٠ عند مرقس بالنسبة الى متى...

تنصبّ عادةً رواية المعجزة في «قالب» مصنوع مسبَّقًا: ابحث عن النقاط الخمس المذكورة في الصفحة ١٣٤. هل الآية ٤٠ من مرقس تدخل في هذا «القالب»؟

إقرأ كلاً من الروايات. ولكي تحدّد موضعها في سياق النص، راجع النصوص الازائية في الصفحة ١٣١.

مرقس: هل تجد فيه الملامح المذكورة في الصفحة ١٧٣؟ لماذا يزجر يسوع العاصفة كأنها شيطان؟ (راجع اي ١٢/٧ ورؤ ١/٢١). ان كلمة «خوف» المستعملة هنا لا ترد في العهد الجديد إلاّ اربع مرّات: يو ٢٧/١٤ (فعل) و ٢ طيم ٧/١ (اسم) ورؤ ٨/٢١ (صفة). ما هو نوع الخوف المقصود هنا؟ إلى أيّة ضفّةٍ من البحيرة ذهبوا (راجع الجغرافية في الصفحة ١٧٢)؟ ما هو الحادث الذي يلي هذه الرواية في الأناجيل الثلاثة؟ هل في هذا ما يبرّر خوف التلاميذ وتمرّد الشياطين؟

لماذا يروي مرقس هذه المعجزة؟ ما هو المعنى مع الآية ٤٠؟ وبدون الآية ٤٠؟

لوقا: ما الذي يهمّه: السفينة ام التلاميذ (راجع نهاية الآية ٢٣)؟ ما هو الحادث الذي وضعه قبل ذلك؟

متى: بأي شيء ما أضافه من الآيات يوجّه المعنى («تبع»: الآيات ١٩ و ٢١ و ٢٣ – و «تلاميذ»: الآية ٢١)؟ من هو الذي يهمّه (راجع نهاية الآية ٢٤)؟ ان كلمة «اضطراب» (حرفيًا: زلزال) قد استعملت مرّة في الأناجيل كعلامة من علامات آخِر الازمنة (مر ٨/١٣ ومتى ٧/٢٤ ولو ١١/٢١). وقد استعملها ايضًا متى (الاسم او الفعل) في ١٠/٢١ و ٥١/٢٧ و ٥٤ و ٢/٢٨ و ٤). ما هو المعنى الذي تضفيه هذه الكلمة على الرواية (راجع الصفحة ١٨٥)؟ ان عبارة «يا رب، نجّنا!» هي دعاء طقسي. وضع متى الآية ٢٨ في وسط الرواية: فالتوبيخ موجَّه الى تلاميذ سبق ان آمنوا، ولكن بصورة غير كافية. ان «الناس» (الآية ٢٧) يدلّون عادةً في انجيل متى على غير المؤمنين (١٩/٤ و ١٣/٥ و ١٧/١٠ و ٣٢/١٠ ...). انطلاقًا من هذه الملاحظات، ما هو المعنى الذي تعطيه لهذه الرواية؟

معنى المعجزة

سبق لنا ان قلنا ان المعجزة علامة. ولكن لِمَن؟ اليك مثلاً بسيطًا: على جانب الطريق أرى لوحة مثلّثة الزوايا كُتب عليها «×». ان كنت اجهل تمامًا قانون السير، قلت: «ما هٰذا؟»، وان كنت اعرفه. فهمتُ من هذه العلامة: «إنتبِه الى مُفترق الطرق». وكذلك فقد يختلف ردّ فعل المؤمن وغير المؤمن امام الحدث الواحد، وتختلف روايته في الحالتين.

فالأمر الخارق في نظر غير المؤمن هو سؤال: من هو هذا الرجل القادر على...؟

أمّا المؤمن – والمؤمن وحده – فالحدث في نظره هو معجزة. اي إنَّه بلاغ وواقعة يكتشف فيها كلمة من الله موجَّهة إليه.

يبدو ان رواية العاصفة قد استُعملت على الوجهَين. في الجماعة القديمة، قبل تحرير الأناجيل.

لِنأخذ رواية **مرقس**. ان قرأناها بدون الآية ٤٠، كنّا امام نص يدخل تمامًا في «قالب» رواية معجزة. فهي موجَّهة الى التلاميذ قبل الفصح. اي قبل ان يكتشفوا سرّ يسوع، ويمكن عرضها على غير المؤمنين. وهي تحملهم على طرح سؤال هوية يسوع: «من هو ...؟».

مع الآية ٤٠ تصبح الرواية تعليمًا مسيحيًا يُعرض على المؤمنين، مع انهم يعلمون من هو يسوع! لماذا هذا الخوف؟ فأين ايمانكم؟

قد يحمل هذا الاستعمال على التوسّع في تعليم حقيقي. **متى** يوجّه كلامه الى تلاميذ، الى اناس تبعوا يسوع على السفينة (لم يعد هناك الاّ سفينة واحدة). وهذه السفينة المغطّاة بسبب اضطراب (زلزال) البحر – تدفّق القوات الشريرة في آخِر الأزمنة – مهدّدة بالغريق. فالتلاميذ. في وسط هذه السفينة الكنيسة، يصلّون ويقولون: «يا ربّ نجّنا!». فيوبّخهم يسوع على خوفهم، ذلك الخوف الرسولي من الاقلاع نحو الوثنيين، وقلّة ايمانهم. عندهم الايمان، ولكنه غير كافٍ. والناس هم الذين يتساءلون الآن. اي غير المؤمنين الذين يتساءلون على مرّ التاريخ كيف تصمد هذه السفينة الكنيسة في وسط تدفّق الشرّ. لِنستخلصْ بعض النتائج.

المعجزة علامة. ما يهمّ معاصري يسوع ليس هو الواقعة نفسها – كانوا في ذلك الزمان يسلّمون بإمكانية المعجزة بدون صعوبة – بل معناها: ما معنى هذا؟ باسم مَن تفعل هذا؟ أباسم رئيس الشياطين، كما يدّعي الخصوم (متى ٢٤/١٢)؟ يجيب يسوع: «بروح الله أعمل، وهي العلامة بأن قد وافاكم ملكوت الله» (متى ٢٨/١٢).

فالسؤال المهمّ ليس هو البحث «عمّا جرى» (يمكن القيام بهذا البحث، ولكنه ثانوي، وان لم نصل الى نتيجة، فلا بأس)، بل بالأحرى البحث عن المعنى.

كثيرًا ما توسَّع الانجيليون في هذا المعنى من اجل المؤمنين: وهذا ما يجب اكتشافه قبل كل شيء.

الانسان العصري والمعجزة

ان المعجزات تُزعجنا. كان زمن آمن فيه الناس نظرًا اليها. أمَّا اليوم فالأولى ان نقول اننا نؤمن بالرغم منها. ولكن قد يعود ذلك لكون الصورة التي نتصوَّرها عن المعجزات صورة خاطئة. لنعُد الى بعض الأمور.

المعجزة علامة. فعمود الدلالة على جانب الطريق له حقيقة (حديد او اسمنت) وشكل (مدوَّر او مثلث الزوايا). وقد تختلف الحقيقة والشكل، ولا شأن لذلك، لأن المهمّ هو البلاغ الذي يَحمله العمود: الإعلام بوجود مُنعطف او مفترق طرق. والمعجزة لها كذلك حقيقة تاريخية، وهي واقعة تخرق العادة فتلفت النظر. ولكن المهمّ هو بلاغها وما تعلن عنه. ماذا تقول؟

لا تكون المعجزة علامة إلاّ للمؤمن. ليست الهدية بين الأصدقاء «هديّة» إلاّ لأنهم أصدقاء. وما يعطيه مجهول في الشارع ليس هو علامة، بل سؤال. فلكي ترى، في امرٍ ما، «معجزة»، فلا بدَّ من ان تكون مؤمنًا. ان مكتب لورد الطبّي، وهو مؤلَّف من مؤمنين وغير مؤمنين، يكتفي بهذا التصريح: هذا الشفاء لا يعلّله العلم. يستطيع المؤمن بعد ذلك، ان شاء، ان يرى فيه «معجزة». ولذلك فلا بدّ ان يتمّ الحدث في اطار معيَّن وان يكون في صلة بوقائع أخرى وبأقوال. ان لورد هي قبل كل شيء مكان صلاة، وفي هذا الاطار يمكن لبعض الاشفية ان تتّخذ معنى. فمعجزات يسوع ترتبط دائمًا بتعليمه.

في نظر غير المؤمن، المعجزة سؤال، لا «برهان». ان كنتُ اجهل قانون السير، كانت لي العلامة التي على عمود الدلالة سؤالاً، ولم أجد فائدة في فحصها، بل وجب عليَّ ان استعلم لدى مطَّلع. والمطَّلع يدلّني على معناها، وهذا المعنى هو الذي أسلّم به.

وكذلك، فالواقعة غير المعلّلة قد تحمل غير المؤمن على طرح هذا السؤال: ما هذا؟ وفي امكان المؤمن ان يُدلي اليه بتفسيره فيقول: هذه علامة من قِبَل إلهي. وغير المؤمن يرضى بهذا التفسير فيصبح مؤمنًا، او يرفضه فيبحث عن تعليل آخر. فالمعجزة ليست «برهانًا»، والانسان لا يهتدي بسبب المعجزة – اذ ان المعجزة مجرّد مدخل الى طرح السؤال –، بل بسبب المعنى الذي يصل اليه عن يد المؤمنين.

المعجزة علامة عائدة الى زمن معيَّن. قد تكون هناك وقائع «خارقة» بالنسبة الى زمنٍ ما ولا تعود تكون خارقة بالنسبة الى زمن آخر. فالمكتب الطبي في لورد يصرِّح: هذا الشفاء ليس له «حاليًا» تعليل علمي. فلربما يُعرف هذا التعليل في وقت لاحق. لا بأس. لو كانت المعجزة برهانًا، لكان من عدم النزاهة عند الله ان يستغلَّ جهلنا ليخدعنا، كما لو شغَّل مُرسلٌ الى بلاد متخلِّفة مسجّلةً ليبرهن ان الله موجود. ان المعجزة علامة، أيًّا كان السند: ونحن نلتزم بناءً على تعليم، لا بناءً على خارقة. فلعلَّ بعض معجزات يسوع قد تُعلَّل في أيامنا.

إن حاولنا ان نستعيد «ما جرى»، نكون قد سلكنا طريقًا خاطئًا. اليك هذا المثل: إن أخبرني زنجيٌّ من انصار الحياتية بأن الآلهة مغضبون فيقذفون النار على الجبل، أدلى إليَّ بتفسيره كمؤمن. ولكن ما هو الواقع؟ فإن كنت أجهل تمامًا امور هذا البلد، اعلم بأن قد جرى أمر ما، ولكني اعجز عن معرفة هذا الأمر: فهل هو ثوران بركاني أم حريق غابة ام عاصفة؟ كانت «المعجزة» في ايام المسيح امرًا عاديًّا، وكانت المعابد العجائبية اليونانية، كبرغامس وأبيدورس، بما فيها من نذور ومستشفيات، لا تقلّ اهميّة عن لورد. ولو لم يُجرِ يسوع العجائب لما كان من رجال عصره المتديّنين.

وليس المهمّ في التحقّق من تاريخية هذه او تلك المعجزة، بل المهم ان نرى ما يمكن ان يكون اليوم «معجزة» في نظر معاصرينا.

لقد انتقل «الخارق» من مكانه القديم الى مكان آخر. فلعلّه أصبح اقلَّ انتماءً الى الحقل الماديّ – علّمنا العلم ان الانسان يستطيع (سيستطيع؟) تعليل كل شيء – منه الى الحقل الروحي، كبادرة غفران مثلاً. في عالم قاسٍ وعنيف، في عالم الصراع للبقاء، أصبحت البادرة المجانيّة – وخاصة بادرة الغفران – امرًا خارقًا ومن شأنه ان يحمل غير المؤمن على طرح هذا السؤال: لماذا تفعل هذا؟

من شأن روايات المعجزات في الكتاب المقدس ان تحملنا، لا على طرح هذا السؤال: «ماذا جرى؟»، بل على طرح هذا السؤال: «كيف يمكنني اليوم ان اكون «معجزة» للذين اعيش معهم، اي علامة تحملهم على طرح الاسئلة.

كل شيء يصبح حبًّا بين الزوجين. فلا بدّ للإقبال على مطالعة الكتاب المقدس ان يساعد المؤمن ان يكتشف ان العالم كلّه «معجزة»، اي علامة لحنان الله.

٥. الانجيـــل بحسب القـــديس مـتى



متى والملاك.
حجر زاوية منبر كنيسة شارتر. فرنسا (القرن الثالث عشر)

حين ينتقل الانسان من انجيل مرقس الى انجيل متى، يخيَّل اليه انه ينتقل من منظر طبيعي الى منظر طبيعي آخر، كأنه يجتاز ممرًّا جبليًا فينفذ الى وادٍ آخر. في اثناء درسنا لانجيل مرقس، ربَّما كنّا نتوهَّم احيانًا اكتشاف يسوع الناصري بعيني بطرس. وأما الآن في درسنا لانجيل متى، فلا نعلم ابدًا هل نحن على ضفّة بحيرة طبريّا في السنة ٣٠ ام في كنيسة مسيحية تقيم الشعائر الدينية في السنوات ٨٠. والأحرى ان متى يضعنا في المكانَين في آنٍ واحد. فهو يضع عمدًا، على يسوع التاريخ، «الورق الشفّاف» الخاص بيسوع الذي يحيا في الكنيسة (راجع الصفحة ١٣٣). وهكذا فإن وجه يسوع الناصري يتجلّى لنا من خلال الملامح المجيدة التي يمتاز بها يسوع القائم من بين الاموات والذي تكرّمه الكنيسة.

«الانجيل الكنسي»

هكذا سُمّي هذا الانجيل، وهو اكثر الاناجيل تأثيرًا في الغرب. ينفرد باستعمال كلمة «كنيسة» (١٦/١٨ و١٨/١٧)، ويبدو حريصًا على تنظيمها وعلى الحياة الأخوية، وعلى التعليم المسيحي الذي يعرضه خاصة في خمس خطب محكمة البناء.

يجعلنا نعيش في داخل كنيسة تكرّم ربّها بالطقوس. ويضع على تلاميذ يسوع «الورق الشفّاف» الخاص بالمسيحيين الذين يسجدون للقائم من بين الأموات ويرتّلون «نجّنا يا رب» (المعادلة لـ «ارحمنا يا رب») في وسط العاصفة... في داخل كنيسة معرّضة للّهث ولفقدان الايمان (٨/٢٦)!

الكنيسة في انجيل متى

ان اوضاع الجماعات التي بشّر فيها متى أثّرت تأثيرًا بعيدًا في شهادته. وهناك ثلاثة اوجه تظهر عند قراءة النص.

يبدو ان تلك الجماعات كانت مؤلّفة خاصةً من مسيحيين كانوا يهودًا. إنهم متضلّعون من الكتاب المقدس: فهناك اكثر من ١٣٠ فقرة يستشهد فيها متى بالعهد القديم. لا تزال الشريعة قاعدة حياة لهم. يقول يسوع: «لم آتِ لأُبطل الشريعة، بل لأكملها»، لأبلغ بها الى غايتها وكمالها (٥/١٧). انّهم مطّلعون تمامًا على الطريقة التي كان الربّانيون يفسّرون بها الكتب المقدسة، وبعض أسئلتهم (في الصوم والصدقة والطلاق...) هي اسئلة يهودية مميَّزة. وليس بطريقة الصدفة انّ يسوع يُصوَّر كموسى الجديد.

كانت تلك الجماعات في نزاع مع الدين اليهودي الرسمي. كما عاد الى الحياة في جَمْنيا (راجع الصفحة ١٤٥). لقد تمَّ طرد المسيحيين من مجامعهم، كما ورد في متى. ولعلَّ تهجّمات يسوع العنيفة على الفريسيين (متى ٢٣) ليست تهجّمات يسوع في السنوات ٣٠ بقدر ما هي تهجّمات يسوع القائم من بين الأموات والعائش في جماعته في السنوات ٨٠ على فريسيي جَمْنيا.

انفتحت تلك الجماعات للوثنيين. وأخذ اولئك اليهود الذين اصبحوا مسيحيين يفكّرون في الانطلاقة الارسالية التي عرفتها الكنيسة في اول عهدها، فاكتشفوا، باقتناعهم المسيحي، في اقوال يسوع، رغبته في ارسال تلاميذه الى العالم بأسره.



موسى والشريعة.
مجمع دورا اوروبس.
(سورية. قبل السنة ٢٥٦ من عصرنا)

الكاتب

جاء في تقليد يرقى الى القرن الثاني ولا يمكن التحقّق منه أن متّى، جابي كفرناحوم والذي اصبح احد الاثني عشر (٩/٩)، كَتَبَ بالآرامية اقوالاً من اقوال يسوع.

أما كاتب الانجيل الحالي فهو غير معروف، ولعلّه قد استوحى بما وضعه متّى. كَتَبَ باليونانية، في حوالى السنين ٨٠ – ٩٠ في جماعات سورية فلسطينية، ربّما في انطاكية.

قراءة اجمالية

يحسن بك ان تبتدئ بقراءة انجيل متى صفحة بعد صفحة، كما فعلت في شأن انجيل مرقس (الصفحة ١٧٢).

الجغرافية في انجيل متى

يسير متى على الرسم البياني الذي وجدناه في مرقس، ولكنه لا يشدّد مثله على التناقض الجليل / اورشليم. فالجليل منطقة هامّة وله وجهان. في اثناء خدمة يسوع الرسولية، يظهر الجليل كبلاد يهودية كاد يسوع لم يتجاوز حدودها. فإن ذهب الى صور وصيدا، ذكر متى أن الكنعانيّة خرجت من بلادها (٢١/١٥). لم يبشّر يسوع إلاَّ اليهود ونهى تلاميذه عن الذهاب الى الوثنيين والسامريين (١٠/٥ – ٦).

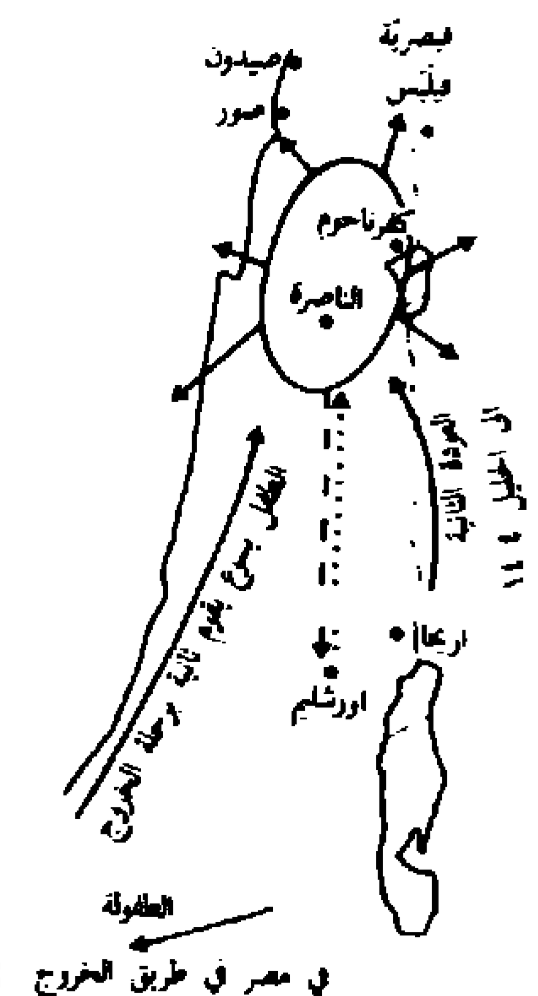
وبعد القيامة، أصبح الجليل، كما أنبأ اشعيا (متى ٤/١٤ – ١٦)، ارض الانفتاح للعالم. فهناك – لا في اورشليم – ظهر يسوع الممجَّد لتلاميذه وأرسلهم يبشّرون في العالم كله (٢٨/١٦ – ٢٠).

ملكوت الله والكنيسة

يفتتح يسوع ملكوت الله (راجع الصفحة ١٧٩)، ولا تطابق بينه وبين

اشدّ الاناجيل صبغة يهودية

- لا ينقطع عن الاستشهاد بالكتب المقدّسة: اكثر من ١٣٠ مرّة منها ٤٣ شاهدة صريحة، و١١ منها تبدأ بالعبارة: «حدث ذلك ليتمّ ما قال الرب بلسان النبي...». متى ربّاني بارع، فهو يجمع أحيانًا بفنّ دقيق بين بضع فقرات ليصوغ الشاهدة التي توافقه: مثلاً زك ١١/١٢ وار ١٨/٢ ليفسّر موت يهوذا، او زك ٩/٩ واش ١١/٦٢ ليضفي معنى مشيحيًا على دخول يسوع الى اورشليم (٢١/١ – ١٩).
- طريقته في التعبير طريقة يهودية. يتكلم على ملكوت «السموات»، لا على ملكوت «الله»، لأن اليهود لا يتلفّظون بالاسم الالهي. يحبّ التكرار ولا سيّما التضمين اي تكرار العبارة نفسها في مطلع التوسيع وفي خاتمته (٣/٥ و١٠ و٦/٢٥ – ٣٤...). يستعمل التوازي (٢٥/١٦ و٧/٢٤ – ٢٧ ...). يحبّذ المجموعات العددية، سواءٌ أكانت رمزية ام ذاكرية: ٧ طلبات في الصلاة الربّانية و٧ امثال و٧ ارغفة و٧ سلاّت الخ و٣ تجارب و٣ اعمال صالحة (٦/١ ت) و٣ عشور (٢٣/٢٣)...



الكنيسة، ولكنها المكان المميَّز الذي تظهر فيه في هذا العالم. ان الموضوع الرئيسي في انجيل متى هو ملكوت الله وبدء تحقيقه في العالم.

كيف يتوسّع فيه؟ سنرى ذلك من خلال بعض العناصر المميّزة.

ان روايات الطفولة (١ – ٢) هي في الواقع تمهيد لاهوتي لباقي الانجيل.

عبارة واحدة (٢٨/٧ و١/١١ و٥٣/١٣ و١/١٩ و١/٢٦) تختم **الخطب الكبرى الخمس** التي ألّفها متى، وهي تقسّم الانجيل الى **ست مجموعات روائية**: روايات اعمال يسوع واقواله. ما هو الرابط بين هذه المجموعات والخطب؟ هناك تضمين او تكرار الجملة نفسها في المطلع وفي الخاتمة (٢٣/٤ و٣٥/٩) يدل على ذلك الرابط في ما يتعلق بالمجموعة الأولى: فان يسوع يذكر في خطبة موضوعًا يحقّقه بعدئذٍ بالاعمال. لا بأس من الاعتقاد بأن هذا التعاقب يصلح لسائر المجموعات.

هناك **فقرتان**، في بدء (٣ – ٤) الانجيل وفي وسطه (١٣/١٦ – ٢٧/١٧)، تتشابهان وتلعبان **دورًا انتقاليًا**. وهناك عبارة واحدة، لا ترد إلاّ هنا، تمهد الى مرحلتين متتاليتين لخدمة يسوع الرسولية: «وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول: توبوا، قد اقترب ملكوت السموات» (١٧/٤) او: «وبدأ يسوع في ذلك الحين يظهر لتلاميذه أنه يجب عليه أن... يتألّم» (٢١/١٦). في الحالتين اعلان للقب من القاب يسوع: الابن (الصوت السماوي) او المسيح (بطرس)، وفي الحالتين يُجرَّب يسوع: من قِبَل الشيطان او من قِبَل بطرس الموصوف «بالشيطان».

انطلاقًا من هذه الملاحظات، يمكننا ان نتصوّر ان متى يتوسّع في موضوعه الملكوت / الكنيسة على الوجه التالي:

أولاً، يعلن يسوع للجميع مجيء الملكوت ويفتتحه بأعماله. ويُعدّ تلاميذه الى مواصلة عمله بإيفادهم الى الرسالة. في الواقع هو الذي ينطلق للتبشير. فلن يكون تلاميذه مستعدّين استعدادًا حقيقيًا لرسالتهم إلاَّ بعد الفصح.

ثم ينصرف يسوع الى تنشئة تلاميذه. يعلن بطرس أن يسوع هو المسيح، ولكنه يجرّبه أيضًا! يعطي يسوع كنيسته قاعدة حياة، ثم يبشّر بمجيء الملكوت فيفتتحه بموته وقيامته ويرسل تلاميذه للتبشير به في العالم.

التمهيد. عرض لسرّ يسوع (١ – ٢).

القسم الاول: يبشّر يسوع جميع الناس بملكوت الله ويمهّد للكنيسة (٣ – ١٦)

الانتقال: الآب يُعلن ابنه والشيطان يجرّبه (٣ – ٤).

١. اقترب ملكوت الله (٥ – ٩)

يُظهر يسوع ذلك

- بأقواله: العظة على الجبل (٥ – ٧)
- بأعماله: عشر معجزات (٨ – ٩).

٢. يرسل يسوع تلاميذه للتبشير وينطلق هو للتبشير بالملكوت (١٠ – ١٢).

- خطبة الايفاد الى الرسالة (١٠)
- يسوع في رحلة رسولية (١١ – ١٢).

٣. الاختيار الحاسم تجاه التبشير بالملكوت (١/١٣ – ١٢/١٦).

- خطبة في ٧ امثال (١/١٣ – ٥٢)
- نحو اعتراف بطرس (٥٣/١٣ – ١٢/١٦).

القسم الثاني: يسوع يُعدّ الكنيسة للقيام بدورها في ملكوت الله (١٧ – ٢٨).

الانتقال: الكنيسة تعترف بربّها وتجرّبه (١٣/١٦ – ٢٧/١٧).

٤. ينتقل ملكوت الله من الشعب اليهودي الى الكنيسة (١٨ – ٢٣).

- خطبة: «قاعدة الجماعة» (١٨).
- من الجليل الى اورشليم (١٩ – ٢٣).

٥. الافتتاح النهائي للملكوت الله في حدث الفصح (٢٤ – ٢٨).

- خطبة رؤيوية: المجيء النهائي لملكوت الله في شخص يسوع (٢٤ – ٢٥).
- موت يسوع ورفعه افتتاح لمجيء الملكوت النهائي (٢٦ – ٢٨).
تنطلق الكنيسة للتبشير في العالم.

آخر الأزمنة

ختم مرقس انجيله قائلاً: بقي كل شيء قيد العمل. ولن يُرى القائم من بين الاموات إلاّ في نهاية التاريخ! أمّا متى فإنه يقول: كل شيء تمّ في يسوع وحان آخر الازمنة وأحرز النصر، ولم يبق إلاّ احتلال المكان! نتوقّف عند امرٍ له معنى هام.

اعطى يسوع، في خطبته الرؤيوية، علامة تدل على آخر الازمنة، وهي وقوع «الزلازل» (مر ٨/١٣ ولو ١١/٢١ ومتى ٧/٢٤). لا يُقصد بذلك ظاهرة تاريخية (زلزال ارضي)، بل صورة رمزية.

ينفرد متى في استعمال الاسم او الفعل ٦ مرات أخرى: عند زلزلة الارض بعد صلب يسوع، قام الاموات (٥١/٢٧) ولدى رؤية هذا الزلزال (٥٤/٢٧) اعترف وثنيّون بأن يسوع هو ابن الله. عند فجر احد الفصح، حدث زلزال واستولى اضطراب (زلزال) عليهم فصاروا كالأموات (٢/٢٨ و٤). وموت يسوع وتمجيده هما كإشارة تدل على آخر الازمنة.

ضجّت (زلزلت) المدينة عند دخول يسوع الى اورشليم. وهو صورة لدخوله المجيد الى السماء (١٠/٢١).

وهكذا فإن احدى العلامات الدالّة على المجيء في آخر الازمنة قد تحقّقت عند الآلام والقيامة. فقد تمّ بهذا الحدث افتتاح ملكوت الله افتتاحًا نهائيًا. ولكن لا بدّ للكنيسة، وهي سفينة ضعيفة يزعزعها اضطراب (زلزال) البحر (٢٤/٨، وراجع الصفحة ٢٠١)، ان تعيش هذه الازمنة طوال تاريخها.

بعض ملامح انجيل متى

متّى معلّم، فقد جمع اقوال يسوع في خمس خطب كبرى، ولا شك أنه فعل هذا ليصوّره كموسى الجديد. وهو يشدّد على ضرورة فهم معنى الكلمة وعلى عدم الاكتفاء بسماعها (١٩/١٣ – ٢٣). انه يوجز روايات المعجزات، مكتفيًا بشخصَين: يسوع والشخص المعنيّ. فهذه الروايات قليلة الطرافة كثيرة التعليم.

انه كاتب مروَّض على الطرق اليهودية في تفسير الكتب المقدسة، يعرف كيف «يُخرج من كنزه كل جديد وقديم» (٥٢/١٣).

يساعده ايمانه المسيحي ان يرى في يسوع الناصري ذلك الربَّ الممجَّد. فهو يعلن، منذ البدء وغالبًا فيما بعد، انه ابن الله. ويُظهر في الانجيل جلاله وسلطانه.

يعمّ الانجيل جوّ طقسي. فالتلاميذ الذين يسجدون للرب في الجماعة يظهرون من خلال التلاميذ الذين كانوا يتبعون يسوع على طرق فلسطين.

يسمّى «الانجيل الكنسي» لتركّزه على ملكوت الله وانطلاقته في الكنيسة. وقد أثّر تأثيرًا عميقًا في المسيحية الغربية.

بعض النصوص من انجيل متى

◀ **تجارب يسوع** (٤/١ – ١١).

لنتوقّف عند هذا المظهر: كيف ان حياة يسوع وحياتنا تتّخذان معناهما بفضل الكتب المقدسة.

من المحتمل ان يكون يسوع قد باشر خدمته الرسولية بـ«رياضة اختلائية» وأنه جُرِّب فيها (إقرأ مر ١/١٢ – ١٣). غير أنه جُرِّب طوال حياته، من قِبَل خصومه، من قِبَل بطرس (مثلاً متى ٢٣/١٦ و٤٢/٢٧ ويو ١٥/٦). وقد حاول المسيحيون أن يعرفوا ما عسى ان يكون معنى هذه التجارب. وهناك تقليد أخذ به متى ولوقا وفيه محاولة للتعبير عن هذا المعنى.

إقرأ نص متى. بماذا توحي إليك: بريّة وأربعين وتجربة؟ انظر كيف تُركَّب كل من التجارب:

• يضع الشيطان يسوع في وضع من اوضاع الشعب اليهودي في البرّيّة (الآية ٤ = خر ١٤/١٦ والآية ٧ = خر ١/١٧ – ٧ والآية ١٠ = خر ٢٠/٢٣ – ٣٠ و١١/٣٤ – ١٤). ان يسوع يقوم ثانيةً اذًا بمسيرة شعبه. وكان الشعب قد أخطأ الهدف، اي الدخول الى ارض الميعاد، لأنه لم يعش هذه التجارب كما يجب.

• يجيب يسوع بالاستشهاد بسفر تثنية الاشتراع (راجع الجزء الاول، الصفحة ٥٧ و١١١). فهو يعيش هذه التجارب كما كان على الشعب ان يعيشها لينجح. وتاريخ الشعب اصبح ناجحًا في يسوع لأنه اخذه على عاتقه. فالدخول الى ارض الميعاد أصبح امرًا ممكنًا. ولذلك يقول يسوع: «قد اقترب ملكوت الله» (١٧/٤)!

فتجارب يسوع هي اذًا تجاربه في الحقيقة، ولكنها في الوقت نفسه تجارب شعبه التي تبنّاها. (في هذا المكان يضع لوقا سلسلة الانساب من يسوع الى آدم. ولا شك أنه يريد بذلك ان يسوع تبنّى تجارب البشرية كلها).

يتناول بولس موضوع تجارب الشعب هذه (١ قور ١/١٠ – ١١) ليُثبت أنها تجاربنا: «وقد حدث ذلك كلّه ليكون لنا تصميمًا» (الآيتان ٦ و١١). ليس «التصميم» مثلاً او نموذجًا، بل هو التصميم الذي يمثّل مسبقًا الغرض الذي يجب تحقيقه (تصميم فستان)، وهو هذا الغرض نفسه. فتجارب الشعب اليهودي هي تجاربنا «في حالة التصميم»، وهي التي عاشها يسوع. فليس المطلوب منا ان نقتدي بيسوع، بقدر ما هو ان نعيش حياتنا (وتجاربنا) فيه، لأنه تبنّاها وسبق له ان انجحها.

◀ **العظة على الجبل** (٥ – ٧)

نكتفي هنا بقراءة نص متى، وسنقارن فيما بعد بين نصه ونص لوقا (الصفحة ١٩١). ويمكنك ان تدرس التطويبات منذ الآن (الصفحة ١٩٢).

إبتدئ بقراءة دقيقة للعظة على الجبل، مستعينًا بالتصميم الوارد في الصفحة التالية.

من الذي يخاطب مَن؟ من الذي: يسوع طبعًا، ولكن في أية صورة يبدو؟ ايّ «جبل» يُقصد هنا؟ محلَّ مَن مِن اشخاص العهد القديم يحتلّ يسوع؟ من هو المخاطَب؟ ان يسوع يعلّم الجموع والتلاميذ. لسنا امام الإعلان الأول لهداية الناس (الكرازة)، بل نحن امام نوع من التعليم المسيحي موجّه الى الذين اكتشفوا «اللؤلؤة الثمينة» والذين اصبحوا مستعدّين ان يبيعوا كل شيء ويشتروها. وحضور التلاميذ برهان على ان ذلك أمر ممكن، فقد سبق للبعض أنهم اختاروا هذا الاختيار للسير وراء يسوع.

لاحظ اللازمات والعبارات المتردّدة: «سمعتم... ابوك الذي يرى في الخفية...». ضع خطًّا تحت كلمة «أب»: تَرِد ٢١ مرّة عند متى، ومرتين عند مرقس و٥ مرات عند لوقا و٣ مرات عند يوحنا: ١٦ مرّة في العظة على الجبل: في ايّ قسم؟ ما هو المعنى الذي يضفيه ذلك على التعليم؟

ابحث عن الآيات التي يتم فيها الانتقال من ضمير المخاطب في صيغة الجمع (او «كلُّ من») الى ضمير المخاطب في صيغة المفرد. في الحالة الأولى قواعد تصلح لجميع الناس وفي كل مكان، وفي الحالة الثانية امثال تطبيقية تساعد كل واحد على ابتكار طريقته في ممارسة القانون العام، وفقًا لوضعه الخاص (فيسوع نفسه لا يراعي حرفيًا الوصية الوارد ذكرها في متى ٣٩/٥– راجع يو ٢٣/١٨). حاول، في كل حالة من حالات الانتقال، ان تستخلص القانون العام وان تنظر في امثاله التطبيقية وان تبحث عن امثال تصلح لأيّامنا.

يمكنك ان تبحث كيف يُتمُّ يسوع شريعة موسى. إنه لا يدمّرها، بل يبلغ بها الى المُطلق، في الطريق الذي سار عليه الانبياء. ثمّ إنه يُضفي عليها طابع الباطنية (بالمحبة، لا بالمواقف الخارجية) والشخصانية (المطلوب ان يحيا الانسان تحت نظر الآب، وقد اصبح هذا الأمر ممكنًا، لأن يسوع هو الابن ولأنه يدعونا الى الدخول في هذه العلاقة البنويّة مع الآب).

	لوقا	متى	مرقس
المطلع : ١٦-٣/٥			
١٢-٣/٥ : التطوبيات . البشرى (قديمًا ٦/٣ و ١١-١٢)	(٢٦-٢٤) ٢٦-٢٠/٦		
١٦-١٣/٥ : المسيحيون ملح ونور العالم	٣٥-٣٤/١٤		٥٠/٩
	٣٣/١١ و ١٦/٨		٢١/٤
١. **البر الجديد افضل من البر القديم : ٤٨-١٧/٥**			
او: ماذا يعني : في الحياة اليومية ، اختبار البشرى؟			
المبدأ			
١٧/٥ : لا إبطال الشريعة والأنبياء ، بل إكمالهم	١٧/١٦ و ٣٣ ٣٢/٢١		
١٩-١٨/٥ : «من خالف وصية من الوصايا...»		٣٥-٣٤/٢٤	٣١-٣٠/١٣
خمسة تطبيقات عملية : «سمعتم أنه قيل... أمّا انا فأقول لكم» ٢١/٥ ٤٨			
٢١/٥ ٢٤ : «لا تقتل» : لا تغضب على اخيك			٢٥/١١
٢٦-٢٥/٥ : «سارع الى إرضاء خصمك»	٥٩ ٥٧/١٢		
٢٨-٢٧/٥ : «عدم الزنى» - حتى عدم اشتهاء امرأة أخرى باطنيًّا			
٣٠-٢٩/٥ «ان كانت عينك سبب عثرة لك ، فاقلعها»		٨ و ٩/١٨	٤٣ و ٤٧/٩
٣٢-٣١/٥ : «من طلّق امرأته...»	١٨/١٦	٩-٧/١٩	١٢-٤/١٠
٣٧-٣٣/٥ : «لا تحنث» - لا تحلفوا البتّة			
٤٢-٣٨/٥ : «العين بالعين» - حوّل الخدّ الآخر	٣٠-٢٩/٦		
٤٨-٤٣/٥ : «أحبب قريبك وأبغض عدوك» - أحبّوا اعداءكم	٣٦-٣٢ و ٢٨-٢٧/٦		
٢. **الطابع الباطني للبرّ الجديد : ١٨-١/٦**			
او: بأيّ روح يجب القيام بالاعمال الصالحة التقليدية ونحن أبناء الآب؟			
المبدأ			
١/٦ : القيام بالأعمال الصالحة لمجرّد نظر الآب			
الاعمال الصالحة التقليدية الثلاثة في الدين اليهودي :			
٤-٢/٦ : الصدقة في الخفية : «ابوك الذي يرى في الخفية...»			
٦-٥/٦ : الصلاة في الخفية : ابوك الذي يرى في الخفية			
١٥-٧/٦ : ابانا الذي في السموات	٤-٢/١١		
١٨-١٦/٦ : الصوم في الخفية : «ابوك الذي يرى في الخفية...»			
٢٣-١٩/٦ : الكنز الحقيقي. العين سراج الجسد	٣٣/١٢ ت و ٣٤/١١ ت		
٣٤-٢٤/٦ : الاختيار بين الله والمال. الاتكال على الله	١٣/١٦ و ٣١-٢٢/١٢		
٣. **ثلاث تنبيهات : ١/٧ ٢٧**			
او: من هو تلميذ؟ كيف يكون الانسان تلميذًا؟			
٥-١/٧ : عدم الدينونة. القذى والخشبة	٤٢-٣٧/٦ (٣٨آ)	١٤/١٥	٢٤/٤
	(٤٠-٣٩)	٢٤/١٠	
٦/٧ : «لا تدنّسوا الاشياء المقدسة»			
١١-٧/٧ : فعّالية الصلاة	١٣-٩/١١		
١٢/٧ : «القاعدة الذهبية» : «فكل ما اردتم ان...»	٣١/٦		
١٤-١٣/٧ : الباب الضيّق المؤدي الى الحياة	٢٤ ٢٣/١٣		
٢٠-١٥/٧ : الأنبياء الكاذبون : يُعرفون من ثمارهم	(٤٥) ٤٥-٤٣/٦	٣٥-٣٣/١٢	
٢١/٧ ٢٧ : التلاميذ الحقيقيون : عدم القول «يا رب» ، بل العمل بمشيئة الآب	٤٦/٦		
٢٣-٢٢/٧ : لا يكفي طرد الشياطين باسمه	٢٧-٢٦/١٣		
اُبنوا بيوتكم على الصخر	٤٩-٤٧/٦		
التأثير في الجمع : ٢٩-٢٨/٧			
«يعلّمهم كمن له سلطان»	٣٢/٤ و ١/٧		٢٢/١

◄ **الاعتراف بيسوع والسير وراءه : ١٦/١٣ – ٢٨**

هذه الاحداث الثلاثة تشكّل نقطة تحوّل في انجيل متى (راجع الصفحة ١٨٥).

قارن بين جواب بطرس في متى ١٦/١٦ ومر ٨/٢٩ ولو ٩/٢٠ ويو ٦/٦٩. فأيًّا كان جواب بطرس إذًا؟ كيف يوضّحه متى بوضعه «الورق الشفّاف» الخاص بالايمان المسيحي؟ ان جميع المسيحيين يعترفون بأهمية دور بطرس في الجماعة الأولى. هل نُقِلَ هذا الدور الى خلفاء؟ تختلف هنا التقاليد المسيحية.

◄ **قاعدة الجماعة : ١٨**

يعطي يسوع مجموعتين من القواعد ويوضحها بمثلَين (١٨/١٠ – ١٤ و٢٣ – ٣٥). أية قواعد (اي «حق قانوني») يتركها يسوع لكنيسته؟

ان الآية ١٨/٢٠ قويّة جدًا. قال أحد الربّانيين المتوفّى في السنة ١٣٥: «اذا جلس اثنان وتحدّثا عن الشريعة، اقامت «الشكينة» (الحضور الالهي المقدس) في وسطهما. فمتى يضع يسوع مكان الشريعة والله.

◄ **روايات الطفولة : ١ – ٢**

لا تنتمي هذه الروايات، شأن الروايات الواردة في انجيل لوقا، الى الفلكلور، بل الى التفكير اللاهوتي، على غرار مر ١/١ او نشيد يو ١/١ – ١٨. ان بعض الافلام السينمائية تتناول احيانًا في المقدمة أهمّ المواضيع، ثم «تعود الى الوراء» فتبتدئ بصورة الفلم الأخيرة. وكذلك فإن متى يضع هنا ممثّلي الانجيل الرئيسيين ويقول لنا من هو يسوع، موسى الجديد، وما ستكون رسالته.

إقرأ بانتباه هذين الفصلَين، وفي ضوء هذه القراءة الاجمالية (الصفحة ١٨٤)، حاول ان ترى كيف ان متى يستبق منذ الآن حياة يسوع.

بعد النسب، هناك مجموعتان تتشابكان وتشكّلان سلسلة خمسة احداث يتضمّن كلٌّ منها شاهدة من الكتاب المقدس:

١. إطلاع يوسف على امر مريم (١/١٨ – ٢٥). اش ٧/١٤
– المجوس (٢/١ – ١٢). مي ٥/١ + ٢ صم ٥/٢
٢. الهرب الى مصر (٢/١٣ – ٢٥). هو ١١/١
– مقتل الاطفال (٢/١٦ – ١٨). ار ٣١/١٥
٣. العودة. الناصرة (٢/١٩ – ٢٣). اش ٤٢/٦ و٤٩/٦ (؟)

ان المجموعة الأولى، المركّزة على «ملاك الرب ويوسف»، تستخدم الرسم البياني نفسه: الوضع – بلاغ الملاك والمهمّة – الكتاب المقدس – تنفيذ المهمّة. وفي المجموعة الثانية تناقض بين الملكَين: هيرودس ويسوع.

النسب يقول لنا من هو يسوع: المسيح، ابن داود، بدء الخليقة الجديدة (قارن بين ١/١ وتك ٥/١).

نعرف من **اطلاع يوسف على امر مريم** كيف ان يسوع هو ابن داود بالرغم من الحبل البتولي. ان يوسف رجل بارّ، فلا يريد ان يُنسَب اليه ابن المعجزة هذا. لكن الله يطلب منه ان يعطيه اسمه وكيانه الاجتماعي فيُدخله هكذا في سلالة.

حَدَث المجوس بَحثٌ في الكتاب المقدس (مِدراش پشر، راجع الصفحة ١٣٥). انطلاقًا ممّا يُعرف عن هيرودس السفّاك، يؤلّف متى رواية مبنيّة على اش ٦٠ و٦٢ وعلى النجم الوارد ذكره في عدد ٢٤/١٧ (كانوا يرون فيه المشيح – راجع النص المحاط بإطار)، ليبيِّن كيف ان يسوع سينبذه المسؤولون اليهود والسلطات المدنية، ويعترف به الوثنيون.

يبيّن **الهرب الى مصر** بصورة رمزية كيف ان خروج الشعب قد نجح في يسوع. فالمدخل الى ملكوت الله قد فُتح أخيرًا.

سفر العدد ٢٤/١٧

في النص العبري	**في الترجوم الفلسطيني**
نجمٌ	حين الملك القدير
خارج من يعقوب	الذي من آل يعقوب
يصبح رئيسًا،	يملك
صولجانٌ يقوم	وحين المشيح، صولجان
خارجًا من اسرائيل.	اسرائيل القدير
	يُمسَح...

فالنجم الوارد ذكره في متى نجم حقيقي: هو المشيح يسوع الذي طلع، وفي ضوئه سار الوثنيون الممثلون بالمجوس.

رواية الآلام بحسب متى



العشاء السرّي
من لامبير روكي

كتب متى انجيله لمسيحيين يريدون ان يتعمّقوا في ايمانهم. وقد حاول ان يكشف عن معنى موت المسيح.

كتب لمسيحيين كانوا يهودًا، فبيّن كيف ان الله وفى بالوعد الذي وعد به شعبه، وكيف اتمَّ يسوع الكتب المقدسة. رفض هذا الشعب يسوع عن يد رؤسائه، فانتقل الوعد الى شعب جديد هو الكنيسة. ولكن على الكنيسة ان تبقى متيقّظة، فقد ترفض هي أيضًا ان تتبع يسوع!

يريد متى خاصة، بعرضه للاحداث، ان يساعد الناس على اكتشاف قدرة يسوع وسلطته.

ان يسوع هو ابن الله، فهو يعلم بما سيجري له. ومع ذلك فإنه يقبل بذلك، لا بل تجري الأحداث كما توقّعها.

ان يسوع هو الرب المولّى على العالم كله. سلّمه الآب قدرته وكان في إمكانه ان يستخدمها لتجنّب الموت. لكن الموت يعني آخر الازمنة ويفتتح مجيء العالم الجديد، مجيء ملكوت الله الذي علينا منذ الآن ان نعيش فيه.

الهدف من **رواية المؤامرة** (٢٦/١ – ٥) جواب الى سؤال مزدوج ممكن. كيف أمكن ان يُقتل ابن الله؟ يضع متى الرواية على لسان يسوع فيبيّن بذلك أنه هو الذي يقود الاحداث، وأن الرؤساء ينفّذون (حينئذٍ، في الآية ٣). كيف أمكن الرؤساء الدينيين ان يحكموا على المسيح، مع أنه كان من واجبهم ان يعرفوه ويعترفوا به؟ لأنهم اولئك الأشرار الذين اجتمعوا على المسيح، كما ورد في المزمور ٢ (راجع الجزء الاول، الصفحة ١٠٣). فمن المعلوم اذًا، منذ الآن، بأن هذا المسيح سينصَّب ربًّا على العالم كله. وقد رأى يسوع في دهنه بالطيب في بيت سمعان الابرص (٢٦/٦ – ١٣) احتفالاً بدفنه.

يحيط **بعشاء يسوع الوداعي** (٢٦/٢٦ – ٢٩) الاعلان عن خيانة يهوذا وعن إنكار بطرس: فيسوع يعلم اذًا الى أيّة أيدٍ يسلم جسده ودمه. ولكنه يُتمّ هكذا الكتب المقدسة (الآية ٣١).

احتفل يسوع حتى الآن بآلامه بعظمة المحتفل امام المذبح. أمّا **رواية النزاع** في بستان الزيتون (٢٦/٣٦ – ٤٦)، فإنها تُظهره انسانًا بكل معنى الكلمة. يضيف متى ثلاث مرات العبارة «معهم. معي» (الآيات ٣٦ و٣٨ و٤٠). ويشعر يسوع، شأن كل إنسان يتألّم، بالحاجة الى حضور اصدقائه. وهذا أيضًا رُفض له، فإنهم نائمون. لكنه تلا الـ «أبانا» لقبول مشيئة الآب فاستعاد كل قوّته. وحين **قُبض عليه** (٢٦/٤٧ – ٥٦). أخذ يعلّم مرة أخرى ورفض استخدام القدرة التي اعطاه الله ايّاها.

وفي اثناء **الدعوى امام المجلس اليهودي** (٢٦/٥٧ – ٦٨). اعلن يسوع ان الآب سيُدخله منذ الآن (الآية ٦٤) في قدرة ابن الانسان «المرفوع» والمسيح المنصَّب. تذكّرنا روايات انكار بطرس ليسوع (٢٦/٦٩ – ٧٥) **وموت يهوذا** (٢٧/٣ – ١٠) تذكيرًا مأسويًا بأنه في إمكاننا ان نرفض الاعتراف بالرب المُعاني للذلّ. هذا وان متّى يبيّن أن في ذلك تتمّ نبوءة زكريا: كان الشعب يرفض الله، وكان يدفع ثمنه، ليسخر منه، بثمن أجرة العبد الزهيدة (راجع الجزء الاول، الصفحة ٨٦). فالله هو الذي يُباع في يسوع.

وفي مشهد **الدعوى لدى الحاكم الروماني** (٢٧/١١ – ٢٦). يُضيف متى تدخّل امرأة بيلاطس: فالرومانيون انفسهم يعترفون بأن يسوع رجل بارّ. بيلاطس يتبرّأ من الأمر والشعب يتحمّل مسؤولية ذلك الموت: «دمه علينا...». ومنذ الآن فعلى كل انسان، يهوديًا كان ام وثنيًا، إن اراد ان ينال الخلاص، أن يدخل في العهد المثبَّت بدم يسوع.

ان موت يسوع (٢٧/٣٢ – ٥٤) يدلّ، في نظر متى، على نهاية العالم القديم وافتتاح العالم الجديد. فهو يُتمّ الكتب المقدسة التي يستشهد بها متى بغزارة.

مات يسوع مخذولاً من الجميع بحسب الظواهر، حتى من الله. ولكن موته قيامة: فالزلزال صورة لآخِر الازمنة. ومنذ ذلك الحين، نرى القديسين يقومون ويدخلون في اورشليم السماوية، والوثنيين يعترفون بأن يسوع هو ابن الله.

ختم الاحبار **القبر** ووضعوا حَرَسًا (٢٧/٥٥ – ٦١)، فازدادت بذلك قدرة القائم من بين الأموات! انتهى كل شيء في الظاهر. ومع ذلك فإن متى يلفت النظر الى ان كل شيء يبدأ وأن فجر القيامة ينبثق من ليل القبر.

يسوع في انجيل متى


المسيح المعلّم.
أميان. فرنسا
(القرن الثالث عشر).

الرب يعيش في جماعته

اكتشفنا في انجيل مرقس يسوع الانسان قبل كل شيء. أما انجيل متى فانه يضعنا توًّا أمام **الربّ الممجَّد والمكرَّم في جماعته**. فالتلاميذ يسجدون للقائم من بين الاموات (١٧/٢٨) كالمجوس (٢/٢ و١١) والأبرص وقائد المئة والتلاميذ أثناء العاصفة، مع ان السجود لا يحقّ إلاّ لله (١٠/٤).

ذلك بأن يسوع، بقيامته، هو في الحقيقة **الله معنا**. فاسم «عمّانوئيل»، الذي أعلن عنه عند ميلاد يسوع (٢٣/١)، لن يُطلق عليه إلاّ يوم الفصح. لا بل هو كلمة الانجيل الأخيرة: «وهاءنذا معكم...» (٢٠/٢٨).

إنّه ابن الله الحبيب. رأينا ان مرقس يستعمل نادرًا هذا اللقب ويُشعرنا بأن التلاميذ كانوا يستصعبون الاعتراف به. أمّا في انجيل متى، فإن يسوع يعرّف هو نفسه على هذا الوجه (٢٧/١١ و٦٣/٢٦ – ٦٤) والتلاميذ يعلنونه مرارًا (مثلاً ٣٣/١٤ و١٦/١٦).

ولذلك فإن يسوع في انجيل متى يبدو مُهيبًا. يُهمل متى تأثّر يسوع او جهله (قارن بين متى ٥٨/١٣ ومر ٥/٦) ويشدّد على قدرته (٢٣/٤ و٢٤/٨ و٣٠/١٥...). ولكن هذا الربّ يبدو مرّة واحدة شديد الانسانية، عندما راح يلتمس من اصدقائه، وهو في النزاع، شيئًا من العطف.

ان يسوع هو **مخلّص جماعته**. تظهره المعجزات بمظهر العبد المتألم الوارد ذكره في أشعيا والذي اخذ اسقامنا (١٧/٨). يبسّط متى روايات المعجزات ويمحو ملامح يسوع البشرية ويصوّر حماة بطرس (١٥/٨) او التلاميذ اثناء العاصفة (٢٥/٨) بصورة مسيحيي عصره، فيبيّن بذلك ان الرب يسوع يواصل عمله الخلاصي في آنيّة جماعته.

ان يسوع هو **معلّم جماعته**. اعطى موسى الوصية للشعب، ويسوع هو موسى الجديد الذي يعطي الشريعة الجديدة على جبل التطويبات وجبل الفصح، وهذه الشريعة هي ان يكون الانسان كاملاً كالآب. يعيد الشريعة القديمة الى صفائها الأصلي، فينتظر الرحمة لا الذبائح (١٣/٩ و٧/١٢) وترك الرحمة والغفران قاعدة لكنيسته (٢١/١٨ – ٣٥). يريد ان يكون تلاميذه اذكياء في ايمانهم وان يفهموا، وكثيرًا ما طلب ذلك منهم (مثلاً: ١٩/١٣ و٢٣ و٥١ و١٠/١٥).

ان يسوع هو **مثال جماعته**. قال ليوحنا المعمدان: «يحسن بنا ان نتمّ كل بِرّ» (١٥/٣). وفي نص ينفرد به متى، يصوّر يسوع حياته بصورة الطريق الوحيد الى معرفة الآب (٢٧/١١ – ٣٠).

مسيح اسرائيل

ان يسوع في نظر متى هو المسيح الذي كان اسرائيل ينتظره والذي أنبأت به الكتب المقدسة. ويستشهد بها متى كربّاني بارع، ليبيّن ان يسوع قد أتمّها. وهو كثيرًا ما ينسب الى يسوع ألقابًا رسمية كالمسيح وابن داود وملك اسرائيل. وبالاعتراف به او برفضه يتعلّق الانتماء الى اسرائيل الحقيقي: فالمجوس الوثنيون يسجدون له، في حين ان اورشليم ترفضه، والكهنة والكتبة يحكمون عليه، في حين ان قائد المئة الروماني ورجاله يعلنون أنه ابن الله. ولذلك فسيُنزع الملكوت من الأوّلين ويُعطى لآخرين (مثل الكرّامين: ٤١/٢١). فيصبح مسيحُ اسرائيل مسيح الجميع.

ابن الانسان

على مِثال الرؤى (راجع دا ٧)، كانوا ينتظرون مجيء ابن الانسان للدينونة في آخِر الازمنة. يرى متى ان يسوع هو ابن الانسان هذا. فيسوع يُعلن ذلك رسميًا امام المجلس وينبئ بأنهم سيَرونه بعد اليوم (٦٤/٢٦). والفصح هو في الحقيقة مجيء ابن الانسان، اتيًا على الغمام (٦٤/٢٦) الى تلاميذه الساجدين (١٨/٢٨)، بعد ان أُولي كل سلطان (١٨/٢٨ وراجع دا ١٤/٧). ينفرد متى بالكلام على مجيء (٣/٢٤ و٢٧ و٣٧ و٣٩) ابن الانسان هذا. وفي الحقيقة فان هذا المجيء يدل في نظره على الساعة التي يحلّ فيها ملكوت الله في تاريخنا. وهذا الأمر يتمّ عند القيامة، ولذلك فان هذا المجيء يتمّ كلّ مرّة نلتقي بابن الانسان الحاضر سرّيًّا في الصغار، وهم الذين يتطابق معهم (٣١/٢٥ – ٤٦).

يسوع يرسل جماعته

بعد ان نُصِّب يسوع ابنَ الانسان وديّان الجميع ورب العالم كله، فقد أحرز النصر الأخير. وبقي له ان «يحتلّ المكان»، ولذلك فإنه يرسل تلاميذه يُقيمون نصره في العالم كله. سبق له ان اعدَّهم لهذه الرسالة (١٠)، ولكنه هو الذي انطلق في ذلك الحين للتبشير. فالإرسال الحقيقي يتمّ يوم الفصح (١٨/٢٨ – ٢٠).

التعليم المسيحي والخُطب

بعد ان كان الناس يصغون الى اعلان البشارة (الكرازة) ويصبحون تلاميذ يسوع المسيح بالايمان والمعمودية ، كان لا بدّ من استكمال تعليمهم. «كانوا مواظبين على تعليم الرسل» ، كما ورد في لوقا (رسل ٢/٤٢). حين درسنا السلوك المسيحي (الصفحتان ١٦٩ و ١٧٠) ، اكتشفنا هذا التعليم من خلال الرسائل. وسنكتشفه هنا من خلال خطب يسوع في الأناجيل.

لا شكّ ان يسوع قد أعلن البشارة ، هذا شيء واضح جدًا. ولكن هل ألقى خُطبًا طويلة مثل التي نراها في الاناجيل ؟ هذا شيء ممكن. على كل حال ، فإن معظم هذه الخطب هي ثمرة عمل الجماعات التي جمعت أقوالاً ليسوع وجعلت منها نوعًا من التعليم المسيحي.

أوضح الحالات هي حالة العظة على الجبل الواردة في انجيل متى ، والتي تماثلها الخطبة في السهل التي نجدها في لوقا. سبق لنا ان درسنا نص متى (الصفحة ١٨٧) ، فبقي ان نقارن بين هذين النصّين.

مكان الخطبتين وحجمها

ان العظة في انجيل متى هي خطبة يسوع البرنامجية وأول خُطبه ، وهي تحتوي على ١٠٧ آيات. والعظة في انجيل لوقا تحتوي على ٣٠ آية فقط. وأمّا خطبته البرنامجية فهي قبل العظة وقد ألقاها في مجمع الناصرة (لو ٤/١٦ — ٣٠). لا شيء من هذا في انجيل مرقس.

نحو نصّ سابق

لا ندّعي امكانية الارتقاء الى اقوال يسوع ، ومع ذلك فبإمكاننا ان نحاول ان نبحث هل استوحى متى ولوقا من نصّ وجداه في مصدرهما وان نرى كيف حوّراه او أغنياه.

عد الى الصفحة ١٨٧. ان نظرت الى مراجع عمود لوقا ، رأيت ان كل خطبة لوقا ٦/٢٠ — ٤٠ توجد ، في ترتيب مختلف احيانًا ، في خطبة متى ، ما عدا ٦/٢٤ — ٢٦ وبعض آيات اخرى (٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤٥).

انطلاقًا من بحث دقيق ، يتوصّل أحد المفسّرين الى الافتراض التالي : يورد متى مصدره ، مضيفًا بعض التعاليم. ويورد لوقا المصدر نفسه بعد أن زيدت عليه اربع آيات ، لكنه يخفّف منه ، واضعًا بعض التعاليم في امكنة أخرى.

أيًا كانت الخطبة في حالتها الأولى ، فإنها كانت هي أيضًا تركيب للجماعة انطلاقًا من اقوال منفردة ليسوع. لعلّ بعضها كان موجزًا لإحدى عظاته ، وبعضها الآخر خلاصة تعليم طويل أُلقي بصورة أسئلة وأجوبة. والمراد بهذا التجميع عرضُ اجمالي للمسيحية (نوع من «كتاب للتعليم المسيحي») بالنسبة الى عرض اجمالي لليهودية ، كما كان ربّما يعبّر عنه فرّيسيّو جَمْنيا (راجع الصفحة ١٤٥).

العظة في انجيل متى

يروي متى ذلك التعليم المسيحي بأمانة ، مشدّدًا على انعكاساته العملية ومضيفًا أمثالاً يمكن تطبيقها.

◄ في ضوء الدرس الذي تمّ اعلاه (الصفحة ١٨٦). حاول أن تستخلص الخطوط العريضة لذلك «التعليم المسيحي» في سلوك التلميذ الكامل.

الخطبة في انجيل لوقا

ان الخطبة في انجيل لوقا أقصر بكثير وهي اكثر محافظة على طابع «الانجيل» ، اي اعلان البشرى (التطويبات ، راجع الصفحتين ١٩٢ و١٩٣). من سمعها ، شعر بواجب تغيير نمط حياته ، وعلى هذه المحبة يركّز لوقا تعليمه المسيحي.

◄ قارن بين لو ٦/٣٦ ومتى ٥/٤٨ : ما الفرق بينهما ؟ ما هو المعنى الذي يُضفيه ذلك على الحياة المسيحية ؟

قارن بين لو ٦/٣٣ — ٣٥ ومتى ٥/٤٧ : ما الفرق بينهما ؟ ينفرد لوقا ، هو ورسالة بطرس الأولى ، باستعمال كلمة «أحسن» او «عمل الخير» (١ بط ٢/١٤ و١٥ و٢٠ و٣/٦ و١٧ و٤/١٩ ، وراجع الصفحتين ١٦٨ و١٦٩). ما هي الرؤية التي يعطينا لوقا ايّاها في الحياة المسيحية؟

قارن بين اللازمة في لو ٦/٣٢ و٣٣ و٣٤ ومتى ٥/٤٦. ما الفرق بينهما؟ ان الكلمة المترجمة بـ«فَضْل» هي «نعمة». في مقابل محبّتنا ، ليس ما نناله ثوابًا ، بل نعمة.

في ضوء هذه الملاحظات ، أعِد قراءة هذه الخطبة ، وحاول ان تستخلص خطوط هذا التعليم المسيحي العريضة في سلوك من يعلم بأن الله يحبّه مجّانًا.

◄ التطويبات

يفتح متى عظته على الجبل ويفتح لوقا خطبته في السهل بإعلان التطويبات. فرسالة يسوع هي في جوهرها تبشير بالسعادة. ولكن لِمن هذه السعادة وكيف؟

لا بدّ من الاعتراف، مع الاسف، بأن التطويبات كثيرًا ما فُهمت بعكس معناها فاستُعملت كأفيون لتسكين الألم وتمرّد الفقراء. فكأنّها تقول: «ما أسعدكم ايها الفقراء، لأن الله يحبّكم. اذًا... إبقَوا فقراء! إرضوا بنصيبكم. فتكونوا سُعداء يومًا ما في السماء». سنرى أن يسوع يُعلن عكس ذلك: «ما أسعدكم أيها الفقراء، لأنكم لن تكونوا فقراء بعد اليوم، بما أن ملكوت الله قد أتى!».

إبدأ بالمقارنة بين هذه التطويبات: أيٌّ هي مشتركة بين متى ولوقا؟ إلى من تُوجِّه (هم – أنتم)؟ ايُّ نوع من الفقر يقصده لوقا؟ ومتى؟ مَيِّز بين السلسلتين من التطويبات: تطويبات متى الثماني الأولى (انشاء واحد وعبارة واحدة: ملكوت الله، في البداية وفي النهاية) والتاسعة (تغيّر في الانشاء وفي الموجَّه اليهم).

التطويبات قبل متى ولوقا

لا شكّ ان يسوع قد اعلن تطويبات في ظروف مختلفة. وقد قامت الجماعة بتجميع بعضها، ورأينا في اسفل الصفحة ١٩١ أن بعض المفسّرين قد اقترح نظرية معقولة تبيّن كيف تمّ هذا التجميع. أيًّا كان معناها في ذلك الزمان؟ (سنقتصر على درس السلسلة الأولى).

ان أردنا ان نهتدي الى ذلك المعنى، لا بدّ لنا أن نضعها في تبشير يسوع بملكوت الله. أعِد قراءة ما قلناه في الصفحة ١٧٩. قارِن بين التطويبات المشتركة بين متى ولوقا وجواب يسوع الى موفدي يوحنا المعمدان. يستشهد يسوع في جوابه ببعض الأنبياء: فهو يُدرك أنه يحقّق بأعماله ما أنبأوا به. أعِد قراءة بعض النصوص: اش ٩/٤٩ و ٧/٥٢ و ٦/٦٠ و ١/٦١ و ٥/٣٥–٦. في اثناء الجلاء او بعده بقليل، أنبأ بعض الأنبياء بأن الله سيملك ويظهر أخيرًا ملكًا صالحًا كما هو. ما هي العلامات التي يعطيها على ذلك؟ أليست هي العلامات التي صنعها يسوع؟ فهو يُثبت بذلك أنّ ملكوت الله يأتي عن يده وأنه لا يكون فقراء بعد اليوم. ولذلك يُقال إنهم سُعداء.

اعتراض: اذا صحّ ان ذلك هو معنى تبشير يسوع... فقد أخطأ، لأن الفقراء لا يزالون، واللاعدالة لا تزال! إن طَرح هذا السؤال يعني، مع الأسف، أننا نحن المسيحيين لم نقم بعملنا! في الواقع، كانوا ينتظرون مسيحًا يُقيم وحده ملكوت الله. فجاء يسوع مسيحًا، ولكنه افتتح فقط هذا الملكوت وعهد الى تلاميذه في القيام بالعمل. لم يَخفَ ذلك على المسيحيين الأوّلين. كتب لوقا: «كان كل شيء مشتركًا بينهم، فلم يكن فيهم محتاج» (رسل ٣٢/٤ و ٣٤). لا يمكن اعلان التطويبات دون بذل كل المُستطاع لكي يزول الفقر على جميع وجوهه والمرض واللاعدالة.

فالتطويبات إلهية في معناها الأوّل: إنها تتكلّم على الله، على إلّه الفقراء الذي أتى ليقيم، بمسيحه وتلاميذه، ملكوته وهو ملكوت عدل ومحبة. وفي الاناجيل، اصبحت التطويبات مسيحية، فإن متى ولوقا يشدّدان، بصورة مختلفة، على ذاك الذي عن يده يأتي الملكوت، اي المسيح.

التطويبات في انجيل لوقا

الى مَن تُوجَّه التطويبات؟ ان ضمير المخاطب في صيغة الجمع موجّه الى التلاميذ. يُعلن يسوع لهؤلاء المسيحيين الفقراء أن حالتهم البائسة حالة عاديّة: فهي نتيجة اخلاصهم له. ولكن الله سيصلح الأمور عند موتهم.

التطويبات في انجيل متى

يوجّه متى كلامه، لا الى المسيحيين، بل الى كل انسان. لكنه أضفى على هذه التطويبات طابعًا روحيًا فجعل منها استعدادات قلبية. على هؤلاء الناس الذين يحاولون، على مثال التلاميذ الأولين الذين ذكرهم سفر اعمال الرسل، ان يزيلوا الفقر، يطرح يسوع هذا السؤال: بأي قلب تعملون؟ لقد ادرك بولس هذا الأمر فكتب: «لو اعطيت الفقراء جميع أموالي، ولم تكن فيَّ المحبة، فلا فائدة في ذلك» (١ قور٣/١٣). علينا ان نناضل ليزول الفقر والفقراء، ولكن علينا ان نعمل ذلك بقلبِ فقير. ولا يستطيع أحد ان يساعد الفقراء دون ان يحطِّمهم بشفقته، ان لم تكن فيه تلك الاستعدادات القلبية. وهذه الاستعدادات القلبية مصدرها في يسوع الوديع والفقير القلب (متى ٢٩/١١). ومتى عرف الانسان أنه مغمور بالنعم مجّانًا، عندئذٍ يستطيع ان يبشّر الفقير فيساعده على التحرّر من فقره.

متى ٥/٣-١٢	لو ٦/٢٠-٢٣	لو ٦/٢٤-٢٦
٣. طوبى لفقراء الروح ، فإن لهم ملكوت السموات .	٢٠. طوبى لكم أيها الفقراء ، فإن لكم ملكوت الله.	٢٤. لكن الويل لكم أيها الأغنياء . فقد نلتم عزاءكم .
٤. طوبى للودعاء ، فإنهم يرثون الارض .		
٥. طوبى للمحزونين ، فإنهم يُعزَّون .		
٦. طوبى للجياع والعطاش الى البِرّ ، فإنهم يُشبعون .	٢١. طوبى لكم ايها الجائعون الآن ، فسوف تُشبعون . طوبى لكم ايها الباكون الآن ، فسوف تضحكون .	٢٥. الويل لكم ايها الشبّاع الآن ، فسوف تجوعون. الويل لكم ايها الضاحكون الآن . فسوف تحزنون وتبكون.
٧. طوبى للرحماء ، فإنهم يُرحمون .		
٨. طوبى لأطهار القلوب ، فإنهم يشاهدون الله.		
٩. طوبى للساعين الى السلام ، فإنهم أبناء الله يُدعون.		
١٠. طوبى للمضطهدين على البِرّ ، فإن لهم ملكوت السموات.		
١١. طوبى لكم اذا شتموكم ، واضطهدوكم ، وافتروا عليكم كل كذب ، من أجلي .	٢٢. طوبى لكم اذا ابغضكم الناس ورذلوكم وشتموا اسمكم ونبذوه على انه عار من اجل ابن الانسان .	٢٦. الويل لكم . اذا مدحكم جميع الناس .
١٢. افرحوا وابتهجوا ، ان أجركم في السموات عظيم . فهكذا اضطهدوا الأنبياء من قبلكم .	٢٣. افرحوا في ذلك اليوم واهتزّوا طرباً ، فها إن اجركم في السماء عظيم . فهكذا فعل آباؤهم بالأنبياء .	فهكذا فعل آباؤهم بالأنبياء الكذابين.

اليك نظرية معقولة لأحد المفسّرين في وضع النص السابق الذي انطلق منه متى ولوقا :

طوبى للفقراء. فإن لهم ملكوت السموات .
طوبى للمحزونين ، فانهم يُعزَّون.
طوبى للجياع (والعطاش) ، فانهم يُشبعون.
طوبى لكم اذا ابغضوكم ونفوكم وشتموكم وأطلقوا عليكم اسمًا سيّئًا من اجل ابن الانسان.
افرحوا وابتهجوا ، فإن اجركم في السموات عظيم.
فهكذا اضطهدوا الأنبياء الذين من قبلكم.

بشارة ملكوت الله

ان البشارة التي أعلنها يسوع كانت في جوهرها أن ملكوت الله قد اقترب! وقد أظهر يسوع أن هذا الملكوت قد اقترب، وذلك بأعماله (المعجزات، وبموقفه العملي أيضًا من الفقراء والوضعاء والمحتقرين) وبأقواله (الخطب التي تعبّر التطويبات عن صميمها). فيسوع هو قبل كل شيء المبشّر والمفتتح لهذا الملكوت.

والحال أننا نلاحظ أنهم يعلنون البشرى المتعلّقة بيسوع، سواء أكان في الجماعة ام في الاناجيل! فالمبشِّر أصبح المبشَّر به. في ذلك انزلاق في توجيه الاهتمام، ولكن المعنى لم يتغيَّر. «الأموات يقومون»: كان هذا احدى العلامات الساطعة لمجيء الملكوت. فمن اعلن ان يسوع قد قام، أثبت أن هذا الملكوت قد أتى في يسوع. وهذا الانسان الذي غيّره الروح القدس هو في الحقيقة رمز الانسان الذي دخل في الملكوت.

لكن التلاميذ ادركوا، في هذا الضوء، أن عن يده أيضًا يأتي الملكوت. فمن أعلن ان يسوع قام، بشّر بصورة اوضح أن ملكوت الله قد اقترب.

التطويبات: برنامج سياسي

اذا صحَّ ان يسوع قد اكتفى بافتتاح الملكوت، فلا عجب ان تبقى التطويبات، وجميع التعاليم الناجمة عنها، برنامج عمل للمسيحيين في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعائلية...

إنّها تذكّرنا بأن محرّك عملنا لا يمكن ان يكون سوى خدمة الآخرين، وأولاً الفقراء لكي لا يبقوا فقراء، ولا يمكن ان يكون أبدًا المال او السلطان.

وهي تساعد المسيحي على اعطاء عمله البشري معنًى اعمق: فالطبيب الذي يكافح المرض، والعامل الذي يجعل حياة الآخرين اكثر انسانية بفضل المنتوجات التي يصنعها، والمربّي الذي يساعد الاحداث على تحسين انفسهم، وكلٌّ من يعمل لكي يعيش الآخرون حوله عيشة سعيدة، فمن حق كلّ هؤلاء الناس ان يعتقدوا بأنّهم يحقّقون ملكوت الله تحقيقًا متواضعًا ولكنه فعّال.

لماذا يسوع شديد المطالب؟

حين قرأنا التطويبات والعظة على الجبل وسائر خطب يسوع، لا شكَّ أننا لاحظنا ما أشدَّ مطالب يسوع، اذ يجب ان نعطي كل شيء وفورًا! كيف يمكن ذلك؟

لا شكَّ اننا لاحظنا أيضًا أن متى يشدّد على «الآب السماوي». فعلينا ان نكون كاملين مثله! فهذا التشديد يغيّر كل شيء. ليست الأخلاقية، ليس العمل المسيحي مجموعة قوانين يجب تطبيقها، بل هو واجب محبّة. فحين نعلم بأننا محبوبون هذا الحب، لا يسعنا إلاّ ان نرغب في التشبّه بالذي يحبّنا. فهذا الواجب لا حدّ له اذًا، على مثال محبة الله. ولكنه اذا كان واجب محبة، أصبح كل شيء ممكنًا.

ما يعرضه يسوع ليس هو الزهد، بل السعادة: «طوبى...!». هذا وان مثلَي الكنز واللؤلؤة (متى ١٣/٤٤ – ٤٦) يعبّران عن هذا الأمر تعبيرًا واضحًا: فإن يسوع يوجّه كلامه الى أُناس سبق لهم أن اكتشفوا ما أروع هذا الملكوت وأصبحوا مستعدّين اذًا للتضحية بكل شيء في سبيل امتلاكه. يمكن ان تكون الشريعة الانجيلية مطلقة لأنها تدعونا الى المزيد من الكيان، الى السعادة.

وشهادة الذين سبق لهم ان قاموا بهذا الاختبار أمر جوهري. حين وعظ يسوع على الجبل، كان محاطًا بتلاميذه (متى ٥/١): فالذين يسمعون دعوة يسوع هذه يلاحظون أن تلبيتها أمر ممكن، اذ ان هناك أناسًا اختاروا هذا الاختيار. وليس عرضًا ان تنتهي التطويبات بتشبيهين: «أنتم ملح الأرض... أنتم نور العالم...» (متى ١٣/٥ – ١٦). لم يُعطِ أحد تحديدًا للكنيسة أفضل من هذا التحديد. فليست هي بوقالاً يدور فيه المخلَّصون دَورانًا («لا خلاص خارجًا عن الكنيسة»)، بل هي اشارة ونور مغروس على جبل، يكشف معنى الحياة وينوّر الطريق «للذين يسيرون في الظلام» (اش ٦٠) ونور لا يأتي من نفسه، بل يُحيل الى المصدر الذي يشعّ منه، الى الآب السماوي.

٦. عمـل لـوقـا :
الانجيـل واعمـال الـرسل



لوقا والبقرة
حجر زاوية كنيسة شارتر. فرنسا
(القرن الثالث عشر)

ان ما ينفرد به لوقا هو أنه وضع مؤلَّفًا بمجلَّدَين : الانجيل واعمال الرسل. فعلينا ان نقرأهما كلاهما. سبق لنا أن تصفَّحنا اعمال الرسل تصفّحًا خارجيًا. مستعملين ايَّاها كـ «دليل سياحي». ونعود اليها هنا مع الانجيل لنكتشف فيها ما قصده لوقا بعمله.

نستطيع ان نقول، بالرجوع الى التشبيه الوارد في الصفحة ١٣٣، إن لوقا، شأن سائر الانجيليين، قد وضع على حياة يسوع «الورق الشفَّاف» الخاص بحياة الكنيسة، ولكنه اراد، فيما يتعلّق بأعمال الرسل، ان يقدّم لنا ذلك «الورق الشفّاف» على حدة.

مؤرّخ مؤمن

لم يكتب لوقا انجيلاً. بل كتب بكل تواضع «رواية للأحداث» لكي يتثبَّت التلميذ من ايمانه : عبَّر عن ذلك في مقدّمة بإمكانها ان تحمل توقيع مؤرّخٍ من مؤرّخي زمانه (١/١ – ٤).

لكن المؤرّخ لوقا رجل مؤمن : فما يرويه هو، في نظره، بشرى يريد ان يقاسمها. لا يكفّ عن مخاطبة القارئ : «لا تستطيع ان تقرأ هذا دون الشعور بأنك معنيّ. فعليك أن تختار وتكون مع أو علي. وفي هذا اليوم بالذات...». فلا تتّسم روايته بالطابع البارد الذي يتّسم به الوصف. بل بطابع التحريض. التلميذ في صميم اهتماماته. وإليه يوجّه كلامه وعليه يلحّ بالدخول الى ذلك العالم الرائع الذي اكتشفه.

جماعة لوقا

لا نعرف الى أيّة جماعة معيَّنة يكتب لوقا، ولكننا نتصوّر بسهولة ما هو نوع الكنيسة التي تكوَّنت فيها رسالته : هي جماعات نشأت في أرض وثنية يونانية، كجماعات انطاكية او فيلبّس. يمكننا، اذا قرأنا مؤلّفات لوقا، ان نستخلص بعض ملامح تلك الجماعات.

جاء اولئك المسيحيون من الوثنية. وكان لوقا يونانيًا. فأمكنه ان ينسجم مع عقليتهم. إنه يشدّد على حقيقة قيامة يسوع (يصعب على اليونانيين ان يسلّموا بهذا الأمر). ولكنه يستعمل مفردات ناطقة بالنسبة اليهم : «يسوع حيّ». ولمّا كان لقب «المسيح» قليل الوضوح للقرّاء. فإنه يوضحه باستعمال لقب «المخلّص». كان الناس يسمّون الاباطرة «أربابًا». فاهتمّ لوقا بالقول إن يسوع هو «الرب الأوحد». وهو يتجنّب كلمة التغيّر او التحوّل. لأنهم كانوا يُخبرون بـ «تحوّلات» كثيرة عند الآلهة...

كان اولئك المسيحيون يعرفون أنهم بالنعمة لا بالولادة قُبلوا في عهد الله مع اسرائيل. فكانوا يرغبون في قراءة الكتب المقدسة ليكتشفوا فيها قصد المحبة الذي قصده الله.

لقد اختبروا اختبار الروح القدس. فإن كنائسهم نشأت خارجًا عن دائرة اورشليم وهي وليدة كلمة الله والروح القدس. وكانوا يعرفون ان الايمان بيسوع ادخلهم في تقليد. تقليد الرسل الذي حقّق لوقا لديهم باهتمام. ولكنهم كانوا يريدون ان يعيشوا في حرية الروح القدس الذي كان يدفع بهم الى اخوتهم الوثنيين. وكانت جماعات لوقا تعيش الشمولية بحكم الطبيعة. على خلاف ما كانت عليه جماعات متى.

الكاتب

منذ القرن الثاني، رأى التقليد في لوقا ذلك «الطبيب الحبيب» (قول ١٤/٤) الذي رافق بولس من طرواس الى فيلبّي حيث أقام على الأرجح من السنة ٥٠ الى ٥٨. لحق ببولس في ميلة ورافقه الى قيصرية ثم الى رومة (بحسب فقرات اعمال الرسل التي يرد فيها ضمير المتكلّم بصيغة الجمع). لعلّ أصله من انطاكية. فإن سلفه وثني (او هلّنستي؟). كان مثقّفًا يستعمل بأناقة اللغة اليونانية الشائعة في ذلك الزمان.

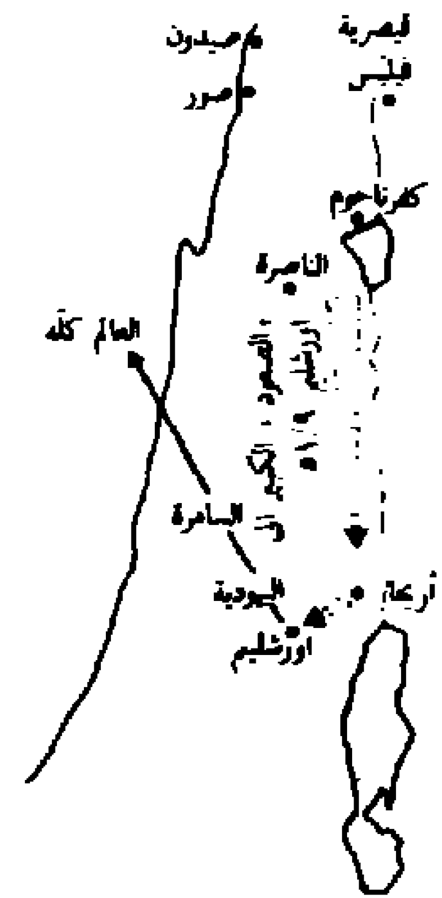
كما سبق ان فعلنا في درس مرقس ومتى ، يحسن بنا ان نبتدئ بقراءة مؤلفات لوقا ، صفحة بعد صفحة ، كما نطالع رواية من الروايات . يستغرق هذا الأمر كثيرًا من الوقت ، ولكنكم سترون أنه «مُربح» .

الجغرافية في مؤلفات لوقا

الانجيل . في المجلّد الأول ، نجد اورشليم في النقطة المركزية . فيها وفي الهيكل يبتدئ الانجيل ، وفي الهيكل ينتهي (١/٥ ت و ٥٢/٢٤ – ٥٣) . وطفولة يسوع ، من الناصرة الى بيت لحم والى الناصرة ، تبلغ ذروتها في مجيء يسوع الى أبيه في الهيكل (٤١/٢ ت) ، ولا يتراءى القائم من بين الأموات إلاّ في اورشليم (وهذا الأمر يحمل لوقا على تعديل كلام الملائكة في القبر ، ٦/٢٤) .

يبدأ يسوع تبشيره في الجليل ، وذلك لكي يستطيع ان يعود الى اورشليم : فالقسم المركزي منظّم كأنه صعود الى اورشليم (٥١/٩ – ٢٨/١٩) . وفي المدينة المقدسة يجب ان يتمّ سرّ الفصح ، «لأنه لا ينبغي لنبيّ ان يهلك في خارج اورشليم» (٣٣/١٣) ، اذ ان يسوع يحقّق القصد الالهي الذي أنبأت به الكتب المقدسة ، والمدينة المقدسة هي مركزه . لكنّها رفضت يسوع .

اعمال الرسل . ولذلك فإنّ المجلّد الثاني يبيّن كيف أن الكلمة انطلقت من اورشليم وامتدّت الى اليهودية والسامرة والى أقاصي الأرض وكانت رومة عاصمتها .



ثلاثة ازمنة في تاريخ الخلاص

يرى سائر الانجيليين زمنَين في تاريخ الخلاص : زمن الموعد وزمن يسوع مع كنيسته . وأمّا لوقا فإنه ، في تأليفه مجلّدين ، أدقّ تمييزًا للازمنة : فهناك زمن الموعد ، وزمن يسوع ، وزمن الكنيسة .

١. **زمن الموعد**

هو زمن العهد القديم . وهو لا ينتهي ، في نظر لوقا ، إلاّ بآنيّة التبشير في الناصرة (٢١/٤) . عُهد الى يوحنا المعمدان في إعداد شعب الموعد لاستقبال النبيّ ، ولكنه يبقى هو في زمن الاستعداد هذا (٢٨/٧) . ويسوع نفسه ينتمي الى هذا الزمن ، فهو في وسط الشعب يأتي ليعتمد عن يد يوحنا (٢١/٣) . إنّه ذلك الشعب العائد الى البرّيّة ليقوم مرّة ثانية بالخروج الذي فشل في المرّة الأولى (رواية التجارب) ، بل إنّه البشرية كلها ، وآدم الجديد ، واضعًا نفسه أخيرًا في صلة حقيقية بالله (النسب الذي يرقى الى آدم) . ومنذ اليوم فإن الدخول في ملكوت الله مفتوح لشعب الموعد ولجميع الناس : فلم يعد هناك مانع من ان تدوّي آنيّة الله في آذاننا (٢١/٤) .

كثيرًا ما يستند لوقا الى الكتب المقدسة ، ولكن بطريقة تختلف عن طريقة متى . لا يحاول ان يستشهد بنصوص معيّنة ، فالكتب المقدسة في نظره كطبقة مائية جوفية تعطي الاحداث حياة ومعنى . فيستمر يسوع في الارتواء منها قبل ان يفتح اذهان تلاميذه ليفهموا الكتب يوم الفصح (٤٥/٢٤) . ولذلك نرى يسوع يكثر من استعمال «يجب» : ليس مراده ان يخضع خضوعًا اعمى لبرنامج سبق إعداده ، بل بالاحرى ان يبتكر حياته جاعلاً ايّاها في استمرارية القصد الالهي (راجع الصفحة ٢٢٧) .

٢. **زمن يسوع : الانجيل**

يستخدم لوقا موادّ أخذها من التقليد : انجيل مرقس (او انجيل مرقس في حالته الاولى) و «مصدر الأقوال» الذي يشترك فيه مع متى (راجع الصفحة ١٢٩) . لكنه يرتّبها بمهارة ، مضيفًا اليها تقاليد ينفرد بها ، فيعرض لنا القصد الالهي كما يظهر له .

ان استثنينا «روايات الطفولة» التي سنعود اليها و «زمن الاستعداد» ، وجدنا أن خطّ سير يسوع يتضمّن ثلاث مراحل كبرى :

• في الجليل ينبئ يسوع بسرّه الفصحي (١٤/٤ – ٥٠/٩) . والتبشير في الناصرة (١٤/٤ ت) هو بمثابة «خطبة برنامجية» لهذه المرحلة . يجمع لوقا بين زيارتين ، الأولى حيث رُحّب بيسوع ، والثانية ، وهي جرت في وقت متأخّر ، حيث نُبذ ، فيصوّر كيف سيتقبّلون ذلك التبشير . وفي هذا القسم ، يتّبع مرقس عن كثب ، إلاّ في الخطبة في السهل (راجع الصفحة ١٩١) وفي مقطع ١/٧ – ٢/٨ ، حيث يصوّر يسوع بصورة ايليا الجديد والنبيّ المصادق للخاطئين .

• **يسوع يصعد الى اورشليم ، الى سرّه الفصحي ٥١/٩ – ٢٨/١٩)** .
هذا اطرف قسم عند لوقا : «الصعود الى اورشليم» للعبد الوارد ذكره في أشعيا .

• في اورشليم ، يحقّق يسوع سرّه الفصحي (٢٩/١٩ – ٥٣/٢٤) . يومَ الفصح ، يظهر يسوع لتلاميذه ويصعد الى السماء .

٣. زمن الكنيسة : اعمال الرسل

يستخدم لوقا موادّ مختلفة، بعضها قديم جدًّا. ويخلطها أو يعيد كتابتها : مواضيع تبشير بطرس وبولس واسطفانس (راجع الصفحة ١٤٨) – «محفوظات» جماعات اورشليم او انطاكية – ذكريات لنشاط بطرس وبولس – «يوميّات رحلاته» ولا شك، حين رافق بولس (فقرات اعمال الرسل المكتوبة بضمير المتكلّم في صيغة الجمع).

الهدف من هذا الكتاب معروض بوضوح على لسان يسوع : على التلاميذ ان يكونوا شهوده في اورشليم واليهودية والسامرة، حتى اقاصي الأرض (١/٨). والممثّلون الرئيسيون هم بطرس، ثم الهلينيّون وأخيرًا بولس، ولا سيّمَا الروح القدس وكلمة الله.

يمكننا ان نبسّط تصميم الكتاب على الوجه التالي :

١. من البدء الى مجمع اورشليم (١/١ – ١٥/٣٥).
   - جماعة اورشليم : ١/١ – ٥/٤٢
   - انفتاح الكنيسة للوثنيين : ٦/١ – ١٥/٣٥.

فيه عرض متتابع للنشاط الرسولي الذي قام به الهلينيّون (٦/١ – ٩/٣١) وبطرس (٩/٣٢ – ١١/١٨ و١٢/١ – ٢٣) وكنيسة انطاكية (١١/١٩ – ١٤/٢٨). أدّى ذلك الى «مجمع» اورشليم (١٥/١ – ١١)، تلاه في وقت لاحق اجتماع تكلّم فيه يعقوب (١٥/١٢ – ٣٥).

٢. من اورشليم الى رومة : بولس (١٥/٣٦ – ٢٨/٣١).

في أثناء رحلات رسولية، أنشأ بولس جماعات في آسية الصغرى وفي أوروبا. وسيق سجينًا الى رومة فبشّر فيها بالانجيل برباطة جأش.

مقدّمة لاهوتية : لو ١ – ٢

ما نسمّيه «روايات الطفولة» هو في الواقع مقدّمة لاهوتية لمجمل مؤلّفات لوقا : الانجيل واعمال الرسل. على غرار ما رأينا في متى ١ – ٢ (راجع الصفحة ١٨٨)، نحن امام نوع من مقدمة للفلم الذي يعرض فيه لوقا مسبقًا جميع مواضيعه الكبرى. قد يكون مفيدًا ان نكتشف المواضيع الرئيسية في ترتيب ورودها.

اورشليم والهيكل : الصلاة (١/٥ ت).

يسوع ابن داود، وابن الله، تستقبله في الايمان مريم، بنت صهيون.

دور الروح القدس (١/٢٦ – ٣٨).

دور النساء، والروح القدس، والصلاة. واذلال الأغنياء والمتكبرين ورفع الوضعاء (١/٣٩ – ٥٦).

اسم يوحنا الذي يعني : «الله يسامح». وافتقاد الله لشعبه (١/٥٧ – ٨٠).

البشرى للفقراء (الرعاة) : مخلّص ومسيح وربّ. آيَة الله. المجد الذي يُشعّ من هذا الطفل على الجميع. والنتيجة : الفرح لجميع الناس. يوحي هنا بجوهر الغاية المنشودة من اعمال الرسل، وبدور المرسلين في العالم، وبدور بطرس وبولس وبدورنا (٢/١ – ٢١).

والهيكل أيضًا والروح القدس، والصلاة، والنور للوثنيين. ويسوع الآية المعرَّضة للرفض، والذي يجب الاختيار امامه (٢/٢٢ – ٣٩).

في ذروة تلك الطفولة، الهيكل وأوّل كلمة استعملها يسوع لتسمية الآب. والصعود الأول الى اورشليم والذي يوحي بالصعود الأخير : اختفاؤه مدّة ثلاثة أيام، وبحث النساء عنه، والآب، «يجب» «ان أكون عند أبي» أو «ان يتألّم المسيح ليدخل في مجده».

بعض ملامح مؤلّفات لوقا

ان انجيل لوقا هو أشدّ الأناجيل «عصرية». كاتبه مدين لثقافته اليونانية بحبّ الوضوح، وهو يستعمل بأناقة اللغة اليونانية الشائعة في ذلك الزمان. ولكنه قادر أيضًا على تقليد لغة الكتاب المقدس اليوناني، المتّسمة بمسحة من التراكيب الساميَّة، ويظهر هذا خاصةً في روايات الطفولة.

يحبّ ان يقطع سياق روايته بـ«مواقف» او موجزَات يلخّص فيها الوجوه التي يريد ان يحفظها القارئ او ما تقدّم اليه العمل. فهناك ثلاثة موجزات تعرض نشاط جماعة اورشليم (رسل ٢/٤٢). فنموّ كلمة الله مذكور في رسل ٦/٧ و١٢/٢٤ و١٣/٤٩ و١٩/٢٠. والعبارة «تصعد الى اورشليم» تشدّد على مقطع الانجيل الرئيسي.

لوقا مؤرّخ ماهر، فإنه يهتمّ بتحديد وضع الاحداث في مجرى التاريخ (٢/١ – ٣ و٣/١ – ٢). ولكنه، من جهة أخرى، لا يعرف فلسطين معرفة جيدة وهو غير مطّلع على طريقة بناء البيوت فيها ولا على مناخها، وكثيرًا ما يكتفي بتدوين ملاحظات زمنية مبهمة : «ذات يوم...». ذلك بأن اهتمامه اهتمامٌ لاهوتيّ خاصة.

يلفت نظرَ القارئ حنانُ الكاتب نحو يسوع ونحو الفقراء والنساء والخاطئين. قال دانته إن لوقا هو «انجيليّ حنان الله».

بعض النصوص من مؤلفات لوقا

◄ **برنامج يسوع : لو ٤/١٤ - ٤٤**

في *انجيل متى* . خطبة يسوع *البرنامجية في العظة على الجبل والمعجزات* التي تليها . أمّا في لوقا . فهي خطبته في الناصرة .

إبدأ بقراءة هذا النص بانتباه . ما هي الأماكن : الجليل واليهودية . بل المجمع أيضًا (مكان الدين اليهودي) . خارجَ المدينة ... من هم الممثّلون ؟

ابحث عن الكلمات الرئيسية : الروح - البشرى - الفقراء - اليوم - ايليا - مضى - الكلمة ...

ضع نص اشعيا المستشهد به في إطاره التاريخي (راجع الجزء الاول ، الصفحة ٧٧) . ما هو . في هذا الاطار . صدى كلمات كفقير وحرّية ... ؟ أين يوقف لوقا نص أشعيا ؟ لماذا ؟

ابحث عن التضمين الذي يضع حدود هذه الوحدة الادبية (التضمين : اسلوب يقوم على تكرار الكلمات ذاتها في بداية فقرة ونهايتها للدلالة على اننا امام وحدة أدبية) : التعليم او الاعلان او التبشير في المجامع (الآيات ١٥ و١٩ و٤٤) . الجميع والجموع (الآيتان ١٥ و٤٢) وبشّر (الآيتان ١٨ و٤٣) وأرسل (الآيتان ١٨ و٤٣) . كيف تصبح روايات المعجزات الثلاث مع فعل انتهر (او زجر) تحقيقًا عمليًا لهذا البرنامج ؟ (راجع الصفحة ١٣١) .

لاحِظ عدم ترابط الرواية : لماذا هذا التحوّل الفجائي في الموقف في الآية ٢٢ ؟ هل سبق ليسوع ان أجرى معجزات في كفرناحوم في انجيل لوقا (الآية ٢٣) ؟ راجع «التركيب» المعروض في الصفحة ١٣١ .

بعد هذا الدرس . عد الى مجمل النص .

من هو يسوع ؟ انظر الى القابه (الآيات ١٨ و٣٤ و٤١ : ايليا الجديد) . الى سلطة كلامه (الآيتان ٣٢ و٣٦) وتمجيده (الآية ١٥ : في الآيات الأخرى . لا يمجَّد إلاّ الله) ...

ما هي رسالته (الآيتان ١٨ - ١٩) ؟ التحرير مجسَّد بالمعجزات الثلاث (راجع رسل ١٠ - ٣٨) . الى من توجه هذه الرسالة : ألى اليهود (وطنه . المجمع) ام إلى الوثنيين (مثل ايليا واليشاع) ؟ كيف يكون استقبال اليهود لهذه الرسالة ؟

ما هو شعور يسوع بهذه الرسالة ؟ انظر الى فعل «مضى» (الآيتان ٣٠ و٤٤) . كيف تربط هذا بالتطويبات ؟

برنامج الكنيسة : رسل ٢/١ - ٤٧/٢

ان خطبة بطرس (التي سبق درسها في الصفحة ١٤٨) النازلة في رواية العنصرة هي الخطبة البرنامجية للكنيسة الناشئة . سنهتم هنا بالوجه الاجمالي .

إبدأ بالبحث عن التضمين الذي يضع حدود هذه الوحدة الأدبية : هم . وجميعًا (مجموعة الـ ١٢٠) ، ومواظبين ، والصلاة (١/١٤ و٢/٤٢) ، ومحتشدين ، وجماعة واحدة (١/١٥ و٢/٤٤ و٤٧) . فينتقل عددهم من مجموعة ١٢٠ الى مجموعة «١٢٠ ضمَّ الله اليهم ثلاثة آلاف» (٢/٤١ و٤٧) . يبيِّن النص ما تحتاج اليه الكنيسة للتبشير والنمو .

لاحِظ الكلمات المتكررة في الفصل الثاني (تُترجَم أحيانًا بكلمات مختلفة في كتابنا المقدس) : لسان او لغة (الآيات ٣ و٤ و١١) ولُغة بلد (الآيتان ٦ و٨) وصوت (الآيتان ٦ و٨) وتكلّم (الآيات ٤ و٧ و٣١) .

ابحث عن الممثّلين . أنظر خاصةً الى دور الله ويسوع والروح القدس والتلاميذ .

تبدو العنصرة اكتمال سرّ المسيح والاشارة الى ارتفاعه - وبدايةً لسرّ الكنيسة . كيف تعبّر عن ذلك ؟

كان عيد العنصرة اليهودي يحتفل في ذلك الزمان بإعطاء الشريعة في سيناء . هل ترى وجه شبه بين هذا الحدث كما كانوا يروونه في ذلك الحين (راجع النص المحاط بإطار) ورواية لوقا ؟ كان ذلك العيد اليهودي عيد العهد الجديد (أعد قراءة ار ٣١/٣١ ت وحز ٣٦/٢٦) وكانوا يقرأون في أثنائه المزمور ٦٨ (راجع الصفحة ١٥١) . ان الروح هو الهبة التي يهبها يسوع «المرفوع» لكنيسته .

كان صوت الله يخرج فيما مضى من سيناء ، وأمّا الآن فإنه يخرج من الكنيسة ، وهي صوت الله في العالم .

تأمّل اليهود في خر ٢٠/١٨ : في سيناء ، كان الشعب يشاهد الاصوات والرعود . كتب فيلون الفيلسوف اليهودي . وهو معاصر يسوع : «بما ان الله لا فم له . فقد قرّر بخارقة أن يخرج في الهواء صوت غير منظور . نفسٌ ملفوظ بكلمات يحوّل الهواء الى نار ملتهبة فيُخرج دويّ صوت حتى يسمعه الأباعد والأقارب ... كان صوت يدوّي من وسط النار الهابطة من السماء ويرتبط بلغة البلد المألوفة عند السامعين» . وقال الربّاني يوحنان (بين السنة ٩٠ والسنة ١٣٠) ان صوت الله انقسم الى ٧٠ لسانًا . وبما ان في العالم ٧٠ أمّة وثنية ، في نظر اليهود . فيعني ذلك ان الشريعة موجّهة الى جميع الناس .

مجد ابن الله : لو ٩/٢٨ – ٣٦

ترد أيضًا رواية التجلي في متى (١٧/١ – ٩) ومرقس (٩/٢ – ١٠) ويوحنا (١٢/٢٨) وبطرس (٢ بط ١/١٦ – ١٨). هذا نصّ هام يتطلّب درسًا مستفيضًا. ولكن علينا ان نكتفي هنا ببعض ملاحظات لا بدّ أن تتحقّق منها في النصوص.

في حياة يسوع. يقع الحدث في أواخر خدمة يسوع الرسولية في الجليل: تركته الجموع التي تبعته، وشدّد الرؤساء اليهود على ضغطهم. وشعر يسوع بأنه يُزعج العديد من الناس، فإن استمرّ في عمله، عرّض نفسه للموت. ومع ذلك فقد قبل ذلك كخطر مرتبط بإخلاصه لرسالته. فصعد الى اورشليم غير واهم للمصير الذي ينتظره وأنبأ به تلاميذه.

في هذا الإطار، يبدو التجلّي جوابًا من الله الى أمانة يسوع والى قلق التلاميذ: في اختبار روحي، وباطني على الارجح، كان في متناول التلاميذ الثلاثة، أظهر الآب ليسوع اين ينتهي «صعوده»: فما وراء الموت، ينتظره المجد الذي وُعد به ابن الانسان في آخر الأزمنة (راجع دانيال ١٠).

ففي ساعات الشك التي لا نعود نعرف فيها ما يجب علينا ان نعمل، نلتفت الى لحظات النور التي تظهر لنا فيها دعوتنا ورسالتنا واضحة. فنثبت في الاخلاص الى هذا النور. وكذلك فإن يسوع والتلاميذ سوف يستطيعون ان يستمدّوا، من هذا الاختبار النيّر، القدرة على الدخول في النزاع والآلام. وليس عَرَضًا أن يكون بين هذين المشهدين، بين التجلّي والنزاع، كثير من النقاط المشتركة.

بعد الفصح، علم التلاميذ بأن مجد الله قد غمر يسوع منذ قيامته. في ضوء الفصح، وقد شعر به يسوع وتلاميذه مسبقًا في رواية التجلّي، نراهم يصعدون الى الموت. وهذا هو الوجه الذي يشدّد عليه متى ومرقس.

أمّا لوقا، فقد عالج هذا الموضوع معالجة خاصة: صعد يسوع الى الجبل للصلاة (الآية ٢٨) وفي اثناء الصلاة (الآية ٢٩) وطوال الليل (الآية ٣٢) اختبر هذا الاختبار. وبانحداره الى اصول كيانه، شعر بالمجد الذي أحاط به منذ ميلاده، فاستطاع، بالحوار الباطني مع صوفيّي العهد القديم، مع موسى وايليا، ان يواجه «خروجه» بسكينة (الآية ٣١): موته وارتفاعه.

يرينا لوقا التلاميذ يدخلون في الغمام (الآية ٣٤) ويشدّد على الصلاة. وبذلك يذكّرنا بهذا: «بامكانكم أنتم أيضًا ان تعرفوا شيئًا من ذلك الاختبار، وبإمكانكم، في الصلاة، ان تشتركوا في مجد المصلوب هذا وان تحيوا حياتكم اليومية في ضوء هذا الايمان».

◄ **العبد يصعد الى اورشليم : لو ٩/٥١ – ٦٢.**

ان القسم الرئيسي من الانجيل (٩/٥١ – ١٩/٢٨) منظّم كـ «صعود الى اورشليم». والمقدمة تدل على معناه في نظر يسوع وعلى ما يفترضه في التلاميذ.

«عزم يسوع على الاتّجاه الى اورشليم»، او حرفيًا: «ثبّت وجهه للصعود...». يشير لوقا الى اش ٥٠/٧، وبذلك يصوّر يسوع كالعبد المتألّم الذي يسير بهدوء الى «ارتفاعه»، اي الى موته ورفعه (راجع الصفحة ٢٢٥).

إنّه ايليا الجديد (راجع الآية ٦١ التي تشير الى ١ مل ١٩/١٩). المخلص لرسالته، والمخطوف بالروح. لا ايليا الموافق لتقليد يهودي معيّن والذي يصبّ غضب الله على اعدائه (الآية ٥٥).

ينبّه يسوع تلاميذه: فالسير وراءه يقتضي بذلاً تامًّا للنفس تتقدّم فيه متطلّبات الرسالة على كل شيء (الآيات ٥٧ – ٦٢: وضع متى هذه الآيات في مطلع رواية تسكين العاصفة: راجع الصفحة ١٨٠).

◄ **البُرص العشرة : لو ١٧/١١ – ١٩**

يمكن قراءة هذا النص بحثًا عن معرفة مواضيع لوقا الكبرى. ولا سيّما المواضيع التي يتوسّع فيها في «الصعود الى اورشليم».

يرد فعل «صعد» في البداية وفي النهاية: «بينما هو صاعد» و«قُم فاصعَدْ» (راجع الآيتين ١١ و١٩، وراجع أيضًا ٩/٥١ و٥٣ و٥٧ و١٠/١ و١٣/٢٢ و٢٣). على ماذا يدلّ ذلك في شأن طريقة يسوع في مواجهة حياته وحياة التلميذ؟

«رحماك يا يسوع، ايها المعلّم». إن ايمان البُرص العشرة لعجيب. إنهم ينادون يسوع باسمه، كما سيفعل اللّص على الصليب (٢٣/٤٢) فينال الخلاص هو أيضًا. «المعلّم»: ينفرد لوقا بإطلاق هذا اللقب على يسوع. وهو لقب يوحي بالقدرة (٥/٥ و٨/٢٤ و٩/٣٣ و٤٩). و«رحماك» تنادي الله بأعمق ما فيه: بحنانه ورحمته.

كيف يُسمَّى الابرص؟ بالتتابع: أحد العشرة. والسامري (الآية ١٦)، والغريب (الآية ١٨). في ذلك دليل على روح لوقا الشمولية: فإن السامريين (راجع رسل ٨) والوثنيين أفضل سماعًا للبشرى من اليهود.

«يسوع ابن الله»: يسجد الابرص شاكرًا. وهذا لا يُعمل عادةً إلاّ لله. فالخلاص مفتوح منذ اليوم للجميع، لليهود وللوثنيين. بالايمان بيسوع فقط.

المقدمة اللاهوتية: لو ١ – ٢

هذان الفصلان مقدّمة للمؤلّفين: للانجيل واعمال الرسل. وهما مليئان بالمعاني. اليك بعض الاقتراحات:

إبحث عن التصميم. اكتُبْ في عمودَين عنوان الاحداث، فيكون عندك توازٍ بين طفولتَي يوحنا المعمدان ويسوع تربط بينهما زيارة مريم الى اليصابات.

ادرس الصلوات: نشيد مريم ونشيد زكريا ونشيد سمعان. استعن بالمراجع الهامشية الموجودة في كتابك المقدس لترى كيف ان الصلاة المسيحية تتغذّى بالعهد القديم وتعطيه معناه.

إبحث عن المواضيع التي يتوسّع فيها لوقا في مؤلّفاته (راجع الصفحة ١٩٧).

يمكنك منذ الآن ان تدرس رواية البشارة لمريم (راجع الصفحة ٢٢٦).

◄ **ميلاد يسوع: لو٢/١ – ٢٠**

الحدث (الآيات ١ – ٧). اذا خلعنا عن هذا الحدث الفلكلور الذي ألبسناه ايّاه، وجدناه أنه رائع ككلّ ميلاد، ولكن مبتذل. انّ القاعة العامّة التي تعيش فيها العائلة كلّها غير صالحة للولادة، ولذلك فقد لجأت الوالدة الى المكان الوحيد الذي تجد فيه العائلة القروية الهدوء والدفء، اي الاصطبل.

الوجه غير المنظور للحدث (الآيات ٨ – ٢٠): يتناوب الملائكة والرعاة على التبشير بهذا الحدث، بينما يُنير مجد الله جميع الناس وجميع الأشياء (الآيات ٩ و ١٤ و ٢٠).

الملاك يعلن البشرى (يبشّر): ترد هذه الكلمة ١٥ مرة تقريبًا في اعمال الرسل وهي توجز عمل المرسلين المسيحيين (٥/٤٢ و٨/٤ و١٢ و٢٥ ...). قارِن بين الآية ١٢ ورسل ٢/٣٦ و٥/٤٢ و١١/٢٠ و١٣/٣٣ – ٣٦ وفل ٣/٢٠).

الرعاة. استعمل الترجمة الحرفية الواردة في هذه الصفحة، وضع خطًّا تحت الكلمات التي تتكرّر ولاحِظ مكانها وما يعمله الرعاة وفئتي السامعين (الآية ١٨: جميع الذين، و١٩: مريم) وموقفهم.

تكلّمَ: كثيرًا ما يرد هذا الفعل في اعمال الرسل، وهو يدل على تبشير المرسلين المسيحيين. لم يأت الرعاة ليسجدوا، بل «ليعظوا»!

أطلع على (أخبر بـ). يعبّر هذا الفعل في اكثر الاحيان على ما اوحى به الله او يسوع الى التلاميذ وما يبلّغونه للجميع، مثلاً: يو١٥/١٥ وا قور ١٥/١ و٢ قور ٨/١ واف ١/٩ و٣/٣ و٥ و٦/١٩.

فقد رسم لوقا صورة الرعاة على مثال المرسلين المسيحيين، فأصبحوا مثال ما يجب على كل مسيحي ان يعمل في العالم.

نشأت فئتان من السامعين: أي موقفان وجدهما يسوع ثم تلاميذه. الجميع (الذين سمعوا رسالة يسوع او الكنيسة على ممرّ الاجيال) تعجّبوا: تدلّ هذه الكلمة عند لوقا على موقف قبول عابر، لا اصل له (٤/٢٢ وراجع ٨/١٣). أمّا مريم، فإنها صورة سابقة للذين يسمعون الكلمة ويدعونها تختمر فيهم.

لاحظ انزلاق معنى لفظ «كلمة» (ربما في اليونانية): فالرعاة سمعوا «كلمة لُفظت» (الآية ١٧) وجاؤوا ليروا «كلمة حدثت»: طفل (الآية ١٥). الكلمة صار بَشرًا!

١٥. «فلمّا انصرف الملائكة عنهم الى السماء،
قال الرعاة بعضهم لبعض:
«هلُمَّ بنا الى بيت لحم
لنرى ما (الكلمة) حدث،
ذاك الذي أخبرنا به الربّ».
١٦. وجاؤوا مسرعين
فوجدوا مريم ويوسف والطفل مُضجعًا في المذود.
١٧. ولمّا رأوا ذلك،
جعلوا يخبرون بما (بالكلمة) قيل لهم
في هذا الطفل.
١٨. فجميع الذين سمعوا الرعاة
تعجّبوا ممّا قالوا لهم.
١٩. وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور (الكلمات)
وتتأمّلها في قلبها».

رواية الآلام بحسب لوقا


المصلوب. كنيسة القديس ميخائيل
لوپيبي. فرنسا (القرن الثاني عشر)

ان اردتَ الدخول في رواية لوقا، فلا تقرأها، بل تأمّل فيها كما فعل التلميذان في طريق عمّاوس. حين أضرم قلبيهما كلام يسوع وحضوره، اذ كان يشرح لهما الكتب. وفي هذا الطريق الأليم، يسير يسوع معنا، وإن حُجبت أعيننا عن معرفته.

ان رواية لوقا تتّسم كلّها باللطف والحنان نحو ربّه يسوع. لم يَقوَ على ذكر بعض التفاصيل الشنيعة: فلم يكتب أن يسوع جُلد، وأن يهوذا قبّل يسوع، بل أنه «دنا» منه ليقبّله...

ومع ذلك فلم يَخْفَ على لوقا ما أعظم الصراع الهائل القائم بين يسوع وقوات الشرّ، فالآلام هي المعركة الاخيرة والحاسمة. خرج منها يسوع منتصرًا بفضل ثباته وصموده في المحنة لأنه في يد الله.

ان الآلام مصوَّرة كلّها كآلام باطنية. فالمعركة الحاسمة وقعت في بستان الزيتون: في هذا الصراع الباطني – نزاع – سال دم يسوع. وبعد أن قوّاه الله، كما جرى لايليا فيما مضى (١ مل ١٩/٥ ت)، خرج منها منتصرًا وسكنت نفسه وأسلم امره الى الآب وأصبح قادرًا على اهمال ألمه الشخصي ليكون في خدمة الآخرين: فاستقبل يهوذا بلطف وشفى الخادم الذي قُطعت أُذنه وحوَّل قلب بطرس بنظره (٢٢/٦١) وخاطب النساء اللواتي كنَّ يَنُحنَ عليه وغفر لجلاّديه ووعد اللصّ بالفردوس... ان يسوع هو الشهيد القويّ النفس والعظيم الرأفة حتى إنه حوَّل قلوب جلاّديه والذين حكموا عليه: اعلن بيلاطس براءته ثلاث مرات، كما فعلت النساء والشعب واللص وقائد المئة...

يستطيع يسوع الآن ان يموت ساكن النفس. فالصراخ الذي اطلقه على الصليب لم يعد صيحة الالم البشري امام الموت، بل هو صلاة المساء التي يتلوها كل يهودي: «في يديك اجعل روحي». ولكنه أسبقها بالكلمة التي تدلّ على أُلفته الغريبة بالله: «يا أبتِ».

وهكذا فإن لوقا يدعونا الى الدخول مع يسوع في آلامه، والاعتراف بضعفنا مع بطرس، والشعور بنظرة يسوع الغافرة إلينا، وحمل الصليب وراءه على مثال سمعان القيريني، والاستسلام معه بين يدي الآب.

ان **العشاء السرّي** (٢٢/١٤ – ٣٨) هو قبل كل شيء عشاء الوداع، الذي عبَّر يسوع فيه عن اتّكاله على الله وأعطى تلاميذه وصاياه الأخيرة. وهو أيضًا البادرة النبوية التي عبَّر بها عن معنى موته موت الشهداء: افتتاح العهد الجديد.

أمّا **النزاع** في بستان الزيتون. الذي تلاه القبض عليه (٢٢/٣٩ – ٥٣). فهو الساعة الحاسمة التي انتصر فيها يسوع على قوات الشرّ. بعد أن قوّاه الله، كما قوّى ايليا، دخل في ليل الآلام ساكن النفس مسلمًا أمره لمشيئة الآب.

افتُتحت **الدعوى امام مجلس اليهود** (٢٢/٥٤ – ٧١) برواية إنكار بطرس. وكأن لوقا يقول لنا: «ان لم تقدر على اتّباع الآلام كالقدّيس، فإنك تقدر عليه كالخاطئ المعفو عنه، لأن نظر يسوع من شأنه ان يخلق فيك كائنًا جديدًا».

يقسم لوقا سؤال عظيم الكهنة الى سؤالين. وهكذا يعلن يسوع بوضوح أنه المسيح وأنه ابن الله.

وفي أثناء **الدعوى أمام الحاكم الروماني** (٢٣/١ – ٢٥). أعلن بيلاطس ثلاث مرّات ان يسوع بريء. وأمّا رواية المثول امام هيرودس، فهي تعني على الارجح ان الانسان لا يستطيع ان يهتمّ بيسوع اهتمام الفضولي.

في **الجلجلة** (٢٣/٢٦ – ٤٩)، اعلن يسوع عن براءته للنساء اللواتي كنَّ يَنُحنَ عليه وعزّاهنَّ. وطلب الى أبيه ان يغفر لجلاّديه. وفتح الفردوس لِلّص الذي وثق به حتى انه سمّاه باسمه، ومات في سلام وفي يدي الآب.

أعدَّت النساء **دفنه** (٢٣/٥٠ – ٥٧) بحنان واستعملن كل تلك الطيوب لِيَحفظنه في قبضة الموت. لم يكنَّ يعلمن بأن «قد بدت أضواء السبت» (الآية ٥٤)، لا بل اضواء القيامة.

آلام التلاميذ. من المفيد أن تقرأ بالتتابع مختلف روايات آلام التلاميذ التي ركّبها لوقا على رسم بياني واحد: ان آلام الكنيسة تجعل آلام المسيح حاضرة (رسل ٤/٢٣ – ٣١)، وحُكم على استفانس للأسباب نفسها، فمات غافرًا وعيناه محدّقتان الى القائم من بين الاموات (رسل ٦/٨ – ١٥ و٥٤ – ٦٠) و«صعد بولس الى اورشليم» كما فعل معلّمه، ليشهد فيها (رسل ٢٠/٢٢ ت و٢١/١١).

يسوع في مؤلّفات لوقا

ان لوقا لم يعرف يسوع معرفة شخصية. فالذي اكتشفه أولاً ليس هو ذلك النبي المتجوّل في الجليل، بل الربّ الممجَّد الذي أظهر نفسه لمعلّمه بولس في طريقه الى دمشق. والذي أبصر وجهه في جماعة كجماعة فيلبّس، حيث كانت شدّة حبّه قويّة حتى انها مكّنت كرائم النساء كليدية وحمّالي المرفأ القريب من العيش في مشاركة واحدة، والذي وجد ملامحه في ذكريات الشهود الذين استجوبهم.

الرب يسوع. ينفرد لوقا بإطلاق لقب «الرب» على يسوع، حين يذكر اسمه. فإن مجد الفصح ينعكس على حياته الأرضية، وذلك المجد يحيط به منذ ميلاده (٢/٩ و٣٢). وليس التجلّي استباقًا لمجد الفصح المستقبل (متى ومرقس) بقدر ما هو بروزٌ للمجد الذي له منذ الحبل به، لأنه وُلد من الروح (٣٢/٩). فالمجد الذي سيُظهره كابن الانسان هو مجده (٢٦/٩، قارِن بين هذا ومتى ٢٧/١٦ ومر ٢٦/٨). والجميع يمجّدونه (١٥/٤)، مع أن الانسان لا يمجّد إلاّ الله.

ان يسوع ملك (هذا أقرب الى العقلية اليونانية). ذكر لوقا هذا اللقب ستّ مرّات، وهو ينفرد بذكر هذا اللقب (٣٢/١ – ٣٣ و١٢/١٩ ت و٢٨ ت و٢٨/٢٢ ت و٦٧ ت و٤٠/٢٣ ت).

يعلم بأن يسوع اتّخذ منصبَيه كربّ ومسيح بقيامته من بين الأموات (رسل ٣٦/٢)، ولقد أمكن ذلك لأنه ربّ ومسيح في كيانه نفسه، كما ورد في روايات الطفولة. وليس لقب ابن الله مجرّد اعتراف بدوره (يعادل لقب ابن داود)، بل هو تأكيد لطبيعته (٣٥/١ و٧٠/٢٢).

روح يسوع. لا ترد هذه العبارة إلاّ مرتين في العهد الجديد (رسل ٧/١٦وفل ١٩/١ – روح المسيح في روم ٩/٢ و١ بط ١١/١). لقد غمر روح الله يسوع حتى أمكن القول إنه روحه! حُبل يسوع بقوة الروح (٣٥/١) وظهر الروح في الاعتماد ٢٢/٣) وقاد يسوع الى البريّة (١/٤) وأحاط به ليجعل منه حامل البشرى (١٤/٤ و١٨) وبدافع منه تهلّل يسوع (٢١/١٠).

وحين مُجِّد يسوع، نال الروح من الآب ليهبه لنا (رسل ٣٨/٢) ان طلبناه إليه (لو ١٣/١١، وقارِن بينه وبين متى ١١/٧). تبدو أعمال الرسل «انجيل الروح القدس» الذي ينعش جماعة العنصرة كما أنعش يسوع وشهود حياته الأولين (لو ١٥/١ و٤١ و٦٧ و٢٥/٢ – ٢٦).

ان يسوع هو **النبي** الذي عُهد اليه بكشف الله (١٦/٧ و٣٩ و١٩/٢٤ ورسل ٢٢/٣ – ٢٣)، وموته موت نبيّ (٣٣/١٣ ورسل ٥٢/٧). يُظهره لوقا بمظهر ايليا الجديد (راجع الجزء الأول، الصفحة ٤٦).

ان الوجه الإلهي الذي يكشفه هو قبل كل شيء وجه حنان الآب لجميع الناس. والفقرة الرئيسية التي يُظهر فيها لوقا يسوع بمظهر النبي (١١/٧ – ٥٠) تنتهي بالغفران للخاطئة. ويسوع نفسه يشعر (١٣/٧) بتلك المحبة التي «استولت على احشاء» الآب (٢٠/١٥)، والتي يجب ان تكون محبة التلميذ (٣٣/١٠).

ان مجيء يسوع هو افتقاد الله. كان هذا الافتقاد عند الأنبياء انذارًا بالدينونة، فأصبح عند لوقا بشرى خلاص وسنة قبول (١٩/٤ وراجع ٦٨/١ و٧٨ و١٦/٧ و٤٤/١٩). ان في موقف يسوع ما يجعل محبة الآب هذه منظورة: فهو صديق العشّارين والخاطئين (٣٤/٧). إنه المخلّص المحرّر من الشيطان الذي يقبض على القلوب؛ ومن الشر الذي يعذّب الأجساد. ان يسوع هو صديق الخاطئين لأنهم في حاجة الى الله كما يحتاج المريض الى الطبيب (٣١/٥)، لا بل بالأحرى لأن الله يحتاج اليهم ليُظهر غفرانه (١٥). يبدي لوقا معزّة خاصة للنساء، وكثيرًا ما كنَّ محتقرات (مريم واليصابات وحنّة ومريم المجدلية ومرتا ومريم، والنساء اللواتي كنّ يرافقنه...)؛ وسيلعب بعضهنّ دورًا هامًّا في الكنيسة (رسل ١٤/١ و١٢/١٢ و١٤/١٦ و٩/٢١...).

الانسان أمام الله. ان يسوع ربّ ومسيح، ولكنه ايضًا انسان تمامًا. يعيش بكمال ما يبشّر به حتى انه مثال الانسان الكامل المجدّد بالروح القدس والعائش بين يدي الآب: كلمته الأولى وكلمته الأخيرة نداء الى الآب (٤٩/٢ و٤٦/٢٣). يعيش في كل حين تحت نظره، وصلاته أحد وجوه ذلك. وفي أثناء صلاته اوحى الله إليه بما أوحى (الاعتماد والتجلّي). قضى لياليه في الصلاة (١٦/٥ و١٢/٦ و٢٨/٩) وقد تأثّر تلاميذه بذلك حتى إنهم رغبوا ان يُدخلهم في سرّ صلته بالله (الصلاة الربية، ١/١١).

فشخص يسوع نفسه هو في صميم الانجيل. امامه يجب الاختيار، لأن هذا الكائن المليء بالحنان هو شديد التطلّب أيضًا: فلا بدّ من الوقوف الى جانبه، في هذا اليوم، ولسبب واحد هو أنه يسوع! وهذا الايمان التام الذي ينال الخلاص هو ينبوع الفرح الذي يشعّ على الانجيل ويجدّد التلميذ.

الامثال

المثل هو في جوهره مقارنة متوسَّع فيها بشكل قصّة. لا يهدف أولاً الى التعليم، بل الى حمل السامعين على التأمل في سلوكهم وعلى الادلاء برأيهم في أنفسهم، وهذا ما يؤدي الى تغيير هذا السلوك. وبما أننا نسيء الحكم في أنفسنا، فإن المثل يحملنا على الحكم في انفسنا دون ان نشعر! فداود مثلاً قد خطئ حين أخذ امرأة ضابطه اوريا وأمر بقتله. وكُلِّف ناثان النبي بإشعاره بخطيئته. كان الموقف حرجًا! فروى له قصّة معقولة (وكان لا بدّ من ذلك لكيلا يحترس داود)، قصة ملاّكٍ غنيّ سرق من عند رجل فقير نعجته الوحيدة. فصرخ داود: «هذا الرجل يستحق الموت!»، مُدليًا هكذا برأيه في نفسه، دون ان يشعر. فلم يبقَ لناثان إلاّ ان يختم: «انت هو هذا الرجل!» (٢ صم ١٢/١ – ١٥).

فالمثل هو مقارنة بسيطة. وأمّا تفاصيل القصّة فليست هنا إلاّ لجعل القصّة معقولة. فيجب ان يلخَّص المثل بجملتَين: كما ان... كذلك...: «كما أن ذلك الرجل قد خطئ اذ سرق نعجة الفقير، كذلك أنت...».

لا بدّ من التمييز بين المثل وفنّ أدبي آخر قريب منه، وهو التمثيل.

ان التمثيل هو أيضًا قصة، لكنها تهدف الى التعليم، انّه قصّة مؤلّفة خصوصًا لإفهام الانسان شيئًا ما، وتناسب تفاصيلها حقائق معيَّنة. مثلاً قول يسوع: «أنا الكرمة وأنتم الاغصان...».

لا بدّ من التمييز بين هذين الفنَّين ومن مقاومة الميل الى تفسير المثل كأنه تمثيل، وكثيرًا ما وقع الناس في هذا الخطأ. فمثل السامري الصالح يدعونا الى سلوك مسلك معيَّن: «كما أنه جعل نفسه قريب الجريح دون الاهتمام بديانته وآرائه، كذلك عليك انت أيضًا ان تجعل نفسك قريب كل انسان». ان آباء الكنيسة جعلوا منه تمثيلاً جميلاً جدًا، ولكنه بعيد جدًا عن النص: فالجريح هو البشريّة التي ضربها الشيطان، والسامري هو يسوع، والفندق هو الكنيسة...

ولكن لا نرفض ان يكون يسوع قد ادخل في المثل بعض الصور التمثيلية. هناك صور تبدو لنا اليوم غير مهمّة، ولكنها كانت توحي عفوًا الى اليهود بمواضيع من الكتاب المقدس: مثلاً، كانت الكرمة تذكّر بإسرائيل، بسبب ما ورد في اش ٥.

قراءة مجدّدة للامثال

ضرب يسوع امثاله لليهود. وفي الجماعة، أخذوا يوجّهونها الى المسيحيين. وهذا التغيير في هوية المستمعين كثيرًا ما يؤدّي الى تغيير في المعنى، يعبَّر عنه بنتيجة جديدة.

وفي ضوء الفصح، كان هناك ميل الى الانتقال من المعنى اللاهوتي الى المعنى المسيحي: كانت امثال يسوع تتكلّم على الله وملكوته، وأمّا التلاميذ فأخذوا يهتمّون بيسوع الذي افتتح الملكوت.

وكان هناك أيضًا ميل الى التقريب بين امثال ضُربت في ظروف مختلفة. فأخذ معنى كلّ منها ينعكس على معنى الأخرى.

هذا وان الاطار الذي أضفاه الانجيليون عليها قد غيَّر أحيانًا معناها. وما نقوله هنا ينطبق أيضًا على الوحدات الاجمالية الكبرى. فمرقس ولوقا يضعان فصل الامثال في مطلع تبشير يسوع في الجليل، وفي هذه الحال، تبدو الامثال طريقة بسيطة لعرض ملكوت الله. أمّا متى فقد وضع فصل الامثال في اواخر التبشير، حين أخذت الجموع تبتعد عن يسوع، وفي هذه الحال، تبدو الامثال اولاً إنذارًا يرسله يسوع الى الجموع: ان رفضتم رسالتي، فهناك الحصاد والفرز (راجع «التركيب» في الصفحة ١٣١).

بعض القواعد العملية

ردّ المثل الى تركيب بسيط (كما ان... كذلك)، مع السهر على ان يطابق معنى القصّة.

إهمال تفاصيل القصّة التي لا يُؤخذ بها في الخاتمة.

الاحتراس من النتائج الظاهرة التي لا تطابق معنى القصّة.

المستمعون: الى من يوجّه يسوع المثل؟ الى من يوجّهه التلاميذ؟ هل أدّى التغيير في هويّة المستمعين الى تغيير في المعنى؟

هل الظروف التي ضُرب فيها المثل غيَّرت معناه؟

دوِّن الصور التمثيلية الممكنة. هل استُعملت لتفسير جديد؟

على من يتكلّم المثل: على الله؟ على يسوع؟

◄ **عَمَلَة الساعة الخامسة بعد الظهر: متى ٢٠/١ – ١٦**

إقرأ هذا المثل. واقرأ أيضًا النص السابق: ١٩/٢٧ – ٣٠
استعنْ بالقواعد الواردة في الصفحة ٢٠٣. حاوِل ان تستخلص مختلف النتائج التي نُسبت الى هذا المثل: لماذا، وكيف جُدِّدت قراءته؟
وبعد ذلك فقط، اقرأ بقية هذه الصفحة.

هذا النص مثل صالح لقراءة مجدّدة لأحد الأمثال. لِنعد الى النتائج المتعاقبة الثلاث التي نجدها في انجيل متى.

«لأنَّ جماعة الناس مدعوُّون، ولكنَّ القليلين هم المختارون» (الآية ١٦): وردت هذه الآية في هذا المكان في بعض المخطوطات، ويبدو أنها أُخذت من ٢٢/١٤. تظهر هذه الجملة، ومطلعُها «لأنَّ»، بمظهر النتيجة. فهي تؤدّي الى هذه المقارنة: «كما أن ربَّ الكرم دعا عملةً كثيرين وأن القليلين أتوا، كذلك...». والحال أن هذه النتيجة لا تطابق القصّة، اذ ان جميع المدعوّين قد أتوا! فنحن اذًا أمام نتيجة غير منطقية.

«فهكذا يصير الآخِرون أوّلين والأوّلون آخِرين» (الآية ١٦): هل هذه النتيجة تطابق القصة تمامًا؟ لقد احتجَّ الأوّلون، لا لأن ربَّ الكرم دفع لهم بعد الآخِرين، بل لأنه دفع لهم وللآخِرين مبلغًا واحدًا! فنحن اذًا أمام نتيجة غير منطقية.

«لأني كريم» (الآية ١٥). يدور الاهتمام حول الأوّلين والآخِرين. وأمّا الفئات الوسطى، فلا تُذكر هنا إلاَّ لجعل القصّة معقولة. هذه الجملة تؤدّي الى هذه المقارنة: «كما أن ربَّ الكرم ليس بظالم بإعطائه الآخِرين والأوّلين مبلغًا واحدًا، لأنه يقيس الأجرة، لا بالعمل المؤدّي، بل بكرمه، كذلك فإن الله ليس بظالم بفتحه الملكوت أمام الجميع، حتى امام الخاطئين، لأنه لا يحسب بالنسبة الى استحقاقاتنا، بل بالنسبة الى كرمه».

لنحاولْ ان نرى أيةَ اوضاع متعاقبة تطابق هذه النتائج المختلفة.

يوجه **يسوع** كلامه الى اليهود، وبنوع خاصّ الى النخبة الدينية، اي الفريسيين، وقد تعثّروا بأنه يرحّب بالخاطئين. إنّهم يتحمّلون مشقّةً كبيرة لممارسة الشريعة، فيبدو لهم من الظلم أن لا تكون مكافأتهم أعظم من مكافأة سائر الناس، نظرًا الى استحقاقاتهم (راجع المثل الربّاني في النص المحاط بإطار). فيجيبهم يسوع: لا تقاس المكافأة باستحقاقات الانسان، بل بكرم الله.

في الجماعة، تتغيّر هوية مستمعي المثل: فالمثل لم يعد موجَّهًا الى اليهود، بل الى التلاميذ. يُحفظ المعنى الاول، وهو لا يزال يصلح للمسيحيين (يكفينا ان نرى ردود الفعل حتى في ايّامنا: «لا فائدة، والحالة هذه، ان يتعب الانسان ليستحق السماء!»). ولكن يُجعل منه تعليم انطلاقًا من احد تفاصيل النص الممثَّل. في ذلك الزمن، كان الوثنيون قد دخلوا الكنيسة قبل اليهود، اذ ان معظم اليهود قد رفضوا. فأصبحت القصّة انذارًا لليهود: ان رفضتم البلاغ، سبقكم الوثنيون في الدخول الى الملكوت.

وفي اضافة الآية ١٦ في بعض المخطوطات («لأن جماعة الناس...»)، تشديد على ذلك الانذار: دُعيتم جميعًا الى الدخول في الملكوت، ولكن القليلين قبلوا في الواقع.

وضع **متى** هذا المثل بعد السؤال الذي طرحه بطرس (١٩/٢٧)، فجاء توضيحًا لجواب يسوع: تقدَّم الاثنا عشر على الرؤساء اليهود، مع أن الرؤساء اليهود دُعوا قبلهم.

جعل **آباء الكنيسة والوعّاظ** من هذا المثل تمثيلاً، اذ إنهم علّقوا بعض الاهمية على تفاصيل ثانوية. فرأى فيه ايريناوس الدعوى التي وجّهها الله الى عصور البشرية الاربعة: الى آدم ونوح وابراهيم وموسى والى جميع الناس بيسوع المسيح. ورأى اوريجينس وغريغوريوس ان الله يدعونا دائمًا، في عصور الحياة الخمسة: الولادة والطفولة والمراهقة والكهولة والشيخوخة. هذا صحيح، ولكننا بعيدون جدًا عن المثل!

في السنة ٣٠٠، روى الربّاني زيرا مثلاً يشرح فيه العثار الذي جلبه موت ربّاني شابّ:

بماذا يذكّرنا موت الربّانيّ بُون؟ بملكٍ استخدم عملةً كثيرين. وكان احدهم أشدَّ همّةً للعمل من الآخرين. فلمّا رأى الملك ذلك، ماذا فعل؟ ذهب بالعامل وأخذ يتنزّه بصحبته في جميع الجهات. وعند المساء، جاء العملة ليقبضوا أجرتهم، فدفع الملك يومًا كاملاً للذي تنزّه بصحبته. ولمّا رأى الآخرون ذلك، تذمّروا وقالوا: «لقد تعبنا في العمل النهار كله، وها إن ذاك الذي لم يتعب إلاَّ ساعتين يأخذ وإيّانا أجرة واحدة». أجاب الملك: «لكنه عمل في ساعتين اكثر ممّا عملتم النهار كلّه».

وهذا شأن الربّاني بُون، فإنه لم يدرس الشريعة إلاَّ حتى الثامن والعشرين من عمره. ولكنه كان يعرفها اكثر ممّا يعرفها عالم او متعبّد لو درسها حتى المئة من عمره.

سنلقي نظرة خاطفة في هذه الصفحة الى مثلَين لتوضيح ما رأينا في الصفحة ٢٠٣ يمكنك ان تبدأ بدرسها شخصيًا. وان كان عندكَ ازائيةٌ، فاستعملها.

◄ المدعوّون الذين تهرّبوا والمدعوّ الذي ليس عليه لباس العرس: متى ١/٢٢ - ١٤ ولو ١٥/١٤ - ٢٤

إن أهملنا التفاصيل الثانوية، وجدنا أن المثل المشترك بين متى ولوقا بسيط. يشعر الفريسيون بأن الملكوت يحق لهم لما يكتسبون من الاستحقاقات في ممارسة الشريعة، وبأنه لا يحق للخاطئين. فلماذا يرحّب يسوع بهم؟ يعترف يسوع بأن الوليمة قد أُعدّت للأبرار، ولكن بما أنهم رفضوا الدعوة الاخيرة والحاسمة التي وجّهها اليهم، فلا يتعجّبْ هؤلاء «الابرار» من أن يُعطى محلّهم لآخرين.

جعل لوقا من هذا المثل عظةً للمسيحيين. فالآيات ١٨ - ٢٠ تتوسّع في الأسباب الرئيسية (لا سيّما الاهتمام بالأمور الزمنية) التي تمنع مسيحيي جماعته من تلبية دعوة الله تلبيةً تامة. أُنظر الى الظروف: ١/١٤ - ١٤. ان المقارنة بين الآيات ٢١ب و١٢ - ١٤ توضّح الأمور: لا يدور الاهتمام حول استحقاق المدعوّين الجدد، بل حول رغبة الله اوّلاً في ان لا يتلاشى مسعاه.

أمّا متى فقد ضمَّ مثلين الواحد الى الآخر.

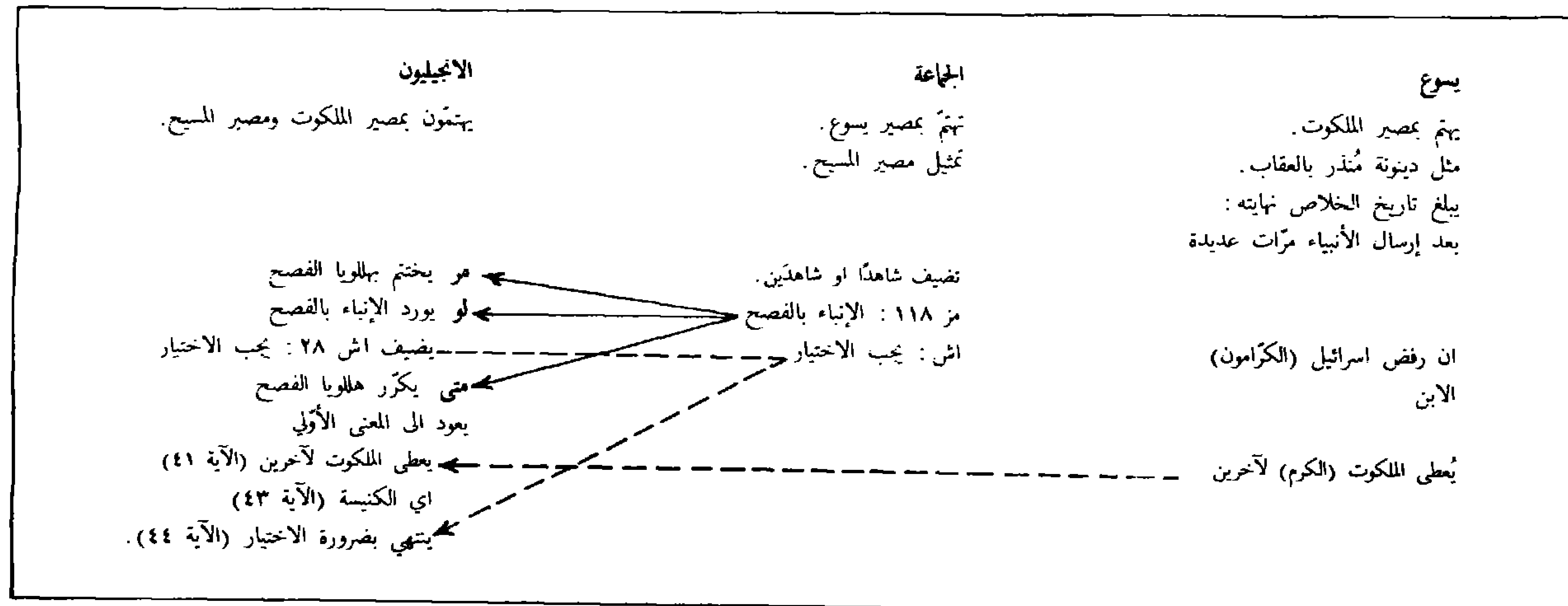
في وليمة العرس، أضاف صورًا تمثيلية تمكّن من قراءة تاريخ اسرائيل في المثل: فالكلام يدور حول ملك (كما ان الله هو ملك اسرائيل) اقام وليمة عرس، وهي ترمز الى الأزمنة المسيحية. وإرسال العبيد والمعاملة السيّئة يوحيان بمصير الأنبياء وبإحراق المدينة وخراب اورشليم في السنة ٧٠.

ان مَثَل لباس العرس، إنِ اتُّخذ بمفرده، كان له معنى. وان رُبط بالمثل السابق، بدا غير متماسك. اذ كيف يُلام متشرّد اضطُرَّ الى الدخول على سوء لباسه؟ فالمثل يصبح إنذارًا للمسيحيين: فقد أدخلهم الله في الكنيسة عن غير استحقاق من قبلهم، إلاّ أن الدخول الى الوليمة ليس هو امرًا تلقائيًا ثابتًا. فالمسيحيون يخضعون هم أيضًا لحكم الله. والكنيسة هي الزمن الذي يبقى فيه الابرار والاشرار مختلطين (الآية ١٠)، بانتظار الفرز النهائي (راجع مثل الزؤان، متى ٢٤/١٣ - ٣٠).

◄ مثل الكرّامين القتلة: متى ٣٣/٢١ - ٤٤ ومر ١١/١٢ ولو ٩/٢٠ - ١٨

ورد هذا المثل في الاناجيل الازائية الثلاثة، وهو على جانب من الاهمية: إنه أشدّ تعبيرًا من غيره عن شعور يسوع بنفسه. ضُرب ساعةَ بلغ النزاع بينه وبين المسؤولين اليهود ذروته، فهو الانذار الأخير الذي وجّهه يسوع إليهم.

لا بدّ من درس هذه النصوص الثلاثة عن كثب، بالاستعانة بإحدى الازائيات. والجدول الذي في ادناه يساعدنا على ان نرى كيف تطوّر النص من يسوع الى الانجيليين، مرورًا بالجماعة. يحسن بك ان تدوّن، في ثلاثة اعمدة، خاتمات هذا المثل: متى الآيات ٤٢ - ٤٥، مر الآيات ١٠ - ١٢ ولو الآيات ١٦ - ١٩.



امثال الملكوت: متى ١٣

في معظم الامثال عرضٌ لملكوت الله وللسلوك الذي يجب سلوكه أمام مجيئه الوشيك. يجمع متى عدّة أمثال من هذا النوع. ويمكنك ان تقرأها مستعينًا بالجدول الذي أدناه. يوجّهها يسوع الى الجمع ويشرح بعضها لتلاميذه. هذه الامثال السبعة تلخّص جيدًا مختلف وجوه الملكوت. يعلن يسوع أن هذا الملكوت يُفتتح بتبشيره، وسينمو اذًا. شرط ان يكون المستمعون أرضًا صالحة (الزارع). والذين يتعجّبون من تواضع اوائل هذا الملكوت يجيبهم يسوع: بالرغم من كل العقبات، سيُصبح بَذر الملكوت شجرة كبيرة او سيخمّر العجينة البشرية (الخردل - الخمير). والملكوت رائع حتى ان الانسان، ما إن يكتشفه، حتى يكون مستعدًا لأن يترك كل شيء ويعيش منه (الكنز - اللؤلؤة). وفي اثناء نموّه. وهو زمن الكنيسة أيضًا، يبقى الابرار والاشرار مختلطين: هذا زمن الانتظار والرحمة. وفي آخر الأزمنة، يقوم الله بالفرز (الزؤان - الشبكة).

يساعدنا ذلك على التمييز بين ثلاث حقائق:

• ان ملكوت الله هو حقيقة من حقائق آخر الازمنة سيشترك فيها الابرار وحدهم ولكنه قد افتتح منذ اليوم وهو يعمل في العالم.

• ان ملكوت المسيح او ملكوت ابن الانسان يعمل بين القيامة والنهاية، ويمتدّ الى العالم كله. يبقى فيه القديسون والخاطئون مختلطين. وفي آخر الازمنة، يسلّمه المسيح للآب (١ قور ١٥/٢٤).

• لا تطابق الكنيسة ملكوت الله (وهو لا يحقَّق إلاَّ في آخر الازمنة) ولا ملكوت المسيح (وهو يعمّ جميع الناس، من مؤمنين وغير مؤمنين). والكنيسة هي المكان الخاصّ، في ملكوت المسيح، الذي يمارس (او يجب ان يمارس) فيه المسيح عمله ممارسة شاقّة. وانطلاقًا من هذا المكان عادةً يُشعّ المسيح قدرته ويبسط ملكوته على العالم كله.

الغاية من الأمثال

اذا استخدم يسوع هذا الاسلوب البسيط والمعروف من مستمعيه، فلكي يفهموا ما يقول. فكيف يقول اذًا عكس ذلك (متى ١٣/١٣ - ١٥ ومر ٤/١٢ ولو ٨/١٠)؟ لا بدّ من العلم بأن المقصود هنا، في نظر يسوع كما في نظر أشعيا، هو التفسير: ففي الواقع لم يُسمع هذا التبشير، وفي الواقع لم يهتد المستمعون. هذا التفسير (تفسير يسوع؟ تفسير الجماعة؟) هو محاولة لتحديد وضع ذلك الرفض من التدبير الإلهي (راجع الجزء الأول، الصفحة ٦٣: «سيعاقبنا الله» حيث نجد تفسيرًا مماثلاً جدًا).

أمثال مسلكية في انجيل لوقا

ان لوقا اكثر استخدامًا للأمثال ليبيّن ما يجب ان يكون سلوك التلميذ. فعليه ان يحذر من المال ومن الهموم المادية التي قد تخنق حياته الروحية (ألعازر ١٦/١٩ - ٣١ والغني ١٢/١٦ - ٢١ والوليمة ١٤/١٦ - ٢٤). وعليه ان يلحّ في الصلاة (الصديق اللجوج ١١/٥ - ٨ والأرملة والقاضي ١٨/١ - ٨ والفريسي والعشار ١٨/٩ - ١٤). وعليه ان يتقرّب الى كل انسان بغض النظر عن جنسيته او ديانته (السامري الشفوق ١٠/٣٠ - ٣٧). عليه، بكلمة واحدة، أن يطابق بدقّة بين سلوكه وسلوك الآب الذي يحب مجّانًا ويضع فرحه في الغفران للناس (الخروف الضّال والدرهم الضايع والابن الضال (١٥) والمديونان (٧/٤١ - ٤٣)...

الزارع:	**للجمع**: لقد افتُتح ملكوت الله وهو يأتي حتمًا إن قُبل. **للتلاميذ**: الغاية من الأمثال للجمع. تفسير المثل (عن يد الجماعة؟)
الزؤان:	**للجمع**: الابرار والاشرار مختلطون الآن، لكنّ الله سيقوم بالفرز في آخر الأزمنة. **الزؤان والخمير**: قدرة الملكوت بالرغم من تواضع وجوهه. **للتلاميذ**: الغاية من الامثال للجمع. تفسير مثل الزؤان (عن يد الجماعة). **الكنز واللؤلؤة**: ان الفرح باكتشاف الملكوت يساعد الانسان على ان يترك كل شيء لكي يعيش منه.
الشبكة:	**للجمع**: معناه ومعنى مثل الزؤان معنى واحد. **للتلاميذ**: لم يحتج يسوع الى تفسيره، لأنهم فهموا معناه.



الراعي الصالح. فن روماني

٧. عمل يوحنا: الانجيل والرسائل



يوحنا والعقاب.
حجر زاوية منبر كنيسة شارتر. فرنسا.
(القرن الثالث عشر).

انجيل يوحنا كتاب غريب. فالألفاظ فيه بسيطة جدًا، فهي ألفاظ الحياة اليومية، ومع ذلك فإن اهل الاختصاص لم ينتهوا من سَبر اغواره. يستسهله الأولاد ويجعل منه المتصوّفون كتابهم المفضّل... يروي حياة يسوع على غرار الاناجيل الازائية، ومع ذلك فإنه يختلف عنها كل الاختلاف...

الانجيل الروحي

سُمّي الانجيل الروحي، وبالواقع فإنه شهادة انسان وجماعة «أرشدهم الروح القدس الى الحق كله» (١٦/١٣) في أثناء تأمّلات طويلة. سنطّلع على بعض الأمور التي تأثرت بها هذه الجماعة. الأمر الجوهري الوحيد هو اختبار حضور القائم من بين الأموات الذي تمّ في العبادة. فكثيرًا ما نرى الاحتفال بالأسرار – المعمودية والافخارستيا – بارزًا في هذا الانجيل. ففي الأسرار تتّخذ أخيرًا أقوال يسوع واعماله على الارض معناها.

جماعة يوحنا

يقولون عادةً إنها كانت في أفسس وإنها قد تأثّرت بأمور كثيرة.

الفلسفة اليونانية. كما أننا متأثّرون بمفكّرين قد لا نعرفهم، مع أنهم جزء من الهواء الذي نتنشّقه، كذلك كان اليونانيون «يتنشّقون» الهلّينية، تلك الثقافة التي أثّر فيها بعض الفلاسفة كسقراط وابكتيتس والرواقيون، والتي حاول فيلون في الاسكندرية أن يوفّق بينها وبين ايمانه اليهودي. كانت جماعة يوحنا تعيش في تلك الأجواء، كما تدلّ على ذلك بعض المواضيع او إطلاق لقب «لوغس» (الكلمة) على يسوع.

الغنوصية. يصعب تحديد هذا التيّار، لأنه يتّخذ أشكالاً كثيرة جوهرها واحد، وهو أن أنصارها يعتقدون بإمكانية الحصول على الخلاص عن طريق المعرفة (غنوص باليونانية)، وهي مقصورة على المطّلعين. نجد مثلاً على ذلك في انجيل توما الذي عُثر عليه في مصر في السنة ١٩٤٦. لا شكّ ان يوحنا قد قاوم ما في جماعته من نزعات غنوصية. وليس من الصدفة ان يُظهر المسيح أوّلاً بمظهر الذي يكشف اسرار الله.

اليهودية. ان يوحنا متأثّر قبل كل شيء بالايمان اليهودي. فقد استوعب المواضيع الكبرى التي تناولها الأنبياء والحكماء. يستخدم مواضيع الخروج وحمل الفصح والمنّ والماء والكرمة... ليعرّف عن المسيح. فيسوع هو الراعي والنور والـ «أنا هو» خاصةً (كلمة تعادل يَهوَه)، وهي صور او القاب مقصورة على الله.

ازددنا معرفة للحسيديم منذ العثور على مخطوطات قمران في السنة ١٩٤٧. فهناك وجوه شبه بين تعليم يوحنا وتعليمهم: الروح الذي يرشد الى الحق، الازدواجية او التناقض بين حقيقتين كالنور والظلام، والحق والكذب. لكن ذلك يدلّ على ان يوحنا والحسيديم تغذّوا بنصوص العهد القديم الواحدة.

الكاتب

من المحتمل أن تكون شخصية يوحنا الرسول في اصل هذه المؤلّفات. لكنّ عمله تكوّن على عدّة مراحل حتى التحرير الأخير الذي تمّ في حوالى السنين ٩٥-١٠٠. يجوز الاعتقاد بأن هناك «المدرسة اليوحنّية» المؤلّفة من فريق تلاميذ تأمّلوا وتعمّقوا في تعاليم الرسول.

قراءة اجمالية

إبدأ بقراءة انجيل يوحنا دفعةً واحدة، مستعيناً، ان لزم الأمر، بالمعالم التالية:

الجغرافية في انجيل يوحنا

ان الجغرافية في الاناجيل الازائية بسيطة وقبل كل شيء لاهوتية. أمّا جغرافية انجيل يوحنا فهي أوّلاً... جغرافية! يعرف الكاتب بلاده معرفة جيّدة. ومع أن بينه وبين سائر الانجيليين اختلاف في أمر تاريخي (في تسلسل الآلام الزمني مثلاً)، يميل اليوم اهل الاختصاص الى الثقة به. وقد كشف علم الآثار صحّة بعض الأمور، كوجود البركة ذات الاروقة الخمسة شماليّ الهيكل.

عند الإزائيين، يبشّر يسوع في الجليل، ثم يصعد الى اورشليم للفصح، وحياته العلنية قد لا تستغرق سوى بضعة أشهر. أمّا عند يوحنا، فإنها تمتدّ على اكثر من سنتين: فإن يسوع صعد الى اورشليم لثلاثة فصوح: ١٣/٢ و(١/٥ ؟) و٤/٦ و٥٥/١١. ويروي يوحنا عدّة رحلات من الجليل الى اليهودية حيث أقام يسوع مدّة طويلة، ولا سيّما في اورشليم (١٩/١ ٥١ و١٣/٢ – ٣٦/٣ و١/٥ – ٤٧ و١٤/٧ – ٣١/٢٠).

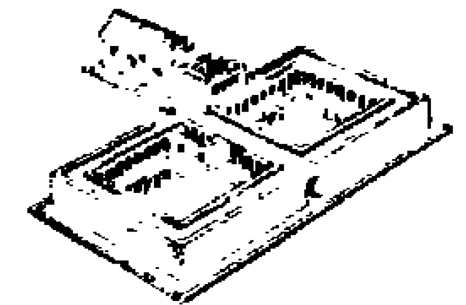
بعض المواضيع

لنبدأ بالبحث عن بعض المواضيع التي قد تساعدنا على اكتشاف بعض مفاتيح التأليف الاجمالي.

ترد كلمة «ساعة» كثيرًا، ولكن يبدو، تسعَ مرّات، أن لها معنى خاصًا: يقول يسوع او يوحنا إن تلك الساعة لم تأت بعد (٤/٢ و٣٠/٧ و٢٠/٨). وبعكس ذلك، فإن يسوع قلق يوم الشعانين، لأن ساعته قد أتت (٢٣/١٢ و٢٧). في مطلع الفصل ١٣ شيء من العظمة: «كان يسوع يعلم بأن قد اتت ساعة انتقاله عن هذا العالم الى أبيه...» (١/١٣)، والمسيح نفسه يؤكّد ذلك لتلاميذه (٣٢/١٦) ويقوله مرّة ثانية للآب (١/١٧).

وهكذا، ففي مرحلة من مراحل الانجيل، نرى يسوع يسير نحو ساعته، وهذه الساعة أتت مساء العشاء السرّي. وهذه الساعة هي ساعة عودته الى الآب. وذلك ما يرشدنا الى موضع آخر.

التناقض اعلى / واسفل. هناك العالم الفوقاني، عالم الله الذي هو روح وحرّية ومحبة ونور، والعالم التحتاني وهو جسد وعبودية وبغض وظلام.



اعادة وضع تصميم البركة التي بخمسة اروقة في اورشليم

ينتمي يسوع منذ الأزل الى العالم الفوقاني. انه كلمة الله نزل الى العالم ليكشف لنا عن الله ويأتينا بالمعرفة الحقيقية (او غنوص). وفصحه هو ساعة عودته الى الآب.

حياته كلّها محاطة بإطار نشيدَين: النشيد للكلمة الذي نزل من السماء ليتأنّس (١/١ – ١٨) والصلاة الكهنوتية التي صلاّها الكلمة المتجسّد عند عودته الى أبيه (١٧). ولكنه، بعد ان نزل وحده، فقد ارتفع مصطحبًا بجميع الذين يؤمنون به (٣/١٤).

الايمان. في خاتمة الكتاب يصرّح يوحنا بهدفه: «وانّما كُتبت هذه الآيات لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، اذا آمنتم، الحياة باسمه» (٣٠/٢٠ – ٣١). فيوحنا يريد اذًا ان يدعو الى الايمان: والايمان يقوم على الاعتراف بيسوع مسيحًا وابنًا لله. وبما ان الايمان هو اعتناق حيوي، فانه يرادف المحبة. فمن آمن كانت له حياة الابن، ومن رفض اختار الموت.

الحياة والموت والمحبة. هذه الكلمات الرئيسية الثلاث (او العبارات المعادلة لها) موزّعة بنسبة ذات معنى: فثلاثة أرباع الآيات التي يُستعمل فيها موضوع الحياة تقع في يو ١/٦ وثلاثة ارباع الآيات التي يُستعمل فيها موضوع الموت تقع في يو٧ – ١٢، وثلاثة ارباع الآيات التي يُستعمل فيها موضوع المحبة في يو١٣ – ٢٠.

هذه العناصر تُجيز لنا ان نقترح أن في الكتاب سيرًا موجَّهًا، ان لم يكن فيه تصميم.

«اليهود» و«العالم» في انجيل يوحنا

لا بدّ من الانتباه لمعنى كلمة «يهود» عند يوحنا. فهي تأتي أحيانًا بمعناها العادي (سكّان البلد) وأحيانًا بمعنى خاص (الذين لا يقبلون رسالة المسيح). وبهذا المعنى فإن يوحنا يهودي الاصل وغير «يهودي». كما أن وثنيًا يرفض يسوع قد يوصف بالـ«يهودي». وعدم التمييز بين هَذَين المعنيَين قد ساهم كثيرًا، للأسف، في تعزيز معاداة اليهود التي يستنكرها يوحنا، ولا شك.

وكذلك فإن كلمة «العالم» تدل على البشرية التي احبّها الله حتى انه اعطاها ابنه (٦/٣)، ولكنها كثيرًا ما ترادف كلمة عدو المسيح (٣١/١٢ و١٨/١٥ ...).

الآيات والساعة

يظهر الانجيل بمظهر قسمَين كبيرَين : كتاب الآيات (١ – ١٢) وساعة يسوع (١٣ – ٢٠).

يُبهر يوحنا بساعة يسوع التي يعرضها في وحدتها : فموت يسوع هو في الوقت نفسه رفعه ، والمسيح يرتفع على الصليب كعلى عرش مجد ، ومنه يُفيض الروح القدس على العالم. هذا هو ظهور المحبة.

لكنّ هذا السرّ يفيض غنى وقد تمّ بسرعة غير عادية. وكان يسوع يعرف ، على حدّ رأي يوحنا ، أن تلاميذه قد يسيئون فهم المعنى. ولذلك فقد استبق الامور وتوسّع ، مدّة سنتين ، في شرح هذا المعنى بآيات : بمعجزاته ، بل بأعماله على وجه عام (أقواله وافعاله). فهي تُظهر العمل الذي أوصاه الآب بأن يعمله.

وهذه الاعمال تثير عند الشهود ردَّي فعل مختلفَين : فبعضهم يؤمنون فيذهبون الى الحياة ، والآخرون يرفضون فيختارون الموت.

١. كتاب الآيات

آ) الآيات تبشّر بالحياة التي يهبها الله

يدلي التلاميذ بشهاداتهم : الجماعة (١/١ – ١٨) ويوحنا المعمدان (١/١٩ – ٤٤) والتلاميذ الأولون (١/٣٥ – ٥١).

هناك سلسلة احداث تبشّر بهبة الحياة : فآية قانا تُظهر مجد يسوع (٢/١ – ١٢) وحين يطرد يسوع الباعة من الهيكل ، فإنه يأتي بآية : الهيكل الحقيقي هو جسده (٢/١٣ – ٢٥). ويشرح لنيقوديمس أن الايمان ولادة (٣/١ – ٢١) ، ويوحنا المعمدان ، وهو صديق العريس ، يدلي بشهادته الأخيرة (٣/٢٢ – ٣٦).

في الحوار مع السامريّة ، ينطلق يسوع من رمز الماء الذي هو حياة (٤/١ – ٤٢).

ثم هناك مجموعة نصوص تدور حول الكلمة التي تهب الحياة (٤/٤٣ – ٥/٤٧).

ان موضوع خبز الحياة متوسَّعٌ فيه طويلاً (٦) ، وخاتمة هذا النص تمهيد الى المقطعَين التاليَين : بعض التلاميذ يرفضون الايمان فيلحقون بالخصوم الذين سيواجههم يسوع في المقطع الثاني – يُعلن بطرس ايمان الفريق الذي بقي أميناً (وهذا يعادل الاعتراف في قيصرية الذي نجده في الاناجيل الازائية). ولكن هذا الفريق الأمين سيتوارى ، تاركاً يسوع وحده امام خصومه ، وسيظهر مرّة ثانية ولا سيّما في القسم الأخير.

ب) يسوع والذين يريدون موته (٧ – ١٢)

في هذا المقطع ، نرى يسوع وحده أمام خصومه. ويُشعرنا يوحنا بِرهان الصراع : يريدون موته ، وهم ، اذ يرفضونه ، يختارون موتهم.

نشعر بالأمر أثناء المجابهات الكبرى في عيد الأكواخ الذي يصرّح يسوع في اثنائه بأنه نورٌ وينبوع الروح القدس (٨/١ – ٨/٢). وفي شفاء الذي وُلد اعمى دليل على التفاوت الذي تمَّ (٩).

ثم يُثبت يسوع أنه الراعي الذي يبذل نفسه عن خرافه (١٠/١ – ٢١) وأنه ابن الله (١٠/٢٢ – ٤٢) والقيامة والحياة (العازر ، ١١/١ – ٤٥).

والاحداث الأخيرة تعود بنا الى مطلع الساعة (١١/٤٦ – ١٢/٥٠).

ولم يبقَ للجماعة إلاَّ ان تختم هذا القسم الاول : ما هو الايمان الحقيقي (١٢/٣٧ – ٥٠).

٢. ساعة يسوع (١٣ – ٢٠)

يصوِّر يوحنا عشاء يسوع الأخير بصورة خطبة الوداع ، حيث يودّع يسوع تلاميذه ويترك لهم تعليماته : سيصبح منذ الآن حبّ بعضهم لبعض الوجه الذي سيبقى يسوع حاضرًا عليه في العالم.

وفي سياق الدعوى دليل واضح على وجود التباس : يُحكم على يسوع بالموت ، وأمّا في الواقع فهو الذي يدين «العالم». يصبح موته ينبوع حياة : فمن جنبه المفتوح بالحربة يخرج الينبوع الذي أُنبئ به في حز ٤٧/٢ وزك ١٣/١ ، والذي هو رمز المعمودية والروح القدس.

بعض ملامح يوحنا

يحبّ يوحنا الوحدات الاجمالية الموحَّدة : لا وجود لروايات معجزات مقتضبة كما الأمر هو عند الازائيين ، بل هناك روايات واسعة لسبع معجزات مختارة (ينفرد بأربع منها) كثيرًا ما ترافقها خُطب فتصبح مناسبات للتعليم المسيحي.

يتقدّم تفكيره تقدّمًا لولبيًّا. نجد تفكيرًا تامًّا في كل من الوحدات ، ولكننا ، حين نتناول الوحدة التالية ، نجد فيها سبيلاً الى التعمّق في ذلك التفكير.

ينطلق يوحنا عادةً من الحقائق الملموسة ، كالماء والخبز والولادة ، ولكنه يبيّن كيف انها ترتفع بنا الى صعيد أعلى. هذه الحقائق اليومية هي رمزية في نظره ، فإنها تساعد على التذكير بعالم الله ، لا بل تُنشئ صلة به.

بعض النصوص من مؤلَّفات يوحنا

◄ **الغاية من عمل يوحنا**

«كُتبت هذه الآيات لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه» (يو ٢٠/٣١).

«كتبتُ اليكم بهذا لتعلموا أن الحياة الأبدية لكم أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله» (١ يو ٥/١٣).

قارِن بين هاتين الخاتمتَين. ضع خطًّا تحت المواضيع المشتركة. ما هو الهدف المرميّ اليه في كلّ من المؤلَّفَين؟ سُمِّيت رسالة يوحنا الأولى «كتاب الاختبار المسيحي»: ما رأيك في ذلك؟

◄ **بعض المؤمنين**

لا يحب يوحنا ان يعالج موضوعًا، كالايمان مثلاً، معالجة نظريّة، بل يفضّل ان يصوّر لنا رجلاً او امرأة يؤمنان فيصبحان هكذا «تصميم» المؤمن ومثاله. يمكنك، دون الخوض في كثير من التفاصيل، ان تقرأ عددًا من النصوص ليكون عندك سلسلة من «صُوَر مؤمنين».

• يأتي الايمان من الشهادة (١/٣٥ - ٥١).

أُنظر كيف ان كل واحد يأخذ بيد الآخَر ليقوده الى المسيح.

• العلم أم الولادة من علُ (٣/١ - ٢١).

ان نيقوديمس رجل عالم وربّانيّ يستطيع ان يجادل يسوع على قدم المساواة. علامَ يقوم الايمان في نظره؟

• الايمان بالمسيح، مخلِّص العالم (٤/١ - ٤٢).

إقرأ لقاء يسوع بالسامرية، وانظر كيف ان يسوع ينطلق من الحقائق الملموسة، كالماء والحياة العاطفية التي تعيشها تلك المرأة. كيف حملها على اكتشاف سرّه؟

• الايمان بناءً على كلام يسوع (٤/٤٣ - ٥٤).

لاحِظ التقدّم الذي تمَّ بين استعمالَي فعل آمن: في الآية ٥٠ يؤمن قائد المئة بكلام يسوع وسيرى، بالتالي، المعجزة (التي لا تزال من الحقل الطبيعي)، وفي الآية ٥٣ يشاهد المعجزة فيؤمن. إنتبه الى هذا التعاقب: الرؤية (بعينَي الجسد) والايمان - الايمان للرؤية (بعينَي القلب). كثيرًا ما نجد هذا التعاقب عند يوحنا.

• العميان الحقيقيون (٩/١ - ٤١).

يرينا يوحنا، على سبيل التعارض، رجلاً أعمى يرى ما هو جوهري ورجالاً يبصرون هم عُميان عمَّا هو جوهري. حاول ان تهتدي الى المراحل التي امرَّ بها يسوع الاعمى تدريجيًا ليكتشف من هو.

• الرؤية للايمان (٢٠/١ - ١٠).

لاحِظ سير ايمان «التلميذ الآخَر»: «رأى وآمن، ذلك بأنهما لم يكونا قد فهما الكتاب المقدّس...». هذا يعني أنه، بعد ان يفتح القائم من بين الاموات اذهانهم (أذهاننا) ليفهموا الكتب المقدسة، لن تبقى حاجة الى الرؤية لكي يؤمنوا. فالكتب المقدسة كافية لتعرّفنا من هو يسوع.

• الايمان للرؤية (٢٠/٢٤ - ٢٩).

يُصوَّر توما هنا بصورة مثال الانسان الذي يشكّ. الى أيّ ايمان يريد يسوع ان يرشدنا؟ (راجع جواب بطرس في ٦/٦٩).

آية الارغفة: ٦/١ - ٧١

هذه الوحدة الاجمالية من أطول ما ورد في انجيل يوحنا، وهي على جانب من الأهمية. تقع في نهاية تبشير يسوع في الجليل فكأنها موجز لخدمته الرسولية. في الفصل الخامس بيان لعدم ايمان يهود اورشليم. وفي الفصل السادس عرض لعدم ايمان جموع الجليل. رفض اسرائيل كله الايمان، ما عدا فريق الاثني عشر الصغير (وسوف يخون احدهم، الآية ٧١).

ان معجزة الأرغفة (٦/١ - ١٥) توازي الروايات الخمس الأخرى التي تجدها في الاناجيل الازائية. يرى يوحنا أيضًا في شكر يسوع وتوزيعه الأرغفة استباقًا للعشاء السرّي. ولكنه يجعل منه المائدة المشيحية خاصة: إنه الوليمة التي يقيمها المشيح والتي كانوا ينتظرون حدوثها في آخِر الازمنة. يشدّد يوحنا على بادرة يسوع (هو الذي يقوم بكلِ شيء وهو الذي يوزّع)، فيعترف الجمع بأنه النبي ويحاول ان يقيمه ملكًا.

أمَّا **المشي على الماء** (٦/١٦ - ٢١)، فإنه يركّز على شخص يسوع. إنها مِشية ملكيّة يقوم بها «إنّي انا هو» (الله) في كلّ مجده. تُظهر الرواية قدرة يسوع الالهية فتعدّ بذلك التلاميذ لتقبّل الرسالة في خبز الحياة.

فإن يسوع يتكلّم على خبز الحياة، بعد بحث الجمع عنه والحوار في عمل الله (٦/٢٢ - ٢٩).

◄ خبز الحياة : ٦/٣٠ – ٥٩

ضع خطًّا تحت الكلمات التي تتكرّر وانتبه الى مكان هذه الكلمات في النصِ. وانظر هل تشكّل بعض العبارات تضمينًا.

دوّن الاعتراضات على الآيات ٣٠ و٤٠ – ٤١ و٥٢ : يجب يوحنا ان يثير النقاش على هذا الوجه.

لا شك انّك لاحظت أن كلمات النص الهامّة ترد كلّها في شاهدة الآية ٣١. لعلَّ هذه الخطبة عظة (مع العلم بأن يسوع يبشّر في احد المجامع ، الآية ٥٩) مركّبة وفقًا لقواعد الوعظ اليهودي : كانوا ينطلقون من شاهدة من الكتاب المقدس ، مأخوذة عادةً من التوراة ، ثم يعودون الى كل كلمة من كلماتها لوضعها في الظروف الحاضرة ولتطبيقها على المستمعين. وكانوا يستشهدون عادةً ، في اثناء التعليق ، بشاهدة ثانية مأخوذة من الأنبياء (فالآية ٤٥ هي تعليق على اش ٥٤/١٣). وكانوا يستخدمون كثيرًا اسلوب التناقض : «لا... ، بل... ، فإن...» ، كما الأمر هو في الآيات ٣٢ – ٣٣ و٤٦ – ٤٧.

بعد شاهدة الآية ٣١ وتناقض الآية ٣٢ ، هناك تضمين يحدّد الوحدة الاجمالية الاولى : الآيتان ٣٥ و ٤٨. وهناك وحدة اجمالية ثانية ، ابتداءً من الآية ٤٩ التي تكرّر الآية ٣١. وتُعدّ الآية ٥٨ خاتمة لكل ما سبق.

• على أيّ خبز يتكلّم يسوع في الآيات ٣٥ – ٤٨ ؟ لاحظ تكرار كلمة «آمن» او كلمة «أقبل إلى» التي تعادلها. ان موضوع كلمة الله التي «تؤكَل» بالايمان معروف جدًا. مثلاً : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (تث ٨/٣) ، او حك ١٦/٢٧ وحز ٣/١ ت...

• على أيّ خبز يتكلّم يسوع في الآيات ٤٩ – ٥٨ ؟ قارن بين «جسدي أبذله ليحيا العالم» و «جسدي يُبذل من أجلكم» (لو ٢٢/١٩).

دار نقاش طويل حول تكوين هذا النص. يعتقد بعضهم بأن يسوع لم يتقدّم إلاّ كالكلمة المتجسّد الذي على المستمعين ان «يأكلوه» ، اي يتقبّلوه ، بالايمان. وبعد الفصح ، أدرك التلاميذ أن يسوع ، مساءَ العشاء السرّي ، بذل نفسه أيضًا على وجه آخَر : فأصبح كيانه (لحم ودم) المبذول عنّا طعامًا. فقام يوحنا بقراءة مجدّدة للخطبة في اجمالها وأضفى عليها طابعًا افخارستيًا.

كيف يوضّح لك كل ذلك الرابط القائم بين الكلمة والافخارستيا والايمان والحياة... ؟

◄ «اعمال رسل» يوحنا : ١٣ – ١٧

يمكننا ان نقول باختصار سريع إن ما يرويه لوقا في حياة الكنيسة في اعمال الرسل ، يضعه يوحنا على لسان المسيح نفسه في خطبة يسوع بعد العشاء السرّي. تتألّف في الواقع هذه الوحدة الاجمالية من خطبتَين فيهما شيء من تكرير الواحدة للأخرى.

ابحث ، وانت تقرأ النصوص ، عمَّا يقال على الله / الآب – وعلى يسوع : الآتي من الآب والعائد إليه ، والآتي الى تلاميذه بعد قيامته لحضور روحي جديد ، والذي يرشدهم الى الآب – والى الروح القدس.

حاوِل ان تكتشف وضع جماعة معيَّنة ومسائلها ، جماعة يوحنا وجماعتك.

• الخطبة الأولى : ١٣/٣١ – ١٤/٣١

ابحث أولاً عن الروابط : تضمين من ١٣/٣٣ الى ١٤/٢٨ (انا ذاهب / آتي اليكم) ومن ١٤/١ الى ١٤/٢٧.

ضع خطًّا تحت الكلمات التي تتكرّر : «آمن» والعبارات المشاركة لهذا الفعل : «عرف وعمل الأعمال» و «أحبَّ» والعبارات المشاركة لهذا الفعل : «حفظ الوصايا ، والكلام ، وثَبت...». تُركّز ١٤/١ – ١٤ على الايمان ، و١٤/١٥ – ٢٤ على المحبة. انتبه الى احرف الجرّ والظروف العديدة : في وب ومع وعند...

كيف يُعبَّر هنا عن جوهر سرّ الصعود (تمجيد يسوع) والعنصرة (حضور يسوع الجديد بالروح القدس).

• الخطبة الثانية : ١٥ – ١٧

يمكنك ان ترى كيف تتوسَّع هذه الخطبة في المواضيع نفسها وان تتوقّف عند بعض النصوص.

الكرمة (١٥/١ – ١٧). كيف يعبَّر ، بشكل تمثيلي ، عن عقيدة الكنيسة ، جسد المسيح ؟

الروح القدس والجماعة في مجابهتها لـ «العالم» (١٥/١٨ – ١٦/١٥). انظر الى دور الروح القدس ، فهو يعرّف عن الآب ويسوع ويدافع عن ايمان المؤمن مبيِّنًا له أن يسوع قد انتصر.

الجماعة مكلَّفة بولادة المسيح في العالم (١٦/١٦ – ٣٣). لكي تستوضح الآيتين ٢١ – ٢٢ ، أعد قراءة اش ٢٧/١٧ و ٢٠ و ٦٦/٧ و ١٤ ونص سندرسه : رؤ ١٢/٤ – ٦. تصوَّر الآلام كعذاب الجماعة التي تلد المسيح طوال تاريخها.

صلاة المسيح في اثناء آلامه وقيامته وحياته في الكنيسة (١٧).

◄ **المقدّمة : ١/١ – ١٨**

هذا النشيد الرائع من أصعب النصوص ، فإنه يلخّص بكلمات بسيطة تفكيرًا لاهوتيًا طويلاً.

في محاولة أولى لادراك معناه ، يمكنك ان تبحث عن بنيته وان ترى كيف ان التفكير متأصّل في الكتب المقدسة.

على صعيد البنية ، إبدأ بالبحث عن الكلمات التي تتكرّر وعن الفقرات التي تتطابق. يبدو ان هذا النشيد مركّب على شكلٍ متّحد المركز، وفقًا لأسلوب شائع في ذلك الزمان نجده كثيرًا في الكتاب المقدس.

١ – ٥	الكلمة لدى الله	١٦ – ١٨	
٦ – ٨	يوحنا المعمدان	١٥	
٩ – ١١	مجيئات الكلمة	١٤	
	١٢ – ١٣		

في المركز (الآيتان ١٢ – ١٣) وُضعت البنوّة المعروضة على المؤمنين. وباقي المقاطع الشعرية التي تتطابق لا تتكرّر فحسب. يبدو أن في الآيات ٩ – ١١ عرضًا لمجيئات الكلمة في العالم وفي شعبه اليهودي (اهل بيته)، والآية ١٤ تشيد بالتجسّد. والآيات ١ – ١٥ تحدّد وضع الكلمة في أزليته وعمله الخالق، والآيات ١٦ – ١٨ تشدّد على الوحي الذي تمّ عن يد يسوع المسيح.

على صعيد تأصل التفكير في الكتاب المقدس، راجع حواشي كتابك المقدس. اليك بعض النقاط :

في البدء. يبتدئ الانجيل كسفر التكوين، فإن مجيء يسوع بدء جديد للعالم (راجع كذلك مر ١/١١).

في تسمية المسيح «لوغس» (الكلمة) ربطُه بالتيار الكتابي : يخلق الله بكلمته (تك ١ واش ٤٠/٢٦ ومز ٣٣/٦...) او بحكمته (حك ٧/٢٢) التي اعطاها الكيان قبل كل شيء والتي تقيم الى جانبه (مثل ٨/٢٣ – ٣٦ وحك ٧/٢٢ – ٣٠). وهذه الحكمة، اي الله نفسه بصفته حكيمًا، اقامت عند البشر (سي ٢٤/١ – ٢٢) ويطابَق احيانًا بينها وبين الشريعة التي هي حضور الله لشعبه (راجع الجزء الاول، الصفحة ٨٣ و ٨٧ و ٩٢). ولكن في تسمية الله «لوغس» (الكلمة) ربطه بالفكر الرواقي الذي يعدّ هذا الـ«لوغس» المبدأ الذي يحفظ تماسك العالم.

وسكن (حرفيا : ونصب خيمته) بيننا (راجع سي ٢٤/٧ – ٨). ويبدو ان الكلمة اليونانية تشير الى الـ«شكينة»، وهي حضور الله لشعبه في خيمة الموعد. ان يسوع هو الهيكل الحقيقي الذي يشعّ منه مجد الله.

رسالة يوحنا الأولى

في الجماعة بعض المتاعب : فهناك شقاق (٤/٣) وهناك مسيحيون لا يحب بعضهم بعضًا (٢/٩ و ٤/٢٠) او يعدّون انفسهم بلا خطيئة (١/١٠) او يميلون الى الغنوصيّة، زاعمين انّ في امكانهم ان يدركوا الله بالمعرفة وحدها بغض النظر عن طريقة عيشهم (٢/٤). وهناك آخرون قد هجروا الجماعة وانكروا المسيح (٢/١٩ و٢٢).

يجيبهم يوحنا مستندًا الى اختبار مزدوج :

- اختباره كشاهد (١/١ – ٤). إقرأ هذه الآيات. لا يقول إنه رأى وسمع الكلمة، بل ما سمعه من الكلمة (من اقوال واعمال انسان) مكّنه، بالايمان، من الدخول الى صميم سرّ ذلك الانسان ليرى فيه ابن الله.
- اختبار المسيحيين (٥/١٣). يستند الى ما حصلوا عليه في التعليم المسيحي الاعتيادي والى ما يعيشونه في حياتهم اليومية. عليهم ان يكتشفوا بايمانهم أن قد زرعتهم كلمة الله (٢/١٤ و٣/١٩) ونفذت فيهم كالزيت، بفضل الروح القدس (٢/٢٠ و٢٧).

والفكرة الأساسية التي تتردّد في هذه الرسالة، كما في سمفونية، هي : أنتم متّحدون بالله. لكن هذا المتصوّف رجلٌ واقعيّ، فلا بدّ ان يكون هذا الاتحاد ظاهرًا في الثمار التي يأتي بها.

من الصعب ان نجد في الرسالة تصميمًا، ولكن هل من حاجة الى تصميم في تأمّل؟ من الأهم ان نرى على اي شيء ينطبق في اختبارنا الشخصي. يمكنك، في اثناء القراءة، ان تنتبه خاصةً الى بعض الوجوه :

- الممثّلون : الآب ويسوع والروح القدس والكاتب وجماعته، والمؤمنون والمنحرفون... كيف يصوّرهم يوحنا؟ ما هو دورهم؟ في أيّة مواضيع يشتركون؟
- المواضيع الرئيسية. دوّن الكلمات والعبارات التي تتكرّر. حاوِل ان تجمع التي يتّصل بعضها ببعض وانتبه الى ما يفيد المفردات الاساسية من هذه الصلات، مثلاً : المحبة وأحبّ وعرف والاتّحاد وأقام في... والخطيئة والشيطان و«العالم» وروح الشر والمسيح الدجّال... والنور/الظلام... والحياة/الموت... والبِرّ...

رواية الآلام بحسب يوحنا



الانزال عن الصليب
متحف لوفر

تأمَّل يوحنا في الآلام بعد الاحداث بزمن طويل، وفي ضوء الروح القدس وحياة الكنيسة ولا سيّمَا الاحتفال بالأسرار.

يختار في روايته، وهي قريبة جدًا من رواية الازائيين، اكثر الاحداث معنىً، ويصوّر تلك الآلام بصورة سير انتصاري ليسوع الى الآب. يعلم يسوع بأنه على وشك الموت، ويعرف أيّة ميتة سيموتها وهو يمشي نحوها حرًّا: «ما من أحدٍ ينتزع حياتي منّي، ولكني أبذلها برضاي» (راجع ١٠/١٨)، جميع تفاصيل الآلام تُتمّ، لا الكتب المقدسة فقط، بل جميع ما أنبأ به يسوع نفسه.

يشدّد يوحنا على عظمة ابن الله المتألّم. فحين قُبض على يسوع، لم يلمّح، كما ورد في متى، الى الفيالق من الملائكة التي باستطاعتها ان تنقذه، بل كفاه ان يقول: «انا هو»، حتى يرجع اعداؤه الى الوراء ويقعوا الى الارض. ولمَّا صُلب يسوع، صُلب بصفته ملكًا، وقد اعترف بيلاطس بذلك فأجلسه على كرسيّ القضاء (١٩/١٣)، وأعلنت عنه الرقعة التي كُتبت بثلاث لغات وعُلِّقت على الصليب (١٩/٩ – ٢٠).

لا يفصل يوحنا بين الموت والارتفاع. فصعود يسوع على الصليب هو في الوقت نفسه صعوده الى مجد الله ومنه يرسل الروح القدس الى العالم (١٩/٣٠). «وأنا إذا رُفعت من الارض، جذبت إليَّ الناس أجمعين» (١٢/٣٢). فأصبح الصليب عرش المجد ومنه أسَّس الكنيسة: من جنبه المفتوح خرج الدم والماء، وهما سرَّا المعمودية والافخارستيا.

القبض عليه في بستان الزيتون (١٨/١ – ١٢). لا يروي يوحنا النزاع (لكنه اورد جوهره في حدث الشعانين، ١٢/٢٣ و٢٧) ولا هرب التلاميذ. واكتفى بإظهار عظمة يسوع. ان عبارة «أنا هو» المكرَّرة مرَّتين (الآيتان ٥ و٨) كانت اسم الله في الكتب المقدسة.

الدعوى امام المجلس اليهودي (١٨/١٣ – ٢٧). لا يروي يوحنا المثول أمام مجلس اليهود وينفرد في رواية الاستجواب عند حنان. يظهر يسوع بمظهر الذي يكشف عن الله في رائعة النهار. يرد فعل «تكلّمتُ» خمس مرّات وفعل «علّمتُ» مرّة واحدة. وبينما كان يسوع يدلي بشهادته الأخيرة، كان بطرس ينكره. وقد اعطى قيافا، بالرغم من نفسه، معنى الآلام. اذ قال ان يسوع يموت عن الشعب كله (الآية ١٤).

الدعوى امام الرومانيين (١٨/٢٨ – ١٩/١٦). هذا هو المشهد الرئيسي في رواية الآلام عند يوحنا. ان تنقّلات بيلاطس، ذاهبًا من عند يسوع الذي في الداخل الى اليهود الذين في الخارج، تقسم المشهد الى سبع لوحات تتطابق، وفي وسطها التكليل بالشوك. نحن امام الدعوى الكبرى بين يسوع واليهود. المتَّهم هو يسوع، ولكنه القاضي في الواقع. يسوع ملك، ولكنه يملك على الذين يسمعون كلمته. وفي الوسط، فإن مشهد التكليل بالشوك، المجرَّد من جميع تفاصيله (البصق والركوع)، يُبرز لقب الملك. وينتهي المشهد بالتعظيم، فإن بيلاطس يُجلس يسوع على كرسيّ القضاء ويُعلن أنه ملك (الآية ١٣).

الجلجلة (١٩/١٧ – ٣٧). صُلب يسوع بصفته ملكًا أيضًا: فالرقعة على الصليب تشهد بذلك واليهود يرفضونه. لم يُمزَّق القميص غير المخيط، ويرى يوحنا فيه رمز وحدة الكنيسة، ومات يسوع «ليجمع في الوحدة شمل ابناء الله» (١١/٥٢).

ينفرد يوحنا بالأهمية التي يعلّقها على وجود مريم عند قدم الصليب. وهو، اذ يسمّيها المرأة ويعطيها التلميذ ابنًا، يوحي بدورها الخاص في الكنيسة.

يسوع يُسلم الروح (الآية ٣٠). بهذه العبارة الغريبة للدلالة على الموت، يرينا يوحنا يسوع مرسلاً روحه الى العالم.

وأمَّا اللوحة الأخيرة، وينفرد بها يوحنا، فهي تعبّر عن معنى موت المسيح بالنسبة إلينا. إنه حمل فصح العهد الجديد، لا بل انه الله نفسه المطعون، كما أنبأ به زك ١٢/١٠ ت (راجع الجزء الاول، الصفحة ٨٦). يسوع هو الهيكل الحقيقي الذي يقيم الله فيه، ذلك الهيكل الذي رأى حز ٤٧/١ – ١٢ الماء، رمز الروح القدس، يخرج منه من الجانب الأيمن. وسيصبح الماء والدم في الكنيسة رمزَي سرَّي المعمودية والافخارستيا.

الدفن (١٩/٣٨ – ٤٢). تمَّ دفن يسوع عن يد رجلين من الوجهاء: يوسف، التلميذ الخوّيف (الآية ٣٨)، ونيقوديمس الذي قصد يسوع ليلاً. وضعاه في بستان (ينفرد يوحنا بهذا القول ويكرّره مرَّتين)، في المكان الذي تنبت فيه الحياة.

يسوع في مؤلّفات يوحنا

«ذاك الذي سمِعناه، ذاك الذي رأيناه بعينَينا، ذاك الذي تأمّلناه، ذاك الذي لمسته يدانا من كلمة الحياة...» (١ يو ١/١). هذه الشهادة موجز صالح لاختبار يوحنا. في حياة بولس قبل وبعد: كان يسوع مضلّلاً في نظره فأصبح ربّه. أمّا يوحنا فلم يعرف هذا التحوّل. كان، مدّة عدّة سنوات، صديق رجل، صديق نبيّ، رأى فيه المسيح، يومًا بعد يوم، وبعد ليلة الآلام، اكتشف بإعجاب أن صديقه كان ابن الله، هو ابن الله! وهنا تكمن المفارقة التي نجدها في يسوع كما يتصوّره يوحنا: انه كائن كامل الانسانية، نستطيع ان نراه ونلمسه، ولكننا نرى فيه، بعين الايمان المستنير بالروح القدس، سرّ الكلمة، سرّ ابن الله.

انسان

ان يسوع عند يوحنا كامل الانسانية. جسمه جسمنا ونفسانيته نفسانيتنا. إذا تعب، جلس الى جانب بئر وطلب من امرأة لا يعرفها ماء ليشرب (٦/٤ ت). عنده منزل حيث يمكن لأحد ان يقضي الأمسية معه (٣٨/١ و٢/٣). له صديق، العازر، وصديقات، مرتا ومريم (١١ – ١٢). يعرف الاضطراب ويبكي على صديقه العازر (٣٣/١١ و٣٥). يذهب الى العرس (١/٢ ت). يغضب ويقلب طاولات الباعة الثقيلة (١٥/٢).

إنّه يعلم ما في الانسان (٢٥/٢)، وبما أنه شديد الاحترام للآخرين، فبإمكانه ان يستعيد، مع السامرية، ذكرى حياتها الصاخبة، دون ان تشعر بأنها تحاكَم او بأنها تُدان. وهذا أيضًا شأن المرأة الزانية. في وسعه ان يكشف لكل انسان، حتى للخاطئ، أفضل ما في قلبه.

رجل الله

أيًّا كانت الأسئلة المطروحة عليه، جوابه واحد: الآب. من أين أتيت؟ – من عند الآب. إلى اين ذاهب؟ – الى الآب. ماذا تعمل؟ – أعمال الآب ومشيئته. ماذا تقول؟ – لا شيء من عندي، بل ما رأيته عند الآب... هذه الأجوبة تُدخلنا الى صميم سرّ الله أكثر ممّا تفعله الاستدلالات النظرية في الثالوث. ان يسوع هو كامل الحريّة، شفّاف الهويّة، وهو، في الوقت نفسه، صلة تامّة بالآب، وموجَّه نحو الآب (١/١).

الكاشف عن الله

ان يسوع لدى الله منذ الأزل، إنّه كلمة الله وحكمته، فهو يعرف سرّه وقد جاء ليطلعنا عليه. المسيح في نظر يوحنا هو، قبل كل شيء، من يكشف لنا عن الآب.

يقوم بهذا الدور بأقواله، ولا سيّما بآياته ومعجزاته واعماله ونمط حياته: «يا فيلبّس، من رآني رأى الآب» (٩/١٤).

وهو يكشف عنه أيضًا بإعطائنا الروح القدس الذي انبثق من جنبه المفتوح (٣٨/٧ و٣٠/١٩ و٣٤)، الروح القدس المكلَّف بإرشادنا الى الحق كله (١٣/١٦).

ابن الانسان

في كتاب يطفح تصوُّفًا، نستغرب ان نجد أنفسنا منغمسين في تفاصيل دعوى. كثيرًا ما ترد الألفاظ الحقوقية: شهادة وقضاء واتّهام وإقناع ومؤيّد (محام، مدافع)... ذلك بأن يسوع هو ابن الانسان، ذلك الوجه الذي ورد ذكره في دانيال والذي كانوا ينتظرون مجيئه في آخِر الازمنة لإجراء الحكم. صرّح لنيقوديمس بأنه وحده نزل من السماء (١١/٣ – ١٣). لا يريد ان يكون القاضي الذي يدين، بل الابن الذي يخلّص. ولكنه، لكونه نورًا، يحمل المخاطب على الكشف عن نفسه وعلى الاختيار. إنه يدعو الى الدينونة، ولكنه كالمحامي قريب من المؤمن.

تستمرّ هذه الدعوى الى نهاية العالم، ولذلك فإنه يرسل مؤيّدًا آخر (١٦/١٤)، الروح القدس، ليدافع عنه في قلب المؤمن (٧/١٦ – ١١).

ابن الله

يستطيع يسوع اخيرًا ان يكشف عن الله، لأنه هو نفسه ابن الله. ان العبارة «انا هو» نادرة عند الازائيين، ولكننا كثيرًا ما نجدها على لسان يسوع في انجيل يوحنا، وقد وردت أربع مرّات بالمعنى المطلق (٢٤/٨ و٢٨ و٥٨ و١٩/١٣). وهي تطابق اسم يهوه (الله) (خر ٦/٣ و١٤).

حياة المؤمن

ارتدى يسوع جسدنا وانّما فعل ذلك ليكون في خدمة المؤمن. إنه الراعي الذي يبذل نفسه عن أحبّائه. إنه النور، إنه القيامة والحياة.

العبادة او الحياة في الشكر

ان كلمة «العبادة» تذكّر المسيحي المعاصر في اغلب الاحيان بالحفلات الدينية. أمّا المسيحيون الاولون واليهود، فكانوا يرون فيها، قبل كل شيء، الحياة اليومية. فإن تأدية العبادة او خدمة الله لم تكن تعني سوى قضاء الحياة اليومية بتوجيهها توجيهًا معيَّنًا. وكان هذا التوجيه يعبَّر عنه في بعض الحركات الخاصّة بالعبادة. اليك مثلاً: ان الزوجين لا يختلف عملها عن عمل العزّاب، ولكنَّ حياتهما كلّها متّسمة عادةً بسمة حبّهما. والحركات التي يُعربان بها عن حنانهما المتبادل هي عبارة حياتهما كلها وتساهم في اعطاء معنى لهذه الحياة. وكذلك، فإن شعائر العبادة تعبّر عن الحياة التي نحياها في الشكر وتساعد على ان تكون حياتنا شكرًا.

أعِد قراءة روم ١٢/١ – ٢ و١ بط ٢/٥ (وما سبق ان قلناه في الصفحة ١٦٩): ان ذبيحة المسيحيين هي شخصهم وهي الحياة التي يعيشونها «كطاعة الايمان» (روم ١/٥ و١٦/٢٦ وفل ٢/١٧ و١ بط ١/٢ و١٤ و٢٢). فيما يتعلق بكلمة طاعة، راجع الجزء الاول، الصفحة ١٠٠).

العبادة الروحية في العهد القديم

ان العبادة الصحيحة التي كان الأنبياء يطالبون بها هي الحق والعدل نحو القريب (عا ٥/٢١ واش ٥٨ ...)، هي المحبة لا الذبائح (هو ٦/٦ الوارد ذكره في متى ٩/١٣ و١٢/٧). أعِد قراءة الموجز الرائع الوارد في مي ٦/٨ (الجزء الاول، الصفحة ٤٣).

البركة في الدين اليهودي

ان الدين اليهودي نسيج من البركات.

كان النهار تتخلّله **الصلوات في المجمع**، في الصباح وفي وسط النهار وعند المساء، وهي صلوات شكر طويلة ترافقها قراءات ومزامير.

كان كل عمل يُقدَّس بإحدى «**البركات المئة**»، وهي جُمل قصيرة مؤلّفة على طريقة واحدة: «مبارك أنت، يا رب، يا ملك العالم، انت الذي...». فعند الاستيقاظ: «أنت الذي يردّ النفوس الى أجسامها الزائلة»، وعند الاغتسال: «أنت الذي يقدّسنا بوصاياه وأمرنا بغسل أيدينا»، وعند ارتداء الثياب: «أنت الذي يُلبس العارين»، وعند الذهاب الى المرحاض: «انت الذي جبل الانسان بحكمة وخلق فيه مخارج ومسالك».

فكانوا يعيشون الحياة اليومية كلّها، حتى في أوضع وجوهها، في الشكر. وهذا ما يقوله بولس مُجيبًا بعض المسيحيين الذين كانوا يرفضون بعض الاطعمة او الزواج نفسه: «كلّ ما خلق الله حسن، اذا تناوله الانسان وهو شاكر، لأن كلام الله والصلاة يقدّسانه» (١ طيم ٤/٤ – ٥).

إنَّ **وجبات الطعام**، لا سيّما في الاعياد، هي اعمال دينية. فربّ العائلة او المترئّس يقول البركة ويقسم الخبز ويوزّعه. ليست «قال البركة» مرادف «بارك الخبز»، بل وضعه في تيّار الحياة الآتي من الله. ان الله هو الحياة، وبالبركة يصل الانسان نفسه بالحياة. وبعد ان يُشحن الخبز بالحياة الالهية، يقسّم ويوزَّع على الضيوف وهم يأكلونه فينجرّون بتيّار الحياة الالهية.

على هذه البركة وهي هبة من حياة الله، يجيب الانسان بالحمد والشكر: يعترف، في الفرح والإعجاب، بأن كل عطية، ابتداءً من عطية الحياة، تأتيه من الله.

العبادة المسيحية

وُلدت المسيحية في اليهودية فتبنّت ذلك الموقف وتلك المارسات. إلاّ أنّها وسمتها بسمة جديدة، لعلمها بأن كل شيء يأتينا بيسوع وبأن به يرتفع كل شكر الى الآب.

حين نصل الى قراءة سفر الرؤيا، سنرى أن الليترجيّة المسيحية اتّخذت العبادة اليهودية (الصفحة ٢٢٢). والمزامير أيضًا تُقرأ في ضوء المسيح: أُنظر الى الليترجيّة الرائعة المروية في رسل ٤/٢٣ – ٣١.

سنرى أيضًا كيف أن المسيحيين ألّفوا صلواتهم الخاصة، وندرس الصلاة الربيّة.

أمّا الآن، فسنتوقّف عند ما هو مركز الشكر المسيحي وذروته: عشاء يسوع الأخير. ان روايات هذا العشاء أغنى من ان نستطيع درسها في صفحة واحدة. فسننصرف الى وجه واحد من وجوهه: فبعد ان نطّلع على التفسيرَين اللذين اتت بهما الاناجيل، سنرى كيف ان الحياة اليومية والعبادة مرتبطتَين. يبقى يسوع حاضرًا في شخصه المقرَّب وفي جماعة المسيحيين الذين يحبّ بعضهم بعضًا.

◀ تأسيس سرّ الافخارستيا

الإطار

إن رواية الآلام هي من أوّل الروايات التي وُضعت، وكانت تبتدئ بالقبض على يسوع وتنتهي بالدفن. فكانت تروي سير الآلام الخارجي. وما لبث التلاميذ ان شعروا بالحاجة الى ان تسبقها روايتان لكي يُدرَك معنى الاحداث من الداخل: فرواية النزاع تبيّن كيف ان يسوع، وهو انسان بكل معنى الكلمة، يتحمّل موته القريب تحمّلاً مؤلمًا ويقلب معناه رأسًا على عقب، جاعلاً من الفشل تقدمة. فرواية العشاء الأخير تبيّن كيف ان يسوع يستبق الامور ويحتفل بآلامه. العشاء السرّي والنزاع ودرب الصليب هي ثلاثة وجوه للآلام. كلّ وجه منها يعبّر عن كل شيء، ولكن من نظرة مختلفة.

النصوص

في الإزائية نجد الروايات الأربع التي وصلتنا عن العشاء السرّي. يوحنا غائب عنها، مع أنه هو أيضًا يتكلّم عن الافخارستيا.

إقرأ مر ١٤/٢٣ – ٢٥. هل يبدو لك أن هذه الرواية متماسكة؟ انظر الى آخِر الآية ٢٣ والآية ٢٤، فهل محتوى الكأس (هذا في الآية ٢٤) وعصير الكرمة (الآية ٢٥) شيء واحد؟ إقرأ النص قافزًا فوق الآية ٢٤ ب (هذا... جماعة الناس): أيّ نوع من الطعام يُقصد هنا؟ إقرأ النص مع الآية ٢٤ ب: أيّ نوع من الطعام يُقصد هنا؟

إقرأ لو٢٢/١٥ – ١٨ + ٢١ – ٣٨، ثم ٢٢/١٩ – ٢٠. هل تجد في هذه الآيات نوعَي الطعام اللذين سبق ذكرهما؟

فُسّرت ذكرى عشاء يسوع الأخير بطريقتَين: كعشاء وداع اعطى فيه يسوع تعليماته الأخيرة لتلاميذه، اوكعشاء طقسيّ احتفل فيه يسوع بموته قبل ان يتمّ. اليك مثلاً: التقى ابنان ذات ليلة عند ابيهما الشيخ. فانتهز الشيخ هذا العشاء لتوزيع أمواله عليهما، ثم انصرف الابنان وتُوفي الأب بعد ذلك بقليل. من المحتمل أن يروي كلّ منهما هذا العشاء على طريقته: فالواحد ذكر العشاء كعشائه الأخير مع أبيه (لقد اعطاهما تعليماته بأن يبقيا متّحدَين وان يحب الواحد الآخر). والآخر، وهو أكثر واقعية، لم يذكر إلاّ توزيع الميراث.



رمز مسيحي: الارغفة والسمكة (ديامبس كاليكستس. رومة. القرن الثاني).

عشاء وداع

ان خطبة الوداع فن أدبي معروف في العهد القديم والأدب اليهودي (راجع تك ٤٩ و١ مل ٢ وطو ٤ و١٤). من شعر بأن موته قريب يجمع اولاده او تلاميذه ويحثهم على الفضيلة وعلى المحبة الاخوية خاصة، وكثيرًا ما يعرض عليهم الاقتداء بحياته الماضية، وينبئ بالمستقبل. وقد يجري ذلك أحيانًا حول مائدة تجمعهم.

أعِد قراءة لو ٢٢/١٥ – + ٢١ – ٣٨ ومر ١٤/٢٥ ومتى ٢٦/٢٩ ويو ١٣ – ١٧. في كل ذلك تذكير بالعشاء السرّي كعشاء وداع. فيسوع يعطي تعليماته: «اذا احب بعضكم بعضًا عرف الناس جميعًا أنكم تلاميذي...»، وينبئ بمصيره: يؤكّد ثقته بالله، ودخوله في ملكوت الله عَبرَ الموت، وينبئ بمصير جماعته طالبًا ان يبقى تلاميذه متّحدين الى ان يأتي هذا الملكوت نهائيًا. وطريقة استمرار يسوع حاضرًا في العالم هي الجماعة المؤلّفة من الذين يقاسمونه خبزه ويعيشون بناءً على ذلك.

عشاء طقسي او بادرة نبويّة

عوَّدنا الأنبياء تلك الاعمال التي لا تقتصر على التعبير عن رسالة، بل تستبق تحقيق ما تعبّر عنه (راجع الجزء الاول، الصفحة ٤٣).

إن قيام يسوع بكسر الخبز وتوزيعه وبصبّ الخمر هو تحقيق سابق لبذل جسده ودمه. ولأن هذه البادرة عشاء، اي أمر يمكن تكراره، مع اطعمة يمكن تمثيلها، فاننا نستطيع، اذا كرَّرنا هذا العشاء، ان نمثّل شخص يسوع الذي أُسلِم الى الموت وقام من بين الأموات.

وضع متى ومرقس ولوقا العشاء السرّي في أجواء عشاء الفصح اليهودي (احتُفل به مساء الجمعة المقدّسة في تلك السنة)، ولكنهم اختلفوا في الشعور بمعناه.

متى – مرقس. إقرأ خر ٢٤/٤ – ٨. يبدو موت يسوع على الاخص تحقيق الذبيحة الطقسية التي تُتمّ العهد.

لوقا – بولس. إقرأ ار ٣١/٣١ – ٣٤ واش ٤٢/٦ و ٤٩/٨ و٥٣/١٢. يبدو موت المسيح قبل كل شيء بذل النفس الذي بذله النبيّ الشهيد. فبفضله سيتحقّق العهد الجديد.

في ضوء هذا الدرس، ما عسى ان يكون معنى العشاء السرّي بالنسبة إلينا؟

متى ٢٦/٢٦-٢٩	مر ١٤/٢٢-٢٥	لو ٢٢/١٥-٢٠	١ قور ١١/٢٣-٢٦
		١٥ فقال لهم: «اشتهيتُ	
		شهوة شديدة أن آكل	
		هذا الفصح معكم قبل ان	
		أتألم. ١٦ فإني اقول لكم:	
		لا آكله بعد اليوم حتى	
		يتم في ملكوت الله».	
		١٧ ثم تناول كأسًا وشكر	
		وقال: «خذوا هذا	
		واقتسموه بينكم. ١٨ فإني	
		اقول لكم: لن أشرب بعد	
		اليوم من عصير الكرمة حتى	
		يأتي ملكوت الله».	
			٢٣ ان الرب يسوع
٢٦ وبينما هم يأكلون،	٢٢ وبينما هم يأكلون،		في الليلة التي أُسلِم فيها
أخذ يسوع خبزًا	أخذ خبزًا	١٩ ثم أخذ خبزًا	أخذ خبزًا
وبارك	وبارك	وشكر	٢٤ وشكر
ثم كسره	ثم كسره	وكسره	ثم كسره
وناوله تلاميذه	وناولهم	وناولهم إياه	
قائلاً:	وقال:	وقال:	وقال:
«خذوا فكلوا، هذا هو جسدي».	«خذوا، هذا هو جسدي».	«هذا هو جسدي.	«هذا هو جسدي.
		يُبذل من اجلكم.	إنه من اجلكم.
		اصنعوا هذا	اعملوا هذا
		لذكري».	ذكرًا لي».
٢٧ ثم أخذ كأسًا	٢٣ ثم أخذ كأسًا	٢٠ وصنع مثل ذلك على الكأس	٢٥ وكذلك أخذ الكأس
		بعد العشاء	بعد العشاء
وشكر	وشكر		
وناولهم اياها	وناولهم،		
	فشربوا منها كلّهم.		
قائلاً:	٢٤ وقال لهم:	فقال:	وقال:
اشربوا منها كلّكم.			
٢٨ فهذا هو	«هذا هو	«هذه الكأس هي	«هذه الكأس هي
دمي،	دمي،		
دم العهد	دم العهد	العهد الجديد	العهد الجديد
		بدمي	بدمي
يُراق من اجل جماعة الناس	يُراق من اجل جماعة الناس.	الذي يُراق من اجلكم».	
لغفران الخطايا.			
			كلّما شربتم
			فاعملوه
			ذكرًا لي.
٢٩ اقول لكم:	٢٥ الحق اقول لكم:		٢٦ فانكم كلّما
لن أشرب بعد الآن	لن اشرب بعد الآن		أكلتم هذا الخبز
من عصير الكرمة هذا،	من عصير الكرمة،		وشربتم هذه الكأس
حتى ذلك اليوم الذي	حتى ذلك اليوم الذي		تخبرون بموت
فيه اشربه معكم جديدًا	فيه اشربه جديدًا		الرب
في ملكوت أبي».	في ملكوت أبي».		إلى ان يأتي».

صلوات مسيحية

الصلاة الربّية

متى ٦/٩-١٣

٩. أبانا الذي في السموات
ليقدّس اسمك
١٠. ليأت ملكوتك
ليكن ما تشاء
في الارض كما في السماء.
١١. ارزقنا اليوم خبز يومنا
١٢. وأعفنا مِمَّا علينا
فقد اعفينا نحن أيضًا من لنا عليه
١٣. ولا تعرّضنا للتجربة
بل نجّنا من الشّرير.

لو ١١/٢-٤

٢. ايها الآب
لُيقدّس اسمك
ليأت ملكوتك

٣. ارزقنا خبزنا كفاف يومنا
٤. وأعفنا من خطايانا
فإننا نعفي نحن أيضًا كلّ من لنا عليه
ولا تعرّضنا للتجربة.



ايقونة التجلّي.
اندره روبليف (١٤٠٥)

إن نصّ هذه الصلاة صعب أحيانًا. فكلمة «اليومي» في اليونانية فريدة في الأدب اليوناني، والعبارة في التجربة غامضة. نص متى ونص لوقا يختلفان. فالأمانة لفكر يسوع بدت، في نظر التلاميذ، أهمّ من النقل الحرفي لكلماته.

قارن بين هذين النصّين ولاحظ وجوه الائتلاف والاختلاف...

«ابانا الذي في السموات»: بماذا يوحي استعمال ضمير المتكلّم في صيغة الجمع؟ التقريب بين القُرب (أبانا) والسموّ (في السموات)؟ لا شك أن كلمة «ابانا» نقل لكلمة «أبًا» (بابا) العبرية التي تميّز موقف يسوع والمسيحيين (مر ١٤/٣٦ وروم ٨/١٥ وغل ٤/٦).

كيف «يقدّس» الله؟ راجع حز ٢٠/٤١ و٣٦/٢٠ ت.

«ليأت ملكوتك»: ماذا يُطلَب؟ راجع الصفحة ١٧٩.

ما هي مشيئة الله؟ راجع، على سبيل المثل، متى ١٨/١٤ و اف ١/٩ - ١٠ و١ طيم ٢/٤ ويو ٦/٣٩ - ٤٠...

ما هو المعنى الاجمالي لهذه الطلبات الثلاث (شعر لوقا بأنها طلب واحد)؟

الخبز. فيما يتعلّق بمختلف معاني كلمة «اليومي» اليونانية، راجع حواشي كتابك المقدس. ما هو هذا الخبز؟ الطعام الارضي فقط؟ خبز الملكوت أيضًا؟

الغفران: هذه ميزة اليهودي والمسيحي الجوهرية. بما أن الله غفر لنا، فلا نستطيع أن لا نغفر نحن أيضًا.

التجربة. لا يُطلَب ألاّ يمتحننا الله كما امتحن ابراهيم (تك ٢٢/١) او شعبه (تث ٨/٢)، بل ألاّ يوقعنا في تجربة تفوق قوانا.

أنظر الى **الإطار**: لماذا علّم يسوع هذه الصلاة، في نظر متى ولوقا؟ وما هو الموضوع المطروق بعدئذٍ في متى ٦/١٤ - ١٥ ولو ١١/٥ - ١٣؟

صلوات أخرى

حفظ لنا العهد الجديد عددًا كبيرًا من الصلوات. يمكنك ان تقرأها وتدرس هذه او تلك. اليك بعضها.

نشيد مريم: لو١/٤٦ - ٥٥
نشيد زكريا: لو٢/٦٨ - ٧٩
نشيد سمعان: لو٢/٢٩ - ٣٢
الصلاة الجماعية في رسل ٤/٢٣ - ٣١
أناشيد ألّفها بولس أو جمعها: فل ٢/٦ - ١١ وقول ١/١٢ - ٢٠ واف ١/٣ - ٩ و٣/٤ - ٢١ و١ طيم ٣/١٦ و٦/١٥ - ١٦ و٢ طيم ٢/٨ و٢/١١ - ١٣ وعب ١٣/٢٠ - ٢١...
النشيد في ١ بط ١/٣ - ٩
الهتافات الطقسية العديدة في سفر الرؤيا.

٨. الــرؤيــا



المسيح في جلاله.
الباب الملكي لكنيسة شارتر. فرنسا.
(القرن الثالث عشر)

ان سفر الرؤيا كتاب نار ودم على صورة عالمنا وهو يحيّرنا: كل شيء فيه يبدو غريبًا، من انشاء وصور ومنطق... أمام رسم غير تصويري، يجب ان لا نتساءل: ماذا يمثل هذا الرسم؟، بل بالأحرى: أيّ انطباع يولّد فينا؟ هذا الأمر يسري أيضًا على كتب الرؤى. ولكن لا بدّ من بعض الشروح للدخول فيه.

رؤيا

هذا الكتاب وكتاب دانيال هما كتابا الرؤى الوحيدان في الكتاب المقدس، مع ان هذا الفن الأدبي كان شائعًا جدًا في الدين اليهودي. راجع ميزاته الرئيسية في الجزء الاول، الصفحتان ٨٩ و ٩٠. اليك جوهر ما سبق لنا ان قلناه.

في أيام الأزمة، كان بعض الكتّاب يحاولون، للمحافظة على ايمان المؤمنين ورجائهم، ان يكشفوا عن آخر التاريخ وان يزيحوا الستار الذي يحجب آخر الأزمنة. وهذا الكشف هو في آنٍ واحد متشائم (عالمنا في قبضة الشر ولا أمل منه) ومتفائل للمستقبل (سينتصر الله في آخر الأمر ويعيد خلق العالم).

يستخدم الكاتب تِقنيّة قافز القفز الطويل، فيرجع في الزمن متظاهرًا بأنه شخصية شهيرة من شخصيات الماضي. ويستطيع هكذا أن «يتنبأ» بالمستقبل القريب (ما بين ذلك الزمن المفترَض وهذا الزمن الذي يعيش فيه) وبالمستقبل الأخير الذي تنقصه المعلومات عنه، مِمَّا يُجبره على استعمال صور مبهمة! وبفضل ذلك الرجوع في الزمن، يمكّن نفسه ان يكتشف طريقة الله العادية في تسيير التاريخ وأن يستخلص من ذلك قوانين كبرى يستخدمها لتصوُّر المستقبل.

وضع كاتب الرؤيا كتابه في حوالى السنوات ٩٥ — ١٠٠ وتظاهر بأنه كتبه في حوالى السنة ٦٠.

كتاب نبوّة

لأن الكتاب رؤيا مسيحية، فإن فنّه الأدبي قد تغيَّر تغيّرًا عميقًا. يعترف المسيحي بأن يسوع هو المشيح، فقد حان اذًا، بمجيء يسوع، آخِرُ التاريخ، اذ إنه مفتاح تفسير العالم. ولذلك، فإن هذا الكتاب كتاب نبوّة. وان استخدم اساليب كتب الرؤى.

والكاتب لا يستتر تحت اسم مستعار، بل يسمي نفسه: يوحنا، ويحدّد مكان إقامته: في بطمس. ويعرّف عن نفسه بأنه شاهد المسيح الحيّ.

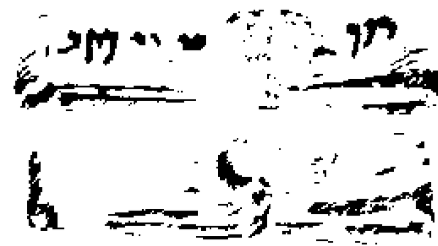
انه، على ما يبدو، متشائم في امر الحاضر، وينتظر ان يجدّد خلق عالمنا القديم، في آخِر الازمنة. ولكن المسيحي لا يسعه ان يكون إلاَّ متفائلاً، لعلمه بأن المسيح قد انتصر وبأنه يعمل في العالم. وعليه فإنه يحاول، على مثال الأنبياء، ان يفسّر التاريخ الحاضر وان يكتشف فيه المعنى المخفيّ.

ليترجية

ان العبادة هي المكان الذي نلتقي فيه منذ الآن بالمسيح كما سيكون في النهاية. فالاسرار تجعله حاضرًا منذ الآن في حياتنا اليومية. والليترجية تعلن هذا اليقين السارّ وتحتفل به. وسنرى أن الكاتب ينطلق من الليترجية اليهودية للتعبير عن رسالته وهي رسالة رجاء.

الكاتب

هل هو الذي كتب الانجيل الرابع؟ هناك أسباب متعادلة (انشاء وتفكير) للإجابة عن هذا السؤال ايجابيًا او سلبيًا! يمكننا ان نسلّم بالتقليد وهو يطابق بينهما، ولكن المسألة ثانوية في آخِر الأمر.



رسائل مختومة مخطوطة بردية في الفنتين (مصر حوالى السنة ٤٠٠ ق.م.)

قراءة اجمالية

لماذا لا تبدأ بقراءة هذا الكتاب دفعة واحدة ؟ هناك فقرات عديدة قد تبدو لك غامضة ، لا بأس . حين تزور صالة عرض لوحات ، كثيرًا ما تجد نفسك في حيرة واعجاب في الوقت نفسه : قد يفوتك معنى كثير من التفاصيل ، إلاّ انك إن «سكنتَ» تلك اللوحات ، ادخلتك في سرّها . هذا شأن سفر الرؤيا .

اليك مع ذلك بعض التعليمات التي من شأنها ان تُرشدك . بعضها أكيد ، كتقسيم الكتاب الى ثلاثة اقسام كبرى ، وبعضها الآخر أقلّ ثباتًا ، كالعناوين او تنظيم القسم الاوسط . فاستعملها إن وجدتَ فيها فائدة ، ولكن لا تعدّ واجبًا عليك ان تقبلها جميعًا !

يظهر الكتاب في وضعه الحالي بمظهر تأمّل في الكنيسة : ترتبط حياتها بالله سيّد التاريخ ، وبيسوع الشاهد الأمين ، وبالروح القدس الذي يصلّي عَبرَها .

١. الكنيسة المتجسّدة : ١ – ٣

بعد مقدّمة وجيزة (١/١ – ٣) ، يوجّه يوحنا كلامه الى سبع كنائس في آسية . رقم سبعة رقم رمزي يدل على الكل . فهو اذًا يوجه كلامه الى الكنيسة ، كما هي متجسّدة عمليًا في جماعات ، بما فيها من نقائص وفضائل ، لا الى كنيسة مثالية يُحلَم بها ، بل الى كنيسة بشرية كما نعرفها ، بما فيها من مخاوف وخطايا ورغبة فاترة في خدمة الرب .

وتدلّ رؤيا ابن الانسان (١/٩ – ٢٠) دلالة واضحة على ان حياة الكنيسة تجري في حضرة المسيح الممجّد (١/٢٠) .

هذه الفصول قريبة الى الفهم وهي أساسية ، وبفضلها الى حدٍ ما تنجو سائر الفصول من الوقوع في الإنشاء المجرّد ، فتصبح صالحة لفائدتنا .

٢. الكنيسة الملتزمة : ٤ – ٢٠

هنا تبدأ الرؤيا بحصر المعنى... وصعوباتها !

نرى الكنيسة تناضل وتتخبّط في وسط مشاكل زمنها وكل الأزمنة . وهذه المشاكل من نوعَين : علاقات الكنيسة باليهودية (٤ – ١١) ومجابهة الدول المستبدّة (١٢ – ٢٠) .

آ) الكنيسة واسرائيل : ٤ – ١١

ما هي صلـة الكنيسة التي تعدّ نفسها «اسرائيل الجديد» وشعب الله الحقيقي باليهودية التي تقاومها ؟ يجيب يوحنا : ان الكنيسة هي «بقيّة» اسرائيل والذين هم أمناء لله بإيمانهم بيسوع ، ولكنها شعب ينفتح على جميع الأمم .

ليترجية سماوية : ٤ – ٥

تبتدئ هذه الوحدة الاجمالية برؤيا عظيمة لله ، سيّد التاريخ والمالك في وسط الكون ، وللروح القدس (٤) . أمّا الحَمَل ، المسيح المذبوح والحيّ ، فهو الأهل لفتح أسفار العهد القديم السبعة والمختوم كلّ واحد منها بختم (٥) .

الاحداث كما تُرى من «السماء» : ١/٦ – ١/٨

ان رؤيا الخُتم السبعة تفيدنا عمّا للأحداث التي ستُروى من معنى مخفيّ و«سماوي» .

يمكنك ان تتوقّف عند رؤيا شعب الله هذه في آخِر الازمنة . إنه مؤلّف من مختارين أتوا من أُفقين مختلفَين :

- اتى بعضهم من اليهودية (١/٧ – ٨) ، ويبلغ عددهم ١٤٤٠٠٠ ، وليس هذا عددًا زهيدًا محدودًا كما تظنّ بعض الشيَع ، بل بالعكس عددًا كبيرًا لا يُحصى . رقم ١٢ هو رقم اسرائيل (بسبب الاسباط ١٢) . والحال أن عدد المختارين = ١٢ × ١٢ × ١٠٠٠ !
- وأتى بعضهم الآخر من الوثنية (٩/٧ – ١٧) . يتخلّى يوحنا هنا عن اللغة الرمزية فيقول إنهم جمع كبير لا يُحصى .

«اسرار» القرون الوسطى

ان «الاسرار» هي الاسم الذي كان يُطلق على التمثيليات التي كانت تمثَّل على ابواب الكنائس في بعض بلدان أوروبا . في هذه التمثيليات ، لم يكن هناك «تبديل في المناظر» . فكان المشاهدون يرون ، في آنٍ واحد ، من جهة الاحداث الارضية ، ومن جهة أخرى البلاط السماوي يدين هذه الاحداث .

يبدو ان يوحنا استخدم هذا الاسلوب . فهو يعرض حدثًا من الاحداث بشكل تصويري ، ثم يعرض معناه غير المنظور بالنسبة الى الايمان . فالاحداث التي يوحي بها فضّ الخُتم السبعة (٦ – ٧) تليها احداث أخرى سبَّبها النفخ المتعاقب في الابواق السبعة (٨ – ١١) . لسنا امام وقائع تُجمع ، بل امام الوَجهين المنظور والمحجوب للأحداث نفسها .

الأحداث التي تجري على الارض: ٨/٦ – ١١/١٩

ان النفخ سبع مرّات في الابواق، الذي يُنذر بالشرّ، لا يُجمع مع ما يسبقه، بل إنه يرينا وجهه الأرضي. تُرجم ذلك الانتقال من اسرائيل الى الكنيسة بالكارثة الهائلة التي حلّت باورشليم في السنة ٧٠: أُلقي اسرائيل الى الخارج وداسه الوثنيون (١١/١ – ٢). لكن الكنيسة حلّت محلّ شاهدَي العهد القديم اللامعَين، موسى وايليا (١١/٦)، ولا سيّما يسوع (١١/٧ – ١٢)، فحملت الرسالة الى أقاصي العالم.

وحدثُ الكتاب الصغير الذي ابتُلع (١٠) يستبق هنا ما سيكرَّر في الفصل ١٤.

ب) **الكنيسة والدول المستبدّة: ١٢ – ٢٠**

ان رؤيا المرأة والتنين (١٢/١ – ٦) نقطة تحوّل، وتفيدنا عن جوهر ما سيكون: الكنيسة تلد المشيح على الجلجلة، ويسوع يمجَّد والشيطان يُغلب. فيحاول الشيطان ان يضرّ بالكنيسة، لكن الله يحميها. والرؤى التالية تتوسّع في هذه النظرة الاجمالية.

القوى المتواجهة: ١٢/٧ – ١٤/٥

وفي هذا أيضًا عرض سابق للصراع ورهانه المخفي: في «السماء»، ميخائيل يغلب التنين، اي ان الله ينتصر على الشرّ ١٢/٧ – ١٨).

يُترجم ذلك عمليًا على الارض بالصراع بين القوى التي يتزعّمها الشيطان ومؤمني الحَمَل. تمثّل القوى الشريرة بالوحشَين: وحش البحر (١٣/١ – ١٠) وهو رمز الدول المستبدّة (رومة في ذلك الزمان)، ووحش البرّ الذي ائتمر بأمره (١٣/١١ – ١٨) وهو رمز العقائديات التي في خدمة الدول المستبدّة. وأمامها الحَمَل والذين يتبعونه (١٤/١ – ٥).

الانذار بالدينونة: ١٤/٦ – ١٩/١٠

تتمّ الدينونة على اربع مراحل.

• تُعلن أولاً «بشارة الدينونة» (١٤/٦ – ١٣). هذه الفقرة عودة الى الفصل العاشر الذي يُعرض فيه «الكتاب الصغير»، اي الانجيل. وما هي الدينونة إلاّ خراب بابل، اي رومة وجميع الدول المستبدّة، والراحة للمؤمنين.

• لكنّ انتصار المؤمنين يمرّ بالآلام: فالشهداء هم الأعناب التي تُداس في معصرة الانتقام (١٤/١٤ – ٢٠). ومع ذلك فالنصر أكيد ويجوز الاحتفال به (١٥).

• خراب الدول المستبدّة (١٦ – ١٧) الممثّلة ببابل، البغيّ الكبرى.

• هناك نشيدان يحتفلان بالنتيجة: البكاء على بابل (١٨) ونشيد ظفر المختارين (١٩/١ – ١٠).

يُعرَض هنا أيضًا **الانتصار الأخير الذي يحرزه المشيح** (١٩/١١ – ٢٠/١٥) على صعيدين:

• في «السماء» يظهر المسيح، وثوبه أحمر، لا من دم الاعداء، بل من دمه هو (راجع الجزء الاول، الصفحة ١٠٤: «مزامير اللعنة»).

• على الارض: «الألف سنة» من تاريخ الكنيسة.

٣. **الكنيسة المتحوّلة: ٢١ – ٢٢**

بعد فصول النار والدم هذه، تُدخلنا الخاتمة، كالمقطوعة الموسيقية الجوقية في ختام نشيد فرح، في سلام الفردوس، فردوس سفر التكوين نفسه، لكن يوحنا يقول لنا إنه ليس حنينًا الى عصرٍ ذهبي مفقود، بل رجاء أمامنا.

الكنيسة تنزل من السماء. وهذا يعني أنها، في آنٍ واحد، تلك الكنيسة الارضية التي نعيش فيها، وتلك الكنيسة التي اعاد الله صنعها. وفقًا للرؤيا الكبرى التي يُفتتح بها سفر التكوين، تصبح هذه الكنيسة، بعد ان يعيد الله خلقها، ملكوت الله حقًا، تصبح تلك المدينةَ التي يقيم فيها سكناه مع الحَمَل، تصبح ملكوتًا كونيًّا تشعر جميع الشعوب فيه بأنها في بيتها ويكون الله فيها كلاً في الكلّ.

لكن ليس كل ذلك الى اليوم سوى «رؤيا»: في آنٍ واحد ما تعيشه الكنيسة بغموض منذ الآن في حياتها اليومية، وما تسير اليه ويجب عليها ان تعزّزه. ولذلك فالروح القدس لا يزال يُلهم صلاتها: «أجل! تعالَ ايها الرب يسوع»!

رمزية الارقام

سبعة = الرقم التام، الكمال.

ثلاثة ونصف (نصف سبعة) = النقص والعذاب وزمن المحنة والاضطهاد. إنتبه! فإن ثلاثة ونصف قد يظهر بأشكال عديدة، لكن قيمته الرمزية لا تتغيّر. وهكذا فـ٣ ١/٢ او «زمن وزمنان ونصف زمن» (١ + ٢ + ١/٢) او ثلاث سنين ونصف، يرادف معناها ثلاثة أيام ونصف او ٤٢ شهرًا او ١٢٦٠ يومًا!

اثنا عشر = اسرائيل (بسبب الاسباط الاثني عشر)

اربعة = العالم (الجهات الاربع)

ألف = كميّة لا تُحصى.

بعض النصوص من سفر الرؤيا

◄ **رسائل الى الكنائس : ١ – ٣**

هذه الرسائل مبنيّة جميعها على تصميم واحد :

• توجيه الرسالة (اسم الكنيسة).

• يُدلّ على المسيح الذي يرسلها بصورة مأخوذة من الرؤيا الواردة في مطلع الكتاب (١/٩ – ٢٠).

• فحص ضمير يقيّم الاخطاء والفضائل ويدعو الى التوبة.

• لازمة تختتم كلّ رسالة : ذلك ما يقول الروح للكنائس ، وعطية يوعد بها الغالب ، وهي عطية يُعاد اليها في الرؤيا الختامية (٢١ – ٢٢).

حاول ، وانت تقرأ هذه الرسائل ، ان تبحث عن تلك البنية. ثم يمكنك ان تدرس بالتفاصيل احدى الرسائل ، او ان تستفيد من المجموعة ، متوقّفًا عند هذين الوجهَين :

ان الوضع الواقع لكنيسة من الكنائس هو المكان الذي تعيش فيه ايمانها. فكثيرًا ما يشير الى ميزة ملموسة من ميزات المدينة (ففي اللاذقية مثلاً كانت هناك مدرسة طب تصنع مرهمًا للعيون) او الى حدث أثّر فيها (فإن سرديس مثلاً استولى عليها عدّة مرّات عدو «أتى كالسارق»). راجع حواشي كتابك المقدس. فالوضع الواقع هو «علامة ازمنة» لا بدّ للجماعة من تفسيرها.

مجيء المسيح في العبادة. اعد قراءة مختلف العطايا الموهوبة للغالب (خاتمة كل رسالة). ان وضعتها في إطار المؤلّفات اليهودية والمسيحية ، اكتشفت أن معظمها يشير الى الأسرار. فالملابس البيض (٣/٥) والاكليل (٢/١٠ و٣/١١) والاسم الجديد (٢/١٧) تذكّرنا بالمعمودية ، كما أن المنّ (٢/١٧) وثمار شجرة الحياة (٢/٧) والعشاء (٣/٢٠) تذكّرنا بالافخارستيا.

يمكنك أيضًا ان تبحث عن الصلة بين هذه العطايا والعودة اليها في الفصلين ٢١ – ٢٢. ستجد في ذلك بعض الائتلافات ، واختلافًا أيضًا : فالرسائل تشير الى احتفالات طقسية منظّمة تقوم بها الجماعات ، وأمّا رؤ ٢٢ فهو يشير خاصةً الى العشاء الأخير ، الى الفصح الأخير ، الى الفصح الذي يأتي فيه المسيح نهائيًا كديّان ومخلّص. ولكننا في العبادة مدعوّون منذ اليوم الى مائدة ذلك الرب وفيها يسلم نفسه الينا.


اعادة وضع تصميم مذبح زفس في برغامس (القرن الثالث ق.م.)

◄ **الشكر الكبير : ٤ – ٥**

إقرأ بانتباه هذا النص ، فهو من اجمل نصوص الكتاب. من هم الممثّلون ؟ ماذا يعملون ؟ ما هي الصلة التي تربط بهم ؟ ما هي الأماكن ؟

ستجد في المراجع الى العهد القديم وفي حواشي كتابك المقدس ما يساعدك على اكتشاف معنى بعض الصور ، اليك أهمّها : ان الشيوخ ، وهم المسؤولون عن شعب الله ، يؤلّفون نوعًا من «مشيخة» تحيط بالله ويذكّرون بالشيوخ المحيطين بالاسقف في الليترجية. أمّا الحيوانات الأربعة فهي تمثّل العالم المخلوق بآفاقه الاربعة ، وتكون بمثابة عرش الله. والمصابيح السبعة تعني على الارجح الروح القدس. والكتاب هو العهد القديم الذي يبقى مختومًا وغير مفهوم ، ما لم يفتحه يسوع.

إبحث عن أناشيد التسبيح. من الذي يسبّحونه ؟ لماذا ؟ انتبه الى المفارقة التي تعبّر تعبيرًا صالحًا عن سر المسيح : يُعلَن عن وصول أسد ، فيظهر حمل كأنه ذبيح (٥/٥ – ٦).

ما هي الصلة بين السماء والارض ؟ بين الله / الحَمَل / الروح القدس والكون / البشرية ؟

لا شك أننا هنا في منتصف الطريق بين الليترجية اليهودية وصلوات الشكر المسيحية.

كانت رتبة الصباح في الليترجية اليهودية تتضمّن ثلاث بركات كبرى تحيط بتلاوة الـ «شِمَع» الذي هو بمثابة قانون الايمان عندنا. كانت البركة الأولى تكرّم الله بصفته خالقًا ، وكانت الجماعة تضمّ صوتها الى صوت الملائكة في نشيدهم : قدّوس٢٢٣(راجع مقتطفًا منها في الصفحة ٢٢٣). وكانت البركة الثانية تشكر الله على المحبة التي أظهرها لشعبه فأعطاها الشريعة (انظر الى بعض المقتطفات في الجزء الاول ، الصفحة ١٠٠). وبعد تلاوة الـ «شِمَع» (راجع الجزء الاول ، الصفحة ٥٧) ، كانت البركة الثالثة تسبّح الله على الافتداء الذي أتى به فيما مضى عند الخروج من مصر ، وهو عربون الافتداء الذي سيجريه أيضًا في المستقبل.

تجري ليترجية رؤ ٤ – ٥ على الوجه نفسه. حاول ان تكتشف عناصرها : التسبيح لله الخالق ، وللمسيح فاتح كتاب الشريعة والذي يمكّننا من ادراك معناه ، ولحَمَل الخروج الذي يقوم بالخروج النهائي ويجعل من شعبه مملكة كهنة يقرّبون تسبيح العالم.

صلوات الشكر المسيحية. يمكنك ان تعود الى صلوات الشكر المستعملة في كنيستك : هل تجد فيها العناصر نفسها ؟

◄ المرأة الملتحفة بالكواكب : ١/١٢ – ٦

ان الفصل الثاني عشر هو بمثابة موجز للكتاب كله. من المهمّ أن نعرف من هم الممثّلون.

- من هو التنّين؟ راجع ٩/١٢.
- من هو الولد؟ ان النص المستشهد به في الآية ٥ يوضّح لك الجواب. على اي حدث من احداث حياة يسوع يطبّق هذا المزمور، في العهد الجديد؟ (راجع الجزء الاول، الصفحة ١٠٢).
- من هي المرأة؟ قبل الاجابة، فكّر في ما وجدته الآن في شأن الولد. ثم أعِد قراءة اش ١/٥٤ و٧/٦٦ ويو ٢١/١٦ – ٢٢. (راجع الصفحة ٢١١ والجزء الاول، الصفحة ٩٠: «بنت صهيون»).
- ما هو مصير هذه المرأة (١٣/١٢ – ١٤)؟ بماذا تذكّر البادية؟ (في ما يتعلق برمزية الارقام، راجع الصفحة ٢٢١).

لا شك اننا هنا امام موجز لسرّ الفصح ولوضع الكنيسة في الخروج الى آخِر الازمنة. أتستطيع ان توضّح ذلك؟ ايّ معنى يضفي ذلك على الحياة المسيحية؟

«مبارك أنت، ايها الرب إلهنا، ملك الكون، انت الذي يجبل النور ويخلق الظلام، انت الذي يصنع السلام ويخلق جميع الاشياء، انت الذي برحمته يهب النور للأرض ولجميع الساكنين فيها، والذي برأفته يجدّد الخليقة كل يوم وبدون انقطاع. ما اكثر اعمالك، يا رب! بحكمتك صنعتها جميعها... مبارك انت، ايها الرب الهنا، في السموات فوقُ وعلى الارض تحتُ. مبارك انت صخرتنا وملكنا وفادينا، خالق الكائنات المقدسة. سبحان اسمك للأبد، خالق الأرواح التي تخدمه. جميع هذه الارواح التي تخدمه تقيم في اعالي الكون، وتعلن بأعلى صوتها اقوال الله الحيّ السرمدي، جميعها محبوبة طاهرة قديرة، جميعها تعمل مرتعدة بمشيئة معلّمها، جميعها تسبّح وتمجّد وتقدّس الملك الاكبر... في فرح الروح وسكوته وبلغةٍ نقية وعلى لحن مقدّس، جميعها تتجاوب باتّحاد النغمات وفي الرهبة وتقول بهيبة: قدوس، قدوس، قدوس، ربّ الصباؤوت، الارض كلّها مملوءة من مجده... والأقانيم والأحياء القديسون، بصوت مياهٍ غزيرة، يرتفع بعضهم امام البعض، ويسبّحون ويقولون: مبارك مجد الرب ومكانه».

(بركة الليترجية اليهودية (يوتزر)

◄ الكنيسة المحوّلة : ٢١ – ٢٢

هذان الفصلان رائعان. لماذا لا تقرأهما أولاً لمجرّد التمتّع بهما. لكي تتذوّق ما فيهما من الهام شعري وعمق ديني؟

تتقدّم خطوة ونرى كيف ان هذين الفصلين يفيدان بأن كل انتظار العهد القديم سيحقَّق يومًا وبأن ذلك في طريق التحقيق. في نهاية هذا المطاف في صفحات الكتاب المقدس، قد يكون ذلك محكًّا لمعرفة الكتب المقدسة التي حصلتَ عليها! إنّ في هوامش كتابك المقدس من مراجع كثيرة ما قد يبرّد همّتك... فالأولى ان تختار بعض المواضيع المفضّلة.

- الخلق الثاني للعالم يشبه الخلق الأول، ولكن بدون الحيَّة والخطيئة! فانتبه، وانت تقرأ تك ٢ – ٣، ما تكرّر وما أُبطل (تك ٩/٢ و٩/٣).

- الخلق الثاني للعالم يحقّق ما أنبأ به انبياء الجلاء من خلق جديد: راجع اش ١٧/٦٥ و١٩ و٢٢/٦٦... في هذا الخلق الجديد للعالم لا مكان للموت والصراخ والدموع، بعد ان أُبطلت اللعنة الوارد ذكرها في سفر التكوين: راجع اش ٨/٢٥ و١٠/٣٥ و٢/٤٠ وتك ٢/٣. ويُعبَّر عن ذلك أيضًا بزوال البحر، وهو مأوى قوى الشر (اي ١٢/٧).

- هذه المدينة المقدسة هي في اتّصال بالكنيسة الارضية (اورشليم) والكون، ولكن بعد ان يُخلقا مرّة ثانية (نازلة من السماء). انها بيت الله عند الناس، كما ورد في ٢ صم ١٤/٧ واش ١٤/٧ وحز ٢٧/٣٧ واح ١١/٢٦ – ١٢... إنّها عروس الله الساطعة بنوره: اش ١/٥٢ و٦٠ و١٠/٦١... وصف أشعيا اسوار هذه المدينة (اش ١١/٥٤) واعاد حزقيال بناء هيكلها (حز ٤٠). ولكن هذه المدينة ذات الأبواب الاثني عشر (بعدد الرسل أركان الكنيسة المؤسّسة على المسيح وحده ١ قور ١ قور ١١/٣) لم يعد فيها هيكل، لأن الله كلٌّ في الكلّ.

- وهذا الفردوس الجديد موضوع أمامنا كعمل نقوم به وكهديّة نتالها من الله، يسقيه ينبوع ماء حيّ ينبثق من جنب الحمل الذبيح. وهذا الينبوع يسمّى الروح القدس. راجع حز ١/٤٧ – ١٢ وزك ١/١٣ – ٣ ويو ٣٤/١٩ (الصفحة ٢١١).

وكل ذلك حاضر منذ الآن بصلاة الكنيسة والروح القدس، ويعطى منذ الآن للغالب في الاسرار.

المسيح في سفر الرؤيا



أحد . . .

حين انفتحت السماء ، رأى يوحنا عرشًا ، «وعلى العرش جالسٌ» . . . اسم فاعل غير مسمًّى ، اذ ان الله لا يُسمَّى . بإمكانه وحده ان يجلس على الخليقة كعلى عرش ، لأنّه الخالق . وأمامه تحوَّل الكون ذو الآفاق الاربعة ، الذي تكلّم عليه حزقيال ، الى الساروفيم الوارد ذكرهم في أشعيا ، للهتاف بتسبيحه . لا بل انه إله جميع أنواع الخروج : «إنه كائن وكان ويأتي» (٤/١) . كنّا نتوقّع «ويكون» . لكنّ «يأتي» يُدخله في التاريخ . إنه الذي يسير معنا بكل «المجيئات» التي يتكلّم عليها الكتاب المقدس . وأخيرًا فبابنه أتى الينا .

المسيح

«الحَمَل كأنه ذبيح» . هذه العبارة تكاد تكون اسم عَلَم يسوع ، فإنها موجز لسرّه . فالحَمَل هو ذلك الرجل ، يسوع الناصري ، الذي يحمل آثارًا ، أصبحت مجيدة ، لصراعه على الصليب ، والذي يرتدي رداءً مخضَّبًا بالدم الذي أراقه (١٩/١٣) . لكنه منتصب ، كما جعلته القيامة ، وممجَّد في قلب الله الذي يشاركه العرش . والروح ذو الشُعَل السبع ، وهو اشعاع حياة الله ، أصبح ذلك النور الذي يستنير به باطنيًا ، وبأعينه السبع يمكّنه ان يرى جميع الأشياء في نور الله (٥/٦) . ان الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس رجل يذهب الى مجده بكل البشرية التي تكرّمه – من مختاري اسرائيل الى جمهور الوثنيين – وبالكون الذي يحيط به بهالة من المجد .

إنّه حَمَل الفصح الذي حققت ذبيحته الماضية ، عند الخروج من مصر ، خلاص الشعب ، والذي ثبَّت دمُه العهد . وهذا الحَمَل ، الذي تتأمّله من خلال ما ورد عن الخروج الجديد الذي أشاد به أشعيا ، هو العبد المتألّم الذي تكلّم عليه أشعيا ٥٣ ، والذي أصبح موته المقرَّب الى الله نورًا وعهدًا لجميع الشعوب . وفيه تستطيع البشرية أخيرًا ان تصير ذلك الشعب الكهنوتي الذي يعطي معنى للعالم كلّه ، دافعًا به في تسبيحه الى الله الذي يخلّصه .

لكن هذا الحَمَل ، يا للعجب ، يصبح راعيًا ، ذلك الراعي الذي ورد ذكره في حزقيال (٣٤/٢٣) ، والذي ليس هو سوى الله الذي يرعى قطيعه بكل محبّة (رؤ ٧/١٦ – ١٧) .

«ابن الانسان» : هكذا ظهر يسوع ليوحنا في رؤياه الأولى (١/١٢ – ٢٠) . ذلك الكائن الخفيّ الذي بشّر به دانيال (٧) والذي كانوا يتوقّعون ان يأتي في آخِر الازمنة ، ها هوذا : ان يسوع هو ، في آنٍ واحد ، كاهن ابيض الرداء وملك ذهبيّ الزنّار . شعره الأبيض يوحي بشبابه السرمدي ، وصوته قويّ ولا يفوت عينيه شيء ، فانهما شعلتان متّقدتان تنفذان الى اعماق القلوب . في فمه ، كلمة الله هي السيف الحادّ الذي يفصل بين الخير والشرّ .

إنه كالله ، الأول والآخر ، الألِف والياء . ادخلَته قيامته في الحياة الحقيقية . وهذا الحيّ في يده منذ الآن مفاتيح مثوى الأموات : خلع ابواب هذا المثوى ، فأصبحت الحياة المسيحية انتظارًا للحياة الحقيقية .

«الشاهد الأمين» : هكذا رآه أشعيا الثاني . في استطاعة يسوع ان يكون هذا الشاهد ، لأنه دخل في سرّ الله . فيه نعرف الله غير المنظور . ان الذي لا يُعرف اتّخذ وجهًا بشريًا ، واصبح جماله ينعكس منذ الآن على كل وجه بشري ، لأن التلميذ الذي يسير وراءه لا بدّ ان يشهد له في العالم . في نظر أشعيا الثاني ، شهادة الشهيد هي بالكلام اكثر منها بالموت .

يسوع هو «الرفيق الأمين» الذي يقرع بابنا ليدعو نفسه الى العشاء معنا ، وليدعونا الى الجلوس معه على عرشه (٣/١٤ و٢١) .

الروح القدس

ان الروح القدس هو الشعلة ذات الاشكال السبعة التي تشتعل على الدوام امام ايقونة الله ، وهو نظر المسيح ذي الاعين السبع . ولذلك فإنه ، قبل كل شيء ، ذلك الذي يقول لنا اقوال المسيح . كل رسالة من الرسائل التي أرسلها المسيح تنتهي بهذه العبارة : «هذا ما يقول الروح (١ – ٣) ! انه يدعو كالأم الى الراحة (١٤/١٣) . وهو بنوع خاص يحفظ الكنيسة في الأمانة للمسيح : إنه المحبّة التي تهمس في قلب العروس الكلمات التي يجب ان تقولها : «اجل ، تعالَ ايها الرب يسوع . . .» .

«كما ورد في الكتب»

في اثناء قراءتنا للعهد الجديد، كثيرًا ما استشهدنا بالكتب المقدسة، بما أصبح العهد القديم بالنسبة إلينا. وما سبق لنا ان قلناه في ختام الجزء الاول (يحسن بنا ان نعيد قراءة الصفحات ١٠٩ - ١١١)، يبدو لنا الآن واضحًا: كانت الكتب المقدسة البيئة الثقافية والدينية التي كان المسيحيون الأولون واليهود يعيشون فيها. فهي تساعدنا اليوم على الدخول في عالمهم الرمزي وعلى اكتشاف ما كانت توحي به اليهم عبارات تبدو مبتذلة لأول وهلة كـ «اليوم الثالث»، او أمور يومية كـ «الراعي والكرمة».

وهذه الكتب المقدّسة تعبّر، على وجه أعمق، عن وعد الله وعن انتظار الانسان. ان يسوع لا معنى له، بالنسبة الى التلاميذ وبالنسبة الينا، إلاّ إن حدّدنا وضعه من ذلك الوعد وعددناه جوابًا إلى ذلك الانتظار.

ولكي نزداد يقينًا من ذلك، ان لزم الأمر، سنعود باختصار الى بعض النصوص التي سبق لنا ان رأيناها والى درس نص آخر.

كلمات مُثقلة بالمعاني

عندنا جميعًا كلمات تحمل، نظرًا الى تربيتنا ومطالعاتنا والى احداث معيّنة من حياتنا، معنى خاصًّا بنا لا يشعر به عفوًا من لم يعش الاختبار الذي عشناه.

كان اليهود والمسيحيون الأولون يألفون الكتب المقدسة، فكانت بعض الكلمات تعني لهم ما لا نشعر به اليوم إلاّ بمشقّة، علمًا بأن أفضل الترجمات التي بين أيدينا لا توحي لنا دائمًا بما كانت تعنيه تلك الكلمات. اليك مثلين:

يبدأ لوقا روايته للصعود الى اورشليم على الوجه التالي: «ولمّا حانت أيّام ارتفاعه، عزم على الاتّجاه الى اورشليم» (لو ٩/٥١). لا شك ان فعل «عَزَمَ» يوحي لنا بتصميم يسوع وحزمه ويوجّه تفكيرنا نحو شرح نفساني. ومن حسن الحظ أن بعض الترجمات تفيدنا في حاشية بأن المعنى الحرفي هو: «قسّى وجهه للسير في طريق...» (اش ٥٠/٧). نجد هذه العبارة الغريبة في نشيد العبد في سفر أشعيا. كانوا يضطهدون العبد ويبصقون في وجهه وينتفون لحيته، ومع كل ذلك فقد «جعل وجهه كالصوّان» لئلاّ يستسلم، لأن الرب اغاثه. وعليه، فان فعل «عزم» في لوقا يتخذ معنى آخر، لاهوتيًا لا نفسانيًا. لا يهتمّ لوقا بـ «حالات يسوع النفسية». ولكنه يعبّر عن تيقّن يسوع من أنه العبد الذي ورد ذكره في أشعيا وأنه مسؤول عن تلك الرسالة وأنه لن يستسلم للعذاب، لأن الربّ يغيثه.

وفي المقدمة لرواية الآلام، يضع متى على لسان يسوع إنباءه بموته القريب، ثم يضيف: «واجتمع حينئذٍ عظماء الكهنة وشيوخ الشعب في دار عظيم الكهنة...» (متى ٢٦/٣). نظن اننا نقرأ محضر الاجتماع. ولكنّ بعض الترجمات تضع هنا في الهامش اربعة مراجع: الأوّل (يو ١١/٤٧-٥٣) يحيلنا الى الرواية المفصّلة في انجيل يوحنا. والمراجع الثلاثة الأخرى (مز ٢/١-٢ ورسل ٤/٢٥-٢٧ ومز ٣١/١٤) تبدو غريبة. ففي ثلاثتها نجد فعل «اجتمع»، ونلاحظ من جهة أخرى أن سائر الانجيليين لا يستعملون هذه الكلمة في رواية الآلام (ما عدا لو ٢٢/٦٦ في صيغة المفرد)، وان متى يستعملها أيضًا في ٢٦/٥٧ و٢٧/٦٢ و٢٨/١٢ للدلالة على «تآمر» (اجتماع عظماء الكهنة على يسوع. ونجدها في رسل ٤/٢٥ - ٢٧ حيث يُستشهد بالمزمور ٢). فكل ذلك يحملنا على الاعتقاد بأن متى اراد هو أيضًا، باختيار هذا الفعل، ان يشير الى المزمور نفسه. واذا صحّ هذا، فقد اتّضح بذلك كل معنى الآلام.

لمّا باشر متى روايته للآلام، شعر بهذه الصعوبة: مراده ان يروي آلام المسيح، ولكن كيف يستطيع قرّاؤه ان يتبعوه؟ ان كان يسوع حقًّا ذلك المسيح المنتظر، فكيف رفضه المسؤولون اليهود الذين أقامهم الله ليعرفوا هذا المسيح متى جاء؟ متى يقول أن هؤلاء المسؤولين «اجتمعوا»، كما اجتمع الاعداء (في المزمور ٢) على الله وعلى مسيحه. فكأنه يصرّح بأنهم رفضوه لأنهم كانوا اولئك «الاشرار» الذين يتكلّم عليهم المزمور ٢ (والمزمور ٣١). فيسوع هو المشيح اذًا. وان طبّق على نفسه المقطع الاول من المزمور - تآمر (اجتماع) الاعداء عليه - فلا شك أنه سيحقّق سائر المقاطع، اي ان الله سيتدخل ليقيم مسيحه يسوع ربًّا على العالم كله.

حقيقتان مُثقلتان بالمعاني

قد يكون شخص من اشخاص الماضي او حدث من احداثه مثقلاً بالمعاني فيعبّر عن شيء من الواقع الذي نعيشه اليوم. يقال مثلاً عن ولد: انه صورة أبيه! او يقال أيضًا: «سبق السيف العذل» للدلالة على فوات الأوان.

وكذلك فان المسيحيين الأولين قد اكتشفوا في تاريخهم الماضي اشخاصًا (موسى وداود وايليا...) او احداثًا (الخروج، والتحرّر من عبودية الجلاء...) من شأنها ان تضفي معنى على ما يعيشونه. ولكن طريقتهم اشدّ عمقًا وتعقّدًا من طريقتنا. نحن نرى في الاشخاص والاحداث مجرّد صور. أمّا في نظرهم، فهي تحمل معنًى ورجاءً، كأنّها تعني او تعيش مسبقًا ما لا يظهر في الحقيقة إلاّ في آخر الازمنة او في يسوع المسيح. ليست امثلة، بل تصاميم (راجع الجزء الاول، الصفحة ١١١).

لا يمكننا مع الأسف ان نتوسّع هنا في هذا الوجه الهام. سيكون لنا مثل على ذلك في درس البشارة لمريم: يصوّر لوقا مريم بصورة بنت صهيون ويصوّر يسوع بصورة ابن داود. وكنا نودّ لو رأينا (او رأينا مرة ثانية) كيف ان يسوع يصوَّر بصورة آدم الجديد (روم ٥/١٢ ت ولو ٣/٣٨، وراجع الصفحة ١٩٦)، وبصورة موسى الجديد (راجع الصفحتين ١٨٦ و١٩٠) وايليا الجديد (راجع الصفحة ٢٠٢) وبصورة الحجر الذي رُذل ورُفع (مز ١١٨، وراجع الصفحة ٢٠٥)، والهيكل وابن الانسان...

◄ البشارة لمريم: لو ١/٢٦ – ٣٨

رواية بشارة

إقرأ هذا النص منتبهًا الى مختلف الأقسام التي يتألّف منها. ثم اقرا البشارة لزكريا (لو ١/٥ – ٢٥) والبشارة لجدعون (قض ٦/١١ – ٢٤)... تجد في النصوص الثلاثة رسمًا بيانيًا واحدًا وعناصر واحدة وأسئلة واحدة! يتناول لوقا هنا اذًا فنًّا أدبيًا معروفًا، وفي معرفة ذلك فائدة كبرى. فحين يستخدم احد الكتّاب هذا الفن، فذلك أنه يريد ان يشدّد، لا على فضائل الشخص المعنيّ او على نفسيّته، بل على الرسالة التي اؤتُمن عليها في سبيل شعب الله.

ان كان «القالب» مشتركًا، فلعلّ اقوال الملاك ومريم اصلية؟ قارن بينها وبين نصوص العهد القديم وهي محاطة بإطار في الصفحة التالية. يضعها لوقا على لسان الملاك، معبرًا بذلك عن دور مريم ويسوع في التدبير الالهي.

من هي مريم في نظر لوقا؟

- بنت صهيون. يعود الملاك الى ما ورد في سفر صفنيا او الى نصوص أخرى تشابهه كـ يوء ٢/٢١ – ٢٧ وزك ٢/١٤ – ١٧ و ٩/٩ – ١٠. يصوّر لوقا مريم بصورة بنت صهيون آخِر الازمنة، فبأية رسالة اذًا يعترف لها؟ كيف ذلك يعنينا نحن أيضًا شخصيًا؟ (راجع الجزء الاول، الصفحة ٦١).

ان الاسم الجديد المطلق على مريم (الممتلئة نعمة) مشتقّ من فعل لا نجده إلاّ مرّة ثانية في العهد الجديد: اف ١/٦ حيث يُنسب الى كنيسة آخِر الازمنة. كيف يلقي ذلك ضوءًا على الدور المعترف به لمريم «صورة الكنيسة»؟

- أمّ عمّانوئيل: اش ٧/١٤.
- أولى المؤمنات في نشأة شعب جديد، كما كان ابراهيم أوّل مؤمن (تك ١٨/١٤).

فلا يهتمّ لوقا أولاً بنفسية مريم او بميزاتها، بل برسالتها في شعب الله، في الكنيسة. حاول ان توضّح هذه الرسالة.

من هو يسوع في نظر لوقا؟

- ابن داود او ابن العليّ. انّه عمّانوئيل الوارد ذكره في اش ٧/١٤ ولا سيّما ابن الله بمعنى ابن داود المنصَّب ملكًا والوارد ذكره في ٢ صم ٧ (راجع الجزء الاول، الصفحة ٤٢).

وهكذا فإن يسوع يحقّق انتظار اسرائيل. ولكن لوقا يضيف أن يسوع يحقق ذلك الانتظار بصورة اروع ممّا كانوا يتصوّرونه. فإنه:

- ابن الله. لا يرد فعل «ظلَّل» (شكن في العبرية) إلاّ في بعض نصوص العهد القديم وبمعنى قويّ: الله نفسه يأتي ليسكن في هيكله. ذلك الفعل اعطى كلمة «شكينة» التي تعبّر عن حضور الله في وسط شعبه (راجع الصفحة ١٨٨ في شأن متى ١٨). أصبح الهيكل الحقيقي رحم مريم واتّخذت كلمة «ابن الله» (الآية ٣٥) معنى يختلف كل الاختلاف عن معنى «ابن العليّ» (الآية ٣٢).

حاول، في ختام هذا الدرس، ان توضّح كيف ان استعمال الكتب المقدسة يمكّن لوقا من التعبير عن ايمانه الذي اكتشفه في ضوء الفصح، ويمكّننا نحن ان نعلم بأننا معنيّون بهذه المغامرة.

٢٦. وفي الشهر السادس، ارسل الله الملاك جبرائيل.
الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة.
٢٧. الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود
اسمه يوسف، واسم الفتاة مريم.
٢٨. فدخل اليها فقال:
«افرحي،
ايتها الممتلئة نعمة،
الرب معك».
٢٩. فداخلها اضطراب شديد لهذا الكلام
وسألت نفسها ما معنى هذا السلام.
٣٠. فقال لها الملاك:
«لا تخافي يا مريم،
فقد نلتِ حظوةً عند الله.
٣١. فستحملين وتلدين ابنًا
فسمّيه، يسوع.
٣٢. سيكون عظيمًا
وابنَ العليّ يُدعى،
ويوليه الربّ الاله
عرش أبيه داود
٣٣. ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر،
ولن يكون لملكه نهاية».
٣٤. فقالت مريم للملاك:
«كيف يكون هذا
ولا اعرف رجلاً»؟
٣٥. فأجابها الملاك:
«ان الروح القدس سينزل عليك
وقدرة العليّ تظلّلك،
لذلك يكون المولود قدّوسًا
وابن الله يُدعى.
٣٦. وها ان نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضًا
بابنٍ في شيخوختها،
وهذا هو الشهر السادس
لتلك التي كانت تُدعى عاقرًا.
٣٧. فما من شيء يعجز الله».
٣٨. فقالت مريم:
«أنا أمة الرب،
فليكن لي بحسب قولك».
وانصرف الملاك من عندها.

غمرنا بنعمته
في ابنه
اف ١/٦

صف ٣/١٤-١٦
افرحي يا ابنة صهيون
ان في وسطك الرب
ملك اسرائيل

اش ١٤/٧
ها ان العذراء تحبل
وتلد ابنًا وتدعو
اسمه عمّانوئيل

لا تخف يا صهيون
ان في وسطك
الرب الهك

الجبّار الذي يخلّص

اقيم لك اسمًا كأسماء العظماء
الذين في الارض...
انا اكون له أبًا
وهو يكون لي ابنًا...
أقرّ ملكه.
يكون بيتك وملكك ثابتين الى الدهر
وعرشك يكون راسخًا...
٢ صم ٧

غطّى الغمام خيمة الموعد
وملأ مجد الرب المسكن

خر ٣٥/٤٠ وعدد ١٨/٩ و ٢٢

وقال الله لابراهيم:
«أعلى الرب أمر عسير؟»
تك ١٤/١٨

«يجب أن...»

قد تُشعرك بعض النصوص بأن يسوع ليس حرًّا وبأن حياته قد دُوِّنت مسبقًا في الكتب المقدسة فلم يبق له إلا أن يحقّقها: «يجب على ابن الانسان ان يُسلم... كان لا بدّ ان تتمّ الكتب...» (لو ٢٤/٧ ورسل ١/١٦). والحال أننا لسنا امام واجب، بل امام تفسير بفضل الكتب المقدسة.

هذا شخص يقول: «كان وقوع ذلك محتّمًا»! إنه لا يريد ان يقول: «كان وقوع هذا مكتوبًا! فلا فائدة في عمل اي شيء»، بل بالأحرى: «ان ما وقع كان منطقيًا بالنسبة الى ما سبق من مواقف واعمال». يريد هذا الشخص ان يفهم معنى ما حدث، فيفسّره بالعودة الى الماضي، فقد أصبح الآن – والآن فقط – واضحًا أن ما حدث كان محتّمًا بالنسبة الى الماضي.

كان المسيحيون يريدون ان يفهموا كيف ان الذي يعترفون به الآن مسيحًا وابن الله رفضه شعبه وحكم عليه اخيرًا بالموت، فوضعوا موته في منطق حياته ومواقفه المعادية للسلطات القائمة، في سبيل الله وسبيل الفقراء. فاعترفوا بأن ما في رسالة هذا المشيح من اختلاف عمّا كان متوقّعًا من شأنه ان يجلب عليه ما حدث. ولكنهم رجعوا في الزمن الى الكتب المقدسة ليحدّدوا وضع هذه الحياة وهذا الموت من منطق الموقف الالهي. سبق لنا ان رأينا، ونحن ندرس ملكوت الله (الصفحتان ١٧٩ و ١٩٢)، ان الله ليس حياديًا، بل انه الى جانب المظلوم، ولذلك رُذل أيضًا من قِبَل شعبه. ففسّروا مصير يسوع في ضوء مصير البار المضطهَد الوارد ذكره في المزامير، والعبد المتألم الذي تكلّم عليه أشعيا. وبما ان الله هو كما هو وان يسوع هو كما هو، فكان من المحتّم ان يُرذل ويموت...

من المحتمل ان يكون التلاميذ قد واصلوا التفسير الذي بدأه يسوع معهم. فالانسان احيانًا ما يفسّر الحدث قبل وقوعه. مثلاً: ناضل مارتين لوثر كينغ في سبيل المساواة بين جميع الناس، ولا شك أنه شعر ذات يوم بأنه، ان واصل نضاله، تعرّض للموت. واصله إخلاصًا لرسالته، ولكنه اضطرّ ان يواجه احتمال موته ويعطيه معنى.

من الارجح أن يسوع كان يظنّ، في بدء خدمته الرسولية، أن في امكانه ان يقوم برسالته قيامًا موفّقًا وان اليهود سيلبّون دعوته. ولكنه اعترف يومًا بواقع الحال، اعترف بأنه يزعج عددًا كبيرًا من الناس وبأن الخاتمة ستكون سيّئة (راجع الصفحة ١٩٩). ان يسوع لا يريد الموت (وقد هرب للإفلات منه، يو ١١/٥٤). ومع ذلك فكان عليه ان يجابهه إخلاصًا لرسالته وان يسبق فيعطيه معنى. وسيجد هذا المعنى في تأمّله في الكتب المقدسة: سيصعد الى اورشليم بصفته ذلك العبد الذي تكلّم عليه أشعيا (راجع الصفحة ٢٢٥) وحدّد وضع موته من موت الأنبياء (مثل الكرّامين القتلة، الصفحة ٢٠٥).

الكتب المقدسة ام يسوع؟

كان المسيحيون الأولون يواظبون على قراءة الكتب المقدسة، كما كان اليهود يواظبون عليها، ليبحثوا فيها عن معنى كيانهم. كانت اساليب تفسيرهم واحدة، ومع ذلك فكل شيء مختلف بينهم.

ان اليهودي يعطي الأوّلية للكتاب المقدس. يخدمه ويجعله حاضرًا ليجد الطريقة العملية لممارسته. **أمّا نظرة المسيحيين فهي أن يسوع**، بعد ان قام من بين الاموات، أصبح محور كل شيء ومفتاح كل شيء. فلكي يدرك المسيحيون معنى سرّه ورسالته، فهم يحدّدون وضعه من الكتب المقدسة، جاعلين ايّاها في خدمة المسيح. قال بولس: «حياتي هي المسيح».

نرى هنا الخطأ الذي وقعت فيه احدى نظريّات الدفاع عن الدين المسيحي، باستنادها الى «برهان النبوّات»: يقولون انصار هذه النظرية: «ان يسوع حقّق النبوّات، ففي هذا اثبات لألوهته». انهم ينطلقون من الكتب المقدسة ليصلوا الى يسوع. أمّا التلاميذ الأوّلون، فقد انطلقوا من يسوع وعادوا في الزمن الى الكتب المقدسة. اليك مثلاً: جاء في انجيل متى (٢٦/١٥) ان يهوذا قبض ثلاثين من الفضة. فهذا الحدث حقّق اذًا «النبوّة» الواردة في زك ١١/١٢. اكتفى مرقس ولوقا بالقول انهم اتّفقوا ان يدفعوا له مالاً. أمّا متى فقد حاول ان يفهم، فشعر بأن الشعب قد رذل يسوع كما رذل الله نفسه. وهو، في توضيحه للنص بالاستشهاد بزكريا، اراد ان يأتي، لا بمعلومات تاريخية (لا يُعرف اي مبلغ قبضه يهوذا)، بل بتعليم لاهوتي: اي ان يسوع هو الله نفسه الذي رُذل من قِبَل شعبه!

وبذلك يكون التلاميذ قد فتحوا لنا الطريق: فلكي نعطي اليوم أيضًا معنى لحياتنا في خدمة المسيح، لا بدّ لنا أن نحدّد وضعها من الكتب المقدسة.

بـــدء الـــبشارة

بدء... عنوان غريب لخاتمة هذا الكتاب! إلاّ ان المعنى المزدوج لهذه الكلمة سيمكّننا من ان نُنهي هذه المسيرة في انحاء الكتاب المقدّس في اتّجاهَين: فالبدء يعني نقطة انطلاق وانفتاحًا على المستقبل.

ان نقطة انطلاق الانجيل هي ولا شك يسوع الناصري. من خلال نصوص العهد الجديد، ماذا يمكننا ان نعرف عنه حقًّا؟

فتح يسوع مستقبلاً للانجيل، وهو نصوص العهد الجديد هذه، بل حياة المسيحيين منذ ألفي سنة أيضًا. هل أُقفل الانجيل؟ وهل نستمرّ اليوم في كتابته؟

١. يسوع، بدء البشارة

لنلق نظرة الى الوراء، الى المسيرة التي قمنا بها. لعلّنا انطلقنا وفي بالنا هذه الفكرة غير المعبَّر عنها، وهي ان الاناجيل تَصلنا مباشرة بيسوع: فحين نفتح هذه الاناجيل، نسمع كلماته كما لو كانت مسجّلة ونراه يعيش كما لو كانوا صوَّروه... من الواضح، ونحن في ختام هذا الدرس، ان الأمور ليست على هذه البساطة: لا نملك عن يسوع لا تسجيلات ولا رسومًا.

هل خسرنا شيئًا من جرّاء ذلك؟ اني على يقين من أنكم اكتشفتم، بالعكس، كل ما ربحناه من ذلك. لو كان عندنا اقوال او رسوم دقيقة، لبدت لنا غامضة فلكنّا جهلنا معناها. أمَّا الآن، فهناك شاهدون اصليون ينقلونها الينا مع تفسيرهم لها. وهكذا فان العهد الجديد يُدخلنا في جماعة حيّة ونحن مدعوّون معها الى اللقاء بالرب يسوع.

ولكن ربّما يُطرح هذا السؤال: هل نستطيع، من خلال هذه التفسيرات، ان نصل حقًّا الى شخص يسوع الناصري نفسه؟

ليس الفصح حائطًا

لقد مضى ذلك الوقت، والحمد لله، — بين السنة ١٩٢٠ والسنة ١٩٥٠ تقريبًا — الذي أُعجب فيه بعض اهل الاختصاص باكتشافهم أهمية الجماعات المسيحية وعملها التفسيري، فراحوا يزعمون أن الفصح حائط لا يمكن وراءه الارتقاء في الزمن، وأن العهد الجديد، بناءً على ذلك، يفيدنا عن ايمان تلاميذ المسيح الذي قام من بين الاموات، فلا يعود يمكّننا من التعرّف الى يسوع التاريخ.

لقد عدنا، منذ بعض عشرات السنين، الى مواقف أصحّ. ليس الفصح حائطًا، بل موشورًا يكشف روعة سرّ يسوع. يمكننا حقًّا، عَبرَ هذا الموشور، ان نكتشف يسوع الناصري.

اليك بعض المقاييس التي تبنّاها اهل الاختصاص للوصول الى اقوال يسوع واعماله الاصيلة، وذلك لتزداد اطمئنانًا فقط، ان لزم الأمر، وتتمكّن، عند الحاجة، من الاهتداء في قراءة التعليقات العلمية. سنتوقّف خاصةً عند النتائج التي حُصِل عليها.

كيف الوصول الى يسوع الناصري ؟

يستعملون معيارَين خاصة يجب الجمع بينهما : الاصالة والمماثلة.

للأصالة دور بالنسبة الى ما قبل والى ما بعد.

ان قال يسوع في احد الاناجيل : «ان الله أبونا» ، لا يكون ذلك أصيلاً بالنسبة الى الايمان اليهودي. فقد ورد مثل ذلك في العهد القديم. فمن المرجّح ان يكون يسوع قد قاله أيضًا ، ولكن من الممكن أيضًا ان ننسب اليه هذه الجملة التي كانت شائعة. وبالعكس ، فإن خاطب يسوع الله وقال له : «أبّا» ، اي «بابا» ، تكون هذه الأُلفة أصيلة ، اذ ان اليهودي لما جرؤ على ابتكارها.

بعد الفصح ، رأوا في يسوع : المسيح والرب وابن الله. فإن صرّح توما مساء الفصح فقال : «ربّي وإلهي» ، سمعنا في قوله صوت الكنيسة ، فليس في ذلك أصالة بالنسبة الى ما كانوا يعتقدون بعد الفصح. وبالعكس ، فإن قال يسوع : «ولا الابن يعرف ساعة الدينونة» ، نكون أمام جملة تبدو مناقضة لايمان الكنيسة ، فإذا صحّ ان يسوع هو الله ، فعليه ان يعرف كل شيء. هذه اذًا جملة أصيلة ولا شك أن التلاميذ كانوا أشدّ رغبة في حذفها منهم في ابتكارها ! وكذلك ، فإنهم لم يبتكروا مشهدًا كمشهد النزاع في بستان الزيتون. حيث نرى مَن أصبحوا يعترفون الآن بأنه ابن الله يبكي بصورة يرثى لها ويخشى الموت ، اوكالمشهد الذي نراه فيه يأتي ليعتمد من يوحنا ، مع العلم بأن معمودية يوحنا كانت للخاطئين.

للمماثلة دور على صعيدين أيضًا.

لا بدّ من شيء من الترابط بين ما يقال في يسوع وما يُعرف عن زمنه. ان روى لنا نصّ عصري مرور الأمير فخر الدين بساحة الشهداء في بيروت ، عرفنا أن هذا من الاختلاق. وحين يقول يسوع : «لا تذهبوا الى مجامعهم» ، نعلم بأن هذه الجملة وُضعت بعد انفصال المسيحيين عن اليهود. اذ كان على يسوع ان يقول : «... الى المجامع» ، كما نقول اليوم : «نذهب الى الكنائس». ان قلنا : «نذهب الى كنيستهم» ، عنينا أننا قطعنا الاتّصال بالذين يتردّدون اليها.

لا بدّ أيضًا من شيء من الترابط بين أقوال يسوع او بين مواقفه. هناك «انجيل توما» (رواية غنوصية من القرن الثاني) ينتهي بهذه الجملة : «قال سمعان بطرس : لتخرجْ مريم (المجدلية) من بيننا ، لأن النساء لسن اهلاً للحياة. قال يسوع : سأجعلها ذكرًا ، لكي تكون روحًا حيًّا مثلكم انتم الذكور. كل امرأة تصبح ذكرًا تدخل ملكوت الله». مثل هذه الجملة تعارض كلّيًا ما نعرفه عن يسوع ، فمن الاكيد أنها غير أصيلة. او حين يرينا «الانجيل العربي لطفولة يسوع» (مؤلّف من القرن السابع) يسوع يُميت على الفور رفيقًا اصطدم به وأوقعه ، نعلم بأن هذا لا يماثل بشيء اعتدال يسوع في معجزاته ومحبته لجميع الناس...

هناك مقاييس أخرى يستعملها اهل الاختصاص ، اقتصرنا على المقاييسين الرئيسيين. ولكن لا بدّ من تقييم نتيجة هذا البحث : انه يتوصّل الى اثبات أن هذا القول او ذاك العمل يمكن نسبتهما الى يسوع. ولكنه لا يدّعي أبدًا ان سائر الاقوال او الاعمال التي يمكن اثبات اصالتها بالطريقة نفسها ليست من اقوال واعمال يسوع. في إمكان هذا البحث ان يؤكّد بعض الامور، ولكنه لا يدّعي انكار التي لا يستطيع تأكيدها بالطريقة نفسها.

بعض مراحل حياة يسوع

يمكننا ان نتأكّد من المراحل الكبرى لحياة يسوع ، دون ان ندخل في تفاصيل حركاته وسكناته.

افتتح يسوع رسالته بالاعتماد من يوحنا ، ولعلّه كان تلميذًا له مدّةً من الزمن ، ثم انفصل عنه.

بشّر يسوع في الجليل باقتراب مجيء ملكوت الله. فتبعته الجموع بحماس واعترفت بأنه نبيّ وربّما بأنه المسيح. لكنّ انتظارها كان ملتبسًا ومُثقلاً بالآمال القومية ، حتى ان يسوع خيّب أملها ، فتركته شيئًا فشيئًا. واشتدّ ضغط خصومه ، فشعر يسوع بأنه ان استمرّ على هذه الطريقة ، تعرّض للموت قتلاً.

صعد الى اورشليم ، عدّة مرّات بحسب يوحنا. كانت تهجّماته على النظام الديني الذي مركزه الهيكل تثير مقاومة خصومه يومًا بعد يوم. ومن أسباب رَذله من قِبل خصومه طريقة تصرّفه مع الخاطئين والشعب الذي يجهل الشريعة والنساء ، وطريقته المتساهلة في تفسير الشريعة للعودة بها الى صفائها الاصلي.

حكم عليه بالموت بعض المسؤولين الدينيين عن الأمّة. ونجحوا في اجتذاب جماهير اورشليم وراءهم ، وأسلموه الى السلطة المدنية للإعدام. حاول بيلاطس ان يطلق سراحه ، لا مبالاةً بالعدل ، بل لمعاكسة رغبات المسؤولين ، ولكنه لبّاها أخيرًا. فمات يسوع مصلوبًا في السابع من نيسان (ابريل) من السنة ٣٠ (او في الثالث من نيسان (ابريل) من السنة ٣٣.

«إله حق وانسان حق»

قد يستغرب القارئ ان نطرح السؤال التالي : «أيًّا كان وعي يسوع لنفسه ولرسالته» ؟ بما أنه إله ، فهو يعلم بكل شيء... لكن بعض النصوص ، كالذي يصرّح فيها يسوع بجهله ليوم الدينونة (مر ١٣/٣٢) ، تجيز لنا طرح السؤال.

اننا هنا امام سرّ ، ولا يسعنا إلاَّ ان نقبض على طرفَي السلسلة دون ان نعرف كيف يتمّ ارتباط الواحد بالآخر : يسوع هو إله تمامًا وانسان تمامًا.

حين نجد أنفسنا امام احد الأسرار ، نميل عادةً الى إهمال احد وجوهه ، او على الاقل الى تفضيل احدها على سائر الوجوه. هذا وان طريقة معالجة هذا السرّ يحملنا طبعًا على التركيز على احد وجوهه. مدة قرون عديدة ، كان تفكيرنا اللاهوتي تفكيرًا «نازلاً» ، فإنه تناول سرّ «ابن الله المتأنّس» ، منطلقًا من هذه الحقيقة وهي «يسوع هو إله» ، ليبيّن أنه كان انسانًا تمامًا. أمَّا التفكير اللاهوتي الحاضر ، فهو بالأحرى تفكيرًا «صاعدًا» ، يعترف بأن يسوع هو انسان تمامًا ، فيبحث في الاناجيل عمَّا يُظهر في اعماله واقواله صلة خاصة وفريدة بالآب يرى فيها لاهوته.

شدَّد التلاميذ الأوّلون على الوجه الالهي خاصة. عرفوا يسوع وعاشوا معه ، فكان واضحًا لهم انه كان انسانًا مثلهم. فكان باقيًا عليهم ان يثبتوا أنه إله.

في سياق تاريخ الكنيسة ، ومنذ وقت قريب في التنشئة المسيحية ، كانوا ينطلقون من النقطة التي وصل اليها التلاميذ ، وهي ان يسوع هو إله. ومن هنا ردّ الفعل الحديث ، وهو التشديد على اثبات ناسوته. أدّى هذا الى انحرافات ، كانحرافات التيّار اللاهوتي المسمّى «لاهوت موت الله» او الى تصوّرات شعبية أصبح فيها يسوع مجرّد بطل او ثائر او رفيق. لكن الاحتراس من انحراف يجب ألاَّ يؤدي الى الوقوع في انحراف آخر !

فالمسيحي يؤكّد بوضوح ، وفقًا للعهد الجديد والتقليد كلّه ، ان يسوع هو ابن الله منذ اللحظة الاولى من الحبل به. وليس في طرح السؤال عن وعي يسوع لنفسه اي شك في هذا الايمان. بل هناك مجرّد محاولة لتحديد وضع هذا الايمان من مصير ذلك الشخص الذي هو انسان تمامًا.

من المسلَّم به منذ البدء أن يسوع نما وجاع وبرد وتألَّم. وتعلّم الكلام والصلاة... ولكن ، من كان انسانًا — وهذا أمر نشعر به اليوم شعورًا خاصًا — كان حرًّا. اي استطاع ان يختار وان يبحث عن طريقته في الحياة وان يخاطر... واذا صحّ ان يسوع كان انسانًا تمامًا ، فهذا يعني أنه كانت له نفسية وحرّية كنفسيتنا وحريتنا.

سبق لنا ان رأينا (الصفحة ٢٢٨) ان يسوع ظنَّ أولاً على الارجح انه سيتوفَّق في رسالته بمجرّد قيامه بالتبشير. ولكنه ، أمام ما لاقاه من المقاومة ، واجه امكانية موته قتلاً واعطاه معنًى. لم يمثّل تمثيلية في نزاعه في بستان الزيتون حيث دخل طوعًا في آلامه ، متيقّنًا ، بحسب المعتقد الفريسي الذي كان معتقده أيضًا ، من ان الله سيقيمه في آخر الازمنة ، في «اليوم الثالث».

اليك تشبيهًا بشريًا يساعدك على فهم كلامنا. نعلم بأن الطفل «انسان» منذ اللحظة الأولى من حياته ، وأنه لن يعي لذلك إلاَّ تدريجيًا. فالاحداث والتفكير تساعده ، طوال حياته ، على ان يكتشف من هو وما هي مهمّته. يجوز لنا ان نعتقد بأن هذا ما جرى ليسوع. كان ابن الله تمامًا منذ الحبل به. ولكنه وعى ذلك تدريجيًا ، وقد ساعدته على ذلك تلك الاختبارات الكبرى التي انعم الله عليه بالقيام بها : كالمعمودية والتجلي ، وتلك القدرة التي اكتشفها في نفسه على شفاء الاجساد وتحويل القلوب.

فإذا اكّدنا ان يسوع «عاش وضعنا البشري في كل شيء ما عدا الخطيئة» ، فنحن لا نقلّل بشيء من لاهوته. بل نزداد شعورًا بـ «تواضع الله» ، بإله صار انسانًا ، انسانًا تمامًا ، لكي نصبح الله.

نصوص غير مسيحية عن يسوع

نعرف يسوع من الاناجيل. والنصوص غير المسيحية التي تكلّمنا عليه هي قليلة، ولا عجب، فلم يكن هناك محقّقون ولا صحفيّون، ولم يكن موت يهودي في مكان منعزل مجهول من الامبراطورية الرومانية سوى حادث قليل الأهمية. ولم يهتمّ به الكتّاب إلاّ يومَ أظهرت الحركة التي دفع بها بعض القوة وامست خطرًا على الامبراطورية نفسها (راجع الجزء الاول، الصفحة ٣٢: «ما هو الحدث التاريخي ؟»). اليك أهم النصوص:

في حوالى السنة ١١٠، كتب بلينس الاصغر، الحاكم الروماني على اقليم بيتينية في آسية الصغرى، الى صديقه الامبراطور تريانس، واخبره بتصرّفه مع المسيحيين الذين كانوا يتكاثرون حتى إن المعابد الوثنية باتت مهجورة. لم يكن يبحث عنهم، ولكن، اذا بلغه شيء عنهم، كان يعاقبهم بالموت في حال استمرارهم في ايمانهم.

«كان بعضهم يؤكّد أنهم كفّوا عن الانتماء الى المسيحية... كانوا يقولون ان خطأهم او غلطتهم قد اقتصرت على الاجتماع عادةً في يوم معيَّن، قبل طلوع الشمس، لإنشاد نشيد يتناوبون فيه للمسيح بصفته إلهًا، وللتعاهد بقسم لا على ارتكاب هذه الجريمة او تلك، بل على عدم السرقة وقطع الطرق والزنى، وعلى عدم الاخلاف بالوعد وعدم رفض الوديعة اذا طولبوا بها. وكانوا، بعد ذلك، يفترقون عادة، قبل ان يجتمعوا مرة ثانية لتناول طعام عاديّ بريء... لم أجد سوى خرافة سخيفة...».

وفي حوالى السنة ١١٥، وصف تاقيطس، المؤرّخ الروماني، الاضطهادات التي قام بها نيرون ضد المسيحيين، بعد حريق رومة في السنة ٦٤، فقال:

«يشتق اسمهم من كلمة «المسيح»، الذي اسلمه الحاكم بنطيوس بيلاطس الى العذاب، في عهد طيباريوس. قُمعت تلك الخرافة الشنيعة في ذلك الحين، ولكنها عادت فظهرت، لا في اليهودية فقط حيث نشأ الشرّ، بل في رومة ايضًا حيث يتدفّق افظع وافضح ما في العالم فيجد فيها أنصارًا كثيرين...».

وفي حوالى السنة ١٢٠، كتب سويتونيوس، مؤرّخ روماني أيضًا، في «سيرة قلوديوس» أن قلوديوس «طرد جميع اليهود من رومة، لأنهم لا يكفّون عن إثارة الاضطرابات بدافع من «كريستوس»».

فكانوا يخلطون بين اليهود والمسيحيين، وكان المسيح يُعدّ مشاغبًا حاضرًا بينهم (يمكن المقارنة بين هذا النص ورسل ١٨/٢).

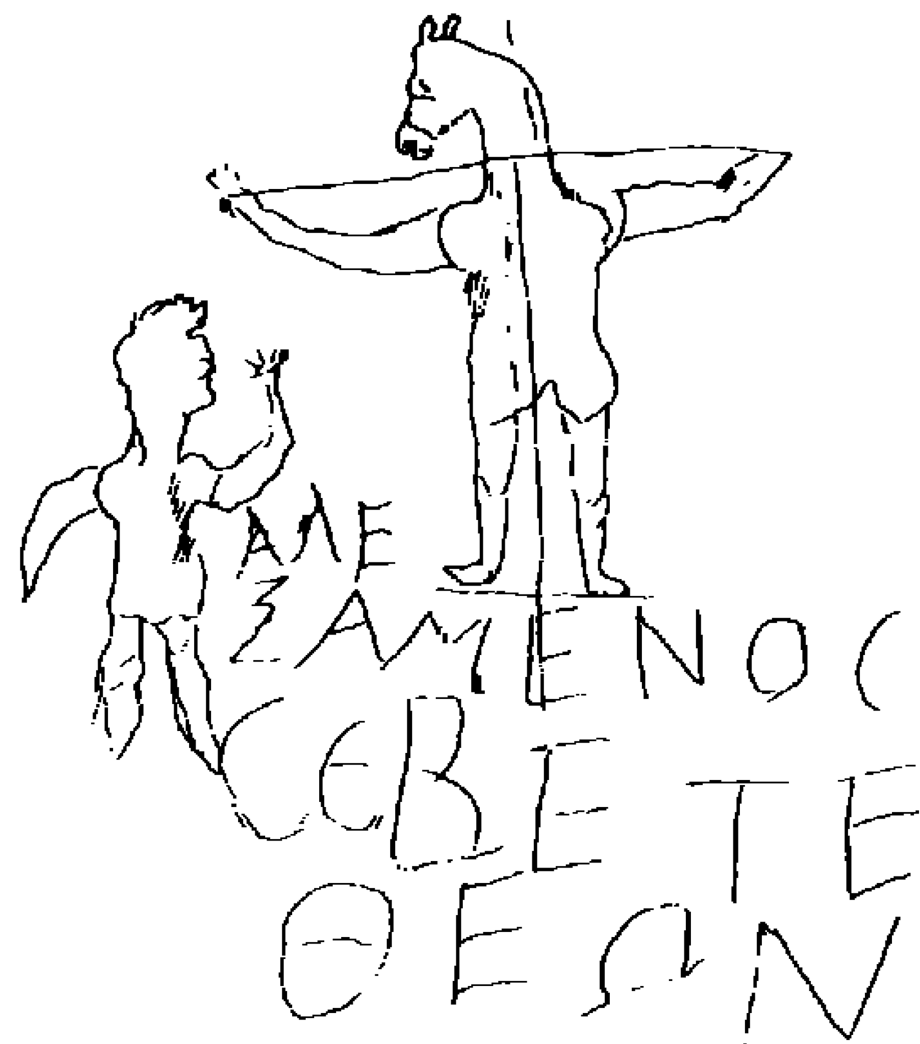
وفي «سيرة نيرون» التي كتبها هذا التلميح الوجيز:

«وأُسلم المسيحيون الى العذاب، وهم أناس منصرفون الى خرافة جديدة مسيئة».

فلافيوس يوسيفس مؤرّخ يهودي قاوم الرومانيين أولاً، ثم التحق بهم. مات في رومة في حوالى السنة ٩٨، بعد ان وضع عدة مؤلّفات يعرض فيها الدين اليهودي للرومانيين.

في كتابه «العصور اليهودية القديمة» فقرة يتكلّم فيها على يسوع. وصلنا هذا النص بصور مختلفة، ومن الواضح أن هناك ايديًا مسيحية أصلحت النص الاصلي. من الارجح ان النص الذي نثبته فما يلي أقدم من غيره. نجده في «التاريخ الشامل» الذي وضعه في العربية اغابيوس، مطران هيرابوليس، في القرن العاشر.

«في ذلك الزمان، كان رجل حكيم يسمّى يسوع، كانت سيرته صالحة وفضائله معترفًا بها. تتلمذ له كثير من اليهود وأناس من أمم أخرى. حكم عليه بيلاطس بالموت صلبًا. لكنَّ الذين تتلمذوا له بشّروا بتعليمه. ورووا أنه تراءى لهم بعد صلبه بثلاثة أيام وأنه حيّ. لعلّه كان المشيح الذي أنبأ الانبياء بخوارقه».



الكسامنس يسجد لإلهه. رسم ساخر معادٍ للمسيحية منقوش على جدار في رومة (اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث) نرى احدًا يصلّي امام مصلوب برأس حمار.

٢. كتابة الانجيل في ايّامنا ؟

«هل أُقفل الانجيل والعهد الجديد؟ هل نواصل كتابته اليوم؟» سيساعدنا هذا السؤال على تحديد هوية «القانون» وطريقة تكوّنه.

قانون العهد الجديد

«قانون» و«عهد» كلمتان غريبتان لا بدّ من شرحها.

كلمة **«قانون»** مشتقة من كلمة يونانية تعني «القاعدة» وتدل، في شتّى الحقول، على المقياس المثالي. ففي القرن الخامس ق.م. وضع نحّات يوناني مؤلَّفًا «في القانون»، اي في المقاييس الصحيحة لجسم الانسان. و«قانون الفضائل»، الذي وضعه فلاسفة قدماء، عبارة عن نظام للحياة الاخلاقية. و«الحق القانوني» هو الشرع الذي ينظّم حياة الكاثوليك. وأمّا «قانون الكتب المقدسة» فهو جدول الكتب التي تعترف بها كنيسة من الكنائس كقاعدة لايمانها.

يجب ان نميّز بين «قانونية» كتاب (كونه مدوَّنًا في هذا القانون) و«صحّته»: فالكتاب الصحيح هو الكتاب الذي كتبه الكاتب الذي يُنسب اليه الكتاب. فخاتمة انجيل مرقس (١٦/٩ – ٢٠) ليست صحيحة (بل أُضيفت، وهي من يدٍ غير يد صاحب الانجيل)، ولكنها قانونية.

«عهد». ترجم الكتاب المقدس اليوناني الكلمة العبرية التي تعني التعاهد بكلمة «دياتيكي» الدالّة على التدابير التي يتّخذها شريكان، وتُرجمت الى العربية بكلمة «عهد».

تمَّ تكوين قانون العهد الجديد تدريجيًا وبعدّة محاولات، فقُبِل بعض الكتب ورُفض غيرها.

لا شك ان تكوّنت **مجموعات** في وقت مبكّر: أولاً مجموعة لرسائل بولس (يشير اليها ٢ بط ٣/١٥)، ثم مجموعة للأناجيل وللرسائل الجامعة (رسائل يعقوب ورسالتي بطرس ورسائل يوحنا الثلاث ورسالة يهوذا).

وفي القرن الثاني، نشأت بدعتان تُرجم ردّ فعلها باستعجال تحديد القانون: فالغنوصيون اختلفوا اناجيل كثيرة (كالاناجيل التي عُثر عليها في نجع حمادي في مصر، ومنها انجيل توما) ورسائل كاذبة نُسبت الى بعض الرسل. ومن جهة ثانية، رفض مرقيون، في رومة وفي حوالى السنة ١٥٠، العهد القديم كله وجزءًا من العهد الجديد.

وبين السنة ١٥٠ والسنة ٣٠٠، تمَّ تحديد القانون كما نعرفه اليوم. اليك بعض الشهادات التي ترقى الى ذلك الزمن: منها قانون موراتوري (باسم الذي اكتشفه) وهو مخطوط من القرن الثامن. ونجد فيه اللائحة التي قُبلت في رومة في حوالى السنة ١٨٠، ومنها أيضًا مؤلَّفات ايريناوس (توفي في حوالى السنة ٢٠٢) وترتليانس (توفي في السنة ٢٢٠) واكليمنضس الاسكندري (توفي قبل السنة ٢١٥) وأوريجينس (توفي في السنة ٢٥٤).

هذه اللوائح تطابق تقريبًا القانون الحالي. وأمّا الكتب التي قام حولها نزاع احيانًا، فهي الرسالة الى العبرانيين ورسالة يعقوب ورسالتا بطرس. وبالعكس فهناك كتب أخرى قد أُدرجت أحيانًا في القانون، كالديداكي وراعي هرماس وانجيل بطرس...

وفي القرن الرابع، تمَّ تحديد القانون، مع بعض الفوارق الطفيفة والتي تختلف باختلاف الكنائس.

ففي الكنيسة اليونانية، اعترف اوسابيوس القيصري (توفي في السنة ٣٤٠) بالقانون الحالي، ما عدا كتاب الرؤيا. ولكن اثناسيوس، في السنة ٣٦٧، حدّد قانون العهد القديم والعهد الجديد، كما نعرفه اليوم.

وفي الكنيسة السورية، فان الترجمة الرسمية («البسيطة») لا تحتوي على رسالتي بطرس ولا على رسالتي يوحنا الثانية والثالثة، ولا على رسالة يهوذا ولا على كتاب الرؤيا.

وفي الكنيسة اللاتينية، قام ايرونيمس، بين السنة ٣٨٤ والسنة ٣٩٥، بترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية، وقد تبنّى لائحة اثناسيوس.

الى اي شيء يستند اختيار القانون؟

عدة مقاييس كان لها دور في قبول الكتب او رفضها: منها أن على الكتاب ان ينتمي الى احد الرسل وان يكون جامعًا، اي مقبولاً في مجمل الكنائس. اجل، هذه المقاييس كان لها دور، ولكنها غير كافية لتكون ركيزة للقانون. فهناك بعض الكتب كانوا يظنون أن أصحابها رسل، مع أنها خرجت في وقت لاحق من ايدي تلاميذ اولئك الرسل.

فالمقياس الأخير هو هذا: كانت الكنيسة تحت ارشاد الروح القدس، فشعرت بأن هذا الكتاب «بينها» وأن ذلك الكتاب لا «بينها». فالاعتراف بالقانون كمجموعة للكتب الملهمة والتي يرتكز عليها الايمان، هو أيضًا فعل ايمان بالروح القدس الذي يرشد الكنيسة.

لقد تمّ القانون وانتهى الوحي. **فهل يعني** هذا انه لم يعد من واجبنا ان نكتب الانجيل في ايّامنا؟

نص العهد الجديد

«هل لدينا النص الاصلي للأناجيل او للعهد الجديد؟ الى اي شيء يستند النص الذي نجده في كتبنا المقدسة»؟ كثيرًا ما يُطرح هذا السؤال.

ليس لدينا، في الواقع، نصوص اصليّة للعصور القديمة. من النصوص النادرة التي وصلت الينا رسالة سمعان بن كُسبا، زعيم الثورة اليهودية في السنة ١٣٥ (راجع الصفحة ٢٣٥). ليس لدينا سوى نُسَخ. فأقدم المخطوطات لمؤلّفات ڤرجيليوس يرقى عهدها الى اربعة قرون بعد وفاته، وهناك ثلاثة عشر قرنًا بين افلاطون وأقدم المخطوطات لمؤلّفاته. وستة عشر قرنًا لمؤلّفات اوريبيدس!

فنحن اكثر حظًّا بالنسبة الى العهد الجديد. لدينا أُلوف المخطوطات بعضها قديم جدًّا.

هذه المخطوطات **مخطوطات بَرْديّة** (من ليف شجرة) او **رقوق** (جلد خروف او معز او جدي). تبدو بشكل مِلفّ او، في اغلب الاحيان، بشكل مجلّد (اوراق مخيطة على مثال كتبنا العصرية). حتى القرن التاسع، كانت تُكتب بأحرف كبيرة، دون الفصل بين الاحرف، ثم كُتبت أيضًا بأحرف صغيرة كما نفعل اليوم.

اليك بعض الساعات الهامّة في تناقل نص العهد الجديد.

حتى القرن الرابع

في اواخر القرن الثاني، بدأوا يقلقون في امر الاختلافات الظاهرة بين المخطوطات. فقاموا في الاسكندرية بتحقيق، اي انهم حاولوا، انطلاقًا من مختلف المخطوطات، ان يُثبتوا نصًّا رأوا أنه اقربها الى ما كانوا يظنون أنه النص الاصلي. وانتشر هذا «التحقيق الاسكندري» في الامبراطورية كلها.

وترجموا النص اليوناني الى اللاتينية (الترجمة اللاتينية القديمة، بين ١٦٠ و ١٨٠)، والسريانية والقبطية.

من القرن الرابع الى القرن السادس.

الى هذا الزمن ترقى المخطوطات الكاملة الكبرى للعهد الجديد، على ورق الرقّ: الڤاتيكاني (منتصف القرن الرابع) والسينائي (منتصف القرن الرابع) والاسكندري (مطلع القرن الخامس) ومجلّد افرام (القرن الخامس). أمّا مجلّد بيزا (القرن الخامس) فلا يحتوي إلاّ على الاناجيل واعمال الرسل، ونص اعمال الرسل يختلف قليلاً عن النص العادي. وأخيرًا فهناك مجلّد فرير (القرن الخامس) وهو يحتوي على الاناجيل فقط.

وفي مطلع القرن الخامس، قاموا في بيزنطية بتحقيق جديد، عمَّ جميع الكنائس الناطقة باليونانية. وقاموا أيضًا بتوحيد نص الترجمات: فمنذ السنة ٣٨٢ حرّر القديس ايرونيمس النص اللاتيني. وأمّا «البسيطة» (السريانية) والترجمة الارمنية فانهما ترقيان الى القرن الخامس.

من القرن السادس الى عصر النهضة

قاموا في الأديرة بعدد كثير جدًّا من النُسَخ.

عصر النهضة: القرن الخامس عشر والسادس عشر.

بعد الاستيلاء على القسطنطينية (١٤٥٣)، تدفّقت المخطوطات اليونانية على الغرب.

في السنة ١٥٠٢، باشروا ترجمة القلعة المتعدّدة اللغات التي تحمل أيضًا اسم الكردينال كسيمينيس، وهي عمل علمي مُتقن صدر في السنة ١٥٢٢. واراد ايرسموس أن يتفوّق عليها (منذ ذلك الوقت كانت المنافسة تلعب لعبتها!)، فنشر في السنة ١٥١٦ نصًّا أثبته في ستة اشهر، انطلاقًا من ستّ مخطوطات فقط. وقام الطبّاع روبير إستيان بمراجعة نص ايرسموس مستندًا الى ترجمة القلعة. واعاد تيودورس البيزي النظر في طبعة استيان الرابعة، وهي النص المعتمد والذي استعمل حتى اواخر القرن التاسع عشر.

منذ منتصف القرن التاسع عشر

في السنة ١٨٥٩، عثر تيشندرف على المخطوطة السينائية ونشر المخطوطة الڤاتيكانية، وهما المخطوطتان اللتان يستند اليهما النص الحالي لكتبنا المقدسة.

ان الاختلاف بين المخطوطات يدور حول تفاصيل طفيفة. ليس لدينا اصل النصوص، ولكن لا بأس ان نتّكل على نُسَخه التي بين ايدينا.

السينائي عب ١٣/٢٤ – ٢٥

كتابة الانجيل في ايامنا ؟

بعد هذه المسيرة ، لم يعد ممكنًا ان تخطر ببالنا هذه الفكرة الساذجة : ان الرسل سمعوا يسوع ودوَّنوا اقواله واعماله ، وبعد العنصرة تأبَّطوا الاناجيل واخذوا يبشّرون بها في العالم... الواقع أن يسوع جمع تلاميذه وأسَّس كنيسته ، فهي موجودة قبل الاناجيل وهي التي كوَّنتها.

لقد تبعنا هذه المسيرة لأنها تطابق الواقع . ولكن هناك نتيجة هامّة بالنسبة الينا اليوم تُستخلص ممّا نقوله.

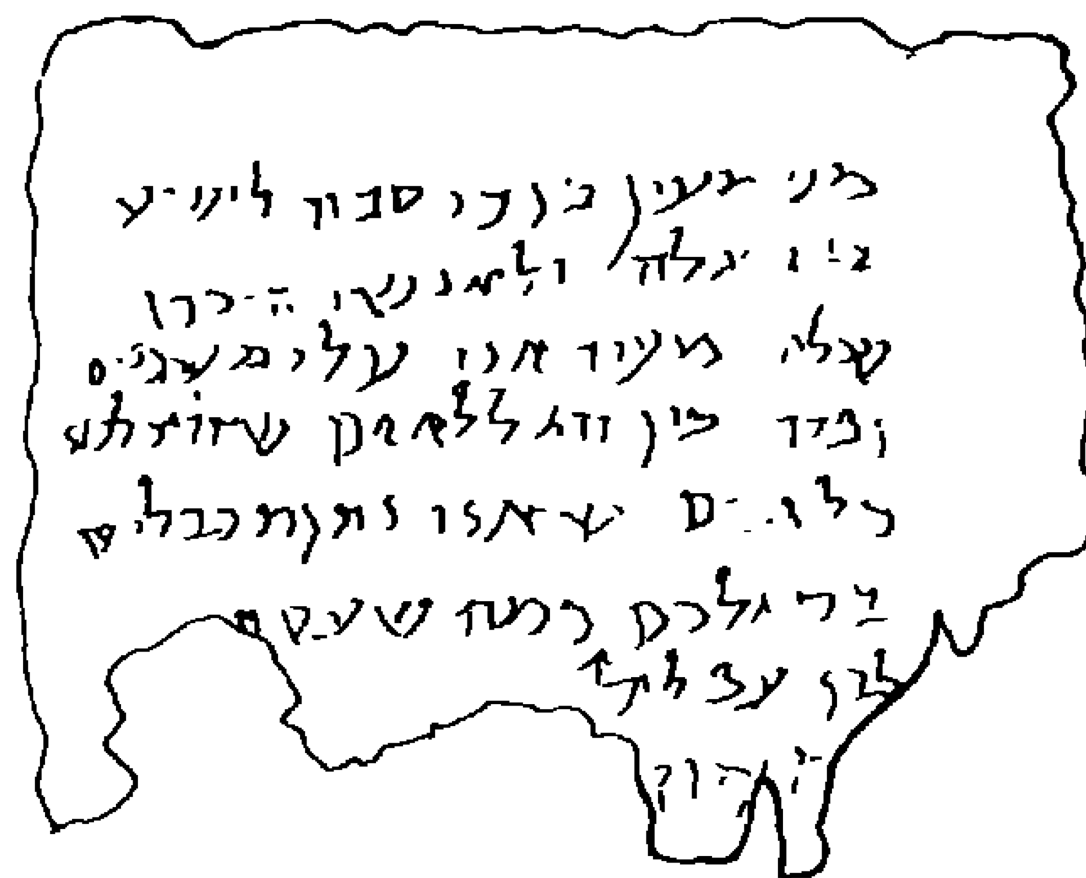
لو كان لدينا صور وتسجيلات عن يسوع ، لأُلزمنا بالتكرار وباتّخاذه مثالاً نقلّده.

أمَّا اذا كان يسوع الذي يصوّره لنا العهد الجديد قد اكتشفته شيئًا فشيئًا جماعات من المسيحيين عَبرَ حياتهم وتفكيرهم ، فهذا مستقبل يُفتح أمامنا . فعلى جماعاتنا ان تواصل عمل اكتشاف يسوع هذا عبر حياتنا واسئلتنا . ان حياة كنائسنا الحالية ووجه القائم من بين الاموات الذي تُظهره في العالم ، هذه هي الاناجيل التي نكتبها اليوم.

من بين نصوص كثيرة ، تذكّرنا الرسالة الى اهل أفسس (في فقرة درسناها في الصفحة ١٥١) ما هو عمل الجماعات المسيحية : بناء جسد المسيح الى ان يبلغ قامته الكاملة . لقد زوَّد الربّ الممجّد كنيسته بما تحتاج اليه لذلك العمل : فالروح القدس ومختلف الخدمات هي الهدايا التي قدَّمها لها . على المسيحيين ان «يلدوا» المسيح في العالم (رو ١٢/١ - ٦ ويو ٢١/١٦ - ٢٢ ، وراجع الصفحة ٢٢٣). وحياتهم المعبَّر عنها بعدد كبير من المؤلَّفات ، من الصلوات الشخصية او الطقسية الى الشهادات التي لا تحصى ، هي «انجيل القرن العشرين».

لكنَّ هناك فرقًا أساسيًا بين هذه «الاناجيل» التي نحرّرها اليوم ومؤلَّفات العهد الجديد . هذه المؤلَّفات معترف بها ككلمة الله ، وهي قاعدة ايمان المسيحيين في جميع الأزمنة وجميع البلدان . لقد اختُتم الوحي بها . فان الله قال لنا كل شيء في ابنه . و«أناجيلنا» نحن لا تضيف عليها شيئًا ، بل تعبّر فقط عن الطريقة التي تدوّي بها البشرى الاصلية في ناحية من نواحي العالم وفي قرن من القرون . فليست اذًا شاملة . ومن جهة أخرى ، فلا قيمة لها إلاّ بقدر ما تؤدّي الصوت الذي تؤدّيه المؤلّفات الأولى ، مع العلم بأنها توافق نَغَمها للأيام التي نعيشها.

فليس المسيحيون مُلزمين بتقليد «مثال» بدون اي عمل من قبلهم ، بل انهم مدعوّون الى ان يلدوا المسيح في العالم ، ويبتكروا لعالمنا ، في الامانة للبشرى الأولى ، وجه القائم من بين الاموات.



رسالة مخطوطة بيد شمعون بن كُسبا
رئيس العصيان اليهودي الثاني ، في السنة ١٣٥ ب.م.

فهرس تحليلي

• الجزء الأول : العهد القديم

مسائل أدبية

نصوص من الشرق القديم

أهمّ النصوص التي دُرست

• **الجزء الثاني : العهد الجديد**

بعض المواضيع

مسائل أدبية

نصوص يهودية

ترجوم في عدد ١٧/٢٤ : ١٨٨
ترجوم في مز ٦٨ : ١٥١
ترجوم في هو ١/٦ : ١٥٠
صلاة من الليترجية اليهودية : ٢٢٣
فيلون (في خر ١٨/٢٠) : ١٩٨
مثل الربّاني بون : ٢٠٤
وصية لاوي : ١٧٤

الاناجيل الازائية : النصوص التي دُرست

	متى	مرقس	لوقا	الصفحة
مقدمة مرقس		١/١		١٧٤
طفولة يسوع بحسب انجيل متى	١ – ٢			١٨٨
طفولة يسوع بحسب انجيل لوقا			١ – ٢	١٩٧ و ٢٠٠
البشارة			٢٦/١–٣٨	٢٢٦ – ٢٢٧
ميلاد يسوع			١/٢ – ٢٠	٢٠٠
المعمودية		٩/١ – ١١		١٧٤
تجارب يسوع	١/٤ – ١١			١٨٦
اعلان البشارة في الناصرة			١٤/٤ – ٤٤	١٩٨
العظة على الجبل	٥ – ٧		٢٠/٦ – ٤٠	١٨٦ – ١٩١
شفاء حماة بطرس	١٤/٨ – ١٥	٢٩/١ – ٣١	٣٨/٤ – ٣٩	١٣٠
شفاء مُقعد		١/٢ – ١٢		١٧٥
شفاء في يوم سبت		١/٣ – ٦		١٧٥
العظة على الجبل	٥ – ٧		٢٠/٦ – ٤٠	١٨٦ – ١٩١
التطويبات	٣/٥ – ١٢		٢٠/٦ – ٢٦	١٩٢ – ١٩٣
«أبانا»	٩/٦ – ١٣		٢/١١ – ٤	٢١٨
سؤال يوحنا المعمدان	٢/١١ – ٦		١٨/٧ – ٢٣	١٧٩
تسكين العاصفة	١٨/٨ – ٢٧	٣٥/٤ – ٤١	٢٢/٨ – ٢٥	١٨٠ – ١٨١
امثال	١٣			٢٠٦
التجلّي			٢٨/٩ – ٣٦	١٩٩
الصعود الى اورشليم			٥١/٩ – ٦٢	١٩٩
«أبانا»	٩/٦ – ١٣		٢/١١ – ٤	٢١٨
مثل الوليمة	١/٢٢ – ١٤		١٥/١٤ – ٢٤	٢٠٥
عشرة بُرص			١١/١٧ – ١٩	١٩٩
اعمى أريحا		٤٦/١٠ – ٥٢		١٧٦
السير وراء يسوع	١٣/١٦ – ٢٨			١٨٨
قاعدة الجماعة	١٨			١٨٨

عملة الساعة الخامسة بعد الظهر	١/٢٠ – ١٦			٢٠٤
الكرّامون القتلة	٣٣/٢١ – ٤٤	١/١٢ – ١١	٩/٢٠ – ١٨	٢٠٥
مثل الوليمة	١/٢٢ – ١٤		١٥/٩ – ٢٤	٢٠٥
رواية الآلام بحسب متى	٢٦ – ٢٧			١٨٩
رواية الآلام بحسب مرقس		١٤ – ١٥		١٧٧
رواية الآلام بحسب لوقا			٢٢ – ٢٣	٢٠١
العشاء السرّي	٢٦/٢٦ – ٢٩	٢٢/١٤ – ٢٥	١٥/٢٢ – ٢٠	٢١٧
القبر المفتوح		١/١٦ – ٨		١٧٦
تلميذا عمّاوس			١٣/٢٤ – ٣٥	١٥٤ – ١٥٥
تراثيات القائم من بين الأموات	١٦/٢٨ – ٢٠		٣٦/٢٤ – ٥٣	١٥٣

نصوص اخرى دُرست	صفحة		
يو : مقدّمة ١/١ – ١٨	٢١٢	رؤ ١/١٢ – ٦	٢٢٣ – ٢٣٥
خبز الحياة ٣٠/٦ – ٥٠	٢١١	٢١ – ٢٢	٢١٤
العشاء السرّي ١٣ – ١٧	٢١١	١ قور : ٢٣/١١ – ٢٦	٢١٧
٢١/١٦ – ٢٢	٢١١–٢٢٣–٢٣٥	١/١٥ – ١١	١٥٠
الغاية من الكتاب ٣١/٢٠	٢١٠	قول : ١٥/١ – ٢٠	١٦٦
رسل : خُطَب	١٤٨	اف : ٧/٤ – ١٠	١٥١ – ٢٣٥
١٢/١ – ٤٧/٢	١٩٨	١ يو : ١٣/٥	٢١٠
٢٦/٨ – ٤٠	١٥٥	فل	١٦١
رؤ : ١ – ٣	٢٢٢	روم : ١/٦ – ٦/٧	١٦٥
٤ – ٥	٢٢٢	٨	١٦٥
		١ – ٢ تس	١٦٢

فهرس المواد

• الجزء الأول : العهد القديم

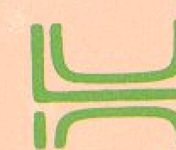
• الجزء الثاني : العهد الجديد

أنجزت المطبعة الكاثوليكية ش.م.ل
في عاريا ، لبنان
طبع «دليل الى قراءة الكتاب المقدّس»
في ٣١ تشرين الأوّل ١٩٩٠

٠١٧٠٠٦ – ٣ – ١٩٩٠/١٠/٣١



منشورات
دار المشرق ش م م
ص ب ٩٤٦ بيروت لبنان



التوزيع :
المكتبة الشرقيّة - ساحة النجمة
ص. ب : ١٩٨٦ - بيروت . لبنان

جمعيّات
الكتاب المقدّس في المشرق
ص. ب : ٧٤٧ - ١١ بيروت ، لبنان





تصميم الغلاف : جان قرطباوي